نفح الطيب

من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني
المتوفى سنة ١٠٤١ هـ

شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له

الدكتورة مريم قاسم طويل
أستاذة اللغة الإسبانية والتاريخ الأندلسي
بالجامعة اللبنانية

الدكتور يوسف علي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي
بالجامعة اللبنانية

الجزء الخامس

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

إهـــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم / علي حسن عبد الكافي

الإسكندرية

نفح الطيب

من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني

المتوفى سنة ١٠٤١هـ

شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له

الدكتورة مريم قاسم طويل
أستاذة اللغة الإسبانية والتاريخ الأندلسي
بالجامعة اللبنانية

الدكتور يوسف علي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي
بالجامعة اللبنانية

الجزء الخامس

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار الكتب العلمية
Dar al-Kotob al-Ilmiyah

Beirut, Ramel al-Zarif, Bohtory St - P.O Box 11-9424 Beirut   بيروت - رمل الظريف - شارع البحتري - ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت
Tel & Fax (961-1) 602133 - 868051 - 366135 - 364398   هاتف و فاكس: (١-٩٦١) ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨

Beirut - lebanon بيروت - لبنان



صلة الباب السابع

وقال الأديب النحوي المؤرخ أبو إسحٰق إبراهيم بن قاسم[1] الأعلم البطليوسي صاحب التآليف[2] التي بلغت نحو خمسين[3]: [المجتث]

يـا حِـمـصُ، لا زلْـتِ دارًا لِـكُـلِّ بُـؤسٍ وسـاحَـةْ
مـا فـيـكِ مـوضـعُ راحـةْ إلاّ ومـا فـيـه راحَـةْ[4]

وهو شيخ أبي الحسن ابن سعيد صاحب «المغرب» وأنشده هذين البيتين لما ضجر من الإقامة بإشبيلية أيام فتنة الباجي.

وقال الأديب الطبيب أبو الأصبغ عبد العزيز البطليوسي الملقب بالقلندر[5]: [المتقارب]

جَرَتْ مِنّيَ الخمرُ مجرى دمي فَـجُـلُّ حـيـاتـيَ مِـنْ سُـكْـرِهـا
ومهما دَجَتْ ظُلَمٌ للهموم[6] فـتـمـزيـقُـهـا بِـسَـنـا بَـدْرِهـا

---

(١) كلمة «قاسم» ساقطة من طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٥).

(٢) في طبعة صادر (جـ ٣ ص ٤٥١): «التواليف».

(٣) ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن قاسم الأعلم البطليوسي في المغرب (جـ ١ ص ٣٦٩، واختصار القدح (ص ١٥٧) وبغية الوعاة (ص ١٨٥) والبيتان في المصادر المذكورة دون تغيير عمّا هنا.

(٤) الراحة الواردة في الصدر: راحة اليد. وفي العجز: الارتياح.

(٥) ترجمة القلندر في المغرب (جـ ١ ص ٣٦٩) وفيه: «القَلَمَنْدَر». والبيتان في المصدر المذكور

(٦) في المغرب: «ظُلُماتُ الهموم».

وخرج يومًا وهو سكران، فلقي قاضيًا في نهاية من قبح الصورة، فقال: سكران خذوه، فلما أخذه الشرطة[1] قال للقاضي: بحقّ مَنْ ولاّك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك إلاّ ما أفضلت عليَّ وتركتني، فقال القاضي: واللّه لقد ذكرتني بفضل عظيم، ودَرَأَ عنه الحدّ.

وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسي[2]، وهو من أعاجيب الدنيا، لا يقرأ ولا يكتب[3]: [المتقارب]

ولَمّا وَقَفْنا غداةَ النوى | وقد أسقطَ البَيْنُ ما في يدي
رأيتُ الهوادجَ فيها البدورُ | عليها البراقعُ مِنْ عَسْجَدِ
وتحت البراقعِ مَقْلوبُها[4] | تدبُّ على وَرْدِ خَدٍّ نَدِي
تُسالم مَنْ وَطِئَتْ خَدَّه | وتلدغُ قلب الشَّجِي المكمدِ

وقال في المتوكل، وقد سقط عن فرس: [البسيط]

لا عَتْب للطِّرْف[5] إنْ زلتْ قوائمُهُ | ولا يُدَنِّسه من عائبٍ دَنَسُ
حَمَّلْتَ جُودًا وبأسًا فوقه ونُهى | وكيف يحملُ هذا كلَّهُ الفرسُ

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسي[6]: [الرمل]

لا تلوموني فإنني عالمٌ | بالذي تأتيه نفسي وتَدَعْ
بالحُمَيَّا والمُحَيَّا صَبْوَتي | وسوى حبِّهما عندي بِدَعْ
فُضِّلَ الجمعةُ يومًا وأنا | كلُّ أيامي بأفراحي جُمَعْ

---

(١) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٥٢): «الشرط قال للقاضي: بفضل من ولاّك..».

(٢) ترجمة ابن جاخ البطليوسي في جذوة المقتبس (ص ٤٠٥) وبغية الملتمس (ص ٥٣٨).

(٣) البيتان الثالث والرابع في المطرب (ص ١٨٤) منسوبين إلى علي بن إسماعيل الفهري؛ قال ابن دحية: البيتان لعلي بن إسماعيل الفهري، وقد أخذهما ابن جاخ الصباغ وادّعاهما لنفسه.

(٤) مقلوب البراقع: عقارب، وأراد بالعقارب واوات الأصداغ.

(٥) الطِّرْفُ بكسر الطاء: الفرس. لسان العرب (طرف).

(٦) هو أبو بكر الكميت بن الحسن؛ شاعر أديب من شعراء بني هود بسرقسطة. جذوة المقتبس (ص ٣٣٤) وبغية الملتمس (ص ٤٥٣) والمغرب (ج ١ ص ٣٧٠).

وقال أبو عبد اللّه محمد بن البَيْنِ البَطَلْيَوْسي، وهو ممن يميل إلى طريقة ابن هانىء[1]: [الكامل]

غَصَبُوا الصباحَ فقسَّموه خدودا واستنهبوا[2] قُضُبَ الأَراكِ قدودا
ورَأَوْا حَصًا الياقوت دون محلِّهمْ فاستبدلوا منه النجومَ عُقُودا
واستودعوا حَدَقَ المَهَا أجفانَهُمْ فَسَبَوْا بهنَّ ضَرَاغما وأُسودا
لم يكفهمْ[3] حملُ الأَسِنَّة والظُّبَا حتى استعارُوا أَعْيُنًا وقُدُودا
وتضافَرُوا بضفائرٍ أبدَوْا لنا ضوءَ النهار بِلَيْلِها مَعْقودا
صاغوا الثغور من الأقاحي بَيْنَها ماءُ الحياة لو اغتدى مورودا[4]

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخَطّارة، فشرب ليلة مع المتوكل، وكان في السقاة وسيم، فوضع عينه عليه، فلمّا كان وقت السحر دبَّ إليه، وكان بالقرب من المتوكل، فأحسَّ به، فمال له: ما هذا يا خطارة؟ فقال له: يا مولاي، هذا وقت تفريغ[5] الخطارة الماء في الرياض، فقال له: لا تَعُدْ لئلاً يكون ماء أحمر[6]، فرجع إلى نومه، ولم يُعِدْ في ذلك كلمة بقيّة عمره معه، ولا أنكر منه شيئًا، ولم يحَدّث بها الخطارة حتى قُتل المتوكل، رحمه اللّه تعالى!

والخطارة: صنف من الدواليب الخفاف يستقي به أهل الأندلس من الأودية، وهو كثير على وادي إشبيلية، وأكثر ما ياكرون العمل في السحر.

وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود: [مجزوء الرمل]

أرني يومًا من الدهـ ـر على وَفْقِ الأماني
ثم دَعْني بَعْدَ هذا كيفما شئتَ تراني

---

(١) الأبيات في الذخيرة (ق ٢ ص ٨٠٢) والمغرب (ج ١ ص ٣٧٠) وقد تقدمت في الجزء الرابع من نفح الطيب ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) في الذخيرة: «واسترهفوا». وفي المغرب: «واستوهبوا».
(٣) في الذخيرة: «لم يَكْفِ أن خلفوا الأسنة والظُّبا حتى استنابوا...». وفي المغرب: «لم يَكْفِ أن سلبوا.. حتى استعانوا..».
(٤) هذا البيت غير وارد في المغرب. وفي الذخيرة: «من الأقاحة بينها..».
(٥) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٥٤): «تفرغ الخطارة».
(٦) كناية عن القتل.

وقال أديب الأندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري[١]، وهو من رجال الذخيرة والقلائد، وشهرته مغنية عن الزيادة، يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وَكَفَتْ عليه[٢]: [الطويل]

أيا سامياً من جانِبَيْهِ كليهما (سُمُوَّ حَبَاب الماءِ حالاً على حالِ)
لِعَبْدِكَ دارٌ حَلَّ فيها كأنها (دِيارٌ لسلمى عافياتٌ بذي خال)
يقول لها لَمَّا رأى مِنْ دُثُورها (ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالي)
فقالتْ وما عَيَّتْ جوابًا بردِّها[٣] (وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُر الخالي)
فَمُرْ صاحبَ الإنزال فيها بعاجلٍ[٤] (فإنَّ الفتى يَهْذِي وليس بفعّال)

وقال في جَمْع[٥] حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في «المغرب»[٦]: [الطويل]

سألتُ الحروفَ الزائداتِ عن اسمها فقالت ولم تكذب: أمانٌ وتسهيلُ[٧]

قلت: وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها، وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط، ولنذكر الآن بعضها، فنقول: منها «أهوى تلمسانا» ونظمتها فقلت: [البسيط]

قالت حروفُ زياداتٍ لسائلها هل هُوِيَتْ بلدةً: أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حَشْو، وهو: [الطويل]

هناءٌ وتسليمٌ، تلا يومَ أنسه، نهاية مسؤول، أمان وتسهيل

---

(١) ترجمة أبي محمد عبد المجيد بن عبدون في قلائد العقيان (ص ١٤٤ ـ ١٤٨) والذخيرة (ق ٢ ص ٦٦٨ ـ ٧٢٧) والمطرب (ص ١٨٠).

(٢) الأبيات في المطرب (ص ١٨٢) وقد تقدمت في الجزء الرابع بعض الاختلاف عمّا هنا، وأشرنا هنالك إلى أنّ ما بين قوسين لامرىء القيس من قصيدة مطلعها.

ألاَ عِمْ صباحًا أيها الطَّلَلُ البالي وهل يعمنْ من كان في العُصُرِ الخالي

ديوان امرىء القيس (ص ٢٧، ٣١، ٣٤).

(٣) في المطرب: «فقالت ولم تعيا بردِّ جوابه».

(٤) في المطرب: «بفاضلٍ».

(٥) في طبعه عبد الحميد (جـ ٥ ص ٧): «في جميع».

(٦) هذا البيت لم يرد في المغرب وإنما ورد في المطرب (ص ١٨٠).

(٧) «أمانٌ وتسهيل»: هي أحرف الزيادة المجموعة في «سألتمونيها».

ومنها «هَوِيتُ السمان» وحُكي أن أبا عثمان المازني سئل عنه فأنشد: [المتقارب]

هَـوِيـتُ الـسُّـمـانَ فـشـيَّـبْـنَـنـي   وقد كنتُ قِدْمًا هويتُ السمانا

فقيل له: أجِبْنَا، فقال: أجبتكم مرتين، ويروى أنه قال: سألتمونيها، فأعطيتكم ثلاثة أجوبة، هكذا حكاه بعضُ المحققين، وهو أرقُّ مِمّا حكاه غير واحد على غير هذا الوجه، ومنها: «سألتمونيها»، ومنها: اليوم تنساه، الموت ينساه، أسلمني وتاه، هم يتساءلون، التناهي سموّ، تنمي وسائله، أسلمي تهاون، تهاوني أسلم، التمس هواني، ما سألت يهون، مؤنس التياه، لم يأتنا سهو، يا أويس هل نمت، نويت سؤالهم، نويت مسائله، سألتم هواني، تأمّلها يونس، أتاني وسهيل، هوني مسألتها، سألت ما يهون، وسليمان أتاه، تسأل من يهوى، استملاني هو، أسلمت وهناي، هو استمالني، سايل وأنت هم، يا هول استنم، أتاه وسليمان.

قلت: وليس هذا تكرارا مع السابق الذي هو «وسليمان أتاه»؛ لأنَّ التقديم والتأخير يصيرهما شيئين.

ومنها: الوسمي هتَّانُ، أوليتم سناه، واليتم أنسه، أمسيت وناله، أنله توسيمًا، أملتني سهوًا، أتوسَّل يمنها، سألتهنّ يومًا، سألت يومنها، سألت ما يوهن، نهوي ما سألت، يهون ما سألت، وقد سبق «سألت ما يهون» وعَدُّهما شيئين من أجل التقديم والتأخير كما مرَّ نظيره، ألا تنس يومه، ليتأس ماؤه، سله موتي أنا، أنسته اليوم، سألتم هوينا، آوي من تسأله، وهين ما سألت، وهني ما سألت، مسألتي نواه.

ومنها: مسألتي هاون، سهوان يتألّم، أيلتم سهوان، أو يلتم ناسه، مسألتي أهون. أو ميت تنساه، سموتن إليها، أمليت سَهْوان، وسألتم هينا، يهون ما تسأل، أتلومس سهيا، أسلم وانتهى، يتأمّل سهوان، يتأمّل ناسوه، يتأملن سواه، أيتأمل نسوه، الهوى أتنسّم، وليت ماه آسن، تولين أسهما، أتلوا سهمين، أول ساهمتني، أسماؤه تنيل، يتأمّلنه سوا، أو لم يتسنّاه، آمن ويتساهل، أمسيتن لهوا، توسميه لناء، هو ما تسألين، لأيها نتوسم، أيهما نتوسّل، أتاني لسموه، سميتهن أولاً، أولاهن سميت، سلمتني أهوا، أسلمتني هوا، أو نستميلها، أيستمهلونا، هنأت الموسى، سليم انتهوا، وأنت سائلهم، ساءلته ينمو، تهنأ لا

يسمو، اسألي مؤنته، سألتني موهنًا، التمسي[1] هونًا، استملي أهون، التناه موسى، لهواء يتسنّم، نهوى ما تسأل، ماؤه ليتأسن، تنسمي لهواء، تلومي إن سها، ألمتني سهوًا، ستولينا يمه، يتمهّلون أسا، أمهلتني سوا، التناسي وهم، أهويت سلمان، هويت المأنس، المأنس تهوي، هويت أم ناسل، أو ليس تم هنا، استوهن أملي، استهون ألمي، استملن وهيًا، أتسلمونيها، أيتسلمونها، ألا يتسمونه، أليس توهمنا، ألا يتسنموه.

فهذه مائة وأربعة وثلاثون تركيبًا، منها ما هو متين، ومنها ما هو غير متين، وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبًا محكيًا وغير محكي، وأحسنها بيت ابن عبدون السابق، ويليه بيت ابن مالك، وقال الطغمي جامعًا لها أربع مرات: [الكامل]:

آلمتني سهوًا، تلومي إنْ سها   أو ليس تَمَّ هنا، الهوا يَتَسنَّمُ

هكذا بخطّه يتسنّم، ولو قال يتنسَّم لكان أنسب، وقال أيضًا: [الكامل]

وليت ما سناه والتمسّي هنا   ما تسألين هو الهنا يتوسَّمُ

قلت: وقد جمعت في المغرب زيادة على ما تقدّم، وكنت قدرت رسالة فيها أسميها «إتحاف أهل السيادة، بضوابط حروف الزيادة».

وقال أبو محمد عبد اللّه بن الليث يستدعي الوزير أبا الحسن النابري في يوم غَيْم: [الكامل]

رَقَمَ الربيعُ بروضنا أزهارَهُ   فجرى على صَفَحاتِهِ أنهارَهُ
فعسى تشرفنا ببهجةِ سيدٍ   ألقى على ليلِ الخطوبِ نَهارَهُ
تتمتَّعُ الآدابُ مِنْ نَفَحَاتِهِ   فيشَمُّ منها وَرْدَهُ وبهارَهُ
يا سيدًا بَهَرَ البريةَ سؤددًا   أبدى إلينا سِرَّهُ وجهارَهُ
يومٌ أظلَّ الغَيْمُ وَجْهَ ضيائِهِ   فعليك يا شمسَ العُلاَ إظهارَهُ

وقال أبو القاسم بن الأبرش[2]: [الوافر]

---

(١) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٥٦): «إلْتَمِسْ».

(٢) هو أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون الأبرش النحوي، من أهل شنترين، كان إمامًا في اللغة، توفي بقرطبة سنة ٥٣٢ هـ. المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٦٦) وبغية الملتمس (ص ٢٨٩) وبغية الوعاة (ص ٢٤٣) والصلة (ص ٢٨٠).

أَدِرْ كاسَ المدام فقد تَغَنَّى بفرعِ الأَيْكِ طائِرُهُ الصَّدُوحُ
وهَبَّ على الرياض نسيمُ صبحٍ يمرُّ كما دنا سارٍ طليحُ
ومال النهرُ يشكو من حَصَاه جراحاتٍ كما أنَّ الجريحُ

وقال: [المتقارب]

حلفتُ ويشهدُ دمعي بما أُقاسيه من هجركَ الزائِدِ
فإنْ كنت تجحدُ ما أدَّعي وحاشاك[1] تُعْرَفُ بالجاحدِ
فإنَّ النبيَّ عليه السلامُ قضى باليمينِ مع الشاهدِ

وقال أبو الحسن علي بن بَسَّام الشنتريني صاحبُ الذخيرة، وشهرته تُغْني عن ذكره، ونظمه دون نثره، يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز: [المتقارب]

أبا بَكْرِ المُجْتَبَى للأدبْ رفيعَ العمادِ قريعَ الْحَسَبْ
أيلحنُ فيك الزمانُ الخؤون ويُغْرِبُ عنك لسانُ العربْ
وإن لم يكنْ أُفْقُنَا واحدًا فينظمنا شملُ هذا الأدبْ

وقد ذكرنا له في غير هذا المحلِّ قوله: [الوافر]

أَلاَ بادِرْ فلا ثانٍ سوى ما عَهِدْت الكأسَ والبدرُ التمامُ

الأبيات[2].

وتأخّرت وفاته إلى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، وهو منسوب إلى «شَنْتَرِينَ» من الكُوَر الغربية البحرية من أعمال بَطَلْيَوس.

وقال أبو عمر يوسف بن كوثر: [الطويل]

مَرَرْتُ به يومًا يغازلُ مثله وهذا على ذا بالملاحة يَمْتَنُّ
فقلتُ اجْمَعَا في الوصل رأيكما فما لمثلكما كان التغزّلُ والمجْنُ
عسى الصبُّ يقضي اللّه بينكما له بخيرٍ فقالا لي اشتهى العَسَلَ السَّمْنُ

---

(١) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ١٠): «وحاشاك أن تعرف» وهكذا ينكسر الوزن.
(٢) هي ثلاثة أبيات تقدمت في الجزء الرابع وأشرنا هناك إلى أنها في المرقصات والمطربات (ص ٨٧).

وقال أبو محمد بن سارة[1]: [الطويل]

أعندك أنَّ البدرَ باتَ ضجيعي فقضَّيتُ أوطاري بغيرِ شفيعِ
جعلتُ ابنة العنقود بيني وبينه فكانتْ لنا أُمًّا وكان رَضيعي

وقال[2]: [الوافر]

أما مَنْ حارَتِ الأفكارُ فيه فلم تعلم له الأقدارُ كُنْهَا[3]
بِجِيْدِ النُّبْلِ منّا عِقْدُ أُنْسٍ أقام بغيرِ واسطةٍ فكُنْهَا[4]

وقال أبو الحسن ابن[5] منذر الأشبوني: [الطويل]

فديتكَ إني عن جَنابك راحِلٌ فهل ليَ يومًا من لقائك زادُ
وحَسْبُك والأيامُ خون غوادر فراقٌ كما شاء العِدا وبِعادُ

وقال خلف بن هارون القطيني: [البسيط]

مَنْ أنْبَتَ الوَرْدَ في خَدَّيْكَ يا قمرُ ومن حَمَى قَطْفَه إذ ليس مصطبرُ
الزهرُ في الروضِ مقرونٌ بأزمنةٍ وروضُ خدِّكَ موصولٌ به الزَّهَرُ

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس؛ حَسّون وعَزُّون ورحمون، فأولع بهنّ الإمام أبو محمد ابن السِّيد النحوي، وقال فيهم[6]: [البسيط]

أَخْفَيْتُ سُقْمِيَ حَتَّى كاد يُخْفيني وهِمْتُ في حُبِّ عَزُّونَ فعَزُّوني
ثم ٱرْحَمُوني برَحْمُونَ فإنْ ظَمِئَتْ نفسي إلى رِيْقِ حَسُّونَ فَحَسُّوني

(١) البيتان في الذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٧) والمطرب (ص ٧٨) دون تغيير عمّا هنا.
(٢) البيتان في الذخيرة (ص ٨٤٣).
(٣) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٥٩): «الأوهامُ» بدل «الأفكارُ». ورواية البيت في الذخيرة هي:
أيا مَن جارتِ العلياءُ فيه فما تدري له العلياءُ كُنْهَا
(٤) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ١١): «النيل» بدل «النبل». وكلمة «فكنها»: الفاء حرف، وكنها: فعل أمر ناقص.
(٥) كلمة «ابن» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ١١).
(٦) البيتان في أزهار الرياض (ج ٣ ص ١٠٢) وقد تقدما في الجزء الرابع.

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة، هكذا رأيته بخطِّ بعض المؤرخين[1]، والله أعلم.

وقال ابن خَفَاجَة يُداعب مَنْ بَقَلَ عِذَارُه[2]: [مجزوء الرمل]

أيــهــا الــتــائــه مَــهْــلاً ... ســاءنــي أنْ تِــهْــتَ جــهْــلا
هــل تــرى فــيــمــا تــرى إلْــ ... ـلاَ شــبــابًــا قــد تــولَّــى
وغــرامًــا قــد تــســرّى ... وفــؤادًا قــد تــســلّــى
أيــن دَمْــعٌ فــيــك يــجــري ... أيــن جــنْــبٌ يــتــقــلَّــى
أيــن نَــفَــسٌ بــك[3] تــهــذي ... وضُــلُــوعٌ فــيــك تُــصْــلَــى
أيُّ بــاكٍ[4] كــان لــولا ... عــارِضٌ وافَــى فَــوَلَّــى
وتــخــلَّــى عــنــكَ إلاَّ ... أَسَــفًــا لا يــتــخــلَّــى
وانْــطَــوَى الــحُــسْــنُ فَــهَــلاَّ ... أَجْــمَــلَ الــحُــسْــنَ وهَــلاَّ

أمّا بَعْدُ، أيها النبيل النبيه، فإنه لا يجتمع العِذَار والتيه، قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رَطْب، ومَنْهَل ذلك المُقَبَّل عَذب، وأما والعذار قد بَقَل، والزمان قد انتقل، والصَّبُّ قد صحا فعقل، فقد ركدت رياحُ الأشواق، ورقدت عيون العشّاق، فَدَعْ عنك من نظرة التجنِّي، ومشية التثنّي، وغُضَّ من عِنانك، وخُذْ في تراضي[5] إخوانك، وهشَّ عند اللقاء هَشَّة أريحيّة، واقْنَعْ بالإيماء رَجْعَ تحيّة، فكأني بِفِنائك مهجورًا، وبزائرك مأجورًا، والسلام.

وقال الرصافي لَمَّا بعث إليه مَنْ يَهْواه سكينا[6]: [الطويل]

تـفـاءلْـتُ بـالـسـكـيـنِ لَـمَّـا بَـعَـثْـتَـهُ ... لقد صَدَقَتْ مني العِيافة[7] والزَّجْرُ

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ١٢): «المؤرخين، انتهى، والله أعلم».
(٢) ديوان ابن خفاجة (ص ٢٠٢).
(٣) في الديوان: «فيك تَهْذَى».
(٤) في الديوان: «أيُّ مَلْكٍ».
(٥) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٦٠): «في ترضّي».
(٦) ديوان الرصافي البلنسي (ص ٩٩).
(٧) في الديوان: «القيافة».

فكان مِنَ السكينِ سُكْنَاكَ في الحَشَا وكان مِنَ القَطْعِ القَطِيْعَةُ والهَجْرُ

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجِلّة وطفىء السراج، فقال ارتجالاً: [البسيط]

أَذْكِ السراجَ يرينا غُرَّةً سَفَرَتْ فباتتِ الشمسُ تستحيي وتستترُ
أو خَلِّهِ فكفانا وَجْهُ سيدنا لا يطلبُ النجمَ مَنْ في بيته قمر[1]

وقصد أحد الأدباء بمُرْسية أحدَ السادة من بني عبد المؤمن، فأمر له بصِلَة خرجت على يد ابن له صغير، فقال المذكور ارتجالاً: [الطويل]

تبرَّكْ بنَجْلٍ جاء باليُمْنِ والسَّعْدِ يُبَشِّرُ بالتأييدِ طائفَةَ المهدي
تكلَّمَ روحُ اللّه في المهدِ قبله وهذا براءٍ بدَّلَ اللامَ في المهد[2]

وخرج الأستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يومًا مع طلبته للنزهة بخارج إشبيلية، وأُحضِرَتْ مُجَبَّنَاتٌ ما خَبَا نارُها، ولا هدأ أُوارُهَا، فما حاد[3] عنها ولا كفَّ، ولا صَرَفَ حرُّها عن اقتضابها[4] البنانَ ولا الكفَّ، فقال[5]: [الكامل]

أحلى مواقِعِها إذا قَرَّبْتَها وبُخَارُهَا فوق الموائِدِ سامِ
إنْ أَحْرَقَتْ لمسًا فإنَّ أُوارَها في داخلِ الأحشاء بَرْدٌ سلامِ

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلي يتهكّم برجل زعم أنه ينال الخلافة[6]: [الوافر]

أميرَ المؤمنين، نداءَ شيخٍ أفادك من نصائِحِهِ اللطيفَهْ

---

(1) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٦١): «القمر».
(2) أي إنه بدّل اللام راء فصارت الكلمة «تكرّم».
(3) في طبعة دار صادر: «فما خام..».
(4) في الطبعة نفسها: «عن اختضابها».
(5) البيتان في اختصار القدح (ص ١٥٦) والمغرب (ج ١ ص ٢٦١). وجاء في اختصار القدح أن أهل إشبيلية كانوا يأكلون المجبّنات يوم خميس نيسان/ أبريل. وترجمة ابن جابر الدباج المتوفّى سنة ٦٤٦ هـ في المصدرين السابقين.
(6) زاد المسافر (ص ٦٩). وسترد هذه الأبيات (ص ٤١) من هذا الجزء وجاء هناك: «أماليه» بدل «نصائحه» في البيت الأول.

تَحَفَّظْ أن يكونَ الجذعُ يومًا سريرًا من أسرّتك المُنِيفَة
أُفَكِّر فيك مطويًا[1] فأبكي وتُضحكني أمانيكَ السخيفة

وقال صفوان: [الكامل]

ونهارِ أُنسٍ لو سألنا دهرنا في أن يعود بمثله لم يقدرِ
خَرَقَ الزمانُ لنا به عاداتِهِ فلو اقترحْنا النجمَ لم يتعذرِ
في فتيةٍ علمتْ ذُكَاءُ بحسنهمْ فتلفعتْ من غيمها في مئزر
والسرحَةُ الغنّاءُ قد قبضت بها كفُّ النسيم على لواء أخضرِ
وكأنَّ شكل الغَيْم مُنْخُلُ فِضَّةٍ يلقي على الآفاق رَطْبَ الجوهرِ

واجتاز بعضُ الغِلْمان على أبي بكر بن يوسف، فسلّم عليه بأصبعه، فقال أبو بكر في ذلك وأشار في البيت الثالث إلى أنَّ والد الغلام كان خطيب البلد: [الكامل]

مَرَّ الغزالُ بنا مَرُوعًا نافرًا كشبيهه في القفر رِيْع بصائِدِهْ
لثم السُّلامَى في السلام تسترًا ثم انثنى حذرَ الرقيب لراصِدِهْ
هلاَّ تَكَلَّفَ وَقْفَةً لِمُحبِّه ولو أنها قَصَرًا كجلسةِ والدهْ

وقال أبو الحسن بن الحاج[2]: [الطويل]

كَفَى حَزَنًا أنَّ المشارع جَمَّةٌ وعندي إليها غُلَّةٌ وأُوامُ
ومِنْ نَكَدِ الأيام أن يعدم الغنى كريمٌ وأنَّ المكثرين لئامُ

وقال أبو القاسم القبتوري[3]: [البسيط]

واحَسْرَتا لأمورٍ ليس يبلغها مالي وهُنَّ مُنَى نفسي وآمالي
أصبحتُ كالآل لا جَدْوَى لديَّ وما آليتُ جِدًّا ولكنْ جَدّيَ الآلي

---

(١) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ١٣): «مصلوبًا».
(٢) هو أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج، عَيْنُ مدينة لورقة، كان مقدّمًا في النثر والنظم، وكانت له صلة بالمعتمد بن عباد. بغية الملتمس (ص ٢٥٧) وقلائد العقيان (ص ١٣٩) والمطرب (ص ١٧٥) والمغرب (جـ ٢ ص ٢٧٧) والبيتان في المغرب (ص ٢٨١)، وهما بالترتيب في طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٤٦٣) بعد بيتي أبي القاسم القبتوري.
(٣) تقدم هذان البيتان في الجزء الثالث وجاء هناك: «أَلَوْتُ جهدًا» بدل «آليت جدًّا».

وقال أحمد بن أمية البَلَنسي: [السريع]

قال رئيسي حين فاوضته ... وما دَرَى أنَّ مقامي عسيرْ
أقم فقلت الحالُ لا تقتضي ... فقال سِرْ قلتُ جناحي كسيرْ

وقال ابن برطلة: [السريع]

لله ما ألقاه مِنْ هِمَّةٍ ... لا ترتضي إلاَّ السُّهَا منزلاَ
ومِنْ خُمُولٍ كلَّما رُمْتُ أن ... أسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء[1]: [المجتث]

يا مَنْ حَوَى كلَّ مجدٍ ... بِجِدِّه وبِجَدِّهِ
أتاكَ نَجلُ خروفٍ ... فامْنُنْ عليه بجَدْيِهِ

وكتب أيضًا لبعضهم يستدعي فروة[2]: [مجزوء الوافر]

بهاءَ الدين والدنيا ... ونورَ[3] المجدِ والحَسَبِ
طَلَبْتُ مخافةَ الأنوا ... ءِ من جَدْوَاك[4] جِلْدَ أبي
وفَضْلُكَ عالمٌ أني ... خروفٌ بارعُ الأدبِ
حَلَبْتُ الدهرَ أشْطُرَهُ ... وفي حلبٍ صفا حَلَبي

وبعد كَتْبي لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرقي لا الأندلسي، والله تعالى أعلم.

وركب محبوب أبي بكر ابن مالك كاتب ابن سعد بغلَةً رديفَ رجل يُعْرف بالدب، فقال أبو بكر في ذلك[5]: [مخلع البسيط]

---

(١) البيتان في الذيل والتكملة (جـ ٥ ص ٣٩٧) وفيه أنه قالهما مستهديًا كبشًا.
(٢) الأبيات في فوات الوفيات (جـ ٣ ص ٨٦) ووفيات الأعيان (جـ ٧ ص ٩٤)، وقد تقدمت في الجزء الثالث دون تغيير عمّا هنا.
(٣) في فوات الوفيات: «ونوء».
(٤) في المصدرين السابقين: «من نعماك».
(٥) زاد المسافر (ص ٣٣).

وبغلةٍ ما لها مثالُ يركبُها الدبُّ والغزالُ
كأنَّ هذا وذا عليها سحابةٌ خَلْفَها هِلالُ

وخرج محبوب لأبي الحسن بن حريق يومًا لنزهة وعَرَضَ سَيْل عاقه عن دخول البلد، فبات ليلة عند أبي الحسن، فقال في ذلك[1]: [مخلع البسيط]

يا ليلةً جادتِ الأماني[2] بها على رَغْمِ أنْفِ دهري
تسيلُ[3] فيها عليَّ نُعْمَى يَقْصُر عنها لسَانُ شكري
أباتَ في منزلي حبيبي وقام في أهله بعُذْرِ
وبِتُّ لا حالةٌ كحالي صريعَ سُكْرٍ ضجيعَ بدرِ[4]
يا ليلةَ القَدْرِ في الليالي لأنْتِ خيرٌ مِنَ ألفِ شَهْرِ

وقال أبو الحسن بن الزقاق[5]: [الوافر]

عذيري من هَضيم الكَشْح أحْوَى رخيمِ الدَّلِّ قد لَبِسَ الشَّبابا
أَعَدَّ الهَجْرَ هاجرةً لقلبي وصَيَّرَ وَعْدَهُ فيها سَرَابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطي: [الطويل]

ثناءُ الفَتَى يبقى ويفنى ثراؤهُ فلا تكتسبْ بالمال شيئًا سوى الذكرِ
فقد أبْلَتِ الأيامُ كَعْبًا وحاتمًا وذكرهما غَضٌّ جديدٌ إلى الحشرِ

وقال الأديب أبو عبد اللّه الجذامي: كان لشخص من أصحابنا قَيْنة، فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على أثر سواك أبصره بمبسمها إذ مَرَّ فوّال ينادي على فول يبيعه، قال: فكلّفني أن أقول في ذلك شيئًا، فقلت: [الطويل]

ولم أنسَ يومَ الأُنْسِ حين سَمَحْتِ لي وأهديتِ لي مِنْ فيك فولَ سواكِ

---

(١) الأبيات في المغرب (ج ٢ ص ٣١٩)، وتقدمت في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) في المغرب: «الليالي».
(٣) في المغرب: «للسَّيْلِ».
(٤) في المغرب: «وبِتُّ.. ضجيعَ بَدْرٍ صريعَ سُكْرٍ».
(٥) ديوان ابن الزقاق (ص ٩٨).

وَمـرَّ بـنـا الـقـوَّالُ لـلـقـولِ مـادحًـا   وما قَصْدُه في المدح قولُ سواكِ

وشرب يومًا أبو عبد اللّه المذكور عند بعض الأجِلّةِ وذَرَعَه القيء، فارتجل في العذر: [الطويل]

لا تـؤاخـذْ مَـنْ أخـلَّ بـه   قهوةً في الكاسِ كالقَبَسِ
كيف يُلْحَى في المُدام فتًى   أَخَـذَتْـهُ أخْـذَ مـفـتـرسِ؟
دخَلَتْ في الحلق مُكْرَهَةً   ضاق عنها موضعُ النَّفَسِ
خرجت من موضعِ دخلتْ   أنِفَتْ من مخرج النجسِ

وجلس سلمة بن أحمد إلى جنب وَسيم يكتب من محبرة فانصبَّ الحبرُ منها على ثوب سلمة، فخجل الغلام، فقال سلمة: [الكامل]

صَبَّ المدادَ وما تعمَّد صَبَّهُ   فتورَّدَ الخَدُّ المليحُ الأزهرُ
• يا من يؤثِّرُ حبرُه في ثوبنا   تأثيرُ لحظك في فؤادي أكبَرُ

وكان لأبي الحسن بن حزمون[1] بمُرْسِية محبوب يُدْعَى أبا عامر، وسافر أبو الحسن، فبينما هو بخارج ٱلْمَرِية إذ لقي فتًى يشبه محبوبه، وسأله عن اسمه، فأخبره بأنه يدعى أبا عامر، فقال أبو الحسن في ذلك: [المتقارب]

إلـى كـم أفِـرُّ أمـامَ الـهـوى   ولـيـس لـذا الـحـبِّ مـن آخـرِ
وكـيـف أفِـرُّ أمـامَ الـهـوى   وفـي كـلِّ وادٍ أبـو عـامـرِ

وحضر أبو بكر ابن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوّال، فأُغمي على الناس ورآه محبوبه، فقال أبو بكر في ذلك[2]: [الطويل]

توارى هلالُ الأُفْق عن أعينِ الوَرَى   ولاحَ لمن أهواه منه وحَيّاهُ[3]
فقلتُ لهم لم تفهموا كُنْهَ سِرِّهِ   ولكنْ خذوا عني حقيقةَ معناهُ
بَدَا الأُفْقُ كالمرآة راقَ صفاؤه   فأبصرَ دونَ الناسِ فيه مُحَيّاهُ

---

(١) ترجمة ابن حزمون في زاد المسافر (ص ٦٤).
(٢) زاد المسافر (ص ٣٣).
(٣) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٦٦): «فحيّاه».

وكتب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله: [الطويل]

متى ما تَرُمْ شرحًا لحالي وتبيينا فصَحِّفْ على قلبي «علومك تحيينا»

أراد[1] «إنّي بحبّك مولع».

وكتب القاضي ابن السليم إلى الحكم المستنصر بالله: [البسيط]

لو أنَّ أعضاء جسمي ألسُنٌ نطقتْ بشكر نُعْماك عندي قَلَّ شكريَ لَكْ
أو كان ملّكني الرحمنُ مِنْ أجَلِي شيئًا وصلتُ به يا سيدي أجلكْ
ومن تَكنْ في الورى آماله كثرت فإنما أملي في أن ترى أملكْ

وقال الوزير ابن أبي الخصال: [الطويل]

وكيف أؤدّي شُكْرَ مَنْ إنْ شَكَرْتَهُ على بِرِّ يومٍ زادني مِثْلَهُ غَدَا
فإن رمتُ أقْضِي اليوم بعضَ الذي مضى رأيتُ له فضلاً عليَّ مُجَدَّدَا

وقال الرصافي[2]: [الكامل]

قلّدْتُ جِيدَ الفكرِ[3] مِنْ تلك الحِلَى ما شاءه المنثورُ والمنظومُ
وأشَرْتُ قُدَّامي كأني لاثمٌ وكأنَّ كفّي[4] ذلك الملثومُ

وقال[5]: [الوافر]

ويا لكِ نعمةً رُمْنَا مَدَاها فما وَصَلَ اللسانُ ولا الضميرُ
عَجِزْنا أنْ نقومَ لها بِشُكْرٍ على أنَّ الشَّكُوْرَ لها كثيرُ

وقال ابن باجة: [الكامل]

قومٌ إذا انتقبوا[6] رأيتَ أَهِلَّةً وإذا هُمُ سفروا رأيت بدورا

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ١٧): «أرادني».
(٢) ديوان الرصافي (ص ١٣٢).
(٣) في الديوان: «جيد الشكر».
(٤) في الديوان: «وكأنّ كَفَّكَ».
(٥) ديوان الرصافي (ص ٨٧).
(٦) انتقبوا: شدّوا على وجوههم النّقاب، وهذا مختص بالنساء.

لا يسألون عن النوال عُفاتَهم شكرًا ولا يحمون منه نقيرا
لو أنهم مسحوا على جَذب الرُّبا بأكفهم نبتَ الأقاحُ نضيرا

وقال ابن الأبار يمدح أبا زكريا سلطان إفريقية: [الطويل]

تحلَّتْ بعَلْياك الليالي العواطلُ ودانتْ لسقياكَ السحابُ الهواطلُ
وما زينةُ الأيام إلاّ مناقبٌ يُفَرِّعُها أصلان: بأسٌ ونائلُ
إذ الطَّوْلُ والصَّوْلُ استقلاّ براحةٍ ترقَّتْ لها نحو النجوم أناملُ

وقال أيضاً في سعيد بن حكم رئيس منرقة: [الخفيف]

سَيِّدٌ أيِّدٌ رئيسٌ بئيسٌ في أساريره صفاتُ الصباحِ
قمرٌ في أُفقِ المعالي تجلّى وتحلَّى بالسؤدد الوضَّاح
سلم البحر في السماحة منه لجوادٍ سَمَّوْه بَحْرَ السماحِ

وقال أبو العباس أحمد الإشبيلي: [البسيط]

يا أفضلَ الناسِ إجماعًا ومعرفتي تُغْني وما الحُسْن في ريبٍ ولا رِيَبِ
ورثتَ عن سلفٍ ما شئت من شرفٍ فقد بهرتَ بموروثٍ ومكتسبِ

وقال ابن زُهر الحفيدُ: [الكامل]

يا من يُذَكِّرني بعهدِ أَحِبَّتي طابَ الحديثُ بذكرهمْ ويطيبُ
أَعِدِ الحديثَ عليَّ مِنْ جنباته إنَّ الحديثَ عن الحبيبِ حبيبُ
ملأَ الضلوعَ وفاضَ عن أحنائها قلبٌ إذا ذُكر الحبيبُ يذوب
ما زال يَخْفِق[1] ضاربًا بجناحه يا ليت شعري هل تطير قلوب؟

وقال في زهر الكتان: [الكامل]

أهلاً بزهر اللاّزَوَرْدِ ومرحبا في روضةِ الكَتّان تعطفه الصَّبا
لو كنتُ ذا جهلٍ لَخِلْتُكَ لُجَّةً وكشفتُ عن ساقٍ كما فَعَلَتْ سَبَا[2]

---

(١) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٦٨): «ما زال يضرب خافقًا..».
(٢) أراد بسبا هنا بلقيس ملكة سبأ، وقد ذكر قصتها القرآن الكريم: ﴿قِيلَ لها ادْخُلي الصَّرْحَ فلمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وكَشَفَتْ عن ساقَيْهَا قال إنه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ من قوارير﴾. سورة النمل ٢٧، الآية ٤٤.

ولما قال الموشحة المشهورة التي أولها:

صادني ولم يَدْرِ ما صادا

قال أبو بكر ابن الجدّ: لو سئل عَمّا صاد لقال: تيس بلحية حمراء!.

ولَمَّا قال الموشحة التي أوّلها:

هاتِ بنت[1] العنب واشربِ

إلى قوله:

وفَدّه بأبي ثم بي

سمعها أبوه فقال: يفديه بالعجوز السَّوْآء[2]، وأما أنا فلا.

وهنالك أبو بكر بن زهر الأصغر، وهو ابن عَمِّ هذا الأكبر.

ومن نظم الأصغر[3]: [الكامل]

والله ما أدري بما أتوسَّلُ ... إذ ليس لي ذاتٌ بها أتوصَّلُ
لكنْ جَعَلْتُ مودّتي مع خِدْمتي ... لِعُلاكَ أحظى شافعٍ يُتَقَبَّلُ
إن كنتُ من أدواتِ زُهْرٍ عاطلاً ... فالزُّهْرُ منهنَّ السِّماكُ الأعزلُ

وهذه الأبيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب.

وقال الأديب أبو جعفر ابن صاحب الصلاة: [الطويل]

وما زالَتِ الدنيا طريقًا لهالك ... تُباين في أحوالها وتخالفُ
ففي جانبٍ منها تقومُ مآتمٌ ... وفي جانب منها تقومُ معازفُ
فمن كان فيها قاطنًا فهو ظاعن ... ومن كان فيها آمنًا فهو خائف

وقال أبو بكر محمد ابن صاحب الصلاة يخاطب أخيه لَمَّا انتقل إلى العُدْوَة: [المجتث]

(١) في طبعة دار صادر: «هاتِ ابنةَ العنب».
(٢) في الطبعة نفسها: «بالعجوز السّوء أمّه».
(٣) الأبيات في اختصار القدح (ص ١٥١).

لا تُنكِرَنَّ زمانًا رَماكَ منه بِسَهْمِ
وأنتَ غايةُ مجدٍ في كلِّ علمٍ وفهمِ
هذي دموعيَ حتى يراكَ طرفيَ تَهمِي
يا ليت ما كنتُ أخشى عليكَ عُدْوَانَ هَمّ
وإنما الدهرُ يُبْدِي ما لا يجوزُ بوَهْمِ
ما زال شَيْهَمَ[1] مَسّ لكلِّ يقظانَ شَهْمِ

ولَمَّا وفد أهل الأندلس على عبد المؤمن قام خطيبًا ناثرًا وناظمًا، فأتى بالعجب، وباهى به أهل الأندلس في ذلك الوقت.

وله في عبد المؤمن: [البسيط]

هُمُ الألى وهبوا للحرب أنفسَهُمْ وأنهبوا ما حَوَتْ أيديهِمُ الصَّفَدا[2]
ما إن يُغِبُّونَ كحل الشمس من رَهَجٍ كأنما عينُها تشكو لهم رَمَدَا

وقال أبو الحسن[3] البَطَلْيَوْسي في أبي الحكم عمرو بن مذحج بن حزم، وقد غلب على لبِّه، وأخذ بمجامع قلبه: [الطويل]

رأى صاحبي عَمْرًا فكلَّفَ وَصْفَهُ وحَمَّلني مِنْ ذاك ما ليس في الطَّوْقِ
فقلتُ له: عمروٌ كعمروٍ فقال لي: صَدَقْتَ، ولكنْ ذاك شَبَّ عن الطَّوْقِ

وفيه يقول ابن عبدون[4]: [الكامل]

يا عمرو، رُدَّ على الصُّدُور قلوبَها مِنْ غير تقطيعٍ ولا تَخريقِ
وأَدِرْ علينا مِنْ خلالِكَ أكؤسًا لم تألُ تسكرنا بغيرِ رحيق

وفيه يقول أحدهما[5]: [مجزوء الخفيف]

---

(١) الشَّيْهَمُ: ما عظم شوكه من ذكور القنافذ، محيط المحيط (شهم).
(٢) الصفد: العطاء. محيط المحيط (صفد).
(٣) في أصول النفح: «وقال ابن السِّيد البطليوسي» والتصويب عن الذخيرة (ق ٢ ص ٥٨٨) والمغرب (ج ١ ص ٢٤٣) حيث ترجمة أبي الحكم عمرو بن مذحج بن حزم الإشبيلي وبيتا ابن حزم، وقد تقدم هذان البيتان في الجزء الثاني منسوبين أيضًا لأبي الحسن بن سعيد البطليوسي.
(٤) البيتان في الذخيرة (ق ٢ ص ٥٨٩).
(٥) البيتان في الذخيرة (ق ٢ ص ٥٨٩).

قـل لـعـمـرو بـن مـذحـجِ جـاء[1] مـا كـنـت أرتـجـي
شـــاربٌ مِـــنْ زبـــرجـــدِ ولَـــمّـى مِـــن بـنـفـسـج

وكتب إليه ابن عبدون[2] : [الطويل]

سلام كما هَبَّتْ مِنَ الـمُزْن نفحةٌ تَنَفَّسَ عند الفجرِ من وجْهها الزَّهْرُ[3]

ومنها:

أبا حسنٍ[4] أبلغْ سلامَ فَمِي يَدَيْ أبي حسنٍ وارفقْ فكلتاهـما بَحْرُ
ولا تَنْسَ يمناكَ التي هي والندى رضيعا لِبَانٍ لا اللُّجَيْنُ ولا التِّبْرُ

فأجابه من أبيات: [الطويل]

تـحيَّـر ذهـنـي فـي مَـجاري صـفـاتِهِ فلم أَدْرِ شعرٌ ما به فُهْتَ أم سِحْرُ
أرى الدهرَ أعطاكَ التقدُّمَ في العُلى وإن كان قد وافى[5] أخيرًا بك الدَّهْرُ
لئن حازتِ الدنيا لكَ الفضلَ آخرًا ففـي أُخْرَياتِ اللـيـلِ يـنـبـلـجُ الـفَـجْـرُ

ولعمرو في أبي العلاء بن زُهْر[6] : [الطويل]

قـدمـتَ عـلـيـنـا والـزمـانُ جـديـدُ وما زلتَ تُبْدي في الندى وتُعِيدُ
وحَقِّ[7] العُلا لولا مراتبُكَ العُلا لَمَا اخْضَرَّ في أُفْقِ المكارمِ عُودُ
فلُوحُوا[8] بني زهرٍ فإنَّ وجوهَكُم نـجـومٌ بـأفـلاكِ الـعـلاءِ سـعـودُ

وقوله لأبي الوليد ابن عمّه[9] : [البسيط]

---

(١) في الذخيرة: «خاب ما...».
(٢) هذا البيت والأبيات التالية في الذخيرة (ص ٥٩٠ - ٥٩١).
(٣) في طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٤٧٠): «في وجهها...». وفي الذخيرة: «من الحَزْن نفحة.. قبل الفجر في وجهها..».
(٤) في الذخيرة: «أبا حكم».
(٥) في الذخيرة: «قد أوفى».
(٦) الأبيات في الذخيرة (ق ٢ ص ٥٩٤).
(٧) في الذخيرة: «وعَيْشِ العُلا..».
(٨) في الذخيرة: «ولوحوا».
(٩) الأبيات في الذخيرة (ق ٢ ص ٥٩٥ - ٥٩٦).

إنّي لأعجبُ أن يدنو بنا وطنٌ ... ولا يُقَضّى من اللُّقيا لنا وَطَرُ
لا غَرْوَ إن بَعُدَتْ دارٌ مُصاقِبَةٌ ... بنا وجَدَّ بنا للحضرةِ السَّفَرُ[1]
فمحجرُ العَيْنِ لا يلقاه ناظرُها ... وقد توسَّع في الدنيا به النظر

وقال ابن عمّه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمّه أبا الوليد[2]: [الطويل]

ولَمّا رأى حِمْصَ استخفَّتْ بقدره ... على أنها كانتْ به ليلةَ القَدْرِ
تَحَمَّلَ عنها والبلادُ عريضةٌ ... كما سُلَّ مِنْ غِمْدِ الدُّجَى صارمُ الفجرِ

وقال أبو الوليد المذكور[3]: [الطويل]

أتجزعُ مِنْ دمعي وأنتَ أَسَلْتَهُ ... ومِنْ نارِ أحشائي وأنتَ[4] لهيبُها
وتزعمُ أنَّ النَّفسَ غَيْرَكَ عُلِّقَتْ ... وأنتَ ولا منٌّ عليكَ حبيبُها
إذا طلعتْ شمسٌ عليَّ بسلوةٍ ... أثار الهوى بين الضلوعِ غروبُها

وله أيضًا[5]: [الكامل]

لَمّا استمالكَ مَعْشَرٌ لم أرْضَهُمْ ... والقولُ فيك، كما عَلِمْتَ، كثيرُ
دارَيْتُ دونك مُهجتي فتماسكَتْ ... مِنْ بَعْدِ ما كادتْ إليكَ تطيرُ
فاذهبْ فغيرُ جوانحي لك مَنْزِلٌ ... واسمعْ[6] فغيرُ وفائك المشكورُ

وقال[7]: [المتقارب]

يقول وقد لُمْتُهُ في هَوَى ... فلانٍ وعرَّضْتُ شيئًا قليلا
أتحسدني؟ قلتُ: لا والذي ... أَحَلَّكَ في الحبِّ مرعًى وبيلا
وكيف وقد حُلَّ ذاك الجنابُ ... وقد سَلَكَ الناسُ ذاك السبيلا[8]

---

(١) في الذخيرة: «في الحضرة السَّفَرُ». ودارٌ مصاقبةٌ: مقاربة، مواجهة.
(٢) البيتان في الذخيرة (ق ٢ ص ٦١٢).
(٣) الأبيات في الذخيرة (ص ٥٩٩).
(٤) في الذخيرة: «منك لهيبُها».
(٥) الذخيرة (ق ٢ ص ٦٠٦) والمغرب (ج ١ ص ٢٤٥).
(٦) في المغرب: «واذهبْ».
(٧) الذخيرة (ص ٦٠٦).
(٨) في الذخيرة: «فكيف.. ذاك الحمى.. تلك السبيلا».

وله مما يكتب على قَوْسٍ[1]: [الكامل]

إنَّا إذا رُفِعَتْ سماءُ عَجاجةٍ والحربُ تَقْعُدُ بالرَّدَى وتقومُ
وتَمَرَّدَ الأبطالُ في جَنَباتِها والموتُ من فوقِ النفوسِ يَحُومُ
مَرَقَتْ لهمْ منّا الحُتُوفُ كأنما نحن الأَهِلَّةُ والسِّهامُ نجومُ[2]

وقال أبو الحسين بن فندلة[3] في كلب صيد: [الطويل]

فُجِعْتُ بمن لو رمتُ تعبيرَ وصفه لقلَّ ولو أني غرفْتُ من البحرِ
بأَخْطَلَ وثابٍ طموحٍ مؤدَّبٍ ثبوتٍ يصيدُ النَّسْرَ لو حلَّ في النسر
كلونِ الشباب الغضِّ في وجهه سَنًا كأنَّ ظلامًا ليس فيه سوى البدر
إذا سار والبازي أقولُ تعجّبًا ألاَ ليت شعري يسبقُ الطير من يجري

ولا يلتفت إلى قول أبي العباس ابن سيد[4] فيه: [السريع]

الموتُ لا يُبْقي على مهجةٍ لا أسدًا يُبْقى ولا نَغْنَلَهْ
ولا شريفًا لبني هاشم ولا وضيعًا لبني فَنْدَلَهْ

وكان ابن سيد مسلّطًا على هذا البيت، قال ابن سعيد: وإنما ينبح الكلب القمر.

قال أبو العباس النجار: كان أبو الحسين يلقّب بالوَزَغَة، فوصلتُ إلى بابه يومًا، فتحجّب عني، فكتبْتُ على الباب: [مخلع البسيط]

تَحَجَّبَ الفندليُّ عني فساء مِنْ فعلِهِ ضميري
يَنْفِرُ من رؤيتي كأني مضمَّخُ الجيبِ بالعبيرِ

قال: ومن عادة الوَزَغَة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه.

وقال أبو القاسم بن حسان[5]: [الطويل]

---

(١) الذخيرة (ق ٢ ص ٦١٥).
(٢) في الذخيرة: «رجوم».
(٣) ترجم له ابن سعيد في المغرب (جـ ١ ص ٢٤٦) وأسماه أبا الحسن.
(٤) هو أبو العباس أحمد بن علي بن محمد الكناني، ويعرف بابن سيد، ويلقّب باللص؛ من أهل إشبيلية، وتوفي بها سنة ٥٧٦ هـ. المطرب (ص ٢٠٠) والمغرب (جـ ١ ص ٢٥٧).
(٥) هو أبو القاسم بن حسان الإشبيلي، المتوفّى سنة ٦٢٥ هـ. ترجمته في اختصار القدح (ص ١٤٨).

أَلاَ ليتني ما كنتُ يومًا مُعَظَّمًا ... ولا عرفوا شخصي ولا علموا قصري
أُكَلَّفُ في حالِ المشيبِ بمثل ما ... تحملته والغصنُ في ورقٍ نضرِ
فما عاش في الأيام في حُرِّ عيشةٍ ... سوى رجلٍ ناءٍ عن النَّهْيِ والأمرِ

وقال أبو بكر بن مرتين[1]: [البسيط]

صحبتُ منك العُلاَ والفَضْلَ والكَرَمَا ... وشيمَةً في الندى لا ترتضي السأما[2]
مَوَدَّةٌ في ثَرَى الإنصافِ راسخةٌ ... وسَمْكُها فوق أعناقِ[3] السماء سما

وقال: [الكامل]

أنصفتني فمحضتُكَ الودَّ الذي ... يُجْزَى بصفوته الخليلُ المنصفُ
لا تشكرنَّ سوى خلالِكَ إنها ... جَلَبَتْ إليك من الثنا ما يُعْرَفُ

وقال: [مجزوء الرمل]

يا هلالاً يَتَجَلَّى ... وقضيبًا يتثنَّى
كلُّ أُنسٍ لم تَكُنْهُ ... فهو لفظٌ دون معنى

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن زرقون: [الخفيف]

ذكرَ العَهْدَ والديارَ غريبُ ... فجرى دَمْعُهُ ولَجَّ النحيبُ
ذكرَ العهدَ والنوى مِنْ حبيبٍ ... حَبَّذَا العهدُ والنوى والحبيبُ
إذ صفاءُ الوداد غيرُ مَشُوبٍ ... بتجنٍّ ووُدُّنا مَشْبوب
وإذا الدهرُ دهرنا وإذا الدا ... ر قريبٌ وإذ يقولُ الرقيبُ

ومنها:

أسألُ اللَّهَ عَفْوَهُ فلئن سا ... ءَ مقالي لقد تعفُّ القلوبْ

---

(١) هو أبو بكر محمد بن مرتين، كان قائدًا في عهد المعتمد بن عباد، ووزر للظافر بن المعتمد أثناء ولايته على قرطبة لأبيه المعتمد. المغرب (جـ ١ ص ٢٤٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٥٠ ـ ١٥١، ١٥٨). والبيتان في المغرب.
(٢) في المغرب: «في الندى قد فاقَتِ الشِّيَمَا».
(٣) في المغرب: «فوق أعنانِ».

قد ينال الفتى الصغائر ظرفًا   لا سواها وَلِلذُّنوبُ ذنوبُ
وأخو الشِّعْرِ لا جُنَاح عليه   وسواءٌ صَدوقه والكذوبُ

وقال الخطيب أبو عبد اللّٰه محمد بن عمر الإشبيلي[1]: [السريع]

يا معدنَ الفضلِ وطَوْدَ الحجا   لا زلتَ من بحر العُلاَ تغترفْ
عبدك بالباب فقلْ منعمًا   يدخلُ أو يصبرُ أو ينصرفْ

وقال[2]: [المتقارب]

وكُلٌّ إلى طَبْعِهِ عائدٌ   وإنْ صَدَّهُ المنعُ عن قَصْدِهِ
كذا الماءُ مِنْ بَعْدِ إسخانِهِ   يَعُودُ سَرِيعًا إلى بَرْدِهِ

وقال إمامُ اللغة أبو بكر محمد بن الحسن[3] الزبيدي الإشبيلي: [الخفيف]

ما طلبتُ العلوم إلاَّ لأني   لم أزلْ مِنْ فنونها في رياضِ
ما سواها له بقلبيَ حَظٌّ   غير ما كان للعيونِ المِرَاض

وقال: [مجزوء الرمل]

أشْعِرَنْ قلبَكَ يأسًا[4]   ليس هذا الناسُ ناسا
ذَهَبَ الإبريزُ منهمْ   فبقُوا بَعْدُ نُحَاسا
سامِرِيِّينَ يقولو   ن جميعًا لا مِسَاسَا[5]

وكان كتاب «العين» للخليل مختلَّ القواعد، فامتعض له هذا الإمام، وصقل صدأه كما يُصْقَلُ الحسام، وأبرزه في أجمل منزع، حتى قيل: هذا مِمَّا أبدع واخترع، وله كتاب

---

(١) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٢٥): «وقال:». وورد البيتان في طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٤٧٥) بعد البيتين الآتيين. وأبو عبد الله محمد بن عمر الإشبيلي هو الملقب بالمهيرس، وقد مرَّ التعريف به والإشارة إلى مصادر ترجمته في الجزء الرابع.

(٢) في طبعة عبد الحميد: «وقال الخطيب أبو عبد اللّٰه محمد بن عمر الإشبيلي». وورد البيتان في طبعة دار صادر قبل البيتين السابقين. وسيردان في هذا الجزء (ص ٢٧٤).

(٣) في طبعة عبد الحميد: «الحسين».

(٤) في الطبعة نفسها: «باسا».

(٥) أخذه من قول اللّٰه تعالى في قصة السامري: ﴿فاذْهَبْ فإنَّ لكَ في الحياةِ أنْ تقولَ لا مِساسَ﴾. سورة طه ٢٠، الآية ٩٧.

في النحو يسمّى «الواضح» وصَيّره الحكم المستنصر مؤدّبًا لولده هشام المؤيد، وبالجملة فهو في المغرب بمنزلة ابن دُرَيد في المشرق.

وقال النحوي أبو بكر محمد بن طلحة الإشبيلي[1]، وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة، ومنه: [الطويل]

إلى أيِّ يوم بَعْدَهُ يُرْفَعُ الخمرُ ... ولِلوُرْقِ تغريدٌ وقد خَفَقَ النَّهرُ
وقد صَقَلَتْ كَفُّ الغَزَالةِ أُفْقَها ... وفوق متونِ الروض أَزْدِيَةٌ خُضْرُ[2]
وكم قد بَكَتْ عَيْنُ السماءِ بدمعها ... عليها ولولا ذاك ما بَسَمَ الزهرُ

وقال[3]: [المجتث]

بدا الهلالُ فلمَّا ... بَدَا نَقَصْتُ وتمَّا
كأنَّ جسميَ فِعْلٌ ... وسِحْرُ عينيه «لَمَّا»

وكان لا يملك نفسه في النظر إلى الصُّوَر الحسان، وأتاه يومًا أحدُ أصحابه بولد له فَتَّان الصورة، فعندما دخل مجلسه قَصَر عليه طَرْفَه، ولم يلتفت إلى والده، وجعل والده يوصيه عليه وهو لا يعلم ما يقوله [ولم يلتفت إلى والده][4] وقد افتضح في طاعة هواه، فقال له الرجل: يا أبا بكر، حقّق النظر فيه لعلّه مملوك ضاع لك، وقد جبره اللّه تعالى عليك، ولكن على مَنْ يتركه عندك لعنة اللّه، هذا ما عملت بمحضري، واللّه إن غاب معك عن بصري لمحة لتفعلَنَّ به ما اشتهر عنك، وأخذ ولَدَه وانصرف به، فانقلب المجلس ضحكًا.

وقال أبو جعفر أحمد بن الأبّار الإشبيلي[5]، وهو من رجال «الذخيرة»[6]: [الخفيف]

---

(١) ترجمة محمد بن طلحة الإشبيلي في المغرب (جـ ١ ص ٢٥٨) وبغية الوعاة (ص ٤٩) والبيتان في بغية الوعاة (ص ٥٠).

(٢) في بغية الوعاة: «أودية خضر».

(٣) البيتان في المغرب والبغية.

(٤) ما بين قوسين ساقط من طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٤٧٦).

(٥) هو أحمد بن محمد الخولاني الإشبيلي، المعروف بابن الأبار، من شعراء إشبيلية، كثير الشعر، توفي سنة ٤٣٣ هـ. الذخيرة (ق ٢ ص ١٣٥) ووفيات الأعيان (جـ ١ ص ١٤١) وجذوة المقتبس (ص ١١٥) وبغية الملتمس (ص ١٦٤) والمغرب (جـ ١ ص ٢٥٨) وفوات الوفيات (جـ ٣ ص ٤٠٤).

(٦) القصيدة في الذخيرة (ق ٢ ص ١٥٠ ـ ١٥١) وفوات الوفيات (جـ ٣ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧) ومعاهد التنصيص (جـ ١ ص ٩٥ ـ ٩٦). وفي روايتها بعض اختلاف عمّا هنا.

زارني خِيفَةَ الرقيبِ مُريبَا ... يَتَشَكّى منه القضيبُ الكثيبا
رشأٌ راشَ لي سِهامَ المنايا ... من جفونٍ يَسْبِي بهنَّ القلوبا
قال لي ما ترى الرقيبَ مُطلاً ... قلتُ دَعْهُ أتى الجنابَ الرحيبا
عاطِهِ أكؤسَ المُدامِ دِرَاكًا ... وأدِرْهَا عليه كوبًا فكوبا
واسْقِنِيها مِنْ خمر عينيك صِرْفًا ... واجْعَلِ الكأسَ منك ثَغْرًا شَنِيبَا
ثم لمّا أنْ نامَ مَنْ نَتَّقِيهِ ... وتَلَقّى الكَرَى سميعًا مُجِيبا
قال لا بدَّ أن تدبَّ عليه ... قلتُ أبغي رَشًا وآخذ ذيبا
قالَ فابْدَأْ بنا وثَنِّ عليه ... قلتُ عَمْرِي لقد أتيت قريبا
فوثَبْنا على الغزال ركوبًا ... وسعيْنا على الرقيب دبيبا
فَهَلَ أبصرْتَ أو سمعتَ بصبٍّ ... ناك محبوبه وناك الرُّقيبا

وأنشد له ابن حزم(١): [الكامل]

أو ما رأيتَ الدهرَ أقبلَ مُعْتبًا ... متنصّلاً بالعذْر مِمّا أذْنَبَا
بالأمسِ أذبل في رياضك أيكةً ... واليومَ أطلعَ في سمائكَ كوكبا

وقيل: إنه خاطب بهما ابنَ عَبّاد ملك إشبيلية وقد ماتت له بنت ووُلد له ابنٌ، وبعضهم ينسبهما لغيره.

ودخل الأديبُ أبو القاسم ابن(٢) العطار الإشبيلي حمّامًا بإشبيلية، فجلس إلى جانبه وَسيم خمريُّ العينين، فافتتن بالنظر إليه والمحادثة إلى أن قام وقعد في مكانه أسود، فقال: [الطويل]

مَضَتْ جنَّةُ المَأْوَى وجاءتْ جَهَنَّمُ ... فها أنا أشقى بعد ما كنتُ أنعمُ
وما كان إلاَّ الشمسُ حان غروبُها ... فأعقبها جنحٌ من الليل مظلمُ

وقال الأديب المصنف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان ابن الإمام الإشبيلي، صاحب «سمط الجُمَان»: [الطويل]

---

(١) البيتان في جذوة المقتبس (ص ١١٥) وبغية الملتمس (ص ١٦٤) وفي روايتهما بعض اختلاف عما هنا.

(٢) كلمة «ابن» زيادة من المغرب (جـ ١ ص ٢٥٩) وقلائد العقيان (ص ٢٨٣).

عـذيـري مـن الأيـام لا دَرَّ دَرُّهـا | لقد حَمَّلتني فوق ما كنتُ أرهبُ
وقد كنتُ جَلْدًا ما ينهنهني النوى | ولا يستبيني الحادثُ المتغلّب
يقاسي صروفَ الدهر مني مع الصِّبا | جُذَيْلُ حِكَاكٍ أو عُذَيْقٌ مُرَجَّبُ
وكنت إذا ما الخطبُ مَدَّ جناحَهُ | علـيَّ تـرانـي تَـحْـتَـهُ أتـقـلَّـبُ
فقد صرتُ خَفَّاق الجناح يروعني | غـرابٌ إذا أبـصـرْتُـهُ وهـو يَـنْـعَـبُ
وأحسب مَنْ ألقى حبيبًا مودعًا | وأنَّ بـلادَ الـلَّـه طُـرًّا مُـحَـصَّـبُ

وقد امتعض للآداب في صدر دولة بني عبد المؤمن، فجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة إلى مبلغ سنّه منها في ذلك الأوان، واستولى بذلك على خصل الرهان، وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها إلاّ فلان وفلان.

وكان الأديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الإشبيلي إمامًا في فنون العربية، ولكن شهر بإقراء كتب الآداب كالكامل للمبرد ونوادر القالي وما أشبه ذلك، وكان ـ مع زهده ـ فيه لَوْذَعِيَّة، ومن ظرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة: باللَّه أعطني قبلة تمسك رمقي، فشكاه إلى الشيخ وقال له: يا سيدي، قال لي هذا كذا، فقال له الشيخ: وأعطيته ما طلب؟ فقال: لا، فقال له: ما هذه الثقالة؟ ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به أيضًا؟ وحَسْبُكَ من جلالة قدره أنَّ أهل إشبيلية رضُوا به إمامًا في جامع العدبس[1].

وله[2]: [البسيط]

لَـمَّـا تَـبَـدَّتْ وشـمـسُ الأُفْـقِ بـاديـةٌ | أَبْصَرْتُ شمسين من قُرْبٍ ومن بُعْدِ
مِنْ عادةِ الشمسِ تُغْشِي عَيْنَ ناظرِها | وهـذه نـورُهـا يَـشْـفـي مـن الـرَّمَـدِ

وقال مالك بن وهيب: [الطويل]

أراميـتي بـالـسحرِ مِنْ لَـحَـظَـاتـهـا | نعيذك كيف الرمي من دون أسهمِ
ألاَ فاعلمي أنْ قد أصَبْتِ، فواصلي | سهامَكِ أو كُفِّي فلستُ بِمُسْلِمِ
فإنسانَ عين الدهر أَصْمَيْتِ فاحذري | مـطـالـبـةً بـالـقـلـبِ والـيـدِ والـفـمِ
أما هو في غِيلٍ غدا غابُهُ الْقَنَا | تـحـفُّ بـه آسـادُ كـلِّ مـلـثَّـمِ

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٢٨): «العديس» بالياء.
(٢) البيتان في اختصار القدح (ص ١٥٦) دون تغيير عمّا هنا.

ولو أنَّ لي رُكْنًا شديدًا بنَجْدَة[1] أوَيْتُ له من بأس لحظك فارحمي

وهو إشبيلي، كان من أهل الفلسفة كما في «المسهب»؛ قال: وهو فيلسوف المغرب، ظاهر الزهد والورع، استدعاه من إشبيلية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى حضرة مَرَّاكش، وصيّره جليسه وأنيسه، وفيه يقول بعض أعدائه: [الخفيف]

دولةٌ لابن تاشفينَ عليٌّ طهّرتْ بالكمال من كلِّ عيبِ
غيرَ أنَّ الشيطان دَسَّ إليها من خباياه مالِكَ بْنَ وهيبِ

وأمرهُ علي بمناظرة محمد بن تومَرْتَ الملقبِ بالمهدي الذي أنشأ دولة بني عبد المؤمن.

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعي بعض إخوانه[2]: [الرمل]

بمعاليك وجَدِّكْ جُدْ بِلُقْيَاكَ لِعَبْدِكْ
حَضَرَ الكلُّ ولكنْ لم يَطِبْ شيء لِفَقْدِكْ

وقال[3]: [المنسرح]

وراغبٍ في العلوم مجتهدٍ لكنّه في القَبُولِ جُلْمودُ
فهو كذي عُنَّةٍ[4] به شَبَقٌ ومشتهي الأكل وهو ممعودُ

وقال[5]: [الوافر]

لئنْ[6] عرضتْ نوى وَعَدَتْ عوادٍ أدالتْ مِنْ دُنُوِّكِ بالبِعادِ
فما بَعُدَتْ عن اللُّقيا جسومٌ تدانتْ بالمحبّة والوداد
ولكنْ قُرْبُ دارِكِ كان أندى على كبدي وأحلى في فؤادي

---

(١) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٧٩): «بنجوة».
(٢) البيتان في الخريدة ـ قسم شعراء المغرب (ج ١ ص ٢١٣).
(٣) البيتان في الخريدة (ص ٢١٤) قالهما فيمن يجتهد في العلم ولا يفهمه.
(٤) ذو العُنَّة: العاجز عن مضاجعة النساء.
(٥) الأبيات في الخريدة (ص ٢١٤) قالها في تمني قرب الدار.
(٦) في الخريدة: «لئن أعْرَضْتِ..».

وله في مجمرة[1]: [الطويل]

ومَحْرُورةِ الأحشاءِ لم تَدْرِ ما الهوى ... ولم تَدْرِ ما يَلْقَى المُحِبُّ مِنَ الوَجْدِ
إذا ما بَدَا بـرقُ الـمُـدام رأيتُـهـا ... تُثِيرُ غمامًا في النَّدِيِّ مِنَ النَّدِّ
ولم أرَ نارًا كلّما شَبَّ جمرُها ... رأيت الندامى منه في جنّة الخلدِ

وقوله من قصيدة[2]: [البسيط]

وإنْ هُمُ نكصوا يومًا فلا عَجَبٌ ... قد يَكْهَمُ[3] السيفُ وهو الصارمُ الذكرُ
العَوْدُ أحمدُ والأيامُ ضامنةٌ ... عُقْبَى النجاحِ ووعدُ اللّهِ مُنْتَظَرُ

وقال: [السريع]

تقريبُ ذي الأمر لأهلِ النُّهَى ... أفضلُ ما ساس به أَمْرَهْ
هذا به أولى وما ضَرَّه ... تقريبُ أهلِ اللهو في النُّدْرَهْ
عطاردٌ في جُلِّ أوقاتِه ... أدنى إلى الشمس من الزُّهْرَهْ

وقوله[4]: [الطويل]

تُفَكِّرُ في نُقْصانِ مالكَ دائمًا ... وتغفلُ عن نقصان جسمكَ والعمرِ
ويَثْنِيكَ خوفُ الفقرِ عن كلِّ بغيةٍ ... وخَوْفُكَ حالَ الفقرِ شَرٌّ من الفقرِ[5]

وقوله[6]: [المنسرح]

يا ليلة لم تَبِنْ من القِصَرِ ... كأنها قُبْلَةٌ على حَذَرِ
لم تَكُ إلاّ «كلا» ولا وَمَضَتْ ... تدفعُ في صدرها يَدُ السَّحَرِ

وقال فيمن نظر إليه فأعرض عنه[7]: [البسيط]

---

(١) الأبيات في الخريدة (ص ٢١٤) دون تغيير عمّا هنا.
(٢) الخريدة (ص ٢١٨).
(٣) كهم السيفُ: كلَّ ولم يقطع. لسان العرب (كهم).
(٤) الخريدة (ص ٢٢٢).
(٥) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٣٠): «وخيفة» بدل «وخوفك». وفي الخريدة: «شيء» بدل «شرٌّ».
(٦) البيتان في الخريدة (ص ٢٢٣) قالهما في قصر الليل في الوصل.
(٧) الخريدة (ص ٢٢٤).

قالوا ثَنى عنك بعد البِشْرِ صَفْحَتَهُ   فهل أصاخَ إلى الواشي فَغَيَّرَهُ
فقلتُ لا بل دَرَى وجدي بعارضِهِ   فردَّ صَفْحَتَهُ عمدًا لأُبْصِرَهُ

وقال[1]: [مجزوء الكامل]

حَكَتِ الزمانَ تَلَوُّنًا   لِمُحِبِّها العاني الأسيرِ
فوصالُها بَرْدُ الأصـ   ـيلِ وهَجْرُها حَرُّ الهَجِيرِ

وقال يستدعي[2]: [الخفيف]

هو يومٌ كما تراه مَطِيرُ   كَلِبَ القَرُّ فيه والزَّمْهَرِيرُ
وأرانا الغمامَ والبَرْدَ ثوبيـ   ـن[3] علينا كلاهما مجرورُ
ولدينا شَمْسانِ شمسٌ مِنَ الرا   ح وشمسٌ تسعى بها وتدورُ[4]
فمن الرأي أنْ تُشَبَّ الكوانيـ   ـنُ بأجْذالِها[5] وتُرْخَى الستور
فاتركِ الإعتذارَ فيه فتَرْكُ الـ   ـشُّرْبِ في مثلِ يومنا تَغْذِيرُ[6]

وقال: [الطويل]

هو البحر غُصْ فيه إذا كان ساكنًا   على الدُّرِّ واحذرْهُ إذا كان مُزْبِدَا

وقال[7]: [الخفيف]

غِبْتَ عنَّا فغاب. كلُّ جمالٍ   ونأى إذ نَأَيتَ كلُّ سرورِ
ثم لَمَّا قَدِمْتَ عاوَدَنا الأنـ   ـسُ وقَرَّتْ قلوبُنا في الصدور
فلوَ انَّا نَجْزِي البشيرَ بِنُعْمَى   لَوَهَبْنا حياتَنا للبشيرِ

وقال[8]: [السريع]

---

(١) الخريدة (ص ٢٢٤).
(٢) الخريدة (ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥).
(٣) في الخريدة: «ذَيْلَيْن».
(٤) في الخريدة: «ويدور».
(٥) في الخريدة: «بأجزالِها».
(٦) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٣١): «تغريرُ».
(٧) الخريدة (ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦).
(٨) الخريدة (ص ٢٣٤).

كم ضَيَّعَتْ منكَ المنى حاصلاً   كـان مـن الأحـزم أن يُـحـفَـظـا
فالفظْ بها عنك فمن حقّ ما   يُخفي صوابَ الرأي أنْ يُلفظا
فـإن[1] تَـعَـلَّـلْـتَ بـأطـمـاعـهـا   فـإنـمـا تَـحْـلُـمُ مـسـتـيـقـظـا

وقال[2]: [الطويل]

يقـولـون لـي صبرًا وإني لَـصَابِرٌ   على نائباتِ الدهر وهي فواجعُ
سأصبرُ حتى يقضيَ اللّه ما قضى   وإن أنا لم أَصْبِرْ فمَا أنا صانعُ

وقال[3]: [مجزوء الرمل]

بــأبــي خَــوْدٌ شَــمُــوعٌ[4]   أَقْـبَـلَـتْ تَـحْـمِـلُ شَـمْـعَـهْ
فــالـتـقـى نـوراهـمـا واخـ   ـتـلـفـا قَـدْرًا ورِفْـعَـهْ
ومـسـيـرُ الـشـمـس يـسـتـهـ   ـدي[5] بـضـوء الـنـجـم بِـذَعَـهْ

وقال في فرس أشهب[6]: [مخلع البسيط]

وأَشْـهَـبٍ كـالـشِّـهـابِ أضحى   يَـلُـوح فـي مُـذْهَـب الـجِـلالِ
قــال حــســودي وقــد رآه   يَـخُـبُّ تـحـتـي إلـى الـقـتـالِ
مَـنْ أَلْـجَـمَ الـصبـحَ بـالـثـريّـا   وأَسْـرَجَ الـبَـرْقَ بـالـهِـلالِ

وقال[7]: [الطويل]

رَمَتْني صروفُ الدهرِ بين مَعاشرٍ   أَصَـحُّـهُـمُ ودًّا عـدوٌّ مُـقـاتـلُ
وما غربةُ الإنسانِ في غير[8] دارِهِ   ولكنها في قربِ مَنْ لا يشاكلُ

---

(١) في الخريدة: «وإن».
(٢) البيتان في الخريدة (ص ٢٣٦) قالهما في الصبر على الشدّة.
(٣) الأبيات في الخريدة (ص ٢٣٦) قالها في جارية قدمت شمعة.
(٤) الشَّمُوعُ: الضحوك الطروب الكثيرة المزاح. لسان العرب (شمع).
(٥) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٣٢) وطبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٤٨٣): «تستهدي».
(٦) الخريدة (ص ٢٤٧).
(٧) الخريدة (ص ٢٤٨).
(٨) في الخريدة: «في بُعْدِ دارِهِ».

وقال[1]: [السريع]

أصبحتُ صَبًّا دنفًا مُغْرَمَاً ... أشكو جَوَى الحُبِّ وأبكي دَمَا
هذا وقد سَلَّمَ إذ مَرَّ بي ... فكيف لو مَرَّ وما سَلَّمَا

وقال[2]: [الوافر]

وَقَفْنا للنَّوَى فَهَفَتْ قلوبٌ ... أضَرَّ بها الجوى وهَمَتْ شؤونُ
يُنَاجِي بعضُنا باللَّحْظ بعضًا ... فتعربُ عن ضمائرنا العيونُ
فلا واللَّه ما حُفِظَتْ عهودٌ ... كما ضمنوا ولا قُضِيَتْ ديونُ
ولو حكم الهوى يومًا بعدلٍ ... لأَنْصَفَ من يَفِي مِمَّنْ يخونُ
أمرُّ بداركم وأغضُّ طرفي ... مخافَةَ أنْ تُظَنَّ بي[3] الظنونُ

ولَمَّا رأى عبدُ الرحمن بن شبلاق[4] الحضرمي الإشبيلي في النوم أنه مَرَّ على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثي القبر، وهو أبو نُوَاس الحسن بن هانىء، قال[5]: [السريع]

جادك يا قبرُ انسكابُ الغمامْ ... وعادَ بالروح عليك السلامْ[6]
ففيك أضحى الظَّرْفُ مستودَعًا ... واستترتْ عنَّا عيونُ الظلامْ

وقال أبو بكر محمد بن نصر الإشبيلي[7]: [الكامل]

وكأنما تلك الرياضُ عرائسُ ... ملبوسهنّ معصفرٌ ومزعفرُ
أو كالقيان لبِسْنَ مَوْشِيَّ الحِلَى ... فلهنَّ في وَشْي اللباس تَبَخْتُرُ

---

(١) البيتان في الخريدة (ص ٢٥٢) قالهما في غلام مرَّ وسلَّم عليه.
(٢) الخريدة (ص ٢٥٤).
(٣) في الخريدة: «بنا».
(٤) في أصول النفح «سبلاق» بالسين، والتصويب عن جذوة المقتبس (ص ٢٧٣) وهو أديب شاعر مشهور كثير الشعر، كان في أيام ابن أبي عامر وأيام بني حمود. جذوة المقتبس (ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤) وبغية الملتمس (ص ٣٦٤).
(٥) البيتان في جذوة المقتبس (ص ٢٧٤) وبغية الملتمس(ص ٣٦٥).
(٦) في المصدرين السابقين: «نشاص الغمام وعاد بالعفو..».
(٧) البيتان في البديع في فصل الربيع (ص ٢٧).

وقال أحمد بن محمد الإشبيلي[1]: [البسيط]

أَمَا ترى النرجسَ الغَضَّ الذكيَّ بَدَا ... كـأنـه عـاشـقٌ شـابـتْ ذوائـبُـهُ
أو المـحـبُّ شـكـا لَمَّا أَضَرَّ به ... فَرْطُ السَّقامِ فَعادَتْهُ حبائبُهُ[2]

وقال[3]: [الخفيف]

رُبَّ نَيْلُوفَرٍ غدا مخجلَ الرا ... ئي إليـه نـفـاسَـةً وغَـرَابَـهْ
كمليكٍ للزنجِ في قبّةٍ بَيْـ ... ـضاء يدنو الدُّجَا فيغلقُ بابَهْ

وقال أبو الحسن[4] الأصبغ بن سيد: [السريع]

كأنما النرجسُ في منظر الـ ... ـحُسْنِ الذي أمثالُه تُبْتَغَى
أنـامـلٌ مِـنْ فِـضَّـةٍ فـوقـه ... كأسٌ من التبرِ به أُفْرِغا

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن خيرة الصباغ مِمَّا أنشده له أبو عامر بن سلمة في كتاب «حديقة الارتياح»[5]: [مجزوء الكامل]

يـومٌ كـأنّ سـحـابَـهُ ... لَبِسَتْ عِمَامي المصامتْ[6]
حُجِبَتْ به شمسُ الضُّحى ... بـمـثـالِ أجنحةِ الْفَوَاختْ
فـالـغـيـثُ يـبـكـي فَـقْـدَها ... والبَرْقُ يضحكُ مثلَ[7] شَامِتْ
والـرعـدُ يـخـطـبُ مُـفْـصِحًا ... والـجـوُّ كـالـمـحـزونِ ساكتْ
والـروضُ يـسـقـيـه الـحَـيَا ... والنَّوْرُ ينظرُ مثل باهتْ
فـاشـربْ ولَـذَّ بـجـنـةٍ ... واطْرَبْ فإنَّ العمرَ فائتْ

---

(١) البيتان في المغرب (جـ ١ ص ٢٦٤).

(٢) في المغرب: «أو المحب بكى... طول السقام».

(٣) البديع في فصل الربيع (ص ١٤٦).

(٤) كلمة «الحسن» ساقطة من أصول النفح، والزيادة من جذوة المقتبس (ص ١٧٤) وبغية الملتمس (ص ٢٤١) وهو في هذين المصدرين شاعر من أهل إشبيلية، مات قريبًا من سنة ٤٥٠ هـ.

(٥) المغرب (جـ ١ ص ٢٦٥) وجذوة المقتبس (ص ١٥٤) وبغية الملتمس (ص ٢١٦). ووردت في مطمح الأنفس (ص ٢٣) منسوبة إلى أبي عامر ابن مسلمة.

(٦) في الجذوة: «سحابة لبست غمامي..». وفي البغية والمغرب: «لبست غمامي».

(٧) في الجذوة والبغية: «ضحك شامت».

وله: [الرمل]

رُبَّ ليلٍ طالَ لا صُبْحَ له ... ذي نجومٍ أَقْسَمَتْ أن لا تَغُوز
قد هَتَكْنا جُنْحَهُ مِنْ فَلَقٍ ... مِنْ خمورٍ ووجوهٍ كالبدوز
إذ[1] بَدَتْ تُشْبِهُها في كأسها ... نارُ إبراهيمَ في بَرْدٍ ونوز
صرَعَتْنَا أنْ عَلَوْنا ظَهْرَها ... في ميادين التصابي والسروز
وكأنّا، حين قُمْنا، مَعْشَرٌ ... نُشِرُوا بعد مَمَاتٍ مِنْ قُبُوز

وقال أبو بكر بن حجاج[2]: [السريع]

لَمّا كتمْتُ الحُبَّ لا عن قِلًى ... ولم أجِدْ إلاَّ البُكا والعَوِيلْ
ناديتُ والقلبُ به مُغْرَمٌ ... يا حسبيَ اللَّه ونِعْمَ الوكيلْ

وقال: [الطويل]

يقولون إنَّ السِّحْرَ في أرضِ بابلٍ ... وما السِّحْرُ إلاَّ ما أرتك محاجرُهْ
وما الغصنُ إلاَّ ما انثنى تحت بُرْدِهِ ... وما الدِّعْصُ إلاَّ ما طَوَته مآزِرُهْ
وما الدُّرُّ إلاَّ ثَغْرُهُ وكلامُهُ ... وما الليلُ إلاَّ صُدْغُهُ وغدائرُهْ

وهذه الأبيات من قصيدة في محمد بن القاسم بن حَمُّود، ملك الجزيرة الخضراء، أعادها اللَّه تعالى!

وقال الرصافي أبو عبد اللَّه الشاعر المشهور، وهو ابن روميّ الأندلس، في حريري[3]: [الخفيف]

وبنفسي من لا أسمّيه إلاَّ ... بَعْضَ إلمامةٍ وبعضَ إشارَهْ
هو والظبيُ في المجالِ سواءٌ ... ما استعار[4] الغزالُ منه استعارَهْ
أغْيَدٌ يُمْسِكُ الحريرَ بِفِيْهِ ... مثل ما يُمْسِكُ الغزالُ الْعَرَارَهْ

---

(١) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٣٤): «إنْ بَدَتْ».
(٢) هو أبو بكر عبد الله بن حجاج الإشبيلي؛ شاعر بعيد الصيت، من شعراء المعتضد بن عباد. مات بعد الثلاثين وأربعمائة. جذوة المقتبس (ص ٢١٦) وبغية الملتمس (ص ٣٤٣) والمغرب (جـ ١ ص ٢٦٥) وبيتاه في الجذوة والبغية.
(٣) ديوان الرصافي (ص ١٠٠).
(٤) هكذا في الديوان، وفي طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٤٨٦): «ما استفاد».

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي[1]: [البسيط]

لو جئتَ نارَ الهُدَى مِنْ جانبِ الطُّوْرِ   قَبَسْتَ ما شِئْتَ من عِلْمٍ ومِنْ نُورِ

ولأبي جعفر أحمد بن الجزار[2]: [الطويل]

وما زلتُ أجْنِي منكَ والدهرُ مُمْحِلٌ   ولا ثمرٌ يُجْنَى ولا زَرْعَ يُحْصَدُ
ثمارَ أيادٍ دانياتٍ قُطُوفُهَا   لأوراقها[3] ظِلٌّ عليَّ مُمَدَّدُ
يُرَى جاريًا ماءُ المكارمِ تحتها   وأطيارُ شكري فوقهنَّ تُغَرِّدُ

ولَمّا نُفي أبو جعفر ابن البني[4] من مَيُورْقة، وأقلع في البحر ثلاثة أميال، ونشأت ريح رَدَّته، لم يتجاسرْ أحد من إخوانه على إتيانه، فكتب إليهم[5]: [الوافر]

أحِبّتنا الأُلى عَنَتُوا علينا   وأقصونا وقد أزِفَ الوَدَاعُ
لقد كنتم لنا جَذَلاً وأُنسا   فما بالعيشِ بعدكُم انتفاعُ
أقولُ وقد صَدَرْنا بعد يومٍ   أَشَوْقٌ بالسفينةِ أم نِزاعُ
إذا طارتْ بنا حامتْ عليكم   كأنَّ قلوبَنا فيها شِراعُ

وله[6]: [الطويل]

غَضَبْتِ الثريّا في البِعاد مكانَها   وأَوْدَعْتِ في عينيَّ صادقَ نَوْئها
وفي كلِّ حالٍ لم تزالي بخيلةً   فكيف أَعَرْتِ الشمسَ حلّة ضوئها

وله في غلام يرمي الطيور[7]: [البسيط]

---

(١) البيت مطلع قصيدة من ٦٢ بيتًا، وهو في الديوان (ص ٧٧).
(٢) الأبيات في المغرب (جـ ٢ ص ٣٥٦) وتقدمت في الجزء الرابع باختلاف يسير عمّا هنا.
(٣) في المغرب: «لأغصانها».
(٤) هو غير أبي جعفر أحمد بن عبد الوليّ البتّيّ الذي أحرقه السيد الكمبيطور ببلنسية. وقد خلط ابن سعيد وابن خاقان بين الرجلين. انظر المغرب (جـ ٢ ص ٣٥٧) وقلائد العقيان (ص ٢٩٥).
(٥) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٩٧) والمغرب (جـ ٢ ص ٣٥٩) ببعض الاختلاف عما هنا، وسترد في الجزء السادس باختلاف يسير عمّا هنا.
(٦) البيتان في قلائد العقيان (ص ٢٩٧) دون تغيير عمّا هنا. وسيردان في هذا الجزء (ص ١٧١).
(٧) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٩٧ . ٢٩٨) والمغرب (جـ ٢ ص ٣٥٩ . ٣٦٠)، وسترد في الجزء السادس باختلاف يسير عمّا هنا.

قالوا تصيبُ طيورَ الجوِّ أَسْهُمُهُ إذا رماها فقلْنا عندها[1] الخَبَرُ
تعلمتْ قوسُه[2] من قوسِ حاجبه وأيَّدَ السهمَ من أجفانه الحَوَرُ
يلوحُ في بُرْدَة كالنِّقْسِ حالكةٍ كما أضاء[3] بِجُنْحِ الليلةِ القمرُ
وربما راقَ في خضراءَ مُونِقِةٍ[4] كما تَفَتَّحَ في أوراقه الزَّهَرُ

وقال الأديب الكاتب القاضي أبو المطرف ابن عميرة المخزومي، لَمّا قصّ شَعْر ملك شرق الأندلس زيان بن مردنيش مزين، في يوم رفع فيه أبو المطرف شعرًا، فخرجت صلة المزين، ولم تخرج صلة أبي المطرف[5]: [الوافر]

أرى مَنْ جاء بالموسَى مُوَاسَى وراحَةَ مَنْ أذاعَ المدحَ صِفْرَا[6]
فأُنجِحَ سَعْيُ ذا إذ قَصَّ شَعْرًا وأخفقَ سعيُ ذا إذ قَصَّ شِعْرَا

واسم أبي المطرف أحمد، وهو من جزيرة شقر، من كورة بَلَنسية.

وكان الكاتب الحسيب أبو جعفر أحمد بن طلحة علجا من علوج ابن هُودٍ ويماشيه في غزواته، وفيه يقول: [مخلع البسيط]

ما أحضَرُ الغزوَ من صلاح كَلاَّ ولا رغبة الجهادِ
لكن لكيما يكون داع لقربنا خيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فلتراجع[7].

وكان صَنَوْبَرِي الأندلس أبو إسحاق بن خفاجة، وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب، وشهرته تُغْني عن الإطناب فيه، مُغْرًى بوصف الأنهار والأزهار وما يتعلّق بها، وأهل الأندلس يسمّونه الجَنَّان، ومن أكثر من شيء عُرف به،

---

(١) في المغرب: «عندنا».
(٢) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٣٦): «قوسها».
(٣) في المغرب: «كما يلوح».
(٤) في القلائد والمغرب: «مورقة».
(٥) البيتان في اختصار القدح (ص ٤٣)، وتقدما في الجزء الأول باختلاف كبير.
(٦) في اختصار القدح: «أراح المدح..». والمُوْسَى: آلة من حديد يُحْلَقُ بها. محيط المحيط (موس).
(٧) حكاية ابن طلحة مع علج ابن هود في اختصار القدح (ص ١١٥ ـ ١١٧) وقد تقدمت في الجزء الرابع.

وتوفي سنة ثلاث أو خمس وثلاثين وخمسمائة، وولد سنة خمسين وأربعمائة، ومن نظمه قوله(١): [الخفيف]

ربما استضحك الحَبابَ حبيبٌ نَفَضَتْ لونَها(٢) عليه المُدامُ
كلّما مَرَّ قاصرًا مِنْ خُطَاه يَتَهَادَى كما يمرُّ(٣) الغَمامُ
سَلَّم الغصنُ والكثيبُ علينا فعلى الغُصْنِ والكَثِيبِ السلامُ

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفىء السراج ثم تراجع نوره، فقال(٤): [الكامل]

وأغَرَّ ضاحَكَ وَجْهَهُ مصباحُهُ فأنار ذا قمرًا وذلك فرقَدَا
ما إنْ خبا تِلْقاءَ نُورِ جَبِينِهِ حتى ذكا بذكائه فتوقّدا

وله(٥): [الطويل]

كتبتُ وقلبي في يديكَ أسيرُ يُقِيمُ كما شاء الهَوَى ويَسِيرُ
وفي كلِّ حين مِنْ هواك وأدمعي بكلِّ مكانٍ روضةٌ وغديرُ

وله(٦): [البسيط]

كتابنا ولدينا البدرُ نَدْمانُ وعندنا أكؤسٌ للراح شُهْبانُ
والقُضبُ مائسةٌ والطيرُ ساجعةٌ والأرضُ كاسيةٌ والجوُّ عَرْيانُ

ولَمّا سئل أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض عن لغة فعجز عنها بمحضر مَنْ خجل منه أقسم أن يقيّد رجليه بقيد حديد، ولا ينزعه حتى يحفظ «الغريب المصنّف»، فاتّفق أن دخلت عليه أمُّه في تلك الحال، فارتاعت، فقال: [الكامل]

رِيعَتْ عجوزي أنْ رأتني لابسًا حَلَقَ الحديد ومثلُ ذاك يَرُوعُ

---

(١) ديوان ابن خفاجة (ص ٢٢٣).
(٢) في الديوان: «نفضت ثوبها».
(٣) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٣٧): «كما تهادى».
(٤) ديوان ابن خفاجة (ص ٨٢).
(٥) ديوان ابن خفاجة (ص ١٢٠).
(٦) هذان البيتان لم يردا في ديوان ابن خفاجة طبعة دار بيروت. وهما في الديوان (ص ٣٥٦) بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي.

قالت جُنِنْتَ؟ فقلت: بل هي هِمّةٌ هي عنصرُ العَلْياء واليَنْبُوعُ
سَنَّ الفرزدقُ سُنّةً فتبعْتُها إني لِمَا سَنَّ الكِرامُ تَبُوعُ

وكان شاعرًا وَشّاحًا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لَمّا هجاه بمثل قوله: [الكامل]

عَكَفَ الزبيرُ على الضلالة جاهدًا ووزيرُهُ المشهورُ كَلْبُ النارِ
ما زال يأخذُ سجدةً في سجدةٍ بين الكؤوس ونغمةِ الأوتارِ
فإذا اعتراه السَّهْوُ سَبَّحَ خَلْفَهُ صوتُ القيانِ ورَنَّةُ المزمارِ

ولَمّا بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر بإحضاره، فقرعه، وقال: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: إني لم أر أحَقّ بالهجو منك، ولو علمتَ ما أنت عليه من المخازي لهجوتَ نَفْسَك إنصافًا، ولم تَكِلْها إلى أحد، فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته، وأمر بقتله.

وأنشد له ابن غالب في «فرحة الأنفس» قولَه في حلقة حائط: [البسيط]

وحلقةٍ كشعاع الشمسِ صافيةٍ لو قابَلَتْ كوكبًا في الجوِّ لالْتَهَبا
تأنّقَ القَيْنُ في إحكام صنعتها حتى أفاضَ على أطرافها الذهبا
كأنها بيضةٌ قَدْ قُدَّ قَوْنَسُها[1] وكلّ جنب لها بالطعن قد ثُقِبا

وقال فيمن يحدّث نفسه بالخلافة[2]: [الوافر]

أميرَ المؤمنين، نداءَ شَيْخ أفادك من أماليه اللطيفَهْ
تَحَفَّظْ أنْ يكون الجذعُ يومًا سريرًا مِنْ أَسِرَّتِكَ المُنِيفَهْ
وأذكر منك مصلوبًا فأبكي وتُضحكني أمانيك السخيفَهْ

وهاجى ابنَ سارة، فقال فيه ابن سارة[3]: [الكامل]

ومن العجائب أن يكون الأبيضُ بحمارِهِ بين السوابقِ يركضُ

---

(١) البيضة: الخوذة. القونس: أعلى الخوذة. لسان العرب (بيض) و (قونس).
(٢) الأبيات في زاد المسافر (ص ٦٩) وقد تقدمت في هذا الجزء (ص ١٤ ـ ١٥) وجاء هناك: «نصائحه» بدل «أماليه» في البيت الأول.
(٣) زاد المسافر (ص ٦٧).

وقال إمام النحاة بالأندلس أبو علي عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم[1]: [الطويل]

ومِمّا شَجَا قلبي وفَيَّضَ[2] مدمعي ... هَوًى قدَّ قلبي إذ كَلِفْتُ بقاسم
وكنت أظنُّ المِيمَ أَصْلاً فلم تكن ... وكانت كميمِ أُلْحِقَتْ بالزراقمِ[3]

والزراقم: الحيّات، مشتقّة من الزرقة، والميم زائدة، يريد أن ميم قاسم كميمها، فهو قاسٍ، وهو منسوب إلى حصن شلوبينة[4] على ساحل غَرْناطة، وله من الشهرة والتآليف ما يُغْني عن الإطناب في وصفه، وله «التوطئة» و «شرح الجَزولية» وغيرهما، وكان مغفلاً، ومع ذلك فهو آية اللّه تعالى في العربية، وكان في لسانه لكنة، ولَمّا أراد مأمون بني عبد المؤمن التوجُّه إلى مُرْسِيَة، وقد ثار بها ابن هُودٍ، وأنشده الشعراء، وتكلّم في مجلسه الخطباء، قام الشلوبين وقال دعاء منه: ثَلَمك اللّه ونَثَرك، يريد سَلّمك اللّه ونَصَرك؛ لأنه بلكنته يبدل[5] السين والصاد ثاء، فكان كما قال: عاد المأمون وقد ثلم عسكره ونُثر.

ولَمّا مرض الفقيه الزاهد أبو إسحٰق إبراهيم الإلبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم ابن رجاء، فرأى ضيق مسكنه، فقال: لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك، فقال وهو آخر شعر قاله[6]: [مخلع البسيط]

قالوا أَلاَ تستجيدُ بيتًا ... تعجبُ من حسنه البيوتْ
فقلتُ ما ذلكم صوابًا ... عُشٌّ كثير لمن يموت
لولا شتاء ولَفْحُ قيظٍ ... وخَوْفُ لصّ وحفظ قوتْ
ونسوةٌ يَبْتَغين سترًا ... بنيتُ بنيانَ عنكبوتْ

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشّح في ابن بَسّام صاحب «الذخيرة»: [الخفيف]

يا منيفًا على السّماكين سامِ ... حُزتَ خَصْلَ السباقِ عن بَسَّامِ

---

(١) اختصار القدح المعلى (ص ١٥٣).
(٢) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٩١) واختصار القدح: «وفَضّ مدامعي».
(٣) في اختصار القدح: «في الزراقم».
(٤) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٣٨): «شلوبينية». وفي الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٤٦٠ ـ ٤٦١) أنه إشبيلي، عرف بالشلوبيني لأن أباه كان أشقر أزرق وشلوبين بلسان روم الأندلس الأشقر الأزرق.
(٥) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٤٩١): «يرذ السين..».
(٦) ديوان أبي إسحاق الإلبيري (ص ١٠٩).

إنْ تَجِكَ مدحةً فأنت زُهَيْرٌ أو تشبّبْ فَعُروَةُ بنُ حزامِ
أو تباكرْ صَيْدَ المها فابنُ حُجْرٍ أو تُبَكِّ[1] الديارَ فابنُ جذامِ
أو تذمَّ الزمانَ وهو حقيقٌ فأبو الطيب البعيدُ المرامي

ولَمَّا انتثر سلك نظام مُلْك لَمْتُونة تفرّق مُلْكَ الأندلس رؤساءُ البلاد، وكان من جملتهم الأمير أبو الحسن بن نزار لما له من الأصالة في وادي آشٍ، فحسده أهل بلده، وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة، فخطبوا في بلدهم لملك شرق الأندلس محمد بن مردنيش، ووجّه لهم عمّاله وأوصاهم أن يُخرِجَ هذا الأسد من غِيلِهِ، ويفرّق بينه وبين تأميله، ورفعوا له أشعارًا كان يستريح بها على كاسه، ويبثّها بمحضر من يركن إليه من جُلاّسه، ومنها قوله، وقد استشعر من نفسه أنها أهلٌ للتقديم، مستحقّة لطلب سلفه القديم: [البسيط]

الآن أعرفُ قَدْرَ النَّفْعِ والضَّرَرِ فكيف أصدُر ما للملك مِنْ صَدَرِ
وكيف أطلعُ في أُفقِ العُلا قمرًا ويستهلُّ بكفِّي واكفُ الدرر
وكيف أملأ صَدْرَ الدهرِ مِنْ رُعُبٍ وأستقلُّ بحمل الحادثِ النُّكر
وأستعدُّ لما ترمي الخطوبُ به وأستطيلُ على الأيام بالفِكَر
لكنني ربما بادرتُ منتهزًا لفرصةٍ مرقتْ كاللمح بالبصرِ
في أُمِّ رأسيَ ما يَعْيَا الزمانُ به شَرْحًا فسَلْ بعدها الأيامَ عن خبري

فعندما وقف ابن مَرْدَنِيش على هذا القول وجّه إلى وادي آش مَنْ حمله إليه، وقيّده، وقدم به إلى مُرْسِية أسيرًا، بعدما كان مرتقبًا أن يقدم أميرًا، فلمّا وقعت عين ابن مَرْدَنيشْ عليه قال له: أمكن اللّه منك يا فاجر، فقال: أنت - أعزّك اللّه! - أولى بقول الخير من قول الشَّرّ، ومن أمكنه اللّه من القدرة على الفعل فما يليق به أن يستقدر بالقول، فاستحيا منه، وأمر به للسجن، فمكث فيه مدّة، وصدرت عنه أشعار في تشوّقه إلى بلاده، منها قوله: [المتقارب]

لقد بلغ الشوقُ فوقَ الذي حَسِبْتُ فهل للتلاقي سبيلْ
فلو أنني مُتُّ مِنْ شوقكمْ غرامًا لَمَا كان إلاَّ قليلْ

(١) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٣٩): «تبكي».

تُعَلِّلُني بالتداني المُنَى ... وينشدني الدهرُ صبرٌ جميلْ

فقلْ لِبثينة إنْ أَصْبَحَتْ ... بعيدًا فلم يَسْلُ عنها جميلْ

أغضُّ جفونيَ عن غيرها ... وسمعي عن اللوم فيها يميلْ

ولم يزل على حاله من السجن إلى أن تحيَّل في جارية مُحْسِنة للغناء حَسَنَةِ الصوت وصنع مُوَشحته التي أولها:

نازعَكِ البدرُ الملياخ ... بِسنتَ الدنانِ

فلم يدعْ لك اقتراخ ... على الزمانِ

وفيها يقول:

يا هل أقولُ للحسوذ ... والعِيسُ تُخدَى

يا لائمي على السراخ ... كانت أماني

أخرجها ذاك السماخ ... إلى العِيَانِ

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها، وأحكمت الغناء بها، وأهداها إلى ابن مردنيش بعدما أوصاها أنها متى استدعاها إلى الغناء وظفرت به في أطرب ساعة وأسَرِّهَا غَنَّتْهُ بهذه الموشحة، وتلطّفت في شأن رغبتها في سراح قائلها، فلعلّ اللّه تعالى يجعل في ذلك سببًا، واتّفق أنْ ظفرتْ بما أوصاها به، وأحسنت غناء الموشحة، فطرب ابن مَرْدَنيش لسماع مدحه، وأعجبه مقاصد قائلها، فسألها: لمن هي؟ فقالت: لمولاي عبدك ابن نزارٍ، فقال: أعيدي عليّ قوله «يا لائمي على السراح» فأعادته، فداخلته عليه الرأفة والأريحية بما أصابه، فأمر في الحين بحَلِّ قيده، واستدعى به إلى موضعه في ذلك الوقت، فلمّا دخل خلع عليه وأدناه وقال له: يا أبا الحسن، قد أمرنا لك بالسَّراح على رغم الحسود، فارجع إلى بلدك مُبَاحًا لك أن تطلب الملك بها وبغيرها إن قدرت، فأنت أهلٌ لأنْ تملك جميع الأندلس، لا وادي آش، فقال له: واللّه يا سيدي بل ألتزم طاعتك والإقرار بأنك بعثتني من قبر رماني فيه الحسّاد والوشاة، ثم شربا حتى تمكّنت بينهما المطايبة، فقال له: يا ابن نزار، الآن أريد أن أسألك عن شيء، قال: وما هو يا سيدي؟ قال: عمّا في أمّ رأسك حين قلت: [البسيط]

في أُمِّ رأسيَ ما يَعْيَا الزمانُ به ... شَرْحًا فَسَلْ بعدها الأيامَ عن خبري

فقال له: يا سيدي، لا تسمع إلى غرور نفس أَلْقَتْه على لسان نَشْوَان لعبت بأفكاره الأماني وغَطَّت على عقله الآمال، والله لقد بَقِيتُ في داري أروم الاجتماع بجارية مَهِينة قدر سنة فما قدرت على ذلك، ومنعتني منها زوجتي، فكيف أطلب ما دونه قطع الرؤوس ونهب النفوس؟ فضحك ابن مردنيش، وجدّد له الإحسان، وجهّزه إلى بلده، وأمر عمّاله أن يشاركوه في التدبير، ويستأذنوه في الصغير والكبير، فتأثَّلَ به مجدُه، وعَظُم سَعْدُه.

ومن شعره قوله: [السريع]

انظر إلى الروض سُحَيرًا وقد ... بَثَّ به الطَّلُّ علينا العيونْ
يَرْقُب[1] منا يقظةً للمُنى ... فقلْ لها أهلاً بداعي المجون
وحُثَّها شمسًا إلى أن ترى ... شمس الضحى تطرق تلك الجفونْ

وقوله: [الطويل]

تَنَبَّهْ لمعشوقٍ وكأسٍ وقَيْنَةٍ ... وروضٍ ونهرٍ ليس يَبْرَحُ خَفّاقا
فقد نَبَّهَتْ هذي الحدائقُ وُرْقَها ... وفَتَّح فيها الصبحُ بالطَّلِّ أحداقا
ومهما تكنْ في ضِيْقَةٍ فأدِرْ لها ... كؤوس الطِّلاَ فالسُّكْرُ يُوسِعُ ما ضاقا

وقوله: [الكامل]

عطف القضيبُ مع النسيم تَمَيُّلاً ... والنهرُ مَوْشِيُّ الخمائلِ والحِلَى
تَرَكَتْهُ أعطافُ الغصونِ مُظَلَّلاً ... ولنا عن النهجِ القويم مضلّلا
أمْسَى يُغازلُنا بِمُقْلَةِ أشهلٍ ... والطرفُ أسحرُ ما تراه أشهلا

وقال بعضهم: استدعاني أبو الحسن ابن نزار لمجلس أُنس بوادي آش، فلمَّا احتفل مجلسُنا، وطابت لذّتنا قال: والله ما تمامُ هذه المسرّة إلاَّ حضور أبي جعفر بن سعيد وهو الآن بوادي آش، فوافقْناه على ذلك لِمَا نعلمُ من طيب حالتنا معهما، وأنهما لا يأتيان إلاَّ بما يأتي به اجتماع النسيم والروض، فخلا في موضع وكتب له: [الكامل]

يا خَيْرَ مَنْ يُدْعَى لكاسٍ دائرٍ ... ووجوهِ أقمارٍ وروضٍ ناضرِ
إنَّا حضرْنا في النديِّ عصابةً ... معشوقةً مِنْ ناظمٍ أو ناثرِ

---

(١) في طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٤٩٤): «تَرْقُبُ».

كـلُّ مـخـلًّـى لـلـذي يَـخْـتـاره　　فـي الأمـن مِـنْ نـاهٍ لـه أو زاجـرِ
مـا إن لـهـم شُـغُـلٌ بـفـنٍّ واحـدٍ　　بل كلُّ ما يجري بِوَفْقِ الخاطرِ
شَـدْوٌ ورقـصٌ واقـتـطـافُ فـكـاهـةٍ　　وتـعـانـقٌ وتـغـامـزٌ بـنـواظـرِ
وهُـمُ كـمـا تـدري بـأُفْـقِـي أنـجـمٌ　　لـكـنْ لـنـا شـوقٌ لِـبَـدْرٍ زاهـرِ

سيدي، لا زلت متقدِّمًا لكل مكرمة! هل يجمل التخلّف عن نادٍ قام فيه السرور على ساق، وضحك فيه الأُنس بملءِ فِيْهِ، وانسَدَل به ستر الصون، وفَاءَ عليه ظلُّ النعيم، وسَفَرت فيه وجوه الطرب، وركضت خيل اللهو، وثار قَتَام الند، وهطلت سحاب ماء الورد، وجُلِيت[1] الكؤوس، كالعرائس على كراسي العروس، المثقلة بالعاج والآبنوس، وكأنَّ قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام، أو بني حام قد خالطت بني سام وعلى رؤوس الأقداح، تيجان نظمها امتزاج الماء بالراح، فطورًا تستحيي فيبدو خجلها، وطورًا تمتزج فيظهر وَجَلها، والعُوْد ترجمان المسرّة قد جعلته أُمُّهُ في حِجْرها، كولد ترضعه بدَرِّها، وساقي الشَّرْب كالغصن الرطيب، أوراقه أردية الشرب، وأزهاره الكؤوس، التي لا تزال تطلع وتغرب كالشموس، ساقٍ يفهم بالإشارة، حلو الشمائل عَذْب العبارة، ذو طَرْف سَقيم، وخَدّ كأنه من خَفَره لطيم، ولدينا من أصناف الفواكه والأزاهر، ما يحار فيه الناظر، وهل تكمل لذة دون إحضار خدود الورد، وعيون النرجس، وأصداغ الآس، ونهود السفرجل، وقدود قصب السكر، ومباسم قلوب الجوز، وسُرَر التفاح، ورُضَاب ابنة العنب؟ فقد اكتمل بهذه الأوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب: [الطويل]

فَطِرْ بجناحِ الشوقِ عند وصولها　　إليك ولا تجعلْ سواكَ جوابَها
فلا عَيْنَ إلاَّ وهي تَرْنُو بطرفها　　إليكَ فيَسِّرْ في المِطال حِسابَها
فقد أصْبَحَتْ تعلو عليها غشاوةٌ　　لِبُعْدِكَ فاكشفْ عن سَنَاها ضبابَها

قال أبو جعفر: فجعلتُ وصولي جواب ما نَظَم ونَثَر، وألفيت الحالة يقصر عن خُبْرها الخَبَر، فانغمسْنا في النعيم، انغماسَ عَرْف الزهر في النسيم، ومَرّ لنا يومٌ غَضَّ الدهرُ عنه جَفْنَه، حتى حسبْناه عنوانًا لما وعد اللّه تعالى به في الجنّة.

وشرب يومًا مع أبي جعفر ابن سعيد والكتندي الشاعر في جنة بزاوية غَرْنَاطة، وفيها

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٤٩٦): «وطُيِّبَت».

صِهْريج ماءٍ قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الأشجار، وعليه أُنْبُوبُ ماء تتحرّك به صورة جارية راقصة بسيوف وطيفورُ رخامٍ يصنع في أنبوبة الماءِ صورة خباء، فقالوا: نقتسم هذه الأوصاف الثلاثة، فقال أبو جعفر يصف الراقصة: [الطويل]

وراقصةٍ ليست تَحَرَّكُ دون أنْ يحرّكها سيفٌ من الماء مُصْلَتُ
يدورُ بها كرهًا فتنضى صَوَارمًا عليه فلا تعيا ولا هو يُبْهَتُ
إذا هي دارت سرعة خِلْتَ أنها إلى كلِّ وجهٍ في الرياض تَلَفَّتُ

وقال ابن نزار في خباء الماء: [الطويل]

رأيتُ خباء الماء تُرْسِلُ ماءها فنازَعَها هَبُّ الرياحِ رداءها
تطاوعُهُ طورًا وتَعْصِيه تارةً كراقصةٍ خَلَّتْ وضَمَّتْ قَباءها
وقد قابلتْ خيرَ الأنام فلم تزلْ لديه من العلياءِ تُبْدِي حياءها
إذا أرسلتْ جودًا أمام يمينه أبى العدلُ إلاَّ أن يردَّ إباءها

وقد قيل: إنَّ هذه الأبيات صنعها بمحضر الأمير أبي عبد اللّه ابن مَرْدَنيش ملك شرق الأندلس، وإنه لَمَّا ألجأته الضرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيئًا، وكانت هذه عنده مُعَدَّة، فزعم أنه ارتجلها، قال أبو عمر ابن سعيد: وهذا هو الصحيح، فإنه ما كانت عادته أن يخاطب عمي أبا جعفر بخير الأنام؛ فإنَّ كلَّ واحد منهما كفؤ الآخر.

وقال الكتندي: [الوافر]

وصهريجٍ تخالُ به لُجَيْنًا يُذابُ وقد يُذَهِّبُهُ الأصيلُ
كأنَّ الروضَ يعشقُه فمنه على أرجائِهِ ظِلٌّ ظليلُ
وتمنحه أكفُّ الشمس عشقًا دنانيرًا فمنه لها قَبُولُ
إذا رَفَعَ النسيمُ القُضْبَ عنها فحينئذٍ يكونُ لها سبيلُ
وللنارنج تحت الماء لَمَّا تَبَدَّى عكسها جمرٌ بَليلُ
ولليمون فيه دون سبكٍ جَلاَجلُ زُخرفٍ بصبا تجولُ

فيا روضًا به صُقِلَتْ جفوني وأرهف مَتْنَه الزهرُ الكليلُ
تناثر فيك أسلاكُ الغوادي وقَبَّلَ صَفْحَ جدولِكَ القَبُولُ

ولا برحتْ تُجَمّعُ فيك شملاً   من الأكياس والكاسِ الشَّمُولُ[1]
بُدُورٌ تَسْتنيرُ[2] بها نجومٌ   مع الإصباح ليس لها أُفولُ
يهيمُ بهم نسيمُ الروض إلفًا   فمِن وَجْدٍ له جسمٌ عليلُ

وروي أنَّ الوزير أبا الأصبغ عبد العزيز بن الأرقم وزير المعتصم بن صُمَادح رأى رايةً خضراء فيها صنيفة بيضاء في يد عِلْجٍ من عُلُوج المعتصم نَشَرَها على رأسه، فقال: [الكامل]

نَشَرَتْ عليكَ من النعيم جَناحَا   خضراءُ صَيَّرَتِ الصباحَ وشاحَا
تحكي بخَفْقٍ قَلْبَ مَنْ عاديته   مهما يصافحُ صَفْحُهَا الأرواحا
ضمنتْ لك النعمى برأيٍ ظافرٍ   فترقَّبِ الفأل المُشِيرَ نجاحا

وكان هذا الوزير آية اللّه في الوفاء، وأرسله المعتصم إلى المعتمد بن عَبَّاد، فأعجبت المعتمدَ محاولتُه، ووقع في قلبه، فأراد إفساده على صاحبه، وأخذ معه في أن يقيم عنده، فقال له: ما رأيت من صاحبي ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب، ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركي له في حين فَوَّضَ إليَّ أمره، ووثق بي، وحَمَّلني أعباء دولته، فاستحسن ذلك ابنُ عباد، وقال له: فاكتمْ عليَّ، فلما عاد إلى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له، فقال له في أثناء ذلك: وجرى لي معه ما إنْ أعلمتك به خِفْتُ أن تحسب فيه كالامتنان والاستظهار، وتظنّ أنَّ خاطري فَسَدَ به، وإن كتمتك لم أوفِ النصيحة حقَّها، وخفتُ أن تَطَّلع عليه من غيري، فيحُطّني ذلك من عينك، وتحسب فيه كيدًا، فحمل عليه في أن يُعْلمه، فأعلمه بعد أنْ تلطَّف هذا التلطّف، وهو من رجال الذخيرة والمسهب، وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد.

ومن نظم أبي عامر: [المتقارب]

فتى الخيلِ يقتادُها ذُبّلاً   خفافًا تُباري القَنَا الذابلا
ترى كلَّ أجْرَدَ سامي التَّليل   وتحسبُهُ غصُنًا مائلاً

---

(١) الأكياس: جمع كيس وهو الظريف الفطن. الشمول: الخمر. لسان العرب (كيس) و (شمل).
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٤٩٨): «تستديرُ».

وللوزير الكاتب أبي محمد ابن فرسان[1] واسمه عبد البرّ، وهو حسنة وادي آش، يخاطب يحيىٰ المَيُورقي[2]: [الكامل]

أَنْعِمْ[3] بتسريح عليَّ فَعَلَّهُ   سَبَبُ الزيارةِ للحطيمِ ويثربِ
ولَئِنْ تَقَوَّل كاشحٌ[4] أنَّ الهَوَى   دَرَسَتْ معالِمُهُ وأَنْكَرَ مذهبي
فمقالتي ما إنْ مَلِلْتُ وإنما   عُمْري أبى حَمْلَ النِّجاد بمَنكبي
وعجزتُ عن أن أستثير كَمِينَهَا   وأَشُقَّ بالصَّمصام[5] صَدْرَ الموكبِ

وهذه الأبيات كتب بها إليه وقد أسنَّ وملَّ من الجهد معه، يرغب في سَرَاحه إلى الحجاز، رحمه اللّٰه تعالى، وتقبّل نيّته بمنّه ويمنه!

وقال حاتم بن حاتم بن سعيد العَنْسي[6]، وكان صاحب سيف وقلم، وعِلْم وعَلَم: [الكامل]

يا دانيًا مني وما أنا[7] زائرُ   لا أنتَ معذورٌ ولا أنا عاذرُ
ماذا يَضُرُّكَ إذ ظَلِلْتَ بظلمةٍ   أن لا يطالعَ منك بدرٌ[8] زاهرُ

وتوفي المذكور بغَرْنَاطة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

وقال التطيلي الأعمى في أسد نحاس يقذف الماء[9]: [مجزوء الكامل]

أسدٌ ولو أني أُنا   قِشُهُ الحسابَ لقلتُ صَخْرَهْ
فكأنه أسدُ السما   ءِ يمجُّ مِنْ فيه المجَرَّهْ

---

(1) هو أبو محمد عبد البر بن فرسان الغساني الكاتب، من أهل وادي آش، توفي سنة ٦١١ هـ. المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٨) والمغرب (جـ ٢ ص ١٤٢).

(2) الأبيات في المغرب (جـ ٢ ص ١٤٣) وتقدمت في الجزء الثالث من نفح الطيب ببعض الاختلاف عمّا هنا.

(3) في المغرب: «امنن».

(4) الكاشح: المبغض الذي يضمر العداوة. مختار الصحاح (كشح).

(5) الصمصام: السيف. محيط المحيط (صمصم).

(6) ترجمته وشعره في المغرب (جـ ٢ ص ١٦٨).

(7) في المغرب: «وما هو».

(8) في المغرب: «نور زاهرُ».

(9) البيتان في ديوان الأعمى التطيلي (ص ٢٤٩) وقد تقدما في الجزء الرابع.

قال ابن ظافر [1]: صرنا في بعض العَشَايَا على البساتين المجاورة للنيل، فرأينا فيه بئرًا عليها دولابان متحاذيان[2]، قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس، ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الأماني بالمفاليس، وهما يئنّان أنين الأشواق، ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق، والروض قد جلا للأعين زَبَرْجَدَه، والأصيل قد راقه حسنُه فنثر عليه عَسْجَدَه، والزهر قد نظم جواهره في أجياد الغصون، والسواقي قد أذالت[3] من سلاسل فضّتها كلّ مَصُون، والنبت قد اخْضَرَّ شاربه وعارِضُه، وطِرْفُ النسيم قد رَكَضه في ميادين الزهر راكضه، ورُضَاب الغيث[4] قد استقرّ من الطين في لَمَى، وحَيَّات المجاري حائرة تخاف من زمرّد النبات أن يدركها العَمَى، والبحرُ[5] قد صَقَل النسيمُ درعه، وزعفران العشي قد ألقى في ذيل الجوّ رَدْعَه، فأوسَعَنا[6] ذلك المكانُ حسنًا وقلوبَنَا استحواذًا، وملأ أبصارنا وأسماعنا مسرّة والتذاذًا، ومِلْنا إلى الدولابين شَاكِين أزْمَرًا حين سَجَعت قيان الطير بألحانها، وشَدَت على عيدانها، أم ذكرا أيامَ نَعِمَا وطابا، وكانا أغصانًا رِطَابا، فنَفَيَا عنهما لذيذ الهجوع، ورجَّعا النوح وأفاضا الدموع طلبًا للرجوع، وجلسْنا نتذاكر ما في تركيب الدواليب، من الأعاجيب، ونتناشد ما وصفت به من الأشعار، الغالية الأسعار، فأفضى بنا الحديثُ الذي هو شجون، إلى ذكر قول الأعمى التُّطيلي في أسد نحاس يقذف الماء:

أســد ولــو أنــي . إلــخ

فقال لي القاضي أبو الحسن علي بن المؤيد رحمه اللّه تعالى: يتولّد من هذا في الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع، ويطرب الرائي والسامع، فتأمّلت ما قاله بعين بصيرتي البصيرة، واستمددت مادة غريزتي الغزيرة، فظهر لي معنًى ملأني أطرابًا، وأوسعني إعجابًا، وأطرق كلٌ منّا ما جاش به مَدُّ بَحْره، وأنبأه به شيطانُ فكره، فلم يكن إلاّ كنقرة العصفور، الخائف من الناطور، حتى كمل ما أردْنا من غير أن يقف واحد منّا على ما صنعه الآخر، فكان الذي قال: [الخفيف]

---

(١) بدائع البدائه (جـ ١ ص ٢٣٢) والنص فيه بعض الاختلاف عمّا هنا.

(٢) في البدائع: «يتجاذبان».

(٣) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٤٨): «أذابت».

(٤) في بدائع البدائه: «الماء».

(٥) في البدائع: «والنهرُ».

(٦) في البدائع: «فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا...».

حَبّذا ساعةُ العشية والدو | لاب يُهْدِي إلى النفوس المَسَرَّةْ
أدهم لا يزال يعدو ولكن | ليس يعدو مكانه قَدْرَ ذَرَّةْ
ذو عيون من القَوَاديس تبكي[1] | كل عين من فائض الدمع ثَرَّةْ
فَلَكٌ دائر يرينا نجوما | كل نجم يبدي لدينا المجرَّةْ

وكان الذي قلت: [الوافر]

ودولابٍ يئِنُّ أنينَ ثَكْلَى | ولا فقدًا شكاه ولا مَضَرَّةْ
ترى الأزهارَ في ضحكٍ إذا ما | بكى بدموعِ عَيْنٍ منه ثَرَّةْ
حَكَى فَلَكًا تدورُ به نجومٌ | تؤثر في سرائرنا المَسَرَّةْ
يظلُّ النجمُ يشرقُ بعد نجمٍ | ويغربُ بعدما تجري المَجَرَّةْ

فعجبنا من اتفاقنا، وقضى العجب منه سائر رفاقنا، انتهى.

رجع - وكان لأبي محمد عبد الله بن شعبة الوادي آشي[2] ابنٌ شاعرٌ، فعرض عليه شعرًا، نظمَهُ، فأعجبه، فقال: [السريع]

شِعْرُكَ كالبستان في شكله | يجمعُ بين الآسِ والوردِ
فاصنعْ به إن كنتَ لي طائعًا | ما يَصْنَعُ الفارسُ بالبَنْدِ

ولشاعر الأندلس أبي عبد الله بن الحداد الوادي آشي، وهو من رجال الذخيرة[3]: [الوافر]

لَزِمْتُ قناعِتي وقَعَدْتُ عَنْهُمْ | فلسْتُ أرى الوزيرَ ولا الأميرا
وكنتُ سميرَ أشعاري سَفاهًا | فَعُدْتُ بها لفلسفتي[4] سميرا

وله في العروض تأليف مَزَجَ فيه بين الأنحاء الموسيقية، والآراء الخليلية، وردَّ فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار.

---

(١) في البدائع: «تبدي. . الدمع عبرة».
(٢) ترجمة أبي محمد عبد الله بن شعبة وشعره في المغرب (ج ٢ ص ١٤١ . ١٤٢).
(٣) ترجمة ابن الحداد في الذخيرة (ق ١ ص ٦٩١) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤١) وفوات الوفيات (ج ٣ ص ٢٨٣) والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٨٦) والذيل والتكملة (السفر السادس ص ١٠)، وفي ديوان ابن الحداد دراسة عنه بقلمنا. وبيتاه في ديوان ابن الحداد (ص ٢٢٠).
(٤) في الديوان: «الفلسفياتي».

وله في المعتصم بن صُمَادح[1]: [الطويل]

لعلَّك بالوادي المُقَدَّس شاطئُ ... فكالْعَنْبَر الهنديِّ ما أنا واطئُ
وإنِّيَ في رَيَّاكَ واجِدُ رِيحِهِمْ ... فجمرُ[2] الأسى بين الجوانح ناشئُ
ولي في السُّرَى مِنْ نارهمْ ومَنَارِهِمْ ... هُداةٌ حُداةٌ والنجومُ طوافئُ
لذلك ما حَنَّتْ رِكابي وحَمْحَمَتْ ... عِرَابي وأوحى سيرُها المتباطئُ
فهل هاجها ما هاجني؟ ولعلَّها ... إلى الوَخْدِ مِنْ نيران قلبي لَوَاجئُ[3]
رويدًا فذا وادي لُبَيْنَى وإنه ... لَوِرْدُ لُبَاناتي وإني لظامئُ
مواردُ تَهْيَامي ومَسْرَحُ ناظري ... فلِلشَّوْقِ غاياتٌ بها ومبادئُ[4]

واعترض عليه بعضُهم بأنه همز في هذه القصيدة ما لا يهمز، فقال[5]: [الطويل]

عَجِبْتُ لِغَمَازِينَ عِلْمي بِجَهْلِهِمْ ... وإنَّ قناتي لا تلينُ على الغَمْزِ
تجلَّتْ لهمْ آياتُ فَهْمي ومنطقي ... مُبَيِّنَةَ الإعجازِ مُلْزِمَةَ العَجْزِ
ولاحتْ لهمْ هَمْزِيَّةٌ أوْحَدِيَّةٌ ... فويلٌ بها وَيْلٌ لذي الهَمْزِ واللَّمْزِ
رَمَوْها بنقصٍ بَيَّنَتْ فيه نَقْصَهُمْ ... ومَنْ لَمَسَ الأفعى شكا ألم النَّكْزِ
فإن[6] أنكرتْ أفهامُهُمْ بعضَ هَمْزها ... فقد عَرَفَتْ أكبادُهُمْ صِحَّةَ الهَمْزِ

وله وهو مما يُتَغَنَّى به بالأندلس[7]: [الكامل]

فَذَرِ العقيقَ مُجانِبًا لِعُقُوقِهِ ... وَدعِ العُذَيْبَ عُذَيبَ ذاتِ الخالِ[8]
أُفُقٌ مُحَلًّى بالقواضِبِ والقَنَا ... للأَغْيَدِ المِعْطار لا المِعْطالِ[9]

---

(١) ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ١٤٠ ـ ١٤٢).
(٢) في الديوان: «فَرَوْحُ الهوى بين...».
(٣) في الديوان: «أو لعلَّها.. وَجْدي لواجىء».
(٤) في الديوان: «ميادين تَهْيامي... به ومبادىء».
(٥) ديوان ابن الحداد (ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤).
(٦) في الديوان: «وإن».
(٧) ديوان ابن الحداد (ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩).
(٨) في الديوان: «ذات الضَّالِ». العقيق: أحد الأعِقَّة الموجودة في بلاد العرب. العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة. يقول: دَعْ هذه الأماكن المشرقية، ففي ألمرية أماكن لا أحلى منها ولا أجمل.
(٩) القواضب: جمع قاضب وهو السيف القطّاع. القنا: جمع قناة وهي الرمح. الأغيد: أي نويرة (محبوبة=

حَجَبُوكَ إلاَّ مِنْ تَوَهُّم خاطِري   وحَمَوْكَ إلاَّ مِنْ تَصَوُّر [1] بالي
والقارظانِ جميلُ صبري والكرى   فمتى أرجِّي منك طيفَ خيالِ [2]

ومن بدائعه قوله[3]: [الكامل]

سامِحْ أخاكَ إذا أتاكَ بِزَلَّةٍ[4]   فخلوصُ شيء قلّما يُتَمَكَّنُ
في[5] كلِّ شيء آفةٌ موجودةٌ   إنَّ السِّراجَ على سَنَاه يُدَخِّنُ

وأنشد أحدُ الأدباء هذين البيتين متمثّلاً، فأَعْجَبَا المعتصمَ، وسأل عن قائلهما، فأُخْبِرَ، فتبسّم وقال: أتعرف إلى مَنْ أشار بهذا المعنى؟ قال: ما أعرف إلاَّ أنه مليح، فقال المعتصم: كنت في الصِّبا وهو معي، أُلَقَّبُ بسراج الدولة، فقاتله اللّه ما أشعره، فَسَلُوهُ، فلمّا باحثوه في ذلك أقرَّ بحسن حَدْس المعتصم. واكتنفته سعايات، وكان مِمَّنْ يَغْلِبُ لسانهُ حتّى عقله، ففرَّ من ألمَرِيَّة، وحُبس أخوه بها، فقال[6]: [الكامل]

الدهرُ لا يَنْفَكُّ من حَدَثَانِهِ   والمَرْءُ مُنْقَادٌ لِحُكْمِ زمانِهِ
وعَلِمْتُ أنَّ السَّعْدَ[7] ليس بمُنْجِحٍ   ما لا يكون السَّعْدُ مِنْ أعوانِهِ
والجِدُّ دون الجَدِّ ليس بنافعٍ   والرُّمْحُ لا يمضي بغير سِنَانِهِ

وبلغت الأبيات المعتصم فقال: شعره أعقل منه، صدق فإنه لا يتهيّأ له صلاح عيش إلاَّ بأخيه، وهو منه بمنزلة السِّنان من الرمح، ثم أمر بإطلاقه ولحاقه به.

= الشاعر) المتثنية ليِّنًا وقد تغايدت. المِعْطار: الكثيرة التعطّر. المِعْطال: التي لم يكن عليها حَلْيٌ. يقول: إن المكان الذي تقيم فيه نويرة أجمل من العقيق والعذيب، ففيه السيوف التي تفعل فعل عينيها، وفيه الرماح التي تهتزُّ ليِّنًا كما يتأوّد قوامها.

(1) في الديوان: «تبوّء بالي».

(2) القارظان: رجلان من عنزة ذكرتهما الشعراء قديمًا، خرجا في طلب القَرَظ فلم يرجعا فضرب بهما المثل «حتى يؤوب القارظان». والقرظ شجر يُدْبَغُ به. مجمع الأمثال (جـ ١ ص ٢١١) والذخيرة (ق ١ ص ٧١٦ ـ ٧١٧) ولسان العرب والقاموس المحيط (قرظ). يقول: كما لا رجاء في عودة القارظين، كذلك لا رجاء في أن أحظى بك وأنال رضاك.

(3) ديوان ابن الحداد (ص ٢٥٩).

(4) في الديوان: «أتاك بِمُنْكَرٍ».

(5) في الديوان: «ولكل شيء».

(6) ديوان ابن الحداد (ص ٣٠١ ـ ٣٠٢).

(7) في الديوان: «أنّ السَّعْي».

ولَمّا قال في المعتصم[1]: [الكامل]

يا طالبَ المعروفِ دُونَكَ فاترُكَنْ ... دارَ المريّةِ وارْفُضِ ابنَ صُمادِحِ
رَجُلٌ إذا أعطاكَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ ... ألقاكَ في قَيْدِ الأَسِيرِ الطائحِ[2]
لو قد مضى لكَ عُمْرُ نُوحٍ عنده ... لا فَرْقَ بينك والبعيدِ النازحِ

اغتاظ عليه، وأبعده، ففرّ من[3] بلده.

ومن المنسوب إليه في النساء[4]: [البسيط]

خُنْ عَهْدَها مثلَ ما خانَتْكَ مُنْتَصِفًا ... وامْنَحْ هَواها بنسيانٍ وسُلْوانِ
فالغِيدُ كالروضِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... إنْ مَرَّ جَانٍ أتى مِنْ بعده جانِ

وله[5]: [الخفيف]

حيثما كنتَ ظاعنًا أو مُقيمًا ... دُمْ رفيعًا وعِشْ منيعًا سَلِيمًا

وقال ابن دَحْيَةَ في «المطرب»[6]: إنَّ من المجيدين في الجِدّ والهَزْل، ورقيق النظم والجزل، صاحبَنا الوزير أبا بلال[7]، وقال لي: إنه كان وبُرْدُ شبابه قَشيب، وغُصْن اعتداله رطيب، بقميص النُسك متقمّص، وبعلم الحديث متخصّص، فاجتاز يومًا وبيده مُجَلَّد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الأكابر، ومن بعض مناظره ناظر، ومجلسه بخواصّ ندمائه حَالٍ، وصوت المَثَاني والمَثَالث عَالٍ، فقال: أطلعوا لنا هذا الفقيه، فلعلّنا نضحك

---

(١) ديوان ابن الحداد (ص ١٨٤).
(٢) الأسير الطائح: الذي أشرف على الهلاك. يقول: لا تأمننّ إلى المعتصم؛ لأنّ شرّه بعد جميله واقع لا محالة.
(٣) في طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٥٠٥): «عن بلده».
(٤) ديوان ابن الحداد (ص ٢٩٣).
(٥) ديوان ابن الحداد (ص ٢٥٥).
(٦) المطرب (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢).
(٧) في المطرب: «كصاحبنا الوزير أبي القاسم بن البَرّاق ..». وهو أبو القاسم محمد بن علي البراق الهمداني، الأديب الشاعر المجيد، المتوفّى سنة ٥٩٥ هـ. بغية الملتمس (ص ١١٤) والمغرب (جـ ٢ ص ١٤٩) وفيه أنه أبو عمر، والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٣) وفيه أنه توفي سنة ٥٩٦ هـ والوافي بالوفيات (جـ ٤ ص ١٥٦).

منه. فلما مَثَلَ بين يديه وحَيَّا، أمر الساقي بمُنَاولته كأس الحُمَيَّا، فتقبّض متأفّفًا، وأبدى تمعرًا[1] وتَقَشفًا، والسلطان يستغرب ضحكًا بما هجم عليه، ويَدُ الساقي ممدودة إليه، واتّفق أن انشقّتْ من ذاتها الزجاجة، فظهر من السلطان التطيّر من ذلك، فأنشد الفقيه مرتجلاً: [المنسرح]

ومجلسٍ بالسرور مُشْتمِلِ لم يَخْلُ فيه الزجاجُ من أدبِ[2]
سَرَى بأعطافِهِ يُرَنِّحُهُ[3] فشقَّ أثوابَهُ مِنَ الطرب

فسُرَّ السلطان وسُرِّي عنه، واستحسن من الفقيه ما بَدَا منه، وأمر له بجائزة سنيّة، وخِلْعة رائقة بهيّة[4].

وما أحسن قول ابن البراق[5]: [مخلع البسيط]

يا سَرْحَةَ الحيِّ يا مَطُولُ شَرْحُ الذي بَيْنَنا يَطولُ
ولي ديونٌ عليكِ حَلَّتْ لو أنه يَنْفَعُ الحُلُولُ

وقوله[6]: [الكامل]

أُنظُرْ إلى الوادي إذا[7] ما غَرَّدَتْ أطيارُهُ شَقَّ النسيمُ ثيابَهُ
أتراه أَطْرَبَهُ الهَدِيلُ وزادَهُ طربًا وحَقِّكَ أنْ حَلَلْتَ جَنابَهُ

وله في غلام على فمه أثر المداد: [مخلع البسيط]

يا عجبًا للمداد أضْحَى على فَمٍ ضُمِّنَ الزُّلالا
كالقار أضْحَى على المُحَيَّا والليل قد لامس الهلالا

---

(١) التمعّر: تغير الوجه وميله إلى الاصفرار.
(٢) في المطرب: «عن أرب».
(٣) في المطرب: «تَرَنُّحا».
(٤) كلمة «بهية» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٥٢).
(٥) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٤٩ . ١٥٠) وسيردان في الجزء الثامن ضمن ستة أبيات.
(٦) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٥٠).
(٧) في المغرب: «الذي مذ غَرَّدَتْ».

وكتب أبو محمد عبد اللّه بن[1] عذرة إلى بعض أصحابه من الأسر في طُلَيْطلة: [مجزوء الكامل]

لـو كـنـتَ حيـثُ تُـجيـبـني ... لأذابَ قَـلْـبَـكَ مـا أقــولْ
يـكـفـيـكَ مـنّـي أنـنـي ... لا[2] أسـتـقـلُّ مـن الـكُـبُـولْ
وإذا أردتُ رســـالـــةً ... لَـكُـمُ فـمـا أُلـفـي رسـولْ
هـذا وكـم بِـتْـنَـا وفـي ... أيـمـانِـنـا كـأسُ الـشَّـمـولْ
والـعُـودُ يَـخْـفُـقُ والـدخـا ... نُ الـعَـنْـبَـرِيُّ بـه يـجـولْ
حـالَ الـزمـانُ ولـم يَـزَلْ[3] ... مـذ كـنـتُ أعْـهـدُهُ يـحـولْ

ولأبي الحسن علي بن مُهَلْهل الجلياني[4] في أبي بكر بن سعيد صاحب أعمال غَرْنَاطة في دولة الملثّمين: [الكامل]

لولا النُّهُودُ لَمَا عَرَاكَ[5] تنهُّدُ ... وعلى الخدودِ القلبُ منكَ يُخَدَّدُ
يا نافذًا قَلْبي بِسَهْمِ جفونِهِ ... ما لي على سَهْمٍ رَمَيْتَ به يَدُ[6]

وقال أبو زكريا يحيىٰ بن مطروح في غلام كاتب أطلّ عذاره[7]: [البسيط]

يا حُسْنَهُ كاتبًا قد خَطَّ عارضُهُ ... في خدِّه حاكيًا ما خُطَّ بالقَلَمِ
لامَ الـعَـذُولُ عـلـيه حـيـن أبْـصَـرَهُ ... فقلتُ دَعْني فَزَيْنُ البُرْدِ بالعَلَمِ
وانظرْ إلى عَجَبٍ مِمَّا تلومُ به ... بَدْرٌ[8] له هالةٌ قُدَّتْ من الظُّلَمِ

---

(١) في أصول النفح: «في معذرة»، والتصويب عن المغرب (جـ ٢ ص ١٤٨) وفيه ترجمة أبي محمد عبد اللّه بن عذرة وشعره.
(٢) في المغرب (ص ١٤٩): «ما أستقلُّ».
(٣) في المغرب: «ولم أَزَلْ».
(٤) ترجمة أبي الحسن علي بن مُهَلْهل الجلياني وشعره في المغرب (جـ ٢ ص ١٥٠).
(٥) في المغرب: «لمَا براكَ».
(٦) في المغرب: «رَمَيْتَ تَجلُّدُ».
(٧) ترجمة أبي زكريا يحيىٰ بن مطروح وشعره في المغرب (جـ ٢ ص ١٥٥) وقد تقدّم التعريف به والإشارة إلى مصادر ترجمته في الجزء الأول.
(٨) في المغرب: «بدرًا».

قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجبٌ من عنبر الشُّحْرِ أو من دُرِّ مُبْتَسِمِ[١]

وله، وقد عُزل عن مالقة والٍ غيرُ مرضيّ، ونزل المطر على إثره، وكان الناس في جَدْب: [السريع]

وربَّ والٍ سَــرَّنَــا عَــزْلُــهُ فَبَـغْـضُـنـا هَـنَّـأه الـبَـغْـضُ
قد واصلتنا السُّحْبُ من بعده ولَـذَّ فـي أجـفـانـنـا الـغُـمْـضُ
لـو لـم يكـن مـن نَـجَسٍ شـخـصُـه مـا طُـهِّـرَتْ مـن بـعـده الأرضُ

وكان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الأوسي[٢] مختصًا بوزير عبد المؤمن أبي جعفر ابن عطية، فقال فيه: [الطويل]

أبا جعفرٍ نلْتَ الذي نالَ جعفرُ[٣] ولا زلـتَ بـالـعَـلْـيا تُـسَرُّ وتُـحْـبَـرُ
عـلـيك لـنـا فـضـلٌ وبِرٌّ[٤] وأَنْـعُـمٌ ونـحـن عـلـيـنـا كـلُّ مَـدْحٍ يُـحَـبَّـرُ

وحَدَّث مَنْ حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد أحسَّ من عبد المؤمن التغير الذي أفضى إلى قتله، وقد افتتح ابنُ نصر مطلع هذه القصيدة، فتغيّر وجه أبي جعفر؛ لأنَّ جعفر ابن يحيىٰ كان آخر أمره الصلب، فكأنَّ هذا عمّم الدعاء، والعجبِ أنه قُتل مثل جعفر بعد ذلك.

وهذا الشاعر هو القائل: [الطويل]

ومـا أنـا عـن ذاك الـهَـوَى مُـتَـبَـدِّلٌ وذا الـغَـدْرُ بـالإخـوان غـيـرُ كـريـمِ
بغيرك أُجري ذكرَ فضلكَ في الندى كما قد جَرَى بالروض هَبُّ نَسيمِ
وإن كـان عـنـدي لـلـجـديـد لـذاذة فـلـسـت بـنـاسٍ حـرمـةَ لـقـديـمِ

ولأبي عبد الله محمد بن علي اللوشي[٥] يخاطب صاحب «الْمُسْهِبِ»: [الخفيف]

---

(١) في المغرب: «قولوا عن السحر.. أو من دَنٌ مبتسم».
(٢) ترجمة أبي بكر محمد بن أبي عامر بن نصر الأوسي وشعره في المغرب (ج ٢ ص ١٥٦).
(٣) أراد بجعفر هذا جعفر بن يحيىٰ بن خالد البرمكي.
(٤) في المغرب: «فضلٌ ومَنٌّ».
(٥) ترجم له ابن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٥٨) باسم أبي عبد الله محمد بن عبد المولى، وأورد له البيتين الأولين.

بي إليكُمْ شَوْقٌ شديدٌ ولكنْ   ليس يَبْقَى مع الجَفاء اشتياقُ
إنْ يغَيِّرْكُمُ الفراقُ فَوُدّي   لو خبرتمْ[1] يزيد فيه الفراق

وله: [مجزوء الكامل]

لو أنَّ لي قلبًا كقلـ   ـبك كنتُ أهجرُ هجركا
يكفيكَ أنك قد نَسِيْـ   ـتَ ولستُ أنسى ذكركا
ومن العجائب أنني   أفنى وأكتمُ سرّكا
كُنْ كيفما تختارُهُ   فالحبُّ يبسطُ عذركا

وله: [الكامل]

هل عندكُمْ عِلْمٌ بما فَعَلَتْ بنا   تلك الجفونُ الفاتكاتُ بضعفِها
نُصْحًا لكمْ أن تأمَنوها إنها   سَحَر النُّهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه أبي محمد عبد المولى، وكان ماجنًا، لَمّا نُعي إليه وهو على الشراب أحدُ أصحابه مرتجلاً: [مجزوء الرمل]

إنّما دُنْياك أكلٌ   وشَرابٌ وقِحَابُ
ثم مِنْ بَعْد صُرَاخٌ   ووداعٌ وتُرابُ

وله: [مجزوء الرمل]

يا نديمُ اشْرَبْ على أُفْـ   ـقٍ صقيلٍ وحديقهْ
واسقني ثم اسقني ثمَّ اسـ   ـقني خمرًا وريقهْ
مِنْ غزالٍ تَطْلُعُ الشمـ   ـسُ بخدَّيْهِ أنيقهْ
لا تفوِّتْ ساعةً مِنْ   كأسِ خمرٍ وعشيقهْ
واجتنبْ ما سخرت جَهْـ   ـلاً له هذي الخليقهْ
رَغِبوا في باطل زو   ر بزهدٍ في الحقيقه
ليس إلاّ ما تراه   أنا أدرى بالطريقهْ

---

(١) في المغرب: «لو جَرَّبْتُمْ».

قال أبو عمران موسى بن سعيد: قلْنا له: ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لأحد أن يصحبك به؟ فقال: هذا قول لا فعل، وقد قال اللّه تعالى: ﴿ألم تَرَ أنَّهمْ في كلِّ وادٍ يَهِيمُونَ وأنهم يَقُولُونَ ما لا يفعلونَ﴾[1].

ثم قال ابن سعيد: ولولا أنَّ حاكي الكفر ليس بكافر ما ذكرتها، وهذا منزع من قال من المجوس: [مجزوء الرمل]

خُذْ من الدنيا بحظٍّ	قبلَ أنْ ترحلَ عَنْها
فهي دارٌ لا ترى من	بعدها أحْسَنَ منها

وهذا كُفْرٌ صُرَاح، وقائله قد تقمَّص كفرًا، اللهم غَفْرا!

وطلب منه بعض الأرذال، أن يكتب له شفاعة عند أحد العُمَّال، فكتب له رسالة فيها هذه الأبيات: [السريع]

كَتَبْتُهُ مولاي في طالع	ما طار فيه طائرُ اليُمْنِ
وفكرةٌ حائلةٌ والحشا	يَنْهَبُ بالهَمِّ وبالحُزْنِ
كَلَّفنيه ساقطٌ أخرقٌ	مُشْتهرٌ بالطحن والقرنِ
أكذبُ خلق اللّه أرداهُمُ	أخوفهم في الخوف والأمنِ
يكفرُ ما يُسْدَى إليه ولا	يعذرُ خلقًا سيء الظنِّ
فإن صَنَعْتَ الخيرَ ألفيته	شرًّا وأضحى المجد ذا غَبْنِ
وانتقَد الناسُ عليك الذي	تُسْدِي له في أيّ ما فنِّ
فافعلْ به ما هو أهلٌ له	وأسمعه تفسيرًا ولا أكني
أَهِنْهُ واصْفَعْهُ ولا تترك الـ	بوّاب يكرمه لدى الإِذنِ
واقطع بفيه القولَ واحرمه من	رَدِّ جوابٍ أُنْسه يدني
وكلّما استنبط رأيًا فسـ	ـفِّهه ودعه مُسْخَنَ الجفن
فهو إذا أكرمته فاسد	وصالحٌ بالهُون واللَّعْنِ
شفاعتي في مثله هذه	فلا سقاه هاطلُ المزنِ

(١) سورة الشعراء ٢٦، الآية: ٢٢٤.

ودفع إليه الكتاب مختومًا، فَسُرَّ به، وحمله إلى العامل، وسافر إليه أيامًا، فلمّا دفعه إليه قرأه وضحك، ودفعه إلى مَنْ يشاركه في ذلك من أصحابه، فوعده بخير وأخرجه إلى شغل لم يرضه، فلمّا عاد منه قال له: أخرجتني لأرْذَلِ شغل وأخسّه فما فائدة الشفاعة إذن؟ فقال له: أوَ تريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك؟ قال: لا أقلَّ من ذلك، فأمر من يأتيه بالأبيات، فقرئت عليه، فانصرف في أسوإ حال، فلما دخل عليه[1] غَرْنَاطة - وكان عبد المولى تزوّج فيها امرأة اغتبط بها - تزيّا[2] هذا الرجل بزي أهل البادية، وزوّر كتابًا على لسان زوجة لعبد المولى في بلدة أخرى، وقال في الكتاب: وقد بلغني أنك تزوّجت غيري، وأردت أن أكتب إليك في أن تطلقني، فوصلني كتابك تعرفني فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك، وأنك ناظر في طلاقها، فَرَدَّني ذلك عَمّا عزمْتُ عليه، فانظر في تعجيل ما وعدت به من طلاقها، فإنك إن لم تفعل لم أبْقَ معك أبدًا، فلمّا مَرَّ بدار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها: أنا رجل بَدَوي أتيت من عند فلانة زوجة أبي محمد عبد المولى، فعندما سمعت ذلك أعلمت ستها، وأخذت الكتاب، فوقفت على ما فيه غير شاكّه في صِحّته، فلمّا دخل عبد المولى وَجَدَها على خلاف ما فارقها عليه، فسألها عن حالها، فقالت: أريد الطلاق، فقال: ما سبب هذا وأنا أرغَبُ الناسِ فيك؟ فألقت إليه الكتاب، فلمّا وقف عليه حَلَفَ لها أن هذا ليس بصحيح، وأنَّ عدوًا له اختلقه عليه، فلم يُفِد ذلك عندها شيئًا، ولم يَطِبْ له بعد ذلك معها عيش، فطلَّقها، وعلم أن ذلك الرجل هو الذي فعل ذلك، فقال له: لا جزاكَ اللّه خيرًا، ولا أصلح لك حالاً! فقال: وأنت كذلك، فهذه بتلك، والبادي أظلم، فما كان ذنبي عندك حين كتبت في حقّي ما كتبت؟ فقال له: مثلُكَ لا يقول «ما ذنبي» أنت كلّك ذنوب: [الوافر]

ألستَ بألأمِ الثَّقَلَيْنِ طُرًا ... وأثقلهمْ وأفحشهمْ لسانا؟
فمهما تَبْغِ برًا عند شخص ... تَزِدْ منه بما تبغي هَوَانَا

فانصرف عنه عالي اللسان بلَعْنته.

وكان أحد بني عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابًا بموضع منفرد، فخطر له يومًا

(١) كلمة «عليه» ساقطة من طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٥١١).
(٢) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٥٧): «فتزيّا».

جَلْدُ عُمَيرة، واتّفق أنْ مَرّ السيد يومًا بذلك الموضع، فنظر إليه في تلك الحال، فقال له السيد: ما تصنع؟ فقال: الدواة جَفّتْ، ولم أجد ما أسقيها به إلاّ ماء ظهري، فضحك السيد، وأمر له بجارية، فقال: [المجتث]

قُلْ للعُمَيرة طُلِّقـ ـتِ بعد طول زواجِ
قد كان مائي ضياعًا يمرُّ في غيرِ حاج
حتى حباني بحسنا ء قابلٍ للنتاج
فكان ناقلَ خمرٍ من خَنْتَم لزجاجِ
كانت تمرُّ ضياعًا فأصبحتْ كالسراج

وقال حاتم بن سعيد: [الخفيف]

جَنِّبُونِي عن المُدامة إلاّ عند وقت الصباح أو في الأصيلِ
واشفعوها بكلِّ وَجْهٍ مليح ودَعُوني مِنْ كلِّ قالٍ وقِيلِ
وإذا ما أردتم طيب عيشي فاحجبوني عن كلِّ وَجْهٍ ثقيلِ

وقال مالك بن محمد بن سعيد[1]: [الوافر]

أتاني زائرًا فبَسَطْتُ خدِّي له ويقلُّ بسطُ الخَدِّ عندي
فقلتُ له أيا مولاي ألفًا فقال وأنت ألفًا عبد عبدي
وعانَقَني وقَبَّلني ونادى بلطف منه كيف رأيت وَعْدي

وقال في استهداء مقص: [الطويل]

ألا قُلْ نَعَمْ في مطلب قد حكاه لا يفصّل إذ نبغي الوصال موصَّلا
نشقُّ به صدرَ النهار وقد بَدَا ظلامًا بأمثالِ النجوم مكلَّلا

وقال: [البسيط]

سارت كبدرٍ وليلُ الخدر يسترُها ولو بَدَا وجهها جاءتك بالفَلَقِ
ودونها من صَليل اللامعات[2] حِمًى فالبرق والرعد دون الشمس في الأفقِ

(١) ترجمة مالك بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٧١).
(٢) اللامعات: السيوف. وصليلها: صوتُ وَقْعِ بعضها على بعض.

واجتمع بغَرْناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندي[1] الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء، فأخذوا يومًا في أن يخرجوا لنجد أو لحوز مؤمل، وهما منتزهان من أشرف وأظرف منتزهات غَرْنَاطة، ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلّع في ظاهر البلد، وكان الرصافي قد أظهر الزهد وترك الخلاعة، فقالوا: ما لنا غنى عن أبي جعفر ابن سعيد، أُكْتُبُوا له، فصنعوا هذا الشعر وكتبوه[2] له، وجعلوا تحته أسماءهم: [الطويل]

بَعَثْنا إلى رَبِّ السماحةِ والمَجْدِ ... ومَنْ مَا لَهُ في ملّة الظرفِ من نَدِّ
ليسعدنا عند الصبيحة في غدِ ... لنسعى إلى الحور[3] المُؤَمَّلِ أو نَجْدِ
نسرِّح منّا أنفسًا من شجونها ... ثَوَتْ في شجونٍ هُنَّ شَرٌّ مِنَ اللحد
ونظفر من بخلِ الزمانِ بساعة ... أَلَذُّ من العَلْيا وأشهى من الحمد
على جَدْول ما بين ألفاف دَوْحة ... تهزُّ الصَّبا فيها لواء من الرُّنْدِ
ومن كان ذا شربٍ يخلّى بشأنه ... ومن كان ذا زهدٍ تركناه للزهد
وما ظرفه يأبى الحديث على الطّلى ... ولا أن يديلَ الهَزْلَ حينًا من الجِدِّ
تهزُّ معاني الشعر أغصانَ ظَرْفِهِ ... ويمرحُ في ثوب الصبابة والوجدِ
وما نَغَّصَ العَيْشَ المُهَنَّأَ غيرَ أن ... يمازجه تكليف ما ليس بالود
نظمنا من الخلاّن عقد فرائدٍ ... ولَمَّا نَجِدْ إلاّكَ واسطةَ العقد
فماذا تراهُ لا عدمناكَ ساعةً ... فنحن بما تبديه في جنّة الخلدِ
ورشدك مطلوب وأمرك نحوه ار ... تقابٌ وكلٌّ منك يَهْدِي إلى الرشد

فكان جوابه لهم: [الطويل]

هو القولُ منظومًا أو الدرُّ في العِقْدِ ... هو الزَّهْرُ نَفَّاحُ الصبا أم شَذَا الوِدُّ
أتاني وفكري في عِقَالٍ من الأسى ... فحلَّ بنَفْثِ السِّحر ما حلَّ من عقد

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الكُتُنْدي، أديب شاعر ذو معرفة باللغة العربية. توفي سنة ثلاث أو أربع وثمانين وخمسمائة. زاد المسافر (ص ٥٣) والمغرب (ج ٢ ص ٢٦٤) والتكملة (ص ٥٣٥) وأدباء مالقة (الورقة ٢٧).

(٢) في طبعة دار صادر (ج ٣ ص ٥١٣): «وكتبوا له».

(٣) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٥٩): «الحوز» بالزاي.

ومِن قبل علمي أين مبعثُ وجهه ... عَلِمْتُ جنابَ الورد مِنْ نَفَسِ الورد
وأَيْقَنْتُ أنَّ الدهر ليس براجعٍ ... لتقديم عصرٍ أو وقوفٍ على حَدّ
فكلُّ أوانٍ فيه أعلامُ فَضْلِهِ ... ترادف موج البحرِ ردًّا إلى ردّ
فكم طَيّها من فائتٍ متردِّم ... يهزُّ بما قد ضمرت معطف الصّلد
فيا من بهم تُزْهَى المعالي ومن لهم ... قياد المعاني[1] ما سوى قَصْدِكم قصدي
فَسَمْعًا وطَوْعًا للذي قد أشرتمُ ... به لا أرى عنه مدى الدهر من بُدّ
فقوموا على اسم اللَّه نحو حديقةٍ ... مقلَّدة الأجياد مَوْشِيّة البُرْدِ
بها قبّةٌ تدعى الكمامة فاطلُعُوا ... بها زهرًا أذكى نسيمًا من النَّدّ
وعنديَ ما يحتاجُ كلُّ مُؤمّلٍ ... من الراح والمعشوق والكتبِ والنرد
فكلٌّ إلى ما شاءه لستُ ثانيًا ... عِنَانا له إنَّ المساعد ذو الودّ
ولست خَلِيًّا من تأنّس قَيْنَةٍ ... إذا ما شَدَتْ ضَلَّ الخليُّ عن الرشد
لها ولدٌ في حجرها لا تزيله ... أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فيا ليتني قد كنتُ منها مكانَهُ ... تُقَلِّبني ما بين خَصْرٍ إلى نَهْدِ
ضمنتُ لمن قد قال إنيَ زاهدٌ ... إذا حَلَّ عندي أن يَحُول عن الزهدِ
فإن كان يرجو جنّة الخلد آجلاً ... فعندي له في عاجلٍ جنّةُ الخلدِ

فركبوا إلى جنّته، فمرَّ لهم أحسن يوم على ما اشتهوا، وما زالوا بالرصافي إلى أن شرب لَمَّا غلب عليه الطرب، فقال الكتندي: [الطويل]

غَلَبْناك عَمّا رُمْتَه يا ابن غالبٍ ... براحٍ وريحانٍ وشَدْوٍ وكاعبِ

فقال أبو جعفر: [الطويل]

بَدَا زهده مثل الخضابِ فلم يزلْ ... به ناصِلاً حتى بَدَا زور كاذبِ

فلمّا غربت الشمس قالوا: ما رأينا أقصر من هذا اليوم، وما ينبغي أن يُتْرك بغير وصف، فقال أبو جعفر: أنا له، ثم قال بعد فكرة، وهو من عجائبه التي تقدم بها

---

(١) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٦٠): «المعالي».

المتقدّمين وأعجز المتأخّرين[1]: [مجزوء الكامل]

لـــلّـــه يـــومُ مَـــسَـــرّة أضْـوَا وأقـصـرُ مِـنْ ذُبـالَـهْ
لَـمّـا نَـصَـبْـنـا لـلـمُـنَـى فـيـه بـأوتـارِ حِـبـالَـهْ
طـارَ الـنـهـارُ بـه كَـمُـرْ تـاعٍ فـأجْـفَـلَـتِ[2] الـغـزالَـهْ
فـكـأنـنـا مِـنْ بَـعْـده بِـعْـنـا الـهـدايةَ بـالـضـلالَـهْ

والنهار: ذكر الحُبَارى، وإليه أشار بقوله «طار النهار» والغزالة: الشمس، ولا يخفى حسن التوريتين، فسلّم له الجميع، تسليم السامع المطيع.

وعلى ذكر الغزالة في هذا الموضع فلأبي جعفر أيضًا فيها، وهو من بدائعه، قوله[3]: [الطويل]

بـدا ذَنَبُ الـسِّـرحـان يُـنْـبِـىءُ أنـه تـقـدّم سَـبْـقًـا[4] والـغـزالـةُ خَـلْـفَـهُ
ولـم تَـرَ عـيـنـي مـثـلـه[5] مـن مُـتَـابِـعٍ لـمـن لا يـزالُ الـدهـرَ يَـطْـلُـبُ حَـتْـفَـهُ

وقوله: [الخفيف]

اسْـقـنـي مـثـل مـا أنـار لـعـيـنـي شَـفَـقٌ ألـبـس الـصـبـاح جـمـالَـهْ
قَـبْـلَ أن تـبـصرَ الـغـزالـةَ تـسـتـد رج مـنـه عـلـى الـسـمـاء غِـلالَـهْ
وتـأمّـلْ لـعـسـجـد سـال نـهـرًا كـرعـت فـيه، أو تـقـضّـى، غـزالـه[6]

ومن نظم أبي جعفر قولُه: [الكامل]

لو لم يكن شَدْوُ الحمائم فاضلاً شَدْوَ القيانِ لما استخفَّ الأغْصُنَا
طَرَبٌ ثَنَى حتى الجَمَادَ ترنّحًا وأفاضَ من دمع السحائب أعْيُنا

---

(١) ترجمة أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد وشعره في المغرب (جـ ٢ ص ١٦٤، ١٦٧) وسترد هذه الأبيات في هذا الجزء من نفح الطيب (ص ٣٣٠).
(٢) في المغرب: «وأَجْفَلَت».
(٣) البيتان في المغرب (جـ ٢ ص ١٦٧).
(٤) في أصول النفح: «سَبْتّة»، والتصويب عن المغرب.
(٥) في المغرب: «عيني قَبْلَها».
(٦) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٦٢): «عزاله» بالعين المهملة.

وقوله[1]: [الكامل]

في الروض منكَ مَشابهٌ مِنْ أَجْلِها يهفو له طرفي وقَلْبي المُغْرَمُ
الغُصْنُ قَدٌّ، والأزاهرُ حِلْيَةٌ، والوردُ خَدٌّ، والأقاحي مَبْسِمُ

وقوله[2]: [الطويل]

أَلاَ حَبَّذَا نهرٌ إذا ما لحظْتَهُ أبى أن يردَّ اللحظَ عن حسنه الأنسُ
ترى القمرينِ الدهرَ قد عُنِيَا به يُفَضِّضُه بَدْرٌ وتُذْهِبُهُ شَمْسُ

وقوله، وقد مَرَّ بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه[3]: [البسيط]

قَصْرَ الخليفة[4] لا أُخْلِيْتَ مِنْ كَرَمٍ وإنْ خَلَوْتَ من الأَعْداد والعُدَدِ
جُزْنَا عليك[5] فلم تَنْقُصْ مَهابَتُهُ والغِيلُ يخلو وتَبْقَى هَيْبَةُ الأَسَدِ

وقوله من أبيات: [الكامل]

سَرِّحْ لحاظَكَ حيثُ شئتَ فإنه في كلِّ مَوْقِعِ لحظةٍ متأمَّلُ

وقوله أيضًا[6]: [الخفيف]

ولقد قلتُ للذي قال حُلُّوا ههنا: سِرْ فإننا ما سَئِمْنا
لا تُعَيِّنْ لنا مكانًا ولكنْ حيثما مالتِ اللواحظُ مِلْنا

وقال: [الطويل]

أَلاَ هاتِها إنَّ المَسَرَّةَ قربها وما الحزنُ إلاَّ في توالي جفائها
مُدَام بكى الإبريقُ عند فراقها فأضْحَكَ ثَغرَ الكاسِ عند لقائها

---

(١) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٧).
(٢) سيرد هذان البيتان في هذا الجزء (ص ٣٢٧).
(٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٧).
(٤) في المغرب: «قصر الخلافة..».
(٥) في المغرب: «عليه».
(٦) البيت الثاني فقط في المغرب (ص ١٦٨).

وقال: [السريع]

عَرِّجْ على الْحَورِ[1] وخَيِّمْ به ... حيث الأماني ضافياتُ الجناحْ
واسبِقْ له قبل ارتحال الندى ... ولا تَــزُرْهُ دون شــادٍ وراحْ
وكُنْ مُقِيمًا منه حيثُ الصَّبا ... تمتارُ[2] مِسْكًا من أريج البطاحْ
والقُضْبُ مالَ البعضُ منها على ... بعض كما يثني القدودَ ارتياحْ
وشَقَّ جَيْبَ الصبر[3] قصفٌ إذا ... شَقَّتْ جيوبَ الطَّلِّ منها الرياحْ
لم أُحْصِ كم غاديته ثابتًا ... واسترقَصَتْنِي الراح عند الرواحْ

وقوله: [الطويل]

أَلاَ حبّذا روضٌ بَكَرْنَا له ضُحًى ... وفي جَنَبَات الروضِ للطلِّ أدمعُ
وقد جعلت بين الغصون نسيمةٌ ... تمزّقُ ثوبَ الطَّلِّ منها وتَرْقَعُ
ونحن إذا ما ظلَّتِ القُضْبُ رُكَّعًا ... نظلُّ لها من هزّة السكر نَرْكَعُ

وكان ابن الصابوني[4] في مجلس أحد الفضلاء بإشبيلية، فقُدِّم فيما قُدِّم خيار، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين، فخطف ابنُ الصابوني السكين من يده، فألحَّ عليه في استرجاعها، فقال له ابن الصابوني: كُفَّ عنّي وإلاَّ جرحْتُكَ بها، فقال له صاحب المنزل: اكفف عنه لئلاَّ يجرحك ويكون جرحك جُبَارا[5]، تعريضًا بقول النبيِّ ﷺ «جُرْحُ العَجْماء[6] جُبار» فاغتاظ ابن الصابوني، وخرج من الاعتدال، وأخطأ بلسانه، وما كفّ إلاَّ بعد الرغبة والتضرّع.

ومن نظم ابن الصابوني[7]: [الطويل]

---

(١) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٦٣): «الحوز» بالزاي المعجمة.
(٢) تمتار: تجمع.
(٣) في طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٥١٧): «جيب الصبح نور كما».
(٤) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن الصابوني، شاعر إشبيلية، توفي سنة ٦٣٦هـ. اختصار القدح (ص ٦٩) والمغرب (جـ ١ ص ٢٦٨) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٣) والوافي بالوفيات (جـ ٢ ص ٩) وفوات الوفيات (جـ ٣ ص ٢٨٤) والبدر السافر (ص ٧٦).
(٥) الجُبار، بضم الجيم، على وزن غبار: الهَدَرُ، يقال: ذهب دمه جُبارًا. مختار الصحاح (جبر).
(٦) العَجْماء: البهيمة.
(٧) الأبيات في اختصار القدح (ص ٧٢) والمغرب (جـ ٢ ص ٢٦٨) عدا البيت الثالث.

بَعَثْتُ بمرآةٍ إليكَ بَديعةٍ فأطْلِعْ بسامي أُفقِهَا قَمَرَ السَّعْدِ
لِتَنْظُرَ فيها حُسْنَ وَجْهِكَ مُنصِفًا وتَعْذُرَني فيما أكِنُّ[1] من الوَجْدِ
فأرسل بذاك الخدّ لحظك برهةً لتجنيَ منه ما جناه مِنَ الوَرْدِ
مثالُك فيها منكَ أَقْرَبُ مَلْمَسًا وأكثرُ إحسانًا وأبقى[2] على العَهْدِ

وقوله في لابس أحمر[3]: [المنسرح]

أقْبَلَ في حُلَّةٍ مُوَرَّدَةٍ كالبدر في حُلَّةٍ من الشَّفَقِ
تَحْسِبُهُ كلَّما أراقَ دمي[4] يمسحُ في ثوبه ظُبَا الحَدَقِ

ورحل إلى القاهرة والإسكندرية فلم يُلتفت إليه، ولا عُوِّل عليه، وكان شديد الانحراف، فانقلب على عقبه يَعَضُّ يديه، على ما جرى عليه، فمات عند إيابه إلى الإسكندرية كمدًا، ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار.

وحضر يومًا بين يدي المعتضد الباجي ملك إشبيلية وقد نُثرت أمامه جملة من دنانير سُكَّتْ باسمه، فأنشد[5]: [السريع]

قد فَخَرَ الدينارُ والدِّرْهَمُ لَمّا[6] علا ذين لكم مِيسَمُ
كلاهما يُفْصِحُ عن مجدكم[7] وكلُّ جزء منه فَرْدٌ فَمُ

ومَرَّ فيها إلى أن قال في وصف الدنانير: [السريع]

كأنها الأنجم والبعد قد حقق عندي أنها الأرْجُمُ

فأشار السلطان إلى وزيره، فأعطاه منها جملة، وقال له: بدِّلْ هذا البيت لئلاً يبقى ذمًا.

---

(١) في المغرب: «فيما أقاسي».
(٢) في اختصار القدح: «وأقرب للعهد».
(٣) البيتان في اختصار القدح (ص ٧٢) والمغرب (ص ٢٦٨).
(٤) في المصدرين السابقين: «دمًا».
(٥) البيتان في اختصار القدح (ص ٧٠).
(٦) في اختصار القدح: «بما على..».
(٧) في المصدر نفسه: «عن شكركم».

وكان يُلَقَّبُ بالحمار، ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب: [السريع]

يا عَيْرَ حِمْصَ عَيَّرَتْكَ الحميرْ بأكلك البُرَّ مكانَ الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبي العباس أحمد بن الصابوني شاعر إشبيلية الشهير الذكر، والذي أظهره مأمون بني عبد المؤمن، وله فيه قصائد عدّة، منها قوله في مطلع: [الكامل]

اسْتَوْلِ سَبَّاقًا على غاياتِها نُجْحُ الأمور يبين في بدآتها

وله الموشحات المشهورة، رحمه الله تعالى!

ومن حكايات الصبيان أن ابن أبي الخصال[1]، وهو من شَقُورة، اجتاز بأبدة وهو صبيٌّ صغير يطلب الأدب، فأضافه بها القاضي ابن مالك، ثم خرج معه إلى حديقة معروشة، فقطف لهما عنقودًا أسود، فقال القاضي: [مجزوء الرجز]

انظر إليه في العصا

فقال ابن أبي الخصال:

كرأس زنجيّ عَصَى

فعلم أنه سيكون له شأن في البيان.

وحدّث أبو عبد الله بن زرقون[2] أن أبا بكر ابن المنخل وأبا بكر الملاح الشِّلْبِيين كانا متواخيين متصافيين، وكان لهما ابنان صغيران قد برعا في الطلب، وحازا قصب السبق في حَلْبَة الأدب، فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء[3]، فركب ابن المنخل في سَحَر من الأسحار مع ابنه عبد الله، فجعل يعتبه على هجاء بني الملاح ويقول له: قد قطعتَ ما بيني وبين صديقي وصفيي أبي بكر في إقذاعك في ابنه، فقال له ابنه: إنه بدأني والبادي أظلم، وإنما يجب أن يُلْحَى من بالشرّ تقدم، فعَذَره أبوه، فبينما هما على ذلك إذ أقبلا على وادٍ تَنِقُّ فيه الضفادع، فقال أبو جعفر لابنه: أجز: [الهزج]

---

(١) شرح مقامات الحريري (ج ١ ص ٣٦٤).

(٢) المصدر نفسه، وزاد المسافر (ص ٨٨).

(٣) في طبعة دار صادر (ص ٥٢٠): «بأقذع هجاء».

تـــنـــقُّ ضـــفـــادع الـــوَادي

فقال ابنه:

بـــصـــوتٍ غـــيـــرِ مُـــعْـــتـــادِ

فقال الشيخ:

كـــأنَّ نـــقـــيـــق مِـــقْـــولـــهـــا

فقال ابنه:

بـــنـــو الـــمـــلاح فـــي الـــنـــادي

فلما أَحَسَّتِ الضفادعُ بهما صمتت، فقال أبو بكر:

وتـــصـــمـــت مـــثـــلَ صـــمـــتـــهـــمُ

فقال ابنه:

إذا اجـــتـــمـــعـــوا عـــلـــى زادِ

فقال الشيخ:

فـــلا غَـــوْثٌ لـــمـــلـــهـــوف

فقال الابن:

ولا غَـــيْـــثٌ لـــمُـــرْتـــادِ

ولا خفاء أنَّ هذه الإجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة، فكيف مِمَّنْ هو في سِنِّ الصِّبا؟

ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الأندلس ـ أعادها اللّه تعالى إلى الإسلام عن قريب، إنه سميع مجيب ـ ما حكي أنَّ ابن المِرْعِزَّى النصراني[1] الإشبيلي أهدى كلبةَ صيدٍ للمعتمد بن عَبَّاد وفيها يقول: [مخلع البسيط]

---

(١) ابن المِرْعِزَّى النصراني من نصارى إشبيلية، ظهر في دولة المعتمد بن عباد، وكان من مُدّاحه. ترجمته وشعره في المغرب (جـ ١ ص ٢٦٩).

لم أرَ مَلْهًى لذي اقتناصٍ ومكسبًا مقنع الحريصِ[1]
كمثلِ خَطلاءَ ذاتِ جيدٍ أتْلَعَ في صفرة القميصِ[2]
كالقَوْس في شكلها ولكنْ تَنفُذُ كالسَّهْمِ للقَنيصِ
إنْ تَخِذَتَ أنْفَها دليلاً دلَّ على الكامنِ العَويصِ
لو أنها تستثيرُ بَرْقًا[3] لم يَجِدِ البرقُ من مَحِيصِ

ومنها في المديح:

يَشفَعُ تَنويلُهُ بودٍّ شَفْعَ القياسات بالنصوصِ

وقال: [الكامل]

اللَّهُ أكبرُ أنتَ بَدْرٌ طالعٌ والنُّفعُ دَجْنٌ والكُمَاة نُجومُ
والجود أفلاكٌ وأنت مُدِيرُها وعدوّك الغاوي وهُنَّ رُجوم

وقال: [البسيط]

نزلت في آل مكحول وضيفُهُمُ كنازلٍ بَيْنَ سمع الأرضِ والبصرِ
لا تستضيء بضوء في بيوتهمُ ما لم يكن لك تَطْفِيلٌ على القمرِ

وسببهما أنه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجًا.

وقال نسيم الإسرائيلي: [المجتث]

يا ليتني كنتُ طيرًا أطيرُ حتى أراكا
بِمَنْ تَبَدَّلْتَ غيري أو لم تَحُلْ عن هواكا[4]

وهو شاعر وَشّاح من أهل إشبيلية، وذكره الحِجَاري في المسهب.

---

(١) في المغرب: «ومَقْنَع الكاسِبِ الحريصِ».
(٢) رواية عجز البيت في المغرب هي:

أَغْيَدَ تِبْرِيَّةِ القميصِ

والخَطْلاء: المسترخية الأذن.
(٣) رواية صدر البيت في المغرب: هي: أو أرسلوها وراءَ بَرْقٍ.
(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ٦٧): «غيري ولم تَحُلْ..».

وقال إبراهيم بن سهل الإسرائيلي في أصفر ارتجالاً[1]: [السريع]

كَانَ مُحَيَّاكَ لَه بهجة حتى إذا جاءكَ ماحي الجمالْ
أصبحتَ كالشمعةِ لَمَّا خَبَا منها الضياء أسود فيها الذُّبال[2]

وهو شاعر إشبيلية ووشّاحها، وقرأ على أبي علي الشلوبين وابن الدباج وغيرهما.

وقال العز في حقّه، وكان أظهر الإسلام ما صورته: كان يتظاهر بالإسلام، ولا يخلو مع ذلك من قدح واتّهام، انتهى.

وسئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم ابن سهل، فقال: لأنه اجتمع فيه ذُلاّنِ: ذلّ العشق، وذل اليهودية.

ولما غرق قال فيه بعض الأكابر: عاد الدّرّ إلى وطنه.

ومن نظم ابن سَهلْ المذكور قوله[3]: [الطويل]

وألْمى بقلبي منه جَمْرٌ مُؤَجَّجٌ تراه على خدَّيْهِ يندى ويبردُ
يسائلني: من أي دين؟ مداعبًا وشَمْل اعتقادي في هواه مُبَدَّدُ
فؤادي حنيفيّ، ولكنَّ مقلتي مجوسيّةٌ من خدّه النارَ تعبدُ

ومنه قوله[4]: [الكامل]

هذا أبو بكر يقود بوجهه جيشَ الفتور[5] مطرَّزَ الراياتِ
أَهدَى ربيعُ عذاره لقلوبنا حَرَّ المصيف فشَبَّهَا لَفَحَاتِ[6]
خَدٌّ جرى ماء النعيم بجمره فاسودَّ مجرى الماء في الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن عمر بن رشيد الفِهْرِي في رحلته الكبيرة القدر

---

(١) ترجمة ابن سهل الإسرائيلي في المغرب (جـ ١ ص ٢٦٩) واختصار القدح (ص ٧٣) وفوات الوفيات (جـ ١ ص ٢٠). والبيتان في ديوانه (ص ٧١).
(٢) في الديوان: «جنى» بدل «خبا». والذبال: جمع ذبالة وهي فتيلة المصباح.
(٣) ديوان ابن سهل (ص ٢٩).
(٤) ديوان ابن سهل (ص ٢٣).
(٥) في الديوان: «جيش الفنون».
(٦) في الديوان: «فشبَّ للوجنات».

والجرم المسماة بـ «مَلْء العَيْبة، فيما جُمع بطول الغيبة، في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيْبة» خلافًا في إسلام ابن سهل باطنًا، وكتب على هامش هذا الكلام الخطيبُ العلامة سيدي أبو عبد الله بن مرزوق ما نصُّه: صحّح لنا مَنْ أدركناه من أشياخنا أنه مات على دين الإسلام، انتهى.

ورأيت في بعض كتب الأدب بالمغرب أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أُنس، فسألوه لَمّا أخذت منه الراح عن إسلامه: هل هو في الظاهر والباطن أم لا؟ فأجابهم بقوله: للناس ما ظهر، ولله ما استتر، انتهى.

واستدلَّ بعضُهم على صِحّة إسلامه بقوله(1): [الطويل]

تسلَّيْتُ عن موسى بحبِّ محمد ... هُدِيتُ ولولا الله ما كنت أهتدي
وما عن قِلًى قد كان ذاك، وإنما ... شريعة موسى عُطِّلَتْ بمحمدِ

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب، حاز به قَصَب السَّبْق في النظم والتوشيح.

وما أحسن قوله من قصيدة(2): [الطويل]

تأمَّلْ لَظَى شوقي وموسى يَشُبُّها ... (تجدْ خير نارٍ عندها خيرُ مَوْقِدِ)

وأنشد بعضهم له قوله(3): [الطويل]

لقد كنت أرجو أن تكونَ مُواصلي ... فأسقيتني بالبعد فاتحة الرعدِ(4)
فبالله بَرْدْ ما بقلبي من الجوى ... بفاتحة الأعراف(5) مِنْ ريقك الشهدِ

وقال الراعي رحمه الله تعالى: سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن سمعة الأندلسي، رحمه الله تعالى، يقول: شيئان لا يَصِحّان: إسلام إبراهيم بن سهل، وتوبة الزمخشري من الاعتزال، ثم قال الراعي: قلت: وهما من(6) مروياتي، أما إسلام إبراهيم بن سهل فيغلب

---

(1) ديوان ابن سهل (ص ٣٢).
(2) ديوان ابن سهل (ص ٢٧).
(3) ديوان ابن سهل (ص ٣١).
(٤) فاتحة الرعد: يعني ابتداءها الذي هو: ألف، لام، ميم، راء، يعني (المر).
(٥) فاتحة الأعراف يعني ابتداءها: ألف، لام، ميم، صاد، أي (المص).
(٦) في طبعة دار صادر (ص ٥٢٤): «في مروياتي».

علي ظنّي صِحّته لعلمي بروايته، وأما الثاني - وهو توبة الزمخشري - فقد ذكر بعضهم أنه رأى رسمًا بالبلاد المشرقية محكومًا فيه يتضمّن توبة الزمخشري من الاعتزال فقوي جانب الرواية، انتهى باختصار.

وقال الراعي أيضًا ما نصُّه: وقد نكت الأديب البارع إبراهيم بن سهل الإِسرائيلي الأندلسي على الشيخ أبي القاسم في تغزّله حيث قال[1]: [الطويل]

أموسى، أيا بعضي وكلِّي حقيقة   وليس مجازًا قوليَ الكلَّ والبعضا
خفضتَ مكاني إذ جزمتَ وسائلي   فكيف جمعتَ الجزمَ عنديَ والخَفْضا

وفي هذا دليل على أن يهود الأندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية، فإنَّ إبراهيم قال هذين البيتين قبل إسلامه، واللَّه تعالى أعلم.

وقد روينا أنه مات مسلمًا غريقًا في البحر، فإن كان حقًّا فاللَّه تعالى رزقه الإسلام في آخر عمره والشهادة، انتهى.

ومن نظم ابن سهل في التوجيه باصطلاح النحاة قوله[2]: [الكامل]

رَقَّتْ[3] عوامله وأحسبُ رتبتي   بُنِيَتْ على خفض فلَنْ تتغيّرا

ومنه[4]:

تنأى وتدنو والتفاتُكَ واحدٌ   كالفعل يعمل ظاهرًا ومُقَدَّرَا

وقوله[5]: [الطويل]

إذا كان نَصْرُ اللّه وقفًا عليكُمُ   فإنَّ العدا التنوين يحذفه الوَقْفُ

وقوله[6]: [الخفيف]

---

(١) ديوان ابن سهل (ص ٥١).
(٢) ديوان ابن سهل (ص ٤٢).
(٣) هكذا في الديوان، وفي طبعة دار صادر (ص ٥٢٥): «رفعت».
(٤) ديوان ابن سهل (ص ٤٢).
(٥) ديوان ابن سهل (ص ٦٠).
(٦) ديوان ابن سهل (ص ٧٨). والبيت الأول لم يرد في طبعة عبد الحميد (ج ٣ ص ٧٠).

ليتني نلتُ منه وَصْلاً وأجلى[1] ذلك الوصلُ عن صباحِ المنونِ
وقرأنا بابَ المضافِ عناقًا وحَذَفْنا الرقيبَ كالتنوينِ

وقوله[2]: [الطويل]

بنيت بناء الحرف خامر طبعه فصرت لتأثير العوامل جازما[3]

وقوله[4]: [البسيط]

لك الثناءُ فإنْ يذكرْ سواك به يومًا فكالرابع المعهودِ في البدلِ[5]

يعني الغلط، وقوله[6] : [الطويل]

إذ اليأس ناجى النفسَ منك بلن ولا أجابتْ ظنوني ربما وعساني

وقوله[7]: [الطويل]

وقلت عساهُ إنْ أقمتُ يرقُّ لي وقد نَسَخَتْ «لا» عنده ما اقتضتْ «عَسَى»[8]

وقوله[9]: [السريع]

ينفي ليَ الحالَ ولكنه يُدْخِلُ لا في كلِّ مستقبلِ

وقوله[10]: [الطويل]

خفضتَ مقامي[11] إذ جزمْتَ وسائلي فكيف جمعتَ الجزم عنديَ والخفضا

---

(١) في الديوان: «وأجلت ليلة الوصل..».
(٢) ديوان ابن سهل (ص ٧٤).
(٣) هكذا في الديوان، وفي طبعة دار صادر (ص ٥٢٥): «فصار.. مانعا».
(٤) ديوان ابن سهل (ص ٧١).
(٥) البدل: بدل الغلط، أي أن اسم غيره يذكر في الثناء غلطًا.
(٦) ديوان ابن سهل (ص ٧٥).
(٧) ديوان ابن سهل (ص ٤٤).
(٨) في الديوان: «إن رحلت يرقّ.. ما دَعَتْ عسى».
(٩) الديوان (ص ٦٩).
(١٠) تقدم هذا البيت قبل قليل، وأشرنا إلى أنه في الديوان (ص ٥١).
(١١) في الديوان: «مكاني».

وقوله[1] في غلام شاعر[2]: [السريع]

كيف خلاصُ القلبِ من شاعرٍ　　رَقَّتْ معانيه عن النَّقْدِ
يصغرُ نشر الدّرّ عن[3] نشره　　ونظمُه جَلَّ عن العقد
وشعره الطائل في حسنه　　طال على النابغة الجَعْدِي

وحدّث أبو حَيّان عن قاضي القضاة أبي بكر محمد بن أبي النصر[4] الفتح بن علي الأنصاري الإشبيلي بغَرْنَاطة أنَّ إبراهيم بن سَهْل الشاعر الإشبيلي كان يهوديًا ثم أسلم، ومدح رسول الله ﷺ، بقصيدة طويلة بارعة؛ قال أبو حيان: وقفت عليها، وهي من أبدع ما نظم في معناها، وكان سنُّ ابن سهل حين غرق نحو الأربعين سنة، وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة، وقيل: إنه جاوز الأربعين، وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم، وما أحسن قوله[5]: [الطويل]

مضى الوصلُ إلاّ منيّة تبعث الأسى　　أُداري بها هَمِّي إذا الليل عَسْعَسَا
أتاني حديث الوصل زورًا على النوى　　أعِدْ ذلك الزورَ اللذيذَ المؤانِسا[6]
ويا أيها الشوق الذي جاء زائرًا　　أصَبْتَ[7] الأماني خُذْ قلوبًا وأَنْفُسا
كسانيَ مُوسَى من سقام جفونه　　رداءً وسَقَّاني[8] مِنَ الحبِّ أكؤسا

ومن أشهر موشّحاته قوله[9]:

ليل الهوى يقظان　　والحبُّ تِربُ السَّهَرِ
والصبر لي خوّان　　والنوم عن عيني بَرِي

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٧١): «قوله».
(٢) ديوان ابن سهل (ص ٣٢).
(٣) في الديوان: «من نثره».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٥٢٦): «أبي نصر».
(٥) ديوان ابن سهل (ص ٤٣).
(٦) في أصول النفح «المؤنسا» وهكذا ينكسر الوزن، وقد صوّبناه عن الديوان.
(٧) في الديوان: «وجدت».
(٨) في الديوان: «وأسقاني».
(٩) لم يرد ذلك في ديوان ابن سهل بتحقيق دار الكتب العلمية، وجاء في الديوان طبعة دار صادر (ص ٢٩٦).

وقد عارضه غيرُ واحد فما شَقُّوا له غبارًا.

وأما إبراهيم بن الفخار اليهودي(١) فكان قد تمكّن عند الأذفوش ملك طُلَيْطلة النصراني، وصيّره سفيرًا بينه وبين ملوك المغرب، وكان عارفًا بالمنطق والشعر؛ قال ابن سعيد: أنشدني لنفسه أديبًا مسلمًا كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويسفر بين الملوك، ولم يزده على ما كان يعامله به من الإذلال، فضاق ذَرْعُ ابن الفخار وكتب إليه: [الطويل]

أيا جاعلاً أمرين شِبْهين ما له ... من العقلِ إحساسٌ به يتفقّدُ
جعلتَ الغنى والفقر والذلَّ والعُلا ... سواءً فما تنفكُّ تشقى وتجهدُ
وهل يستوي في الأرض نَجْد وتَلْعة(٢) ... فتطلب تسهيلاً وسيرك مُصْعِدُ
وما كنتَ ذا مَيْز لمن كنتَ طالبًا ... بما كنتَ في حال الفراغ تعوَّدُ
وقد حال ما بيني وبينكَ شاغلٌ ... فلا تطلبنّي بالذي كنتَ تعهدُ
فإن كنت تأبى غير إقدام جاهلٍ ... فإنكَ لا تنفكُّ تُلْحَى وتُطْرد
ألاَ فأتِ في أبوابه كلَّ مسلك ... ولا تَكُ محلاً حيثما قمتَ تقعدُ

قال ابن سعيد: وأنشدني لنفسه: [الطويل]

ولَمَّا دَجا ليلُ العِذارِ بخدِّه ... تَيَقَّنْتُ أنَّ الليلَ أخْفَى وأستَرُ
وأصبح عُذّالي يقولون صاحبٌ ... فأخلو به جَهْرًا ولا أتستَّرُ

وقال يمدح الأذفونش لعنهما الله تعالى(٣): [المديد]

حَضْرَةُ الأَذْفُنْشِ لا بَرِحَتْ ... غَضَّةً(٤) أيامُها عُرُسُ
فاخْلَعِ النَّعْلَيْنِ تَكْرِمَةً ... في ثَراها إنها(٥) قُدُسُ

---

(١) هو أبو إسحق إبراهيم بن فخار اليهودي، طبيب ساد في طليطلة، وصار رسولاً من ملكها النصراني أذفونش إلى أئمة بني عبد المؤمن بحضرة مراكش. كان متفننًا في الشعر ومعرفة العلوم القديمة والمنطق. المغرب (ج ٢ ص ٢٣).

(٢) التلعة: ما انخفض من الأرض.

(٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ٢٣).

(٤) في أصول النفح: «غادة» والتصويب عن المغرب.

(٥) كلمة «إنها» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ٧٢).

قال: وأدخلوني إلى بستان الخليفة المستنصر، فوجدته في غاية الحسن كأنه الجنّة، ورأيت على بابه بوّابًا في غاية القبح، فلمّا سألني الوزير عن حال فرجتي قلت: رأيت الجنّة إلاّ أني سمعت أنّ الجنّة يكون على بابها رضوان، وهذه على بابها مالك، فضحك وأخبر الخليفة بما جرى، فقال له: قُلْ له إنّا قصدْنا ذلك، فلو كان رضوان عليها بوّابًا لخشيْنا أن يردّه عنها، ويقول له: ليس هذا موضعك، ولَمّا كان هناك مالك أدخله فيها، وهو لا يدري ما وراءه، ويخيّل أنها جهنّم، قال: فلمّا أعلمني الوزير بذلك قلت له:﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حيثُ يجعلُ رسالاتَهُ﴾[1].

وكان في زمان إلياس بن المدور اليهودي[2] الطبيب الرُّنْدِي طبيب آخر كان يجري بينهما من المُحَاسدة ما يجري بين مشتركين في صنعة، فأصلح الناسُ بينهما مرارًا، وظهر لإلياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفِّر الناس منه فكتب إليه[3]: [الكامل]

لا تَـخْـدَعَـنَّ فـمـا تـكـون مَـوَدَّةٌ   ما بـيـن مُـشْـتَـرِكَـيـنِ أَمْرًا واحِدا
أنْظُرْ إلى القمرين حين تشارَكَا   بسَنَاهُما كان التلاقي فاسِدا[4]

يعني أنهما معًا لما اشتركا في الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة: هذا يطلع ليلاً وهذه تطلع نهارًا، واعتراضهما يوجب الكسوف.

وكتب أيوب بن سليمان المرواني[5] إلى بسام بن شمعون اليهودي الوَشْقي في يوم مَطِير: لَمَا كنتَ - وَصَل اللّه تعالى إخاءك وحفظك! - مطمَحَ نفسي، ومنتزع[6] اختياري من أبناء جنسي، على جوانبك أميل، وأرتع في رياض خُلقك الجميل، هزّتني خواطرُ الطربِ والارتياح، في هذا اليوم المطير، الداعي بكاؤه إلى ابتسام الأقداح، واستنطاق البمِّ

---

(١) سورة الأنعام ٦، الآية: ١٢٤.
(٢) ترجم له ابن سعيد في المغرب (جـ ١ ص ٣٣٦) باسم: «إلياس بن صدود اليهودي الطبيب» وقاله إنه كان في صدر المائة السادسة.
(٣) البيتان في المغرب.
(٤) في أصول النفح: «واحدا» والتصويب عن المغرب.
(٥) هو أيوب بن سليمان السهيلي، من ولد سهيل بن عبد العزيز بن مروان، كان بقرطبة يخدم ابن الحاج، توفي في المائة الخامسة. المغرب (جـ ١ ص ٦٠).
(٦) في طبعة دار صادر (ص ٥٢٩): «ومنزع».

والزير[1]، فلم أرَ مُعِينًا على ذلك، ومُبَلِّغًا إلى ما هنالك، إلاّ حسن نظرك، وتجشُّمك من المكارم ما جرت به عادتك، وهذا يوم حرمَ الطرف فيه الحركة، وجعل في تركها الخير والبركة، فهل توصل مكرمتك أخاك إلى التخلّي معك في زاوية؟، متّكئًا على دَنٍّ مستندًا إلى خابية، ونحن خِلاَلَ ذلك نتجاذب أهدابَ الحديث التي لم يبق من اللذات إلاّ هي[2]، ونُجِيل الألحاظ فيما تعوّدت عندك من المحاسن والأسماع في أصناف الملاهي، وأنت على ذلك قدير، وكرمُكَ بتكلُّفه جَدير: [السريع]

ولا يـعـيـنُ الـمـرء يـومًـا عـلـى ... راحــتــه إلاّ كــريــم الــطــبــاع
وهـا أنـا والـسـمـع مـنـي إلـى الـ ... ـبـاب وذو الشوق حليف استماع
فـإنْ أتـى داعٍ بـنَـيْـلِ الـمُـنَـى ... وَدَّعَ أشـجـانـي ونـعـم الـوداع

وهذا المرواني من ذرِّيَة عبد العزيز أخي عبد الملك بن مروان، وهو من أهل المائة السادسة.

وكانت بالأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، وكان أبوها شاعرًا، واعتنى بتأديبها، وربما صنع من الموشحة قسمًا فأتمتها هي بقسم آخر، وقال لها أبوها يومًا: أجيزي: [الكامل]

لي صاحبٌ ذو بهجةٍ[3] قد قابلتْ ... نُعْمَى بظلمٍ واستحلَّتْ جُرْمَها

ففكرت غير كثير وقالت: [الكامل]

كالشمس منها البدرُ يَقْبِسُ نورَهُ ... أبدًا ويكسفُ بعد ذلك جِرْمَها

فقام كالمُخْتَبَل، وضمّها إليه، وجعل يقبِّلُ رأسها، ويقول: أنت والعشر كلمات أشعر مني.

ونظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوّج[4] ولم تتزوّج فقالت: [الطويل]

---

(١) البمّ والزير: من أسماء أوتار العود.
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٥٢٩): «الذي لم يبق.. إلاّ هو».
(٣) في الطبعة نفسها: «مهجة».
(٤) في الطبعة نفسها: «التزويج».

أرى رَوْضَةً قد حان منها قِطَافُهَا ... ولسْتُ أرى جانٍ[1] يمدّ لها يَدَا
فوا أسفا يمضي الشبابُ مُضيّعًا ... ويبقى الذي ما إنْ أُسَمِّيهِ مفردا

فسمعها أبوها، فنظر في تزويجها.

وقالت في ظبية عندها: [الكامل]

يا ظبيةً تَرْعَى بروضٍ دائمًا ... إني حكيتكِ في التوحُشِ والحَوَرْ
أمسى كِلانا مفردًا عن صاحبٍ ... فلنصطبرْ أبدًا على حكم القَدَرْ

واستدعى أبو عبد اللّه محمد بن رشيق القَلْعِي ثم الغَرْنَاطي[2] بعضَ أصحابه إلى أُنس، بقوله: [مجزوء الرمل]

سيدي عندِيَ أُتْرُجْـ ... ـجٌ ونارَنْجٌ وراحُ
وجَنى آسٍ وزَهْرٍ ... وحِمانا لا يُبَاحُ
ليس إلاّ مُطْرِبٌ يُسْـ ... ـلي النَّدامى، والملاحُ
ومكانٌ لانهِتَاكٍ ... قد نأى عنه الفلاحُ
لا يُرَى يَطْلُعُ فيه ... دون أكواسٍ صباحُ
فيه فتيانٌ لهم في ... لذّة العيشِ جِمَاحُ
طرحوا الدنيا يَسارًا ... فاستراحتْ واستراحوا
لا كقومٍ أوجعتْهُمْ ... لهمُ فيها نُباح

وله: [المجتث]

قال العذولُ: إلى كم ... تَدْعُو لمن لا يجيبُ
فقلتُ: ليس عجيبًا ... أن لا يجيبَ حبيبُ
هوّنْ عليك فإني ... مِنْ حُبِّه لا أتوبُ

قال أبو عمران ابن سعيد: دخلت عليه وهو مسجون بدار الأشراف بإشبيلية، وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذّات نفسه، فلمّا لمحني أقبل

---

(١) أصل القول: «جانيًا» مفعول به لفعل «أرى»، وجاءت هكذا لكي لا ينكسر الوزن.
(٢) ترجمة أبي عبد اللّه محمد بن رشيق في المغرب (ج ٢ ص ١٨٠).

يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الطريفة[1]، فقلت له: قالوا: إنك أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار، وما أحسبك إلاَّ زدتَ على هذا العدد لما أراك فيه من المسرّة والاستبشار، فزاد ضاحكًا، وقال: يا أبا عمران، أتراني إذا لزمت الهَمَّ والفكر يرجع عليَّ ذلك العدد الذي أفسدت؟ ثم فكر ساعة وأنشدني[2]: [الخفيف]

ليس عندي من الهموم حديثٌ ... كلما ساءني الزمانُ سُرِرْتُ[3]
أتراني أكونُ للدهر عَوْنًا ... فإذا مَسَّني بضرّ ضَجِرْتُ
غَمْرَةٌ ثم تنجلي فكأني ... عند إقلاع هَمِّها ما ضُرِرْتُ

وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القَلْعي[4]: [الطويل]

بَدَا أَلِفُ التعريفِ في طِرْسِ خدِّه ... فيا هل تراهُ بَعْدَ ذاك[5] يُنَكَّرُ
وقد كان كافورًا فهل أنا تاركٌ ... له عند ما حيّاهُ مِسْكٌ وعَنْبَرُ[6]
وما خيرُ روضٍ لا يَرِفُّ نباتُهُ ... وهل أفتَنُ الأثوابِ إلاَّ المُشَهَّرُ[7]

وقال: [الوافر]

أبَى لي أنْ أقولَ الشعرَ أني ... أحاولُ أن يفوقَ السحرَ شِعْرِي
وأن يُصْغي إليه كلُّ سَمْعٍ ... ويعلَقُ ذكرُهُ في كلِّ صَدْرِ

قال الحِجَاري: أخبرني أنه أحبَّ أحَدَ أولاد الأعيان مِمَّنْ كان يقرأ عليه، فلمَّا خلا به شكا إليه ما يجده، فقال له: الصبيان يفطنون بنا، فإذا أردت أن تقول شيئًا فاكتبْه لي في ورقة، قال[8]: فلمّا سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منّي فيه، وكتبت له: [الكامل]

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٧٦): «الظريفة».
(٢) الأبيات في المغرب (جـ ٢ ص ١٨٠).
(٣) في المغرب: «سَدِرْتُ».
(٤) ترجمة لب بن عبد الوارث في المغرب (جـ ٢ ص ١٨٠) وبغية الوعاة (ص ٣٨٣) وأبياته الأولى في المصدرين المذكورين.
(٥) في المغرب: «ذلك».
(٦) في المغرب: «له بعد ما حيّاه..». وفي البغية: «له بعد ما حيّاك».
(٧) في المصدرين السابقين: «وهل أحسن..».
(٨) كلمة «قال» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ٧٦).

يا مَنْ له حُسْنٌ يفوقُ به الوَرَى صِلْ هائمًا قد ظَلَّ فيك مُحَيَّرَا
وامنن عليَّ بِقُبْلَةٍ أو غَيْرِها إن كنتَ تطمعُ في الهوى أن تؤجَرا

وكتبتُ بعدها من الكلام ما رأيته، فلمّا حصلت الورقة عنده كتب إليَّ في غيرها: أنا من بيتٍ عادةُ أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول، وإنما أردتُ أن يحصل عندي خطكَ شاهدًا على ما قابلتني به لئلاً أشكوك إلى أبي فيقول لي: حاش للّه أن يقع الفقيه في هذا، وإنما أنت خبيث، رأيته يطالبكَ بالتزام الحفظ فاختلقت عليك لأخرجك من عنده، فأبقى معذَّبًا معك ومعه، وإن أنا أوقفته على خطّك صدَّقني واسترحت، ولكن لا أفعل هذا إن كَفَفْتَ عني[1]، وإن انتهيت فلا أُخبر به أحدًا، قال ابن عبد الوارث: فلمّا وقفت على خطّه علمْتُ قدر ما وقعت فيه، وجعلت أرغب إليه في أن يردَّ الرقعة إليَّ، فأبى وقال: هي عندي رَهن على وفائك بأن لا ترجع تتكلّم في ذلك الشأن، قال: فكان واللّه يبطل القراءة فلا[2] أجسر أكلّمه؛ لأني رأيت صيانتي وناموسي قد حصل في يده، وتُبْتُ من ذلك الحين عن هذا وأمثاله.

وقال جابر بن خلف الفَحْصي. وكان في خدمة عبد الملك بن سعيد، وقرأ مع أبي جعفر بن سعيد وتهذّب معه. يخاطبه حين عاثت الذئاب في غَنَمه: [المتقارب]

أيا قائدًا قد سَمَا في العُلاَ وسادَ علينا بذاتٍ وجَدْ
غدا الذئبُ في غَنَمي عائثًا وقد جئتُ مستعديًا بالأَسَدْ

وكثر عليه الدين، فكتب إليه أيضًا: [مجزوء الوافر]

أفي أيامِكَ الغُرِّ أموتُ كذا من الضُّرِّ
وأخبطُ في دُجى هَمِّي وَوجْهُكَ طلعةُ الفَجْرِ

فضحك وأدّى دينه.

ولَمَّا خلع أهلُ ألمَرِيَة طاعةَ عبد المؤمن، وقتلوا نائبه ابن مخلوف، قدّموا عليهم أبا يحيىٰ بن الرميمي[3]، ثم كان عليه من النصارى ما علم، ففرَّ إلى مدينة فاس، وبقي بها

---

(١) في طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٥٣٣): «لا أفعل هذا إلاّ إذا لم تنته عنّي..».
(٢) في الطبعة نفسها والصفحة نفسها: «ولا أجسر..».
(٣) ترجمة أبي يحيىٰ بن الرميمي في المغرب (جـ ٢ ص ١٩٨).

ضائعًا خاملاً، يسكن في غرفة، ويعيش من النسخ، فقال: [السريع]

أمسيتُ بَعْدَ المُلْك في غرفةٍ ضَيِّقةِ الساحَةِ والمدخلِ
تستوحشُ الأرزاقُ من وجهها فما تزال الدَّهرَ في معزل
النسخُ بالقوتِ لديها ولا تقرعها كفُّ أخٍ مُفْضِلِ

وأنشدها لبعض الأدباء، فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج إذا[1] بالباب يُقرَعُ، ففتحه، فإذا شخص متنكّر لا يعرفه، وقد مَدَّ يده إليه بصُرَّة فيها جملة دنانير، وقال: خُذْها من كف أخ لا يعرفك ولا تعرفه، وأنت المفضل بقبولها، فأخذها، وحَسُن بها حاله.

وقال له بعضٌ: هذا شعرك أيام خلعك، فهل قلت أيام أمرك؟ قال: نعم، لَمَّا قَتَل أهلُ ألْمَرية ابنَ مخلوف عامل عبد المؤمن وأكرهوني أن أتولّى أمرَهم قلت: [الوافر]

أرى فِتَنَاً تَكَشَّفَ عن لظاها رمادٌ بالنفاقِ له انصداعُ
وآلَ بها النظامُ إلى انتشارٍ وساد بها الأسافلُ والرعاعُ
سأحملُ كرَّ ما جُشِّمْتُ منها بصدرٍ فيه للهَوْل اتّساعُ

وأصل بني الرميمي من بني أمية ملوك الأندلس، ونُسبوا إلى رميمةَ قريةٍ من أعمال قرطبة.

وقال أبو بحر يوسف بن عبد الصمد[2]: [الكامل]

فوصلْتُ أقطارًا لغير أَحِبَّةٍ[3] ومَدَحْتُ أقوامًا بغير صِلاَتِ
أموالُ أشعاري نَمَتْ فتكاثرتْ فجعلتُ مدحي للبخيل زكاتي

وهذا من غريب المعاني.

---

(١) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ٧٨): «وإذا».

(٢) ترجمة يوسف بن عبد الصمد في الذخيرة (ق ٣ ص ٨٠٩) والمغرب (جـ ٢ ص ٢٠٣). وذكره ابن خاقان في القلائد (ص ٣٠) وأورد له مرثية في المعتمد بن عباد، وكنّاه أبا بكر. والبيتان في الذخيرة (ص ٨١٠).

(٣) في الذخيرة: «محبة».

وفي بني عبد الصمد يقول بعض أهل عصرهم، لَمّا رأى من كثرة عددهم، والتئامهم[1] بالسلطان: [الرمل]

مـلأتْ قـلـبي هُـمُـومًـا مـثـل مـا ... مـلأ الـدنـيـا بـنـو عـبـد الـصَّـمَـدْ
كـاثَـرَ الـشـيـخُ أبـوهـم آدمًـا ... فـغـدا أكـثـرَ نـسـلاً وولـدْ
كـلُّـهـم ذئـبٌ إذا آمـنـتـه ... والرعايا بَيْنهم مثلُ النَّقَدْ[2]

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس[3] وزير زهير الصقلبي[4] ملك ألْمرِية بذّ الناسَ في وقته بأربعة أشياء: المال، والبخل، والعُجب، والكتابة؛ قال أبو حيان: وكان قبل مِحْنَتِه صَيَّر هِجِّيراه[5] أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت: [المتقارب]

عـيـونُ الـحـوادثِ عـنّـي نـيـامْ ... وهضمي على الدهر شيءٌ حرامْ

وذاع هذا البيتُ في الناس حتى قلب له مصراعه الأخير بعضُ الأدباء فقال:

سَـيُـوقِـظُـهَـا قَـدَرٌ لا يـنـامْ

وكان حسنَ الكتابة، جميل الخطّ، مليح الخطاب، غزير الأدب، قوي المعرفة، مشاركًا في الفقه، حاضر الجواب، جَمَّاعًا للدفاتر، حتى بلغت أربعمائة ألف مجلّد، وأمّا الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها، وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك، وكان مقتله بيد باديس بن حَبُّوس[6] مَلك غَرْنَاطة، وكفى دليلاً على إعجابه قولُه: [الخفيف]

لـيَ نَـفْـسٌ لا تـرتـضـي الـدَّهْـرَ عـمْـرًا ... وجـمـيـعَ الأنـامِ طُـرًّا عـبـيـدَا
لـو تـرقَّـتْ فـوق الـسِّـمـاكِ مـحـلاً ... لـم تـزلْ تـبـتـغـي هـنـاك صُـعُـودا

---

(١) في طبعة دار صادر (جـ ٣ ص ٥٣٥): «والتباسهم».
(٢) النَّقد، بالفتح: نوع من الغنم قبيح الشكل صغير الأرجل.
(٣) ترجمة أبي جعفر أحمد بن عباس وأخباره في الذخيرة (ق ١ ص ٦٥٦ وما بعدها) والمغرب (جـ ٢ ص ٢٠٥) والبيان المغرب (جـ ٣ ص ٢٩٣ وصفحات أخرى متفرقة) والإحاطة (جـ ١ ص ٥١٨ وما بعدها).
(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ٧٩): «الصقلي».
(٥) هِجِّيراه: عادته ودَيْدَنُهُ.
(٦) تفصيل الخبر عن مقتله في الذخيرة والبيان المغرب والإحاطة.

أنا مَن تعلمون شَيَّدْتُ مجدي في مكاني ما بين قومي وليدا

وكان يُتهَّم بداء أبي جهل[1] فيما ينقل، حتى كتب بعضُ الأدباء على برجه بألْمَرِية: [السريع]

خلوتَ بالبرج فما الذي تصنعُ فيه يا سخيفَ الزمانِ

فلما نظر إليه أمر أن يُكتَبَ:

أصنعُ فيه كلَّ ما أشتهي وحاسدي خارجَهُ في هَوَانِ

وكان الأعمى التطيلي شاعرًا مشهورًا، وكان الصبيان يقولون له «تحتاج كحلاً يا أستاذ» فكان ذلك سبب انتقاله من مُرْسِية، وقيل له: يا أبا بكر، كم تقع في الناس؟ فقال: أنا أعمى، وهم لا يبرحون حُفَرًا فما عذري في وقوعي فيهم؟ فقال له السائل: واللّه لا كنتُ قطُّ حفرة لك، وجعل يواليه بِرَّه ورِفْدَه.

ومن شعره: [المتقارب]

وجوهٌ تعزُّ على مَعْشرٍ ولكنْ تهونُ على الشاعرِ
قُرُونُهُمُ مثلُ ليلِ المُحِبِّ وليلُ المُحِبِّ بلا آخرِ[2]

وله[3]: [مخلع البسيط]

زنجيُّكم بالفُسُوقِ داري يُدْلي من الحِرْصِ كالحمارِ
يخلو بنَجْلِ الوزيرِ سِرًّا فيولجُ الليلَ في النهارِ

ومن شعر أبي جعفر أحمد بن الخيال الإستبي[4] كاتب ابن الأحمر فيمن اسمه «فضل اللّه»: [الطويل]

---

(١) داء أبي جهل: الأُبْنَة وهي علّة معروفة أو العيب والنقيصة.

(٢) يريد أن يقول إنّ قرونهم طويلة، وهذا كناية عن أنهم لا يحمون نساءهم وأعراضهم، ولا يأبهون لما أصابها من تلويث.

(٣) البيتان في المغرب (جـ ١ ص ٢٣١) وجعلهما ابن سعيد لأبي بكر محمد الأعمى المخزومي المعروف ببشار الأندلس.

(٤) ترجم ابن سعيد في اختصار القدح (ص ٦٦) لأبي عبد اللّه بن الخيال وقال: هو من إستجة من حصون قرطبة، كان بإشبيلية أيام استحواذ ابن الأحمر عليها، وأورد له البيتين التاليين.

من الناس مَنْ يُؤْتَى بِنَقْدٍ، ومنهُمُ بِكَرْهٍ، ومنهُم مَنْ يناك إذا انْتَشَى
ومنهم فتى يُؤْتَى على كل حالةٍ وذلك فضلُ اللَّه يُؤْتيه مَنْ يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن[1]: [الخفيف]

ما حَمِدْناك إذ وقفْنا ببابِكْ للذي كان من طويل حِجابِكْ
قد ذَمَمْنا الزمانَ فيك فقلْنا أَبْعَدَ اللَّهُ كلَّ دهرٍ أتى بكْ

وقال في «المسهب»: كنت بمجلس القاضي ابن حمدين، وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها، وفي الجملة هلال شاعر غَرْنَاطة، ومحمد بن الأستجي شاعر إستجة الملقب بزحكون، فقام الإستجي وأنشده[2] قصيدة، منها: [الطويل]

إليك ابنَ حمدينَ انتخلْتُ قصائِدًا بها رَقَصَتْ في القُضْب وُرْقُ الحَمائمِ
أنا العبدُ لكنْ بالمودَّة أُشْتَرَى إذا كان غيري يُشْتَرَى بالدراهمِ

فشكره ابنُ حمدين، ونَبَّه على مكان الإحسان، فحسده هلال البياني على ذلك، فلمّا فرغ من القصيدة قال له هلال: أعِدْ عليَّ البيتَ الذي فيه «رقص الحمام» فأعاده، فقال له: لو أزلتَ النقطة عن الخاء كنتَ تصدق[3]، فقال له في الحين: ولو أزلتَ النقطعة عن العين كنتَ تحسن.

وكانت على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب، وعمل فيه.

ولما قال المقدم بن المعافى[4] في رثاء سعيد بن جودي[5]: [السريع]

---

(١) هو عبد الملك بن سعيد المرادي الخازن، رئيس أديب شاعر. ترجمته وبيتاه في جذوة المقتبس (ص ٢٨٥) وبغية الملتمس (ص ٣٨٠) والمغرب (جـ ١ ص ٢٣٢). وأورد له في اليتيمة (جـ ٢ ص ١٠ - ١١) أشعارًا له. وفي رواية البيتين في المصادر المذكورة بعض اختلاف عمّا هنا.

(٢) في طبعة دار صادر (ص ٥٣٧): «وأنشد».

(٣) يريد «انتحلت» أي سرقت.

(٤) هو مقدّم بن معافى القبري، شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر. جذوة المقتبس (ص ٣٥٥) وبغية الملتمس (ص ٤٧٥).

(٥) هو سعيد بن سليمان بن جودي السعدي، أبو عثمان. وترجمته في الحلة السيراء (جـ ١ ص ١٥٤). وبيتا مقدم بن معافى في المصدر المذكور (ص ١٥٦ - ١٥٧).

مَنْ ذا الذي يُطْعِمُ أو يكسو وقد حَوَى جِلْفَ الندى رَمْسُ
لا اخْضَرَّتِ الأرضُ ولا أورق الـ ـعودُ ولا أشرقتِ الشمسُ
بعد ابن جُودِيِّ الذي لن ترى أكرمَ منه الجنُّ والإنسُ

فقيل له: أترثيه وقد ضربك؟ فقال: إنه نفعني حتى بذنوبه، ولقد نهاني ذلك الأدب عن مضار جمّة كنتُ أقع فيها على رأسي، أفلا أرعى له ذلك؟ واللّه ما ضَرَبني إلاّ وأنا ظالم له، أفأبقى على ظلمي له بعد موته؟

وقيل له: لم لا تهجو مؤمن بن سعيد؟ فقال: لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها.

وقال أبو مروان عبد الملك بن نظيف[1]: [المجتث]

لا أشربُ الراحَ إلاّ مَعْ كلِّ خِرْقٍ[2] كريمْ
ولستُ أعْشَقُ إلاّ ساجي الجفون رخيمْ

ومدح هلال البياني ابنَ حمدين بقصيدة أولها: [الكامل]

عَرِّجْ على ذاك الجنابِ العالي واحكمْ على الأموالِ بالآمالِ
فيه ابنُ حَمْدينَ الذي لِنَوَالِهِ مِنْ كلِّ أرضٍ شَدُّ كلِّ رحال

فقال له القاضي: ما هذا الوثوب على المدح من أوّل وَهْلَة، ألاَ تدري أنهم عابوا ذلك، كما عابوا الطول أيضا؟ وأن الأولى التوّسط؟ فقال[3]: يا سيدي، اعذرني بما لك في قلبي من الإجلال والمحبّة، فإني كلّما ابتدأت في مدحك لم يتركني غرامي في اَسمك إلى أن أتركه عند أول بيت، فاستحسن ذلك منه، وأحسن إليه.

ومن هذه القصيدة:

قاضٍ مُوَالٍ بِرّهُ ونوالَهُ فله جميعُ العالمين مَوَالي

وكان يهوى وَسيمًا من متأدّبي قرطبة، فصنع فيه شعرًا أنشده منه: [البسيط]

---

(١) ترجمة عبد الملك بن نظيف الإستجي في جذوة المقتبس (ص ٢٨٧) وبغية الملتمس (ص ٣٨٢).
(٢) الخِرْق: الفتى الكريم الظريف. لسان العرب (خرق).
(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ٨٢): «فقال له».

وكَلْتَ عيني بِرَعْي النجمِ في الظُّلَمِ   وعَبْرَتِي قد غَدَتْ ممزوجةً بدمِ

فقال له الغلام: أنت لا تبرح بكوكب من عينك ليلاً ولا نهارًا، وعاشقًا وغير عاشق، فخجل هلال، وكان على عينه نقطة.

وحكى ابن حيان أنَّ الأمير عبدَ الرحمن[1] عثرت به دابتُه وهو سائر في بعض أسفاره، وتطأطأت، فكاد يكبو لِفِيه، ولحقه جزع، وتمثّل إثره بقول الشاعر: [الطويل]

وَمَا لا تـرى مِـمّـا يَـقِـي الـلّـهُ أكـثَـرُ

وطلب صدر البيت فعزب عنه، وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه إلاّ الكاتب محمد بن سعيد الزجالي، وكان يلقب بالأصمعي لذكائه وحفظه، فأنشد الأمير:

تَـرَى الـشـيء مِـمَّـا يُـتَّـقـى فـتـهـابُـهُ

فأعجب الأمير، واستحسن شكله، فقال له: الزم السرداق. وأعقب ابنًا يسمى حامدًا. وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في مجلس فيه رؤساء، فعُرض عليهم فرس مطهَّم، فتمثّل فيه عبد الواحد بقول امرىء القيس[2]: [الطويل]

بَرِيدَ السُّرَى بالليلِ مِنْ خَيْلِ بربرا

ففهم الزجالي بأنه عرض بأنه من البربر، فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب، فقال مدبِّجًا لما أراده ومعرِّضًا: أحسن عندي من ليل يسري بي فيه على مثل هذا يوم على الحال التي قال فيها القائل: [الطويل]

ويَوْمٍ كظلِّ الرمحِ قَصَّرَ طولَهُ   دمُ[3] الزِّقِّ عنّا واصطفاق المزاهرِ

وإنّما عرّض للإسكندراني بأنه كان يشهد مجالس الراحات في أول أمره ومعرفة الغناء، فقلق الوزير، وشكاه إلى الحاجب عيسى بن شُهَيد، فاجتمع مع الزجالي وأخذ معه في ذلك، فحكى له الزجالي ما جرى من الأول إلى الآخر، وأنشد: [الطويل]

---

(١) هو عبد الرحمن الثاني أمير الأندلس، وقد وردت هذه الحكاية في المغرب (جـ ١ ص ٣٣٠) في ترجمة محمد بن سعيد الزجالي، وورد فيه أيضًا البيت الشعري. وسيرد هذا البيت في الجزء التاسع ببعض الاختلاف عمّا هنا، وهو لمجهول.

(٢) هو عجز بيت وصدره هو: على كلِّ مَقْصُوص الذُّنابى معاوِد.

(٣) دَمُ الزِّقّ: الخمر.

وما الحُرُّ إلاَّ مَنْ يَدِينُ بمثل ما يُدَانُ ومَنْ يخفي القبيح ويُنْصِفُ
هُمْ شرعوا التعريضَ قَذْفًا فعندما تبعناهُم لاموا عليه وَعنَّفُوا

ومن نوادر ابنه حامد أنه غلط أمامه في قوله تعالى ﴿الزانيةُ والزاني﴾[1] بأن قال «فانكحوهما» فأنشده حامد[2]: [مجزوء الرمل]

أبْدَعَ القارىء مَعْنًى لم يكنْ في الثَّقَلَيْنِ
أَمَرَ الناسَ جميعًا بِنِكاحِ الزانِيَيْنِ

وقال لبعض أصحابه حينئذ: أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل الحدود؟ وتضاحكا.

وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز إلى المنصور صاحب بَلَنْسية، ويُعْرَفُ بالمنصور الصغير، قطعةً أولُها[3]: [البسيط]

يا أحْسَنَ الناسِ آدابًا وأخلاقًا وأكْرَمَ الناسِ أغصانًا وأوراقا
ويا حَيَا الأرضِ لِمْ نكَّبْتَ عن سَنَني[4] وسُقْتَ نحويَ إرعادًا وإبراقا
ويا سَنَا الشمس لِمْ أظلمتَ في بصري وقد وَسِعْتَ بلادَ اللّه إشراقا
مِنْ أيّ بابٍ سَعَتْ غِيَرُ الزمان إلى رحيبِ صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنتُ أحسبني في[5] حُسْنِ رأيك لي أني أخذتُ على الأيام ميثاقا
فالآن لم يبقَ لي بعدَ انحرافكَ ما آسَىٰ عليه وأُبدي منه إشفاقا

فأجابه بهذه القطعة: [البسيط]

ما زلتُ أُوليك إخلاصًا وإشفاقًا وأنثني عنك مَهْمَا غِبْتَ مشتاقا
وكان من أملي أن أقتنيك أخًا فأخفقَ الأملُ المأمولُ إخفاقا

---

(١) سورة النور ٢٤، الآية: ٢.
(٢) البيتان في المغرب (ج ١ ص ٣٣١).
(٣) هذه القطعة والتي بعدها مع النص النثري في مطمح الأنفس (ص ١١ - ١٣).
(٤) نَكَّبَ عن سننه: حاد عن طريقه. لسان العرب (نكب).
(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ٨٤): «من حسن».

فقلت غرسٌ من الإخوانِ أكلؤه حتى أرى منه أثماراً وأوراقا[1]
فكان لَمَّا زَهَتْ أزهارُهُ ودَنَتْ أثمارُها حَنْظَلاً مُرًّا لمن ذاقا[2]
فلستَ أوّلَ إخوانٍ سقيتُهُمُ صفوي وأعلقْتُهُمْ بالقلب إعلاقا
فما جَزَوْني بإحساني ولا عَرَفُوا قَدْري ولا حفظوا عهدًا وميثاقا

والوزير المذكور قال في حقه في المطمح: إنه وزير المنصور بن عبد العزيز، ورَبُّ السبق في ودّه والتبريز، ومُنقِض الأمور ومُبرِمُها، ومخمِدُ الفتن ومُضرمها، اعتقل بالدَّهي، واستقلَّ بالأمر والنهي، على انتهاض بين الأكفاء، واعتراض المحو لرسومه والإعفاء، فاستمرَّ غَيْرَ مراقب، وأمر ما شاء غير ممتثل للعواقب، ينتضي عزائم تنتضى، فإن ألمتْ من الأيم مظلمة أضا، إلى أن أوْدَى، وغار منه الكوكبُ الأهدى، فانتقل الأمر إلى ابنه أبي بكر، فناهيك من أي عُرف ونُكر، فقد أربى على الدُّهَاة، وما صبا إلى الظبية والمَهَاة[3]، واستقلَّ بالهول يقتحمه، والأمر يسديه ويلحمه، فأيَّ نَدَى أفاض، وأيَّ أجنحة بمدّى هَاض، فانقلاب إليه الآمال بغير خطام، ووردت من نداه ببحرِ طام، ولم يزل بالدولة قائمًا، ومُوقِظًا مِنْ بهجتها ما كان نائمًا، إلى أن صار الأمر إلى المأمون بن ذي النون أسَدِ الحروب، ومَسَدُّ الثغور والدرُوب، فاعتمد عليه واتّكل، ووكل الأمر إلى غير وَكِلْ، فما تعدّى الوزارة إلى الرياسة، ولا تردَّى بغير التدبير والسياسة، فتركه مستبدًّا، ولم يجد من ذلك بدًّا.

وكان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة، وآراء لم تكن آفلة، أدرك بها ما أَحَبَّ، وقطع غاربَ كل منافس وجَبَّ، إلى أن طَلَّحَه العمر وأنضاه، وأغمدَهُ الذي انتضاه، فخلا الأمر إلى ابنيه، فتلّبدا في التدبير، ولم يفرقا بين القَبيل والدَّبير، فغلب عليهما القادرُ بن ذي النون، وجلب إليهما كل خَطْبٍ ما خلا الْمَنُون، فانْجَلَوا، بعدما ألقَوْا ما عندهم وتَخَلَّوا، وكان لأبي عبد الله نظم مستبدع، يُوضَعُ بين الجوانح ويودع، انتهى المقصود من الترجمة.

وكان للوزير أبي الفرج[4] ابنٌ مكبود قد أعياه علاجُه، وتهيّأ للفساد مزاجُه، فدلَّ على

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٤١): «إثمارًا وإيراقًا».
(٢) في طبعة عبد الحميد: «لمّا زها أزهاره ودنا إثمارها. .».
(٣) في طبعة دار صادر (ص ٥٤٢): «ولا إلى المهاة».
(٤) لا يزال النقل مستمرًا عن مطمح الأنفس (ص ١٥ ـ ١٦).

خمر قديمة، فلم يعلم بها إلاّ عند حكم، وكان وسيمًا، وللحسن قَسيمًا، فكتب إليه[1]: [المجتث]

أرسِلْ بـهـا مـثـلَ وُدّكْ أرقَّ مِـنْ مـاءِ خـدّكْ
شـقـيـقـةَ الـنّـفـس فـانْـضَـحْ بـهـا جَـوَى ابـنـي وعَـبْـدِكْ

وكتب رحمه الله تعالى معتذرًا، عما جناه منذرًا[2]: [الخفيف]

مـا تَـغَـيَّـبْـتُ عَـنْـكَ إلاّ لِـعُـذْرِ ودليلي في ذاكَ حرصي عليكا
هَـبْـكَ أنَّ الـفـرارَ مِـنْ عُـظْـمِ ذنـبٍ أتـراهُ يـكـون ألاّ إلـيـكـا

وقال في المطمح في حقّ أبي الفرج: من ثَنِيّة رياسة، وعِتْرَة نفاسة، ما منهم إلاّ مَنْ تحلّى بالإمارة، وتردّى بالوزارة، وأضاء في آفاق الدول، ونهض بين الخيل والخَوْل، وهو أحد أمجادهم، ومتقلِّدِ نجادهم، فاقهم[3] أدباً ونُبلاً، وباراهم كرمًا تخاله وَبْلاً، إلاّ أنه بقي وذَهَبُوا، ولقي من الأيام ما رهبوا، فعاين تنكرها، وشرب عكرها، وجال في الآفاق، واستدرّ أخلاف الأرزاق، وأجال للرّجاء قداحًا متواليات الإخفاق، فأُخمل قدره، وتوالى عليه جور الزمان وغدره، فاندفنت[4] آثاره، وعَفَتْ أخباره، وقد أثبتُّ له بعضَ ما قاله وحاله قد أدبرت، والخطوبُ إليه قد انبَرَت؛ أخبرني الوزير الحكيم أبو محمد المصري وهو الذي آواه، وعنده استقرّت نَوَاه، وعليه كان قادمًا، وله كان مُنَادمًا، أنه رغب إليه في أحد الأيام أن يكون من جملة ندمائه، وأن لا يُحْجَبَ عنه وتكون منّةً من أعظم نعمائه، فأجابه بالإسعاف، واستساغ منه ما كان يَعَاف، لعلمه بِعلّته[5]، وإفراط خَلّته، فلما كان ظهر ذلك اليوم كتب إليه: [الكامل]

أنا قد أهَبْتُ بكمْ وكلُّكُمُ هَوَى وأحقُّكُمْ بالشكرِ منّي السابقُ

---

(١) البيتان أيضًا في الذخيرة (ق ٣ ص ١٠٤) والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٧٢)، وتقدما في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.

(٢) البيتان أيضًا في الذخيرة والحلة السيراء، وقد تقدّما في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عما هنا.

(٣) في طبعة دار صادر (ص ٥٤٣): «فاتهم».

(٤) في الطبعة نفسها: «فاندفعت».

(٥) في الطبعة نفسها: «بِقِلّته».

فالشمسُ أنتَ وقد أظلَّ طلوعها　　فاطلعْ وبين يديكَ فجرٌ صادقُ

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة[1]: [الكامل]

حَجَّ الحجيجُ مِنًى ففازوا بالمُنَى　　وتفرّقتْ عن خَيفِهِ الأشهادُ
ولنا بوجهك حجّةٌ مبرورة　　في كلِّ يومٍ تنقضي وتُعَادُ

وقال الفتح في حقّه ما صورته: نَبْتَةُ[2] شرفٍ باذخ، ومَفْخر على ذوائب الجوزاء شامخ، وزَرُوا للخلفاء، فانتجعتهم الأدباء واتّبعتهم العظماء، وانتسبت لهم النعماء، وتنفست عن نور بهجتهم الظَّلْماء، وأبو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل، وجوادهم الذي لا يبخل، وزعيمهم المعظّم، وسِلْكُ مَفْخَرهم المُنَظّم، وكان فتى المُدَام، ومستفتى النَّدَام، وأكثر من النعت للراح والوصف، وآثر الأفراح والقصف، وأرى قَيْنَات السرور مجلوّة، وآيات الحسن متلوّة، وله كتاب سماه «حديقة الارتياح، في وصف حقيقة الراح»، واختصّ بالمعتضد اختصاصًا جَرَّعهُ رَدَاه، وصَرَعه في مَدَاه، فقد كان في المعتضد من عدم تحفّظه للأرواح، وتهاونه باللُّوّام في ذلك واللّواح، فاطمأن إليه أبو عامر واغترّ، وأنس إلى ما بَسَمَ[3] من مُؤانسته وافترّ، حتى أمكنته في اغتياله فرصة، لم يعلق بها حصّة، ولم يضيق[4] عليه إلاَّ أنه زلّت به قدمه فسقط في البحيرة وانكفا، ولم يُعلم به إلاَّ بعدما طفا، فأُخرج وقد قضى، وأُدرج منه في الكفن حُسام المجد مُنْتَضَى، فمن محاسنه قولُه يصف السوسن، وهو مِمّا أبدع فيه وأحسن: [البسيط]

وسوسنٍ راقَ مرآهُ ومخبرُهُ　　وجَلَّ في أعين النظار منظرُهُ
كأنه أكؤس البَلُّور قد صنعتْ　　مُسَنْدَساتٍ تعالى اللّه مُظْهِرُهُ
وبينها ألسنٌ قد طُوِّقَتْ ذَهَبًا　　من بينها قائمٌ بالملكِ يؤثرُهُ

إلى أن قال: واجتمع بجنّة خارج إشبيلية مع إخوانٍ[5] له عِلْية، فبينما هم يديرون

---

(١) مطمح الأنفس (ص ٢٣ ـ ٢٤).
(٢) في المطمح: «بيت شرفٍ...».
(٣) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٨٧): «بسم له من...».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٥٤٤): «ولم يطلق عليه إلاَّ أنه..».
(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ٨٧): «مع أخدان».

الراح، ويشربون من كأسها الأفراح، والجَوُّ صاح، إذ[1] بالأفق قد غَيَّم، وأرسل الدِّيم، بعدما كسا الجوَّ بمطارف الرذاذ[2]، وأشعر الغصون زهر قباذ، والشمس منتقبة بالسحاب، والرعد يبكيها بالانتحاب، فقال[3]: [مجزوء الكامل]

يـــومٌ كـــأنَّ ســـحـــابَـــهُ لبستْ عِماماتِ الصوامتْ
حجبتْ به شمسَ الضُّحى بمثالِ أجنحةِ الفواختْ[4]
والـغَـيْـثُ يـبـكـي فَـقْـدَهـا والبرقُ يضحك مِثْلَ شامِتْ
والـرعـدُ يـخـطـبُ مُـفْـصِـحًـا والـجَـوُّ كـالـمحزونِ ساكتْ

وخرج إلى تلك الخميلة والربيعُ قد نشر رِدَاءَهُ[5]، ونثر على معاطف الغصون أَنْدَاءَهُ، فأقام بها وقال: [الكامل]

وخميلةٍ رَقَمَ الزمانُ أَدِيمَها بِمُفَضَّضٍ ومقسَّمٍ ومَشُوبِ
رشفتْ قبيل الصبح رِيقَ غمامةٍ رَشْفَ المُحِبِّ مراشفَ المحبوبِ
وطردتُ في أكنافها ملكَ الصِّبا وقعدتُ واستوزرتُ كلَّ أديبِ
وأدَرْتُ فيها اللَّهْوَ حَقَّ مَدَارِهِ مع كلِّ وضّاح الجبينِ حَسِيبِ[6]

وقال الوزيرُ الكاتب أبو حفص أحمد بن بُرْد[7]: [الكامل]

قلبي وقلبك لا محالةَ واحدٌ شهِدَتْ بذلك بيننا الألحاظُ
فتعالَ فَلْنُغِظِ الحسودَ بوصلنا إنَّ الحسود بمثل ذاك يُغاظُ

وقال: [الكامل]

يا مَنْ حُرِمْتُ لذاذتي بمسيره هذي النوى قد صَعَّرَتْ لي خَدَّها
زَوِّدْ جفوني من جمالك نظرة واللَّه يعلمُ إنْ رَأَيْتُكَ بَعْدَهَا

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٤٥): «إذا».
(٢) في الطبعة نفسها: «اللاذ».
(٣) تقدمت هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ٣٦) وأشرنا هناك إلى المصادر التي وردت فيها.
(٤) الفواخت: جمع فاختة وهي نوع من الحمام البري من ذوات الأطواق.
(٥) في طبعة دار صادر: «رِداهُ... الغصون نَداهُ...».
(٦) في المطمح: «مهوب».
(٧) مطمح الأنفس (ص ٢٤ ـ ٢٥).

وقال في المطمح في ابن برد المذكور: إنه غُذي بالأدب[1]، وعلا إلى أسمى الرتب، وما من أهل بيته إلاّ شاعر كاتب، مُلازم[2] لباب السلطان مُراقب، ولم يزل في الدولة العامرية بسَبْقٍ يُذْكر، وحَقّ لا يُنْكر، وهو بديع الإحسان، بليغ القلم واللسان، مليح الكتابة، فصيح الخطابة، وله «رسالة السيف والقلم»[3]، وهو أوّل من قال بالفرق بينهما، وشعرهُ مثقف المباني، مُرْهَف كالحسام اليماني، وقد أثْبَتُّ منه ما يلهيك سماعًا، ويريك الإحسان لماعًا، فمن ذلك قوله يصف البَهار[4]: [الطويل]

تَأَمَّلْ فقد شَقَّ البهارُ كمائمًا وأبرزَ عن نوّاره الْخَضِلِ الندي
مداهنُ تِبْرٍ في أناملِ فِضّةٍ على أذرعٍ مخروطةٍ مِنْ زَبَرْجَدِ

وله يصف معشوقًا، أهيفَ القَدِّ ممشوقًا، أبدى صفحة ورد، وبدا في ثوب لازَوَرْد[5]: [مجزوء الكامل]

لَـمّـا بَـدَا فـي لازَوَرْ دِيِّ الحريرِ وقد بَهَرْ
كَبَّرْتُ مِنْ فرط الجما لِ وقُلْتُ: ما هذا بَشَرْ
فأجابني: لا تُنكِرَنْ ثوبَ السماءِ على القَمَرْ

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللمائي[6]: [المتقارب]

أَلِمّا فَدَيْتُكُمَا نَسْتَلِمْ منازلَ سَلْمَى على ذي سَلَمْ
منازلُ كنتُ بها نازلاً زمانَ الصِّبا بين جِيدٍ وفَمْ

---

(١) في المطمح: «هذه ثنية غذيت بالأدب، وربت في سماء الرتب..».
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٥٤٦): «لازم لباب السلطان راتب..».
(٣) هذه الرسالة كتبها لمجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية، ويمثّل السيفُ بنظره الجُنْدَ، والقلم يمثّل الكُتّاب، وكان هدفه أن يسوّي بينهما في ظل مجاهد، لأنّ الجند كان يحتلّ آنذاك مرتبة سامية في دول الطوائف. راجع هذه الرسالة في الذخيرة (ق ١ ص ٥٢٣ . ٥٢٨).
(٤) تقدم هذان البيتان في الجزء الرابع وجاء فيه البيت الأول مختلفًا عمّا هنا، وأشرنا هناك إلى المصادر التي وردت فيها.
(٥) الأبيات في جذوة المقتبس (ص ١١٦) وبغية الملتمس (ص ١٦٥) والذخيرة (ق ١ ص ٥٠٥ . ٥٠٦) والمطرب (ص ١٢٩). وسترد في الجزء الثامن وجاء فيه: «لا تنكروا» بدل «لا تنكرن» في البيت الثالث.
(٦) مطمح الأنفس (ص ٢٥ . ٢٦).

أمـا تـجـدُنّ الـثـرى عـاطـرًا إذا مـا الـريـاح تـنـفـسـن ثـم

وقال في المطمح فيه: إمامٌ من أئمه الكتابة ومُفَجِّرُ ينبوعها، والظاهر على مصنوعها بمطبوعها، إذا كتب نَثَر الدُّرَّ في المَهَارق[1]، ونَمَّتْ فيه أنفاسُه كالمِسْك في المفارق، وانطوى ذكره على انتشار إحسانه، [وقصر أمره][2] مع امتداد لسانه، فلم تَطُلْ لدَوْحَته فروع، ولا اتَّصل لها من نهر الإحسان كروع، فاندفنت محاسنُه من الإهمال في قَبْر، وانكسرت الآمالُ بعدم بدائعه كسرًا بعد جَبْر، وكان كاتبَ علي بن حمود العلوي وذكر أنه كان يرتجل بين يديه ولا يُرَوّي، فيأتي على البَدِيه، بما يتقبَّله المُرَوِّي ويُبْدِيه[3]، فمن ذلك ما كتب به متفننًا[4] من ضمن رسالة: رَوْضُ القلم في فِنائِكَ مُونِق، وغُصْنُ الأدب بمائك مورق، وقد قذف بحر الهند دُرَرَهُ، وبعث روض نجدٍ زَهَرَه، فأهدى ذلك على يدي فلان الجاري في جَهْدِه[5]، على مباني قصده.

وقال الوزير حسان بن مالك بن أبي عبدة في المهرجان[6]: [المتقارب]

أرى الـمـهـرجـانَ قد اسـتـبـشـرا غـداةَ بـكـى الـمـزنُ واسـتـعـبـرا
وسـربـلـتِ الأرضُ أمـواهَـهـا وجـلـلـت الـسـنـدسَ الأخـضـرا
وهـزَّ الـريـاحُ صـنـابـيـرَهـا فـضـوّعـت الـمـسـك والـعـنـبـرا
تـهـادى بـه الـنـاسُ ألـطـافـه وسـامَـى الـمُـقِـلُّ بـه الـمـكـثـرا

وقال في حقّه في المطمح: من بيت جَلاَلَة، وعِتْرَةِ[7] أصَالة، كانوا مع عبد الرحمن الداخل، وتوغّلوا معه في متشعبات تلك المداخل، وسعَوْا في الخلافة حتى حضر مُبايعها وكثر مُشايعُها، وجَدُّوا في الهدنة وانعقادها، وأخمدوا نار الفتنة عند اتّقادها، فانبرمت[8] عُرَاها، وارتبطت أُولاها وأُخراها، فظهرت البيعة واتّضحت، وأعلنت الطاعة وأفصحت،

---

(١) المهارق: جمع مُهرق وهو الصحيفة البيضاء.
(٢) ما بين القوسين ساقط من طبعة عبد الحميد (ص ٨٩).
(٣) في المطمح: «ويفديه».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٥٤٧): «معتنيًا من بعض رسالة».
(٥) في الطبعة نفسها: «في حَمْدِهِ».
(٦) مطمح الأنفس (ص ٢٦ ـ ٢٧).
(٧) في المطمح: «وغرّة».
(٨) في المطمح: «فأبرمت».

وصاروا تاج مَفْرِقها، ومنهاج طُرُقها، وهو مِمَّنْ بلغ الوزارة من[1] بعد ذلك وأدركها، وحلَّ مطلعها وفَلَكَها، مع اشتهار في اللغة والآداب، وانخراط في سلك الشعراء والكتّاب، وإبداع لما ألّف، وانتهاض بما تكلّف، ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السري وهو به كَلِف، وعليه مُعْتَكِف، فخرج وعمل على مثاله كتابًا سماه «ربيعة وعقيل» جرّد له من ذهنه أيَّ سيف صَقيل، وأتى به منتسَخًا مصوّرًا في ذلك اليوم من الجمعة الأخرى، وأبرزه والحسنُ يتبسّم عنه ويتفرَّى، فَسُرَّ به المنصور وأُعجب، ولم يَغِبْ عن بصره ساعة ولا حُجب، وكان له بعد هذه المدة حين أَدْجَتْ الفتنة ليلها وأزجت إبلها وخيلها، اغتراب كاغتراب الحارث بن مُضَاض، واضطراب بين القوافي[2] والمواضي، كالحيّة النضناض، ثم اشتهر بعد، وافترَّ له السعد، وفي تلك المدة يقول يتشوّق إلى أهله: [الطويل]

سقى بلدًا أهلي به وأقاربي ... غوادٍ بأثقالِ الحَيا وروائحُ
وهَبَّتْ عليهم بالعشي وبالضحى ... نواسمُ بردٍ والظِّلال[3] فوائحُ
تذكرتهمْ والنأيُ قد حال دونهم ... ولم أنسَ لكنْ أوقَدَ القلبَ لافحُ
ومِمّا شجاني هاتفٌ فوق أيكةٍ ... ينوحُ ولم يعلمْ بما هو نائح
فقلت اتَّئِدْ يكفيك أنيَ نازحٌ ... وأنَّ الذي أهواه عنيَ نازح
ولي صِبْيَةٌ مثلُ الفراخِ بقَفْرةٍ ... مضى حَاضِنَاها فاطَّحَتْهَا الطوائح[4]
إذا عَصَفَتْ ريحٌ أقامت رؤوسَها ... فلم يلقَها إلاَّ طيورٌ بوارح
فَمَنْ لصغارٍ بَعْدَ فَقْدِ أبيهمُ ... سوى سانحٍ في الدهر لو عنّ سانحُ

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال، ولم يمض في ذلك الانتحال، وتثاقل عن الحضور في كل وقت، وتغافل في ترك الغرور بذلك المقت، وكان المستظهر يستبدُّ بأكثر تلك الأمور دونه، وينفرد مُغَيَّبًا عنه شؤونه، فكتب إليه: [الطويل]

---

(١) كلمة «من» ساقطة من طبعة دار صادر (ص ٥٤٨).
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص٩٦): «القواني» وهي جمع قناة على غير القياس.
(٣) في الطبعة نفسها: «والطلال» بالطاء المهملة.
(٤) رواية عجز البيت في المطمح هي:
متى حضناها طوحتها الطوائحُ

إذا غبتُ لم أُحْضَرْ وإن جئتُ لم أُسَلْ فسيّانِ منّي مشهدٌ ومَغِيبُ
فأصبحتُ تَيْمِيًا وما كنتُ قبلها لتيمٍ ولكنَّ الشبيه نسيبُ

وله: [الطويل]

رأتْ طالعًا للشيبِ بين ذوائبي فباحتْ بأسرار الدموع السواكبِ
وقالت أَشَيْبٌ؟ قلتُ: صُبْحُ تجاربي أنارَ على أعقابِ ليلِ نوائبي

ولَمّا مات رثاه الوزير أبو عامر ابن شُهَيْد بقوله[1]: [الطويل]

أفي كلِّ عامٍ مَصْرَعٌ لِعَظِيمٍ؟ أصاب المنايا حادثي وقديمي
وكيف اهتدائي في الخطوب إذا دَجَتْ وقد فَقَدَتْ عينايَ ضوءَ نجومِ
مضى السَّلَفُ الوضّاحُ إلاّ بقيّةً كَغُرَّةِ مسودِّ القميصِ بهيم
فإن ركبتْ منّي الليالي هَضيمةً فقبليَ ما كان اهتضامُ تميم
أبا عبدةٍ إنّا غدرناك[2] عندما رَجَعْنا وغادرناكَ غيرَ ذَميم
أنخذُلُ من كُنّا نَرُودُ بأرضه ونَكْرَعُ منه في إناءِ علوم
ويجلو العَمَى عَنّا بأنوارِ رأيه إذا أظلمتْ ظلماءُ ذاتُ غيومِ[3]
كأنك لم تلقحْ بريحِ مِنَ الحِجَا عقائِمَ أفكارٍ[4] بغير عقيم
ولم نعتمد مَغْناك غدوًا ولم نَزُرْ رَواحًا لفصلِ الحكمِ دارَ حكيمِ[5]

وقال الوزير الفقيه أبو أيوب ابن أبي أمية[6]: [البسيط]

أَمِسْكُ دارينَ حيّاك النسيمُ به أم عنبرُ الشِّحْرِ[7] أم هذي البساتين
بشاطىء النهر حيث النَّوْر مؤتلقٌ والراح تعبق أم تلك الرياحين

---

(١) الأبيات أيضًا في ديوان ابن شهيد (ص ١٤٣ ـ ١٤٤).
(٢) في الديوان: «عذرناك».
(٣) في الديوان: «غُموم».
(٤) في الديوان: «أوكارِ».
(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ٩٢): «ولم نعتمر مَغْناك..». وفي المطمح: «غدوًا ولم نزل نؤم لفصل..».
(٦) مطمح الأنفس (ص ٢٨ ـ ٤٩).
(٧) الشِّحْرُ: الشَّطُّ. لسان العرب (شحر).

وحلاه في المطمح بقوله: واحدُ الأندلس الذي طَوّقَهَا فخارًا، وطبّقها بأوانه افتخارًا، ما شئت من وَقَار لا تُحيل الحركةُ سكونَه، ومقدار يتمنّى مخبرٌ أن يكونَه، إذا لاح رأيت المجد مجتمعًا، وإذا فاه أضحى كلُّ شيء مستمعًا، تكتحل منه مُقَلُ المجد، وتنتحل المعالي أفعاله انتحال ذي كَلَف بها وَوَجْد، لو تفرّقت في الخلق سَجَاياه لحمدت الشِّيَم، ولو استسقيت بمحيّاهُ لما استمسكت الدِيَمْ، ودعي للقضاء فما رضي، وأُعفي عنه فكأنه ما استُقْضي، لديه تثبت الحقائق، وتنبت العلائق، وبين يديه يُسلك عين الْجَدَد، ويَدَع اللّدِد اللّدَدَ، وله أدب إذا حاضر به فلا البحرُ إذ عصف، ولا أبو عثمان[1] إذا وصف، مع حلاوة مؤانسةِ تستهوي الجليس، وتَهْوِي حيث شاءت بالنفوس، وأمّا تحبيره وإنشاؤه، ففيهما للسامع تحييره وانتشاؤه، وقد أثبتُّ له بِدَعا، يثني إليها الإحسان جِيدًا وأخْدَعًا، فمن ذلك قوله في منزل حلّه متنزهًا: [البسيط]

يا منزلَ الحُسْنِ أهواهُ وآلَفُهُ ... حقًّا لقد جُمِعَتْ في صحنكَ البِدَعُ
للّه ما اصطنعتْ نُعماكَ عنديَ في ... يومِ نعمتُ به والشملُ مجتمعُ

وحَلَّ مُنْيَة صهره الوزير أبي مروان ابن الدب بعُدْوة إشبيلية المطلّة على النهر، المشتملة على بدائع الزهرِ، وهو مُعَرِّس ببنته، فأقام بها أيامًا متأنّسًا، ولجذوة السرور مقتبسًا، فوالى عليه من التُّحَف، وأهدى إليه من الطُّرَف، ما غمر كثرة، وبهر نفاسة وأثرة، فلمّا ارتحل وقد اكتحل مِنْ حُسْنِ ذلك الموضع بما اكتحل، كتب إليه: [البسيط]

قُلْ للوزير وأين الشكرُ من منن ... جاءتْ على سَنَنٍ تَتْرَى وتتّصلُ
غَشِيتُ مَغْناكَ والروضُ الأنيقُ به ... يَنْدَى وصَوْبُ الْحَيَا يهمي وينهملُ
وجالَ طرفيَ في أرجائه مرحًا ... وَفْقَ اجتيازي يَستعلي ويستفلُ
ندعو بلَفْتَتِهِ حيثُ ارتمى زَهَرٌ ... عليه مِنْ منثني أفنانه كِلَلُ
محلّ أُنْسٍ نَعِمْنا فيه آونةً ... مِنَ الزمان وواتانا به الأملُ

وحَلَّ بعد ذلك متنزهًا بها على عادته، فاحتفل في موالاة ذلك البرّ وإعادته، فلمّا رحل كتب إليه: [مجزوء الكامل]

يا دارُ، أمّنَكِ الزما ... نُ صروفَهُ ونوائِبَهْ

(١) أراد بعثمان الجاحظ عمرو بن بحر، أمير النثر في العربية.

وجَـرَتْ[١] سـعـودُكِ بـالـذي يـهـوى نـزيـلُـكِ آيـبـهْ
فـلـنـعـم مـأوى الـضـيـف أنـ ـتِ إذا تـحـامـوا جـانِـبَـهْ
خـطـرٌ شـأوتِ[٢] بـه الـديـا رَ وأذعَـنَـتْ لـك قـاطـبـهْ

وصنع له ولد[٣] ابن عبد الغفور رسالة سماها بـ «الساجعة» حذا بها حذو أبي العلاء المعري في «الصاهل والساجح» وبعث بها إليه، فعرضها[٤] عليه، فأقامت عنده أيامًا ثم استدعاها منه فصرفها إليه، وكتب معها: بِكْرٌ زَفَفْتها أعزّك اللّه تعالى نحوَك، وهَزَزْتَ بمقدمها سناكَ وسَرْوَك، فلم ألفظها عن شِبَع، ولا جهلت ارتفاعها عَمّا يجتلى من نوعها ويُسْتَمَع، ولكن لما أنسته مِنْ أُنْسك بانتجاعها، وحرصك على ارتجاعها، دفعت في صدر الوَلوع، وتركت بينها وبين مجاثمها تلك[٥] الربوع، حيث الأدب غَضٌّ، وماء البلاغة مُرْفضٌ، فأَسْعِدْ أعزّك اللّه بكرتها، وسلُها عن أفانين مَعَرَّتها، بما تقطفه من ثمارك، وتغرفه من بحارك، وترتاح له ولإخوانه من نتائج أفكارك، وإنها لشِنْشِنَة أعرفها فيكم من أَخْزَم، وموهبة حزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم. انتهى.

وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذي قال فيه الفتح[٦]: فتى زكا فَرْعًا وأصلاً، وأحكم البلاغة مَعْنًى وفصلاً، وجرَّد من ذهنه على الأعراض نَصْلاً، قدّها به وفَرَاها، وقدح زَنْدَ المعالي حتى أوراها، مع صَوْن يرتديه، ولا يكاد يُبْدِيه، وشبيبة ألحقته بالكهول، فأقفرت منه رَبْعها المأهول، وشرف ارتداه، وسَلَفٍ اقتفى أثره الكريم واقتداه، وله شِعْرٌ بديع السَّرْد، مُفَوَّفُ البُرْد، وقد أثبتُّ له منه ما ألفيت، وبالدلالة عليه اكتفيت، فمن ذلك قوله: [الطويل]

تركْتُ التصابي للصوابِ وأَهلِهِ وبِيْضَ الطُّلَى للبِيضِ والسُّمْرَ للسُّمْرِ
مُدامي مِدادي والكؤوسُ محابري ونَدْمَايَ أقلامي ومنقلتي سِفْرِي

---

(١) في المطمح: «ودَنَتْ».
(٢) شَأَوْتِ: سَبَقْتِ.
(٣) كلمة «ولد» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ٩٤).
(٤) في طبعة عبد الحميد: «يعرضها».
(٥) في الطبعة نفسها: «بتلك».
(٦) مطمح الأنفس (ص ٢٩ ـ ٣٠).

وله: [البسيط]

لا تنكروا أنّنا في رحلةٍ أبدًا	نحثُّ في نَفْنَفٍ[1] طورًا وفي هدفِ
فدهرُنا سُدْفَةٌ ونحن أنجُمُها	وليس يُنكَرُ مجرى النَّجْمِ في السُّدَفِ[2]
لو أسفرَ الدهرُ لي أقصرتُ عن سَفَري	ومِلْتُ عن كَلَفِي بهذه الكُلَفِ

وله من قصيدة: [الطويل]

رويدَكَ يا بَدْرَ التَّمام فإنني	أرى العِيسَ حَسْرَى والكواكبَ ظُلَّعَا
كأنَّ أديمَ الصبح قد قَدَّ أنجُمَا	وغودر درعُ الليل فيها مرقَّعَا
فإني وإن كان الشبابُ مُحَبَّبًا	إليَّ وفي قلبي أجلَّ وأوقَعَا
لآنفُ مِنْ حُسْنٍ بشِعْري مُفْترى	وآنفُ مِنْ حُسْنٍ بشَعْرِي قُنِّعَا

وقال الوزير أبو الوليد بن حَزْم[3]: [الطويل]

إليكَ أبا حفصٍ وما عن ملالةٍ	ثنيتُ عناني والحبيبُ حبيبُ
مقالاً يُطيرُ الجمرَ عن جَنَبَاته	ومن تحته قلبٌ عليكَ يذوب
مضتْ لك في أفياء ظلّي قَوْلَةٌ[4]	لها بين أحناء الضُّلوع دبيبُ
ولكن أبى إلاَّ إليكَ التفاتَهُ	فزادَ عليه مِنْ هواكَ رقيب
وكم بيننا لو كنتَ تَحْمَدُ ما مضى	إذ العيشُ غَضٌّ والزمانُ قشيب
وتحت جناحِ الغيم أحشاءُ رَوْضَةٍ	بها لخفوقِ العاصفاتِ وَجِيبُ
وللزهر في ظلِّ الرياضِ تَبَسُّمٌ	وللطيرِ منها في الغصون نحيبُ

وقال في الزهد: [المتقارب]

ثلاثٌ وستون قد جُزْتَها	فماذا تُؤَمِّلُ أو تَنْتَظِرْ
وحَلَّ علي نذيرُ المشيب	فما تَرْعَوِي أو فما تزدجرْ
تمرُّ لياليك مَرًّا حثيثًا	وأنتَ على ما أرى مستمرْ

---

(١) النَّفْنَف: الأرض الخالية البعيدة.
(٢) السُّدَفُ: جمع سُدْفة وهي الظلمة.
(٣) هذه المقطوعة والتي تليها في مطمح الأنفس (ص ٣١، ٣٤).
(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ٩٥): «صولة».

فلو كنتَ تعقلُ ما ينقضي | من العمر لاغتَنَمْتَ خيرًا بِشَرْ
فما لك لا تستعدُّ إذَن | لدار المقام ودار المقرّ
أترغبُ عن فَجْأةِ للمَنُونِ | وتَعْلَمُ أنْ ليس منها مفرّ
فإمَّا إلى جنّةٍ أُزْلِفَتْ | وإمَّا إلى سَقَرٍ تستعرْ[1]

وقال ابن أبي زمنين[2]: [البسيط]

الموتُ في كلِّ حينٍ ينشرُ الكَفَنَا | ونحن في غفلةٍ عَمّا يُرَادُ بنا
لا تطمئنَّ إلى الدنيا وبهجتها | وإنْ توشَّحَتْ من أثوابها الحسنا
أين الأحبةُ والجيرانُ؟ ما فعلوا؟ | أين الذين هُمُ كانوا لنا سَكَنَا
سقاهُمُ الموتُ كأسًا غيرَ صافيةٍ | فصيّرتهم لأطباقِ الثرى رُهُنَا
تبكي المنازلُ منهم كلَّ منسجمٍ | بالمكرمات وتَرْثي البرّ والمِننا
حَسْبُ الحِمام لَوَ أبقاهم وأمهلهمْ | أن لا يظنَّ على مَعْلُوَّةٍ حسنا

وقال في المطمح: الفقيه أبو عبد اللّه محمد بن أبي زمنين فقيه متبتِّلٌ، وزاهدٌ لا ينحرف إلى الدنيا ولا منفتلٌ[3]، هَجَرَها هَجْر المنحرف، وحلَّ أوطانه فيها محلَّ المُعْتَرِف، لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه[4]، وإبداله منها وتعويضه، فنظر بقلبه لا بعينه، وانتظر يوم فراقه وبَيْنِه، ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال، ولا في شِعاب تلك المسالك إيغال، وله تآليف[5] في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدلُّ على تخليته عن الدنيا واتّراكه، والتفلّت من حبائل الاغترار وأشراكه، والتنقّل من حال إلى حال، والتأهّب للارتحال، ويستدلّ به على ذلك الانتحال، فمنها قوله: [البسيط]

الموتُ في كلّ حينٍ ينشرُ الكَفَنا

فذكر الأبيات، انتهى.

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٩٦): «يستعر».
(٢) مطمح الأنفس (ص ٤٩ ـ ٥٠).
(٣) في المطمح: «متنقّل».
(٤) في أصول النفح: «وتفويضه» والتصويب عن المطمح.
(٥) في طبعة دار صادر (ص ٥٥٤): «تواليف».

وقال خَلَفُ بن هارون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم[1]: [المتقارب]

يخوضُ إلى المجد والمكرماتِ بحارَ الخطوبِ وأهوالَها
وإن ذُكرتْ للعُلا غايةٌ ترقَّى إليها وأهوى لها

وقال في المطمح فيه: فقيه مستنبط، ونبيه بقياسه مُرْتبط، ما تكلّم تقليدًا، ولا عدا[2] اختراعًا وتوليدًا، ما تمنّت به الأندلس أن تكون كالعراق، ولا حَنَّتِ الأنفسُ معه إلى تلك الآفاق، أقام بوطنه، وما برح عن عَطَنه، فلم يشرب ماء الفرات، ولم يَقْفُ عيشة الثمرات[3]، ولكنه أربى على مَنْ مِنْ ذلك غُذِي، وأزرى على مَنْ هنالك نُعِل وحُذِي، تفرّد بالقياس، واقتبس نارَ المعارف أيَّ اقتباس، فناظر بها أهل فاس، وصنّف وحبَّر حتى أفنى الأنقاس[4]، ونابذ الدنيا، وقد تصدّت له بأفتن مُحَيًا، وأهدت إليه أعْبقَ عَرْف وريًّا، وخلع الوزارة وقد كَسَتْه ملاها، وألْبَسَتْه حُلاَها، وتجرَّد للعلم وطلبِه، وجَدَّ في اقتناء نُخَبِه، وله تآليف كثيرة، وتصانيف أثيرة، منها «الإيصال، إلى فهم كتاب الخصال» وكتاب «الإحكام، لأصول الأحكام» وكتاب «الفِصَل في الأهواء والملل والنِّحَل» وكتاب «مراتب العلوم» وغير ذلك مِمّا لم يظهر مثله من هنالك، مع سرعة الحفظ، وعفاف اللسان واللحظ، وفيه يقول خلف بن هارون[5]: [المتقارب]

يخوضُ إلى المجد والمَكْرُماتِ

ولابن حزم في الأدب سَبْقٌ لا يُنْكَر، وبديهة لا يُعْلَمُ أنه روَّى فيها ولا فَكَّر، وقد أثبتُ من شعره ما يُعْلم أنه أوحد، وما مثله فيه أحد، ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها في غير هذا الموضع.

وكتب أبو عبد اللّه بن مسرة[6] إلى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر، لقضاء أرَبٍ مِنَ الأُنْس ووَطَر: [الرجز]

---

(١) مطمح الأنفس (ص ٥٥ ـ ٥٦).
(٢) في المطمح: «تعدّى».
(٣) لعلها «عيشة المسرّات» أو «عشية المسرّات» أو «عشية السمرات».
(٤) الأنقاس: جمع نقس وهو المِداد.
(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ٩٧): «هروان».
(٦) مطمح الأنفس (ص ٥٨).

أَقْبِلْ فإنَّ اليومَ يومُ دَجْنِ[1]   إلى مكانٍ كالضميرِ مكني
لعلّنا نُحْكِمُ[2] أشهى فنّ   فأنتَ في ذا اليوم أمشى منّي

وقال في المطمح: إنّ ابن مسرّة كان على طريق من الزهد والعبادة سَبَقَ فيها، وانتسق في سلك مُقْتفيها، وكانت له إشارات غامضة، وعبارة عن منازل الملحدين غير داحضة، ووجدت له مقالات ردية، واستنباطات مُرْدِية، نُسب بها إليه رَهَق[3]، وظهر له فيها مَزْحَل عن الرشد ومزهق، فتُتُبّعت مصنّفاته بالحرق، واتّسع في استباحتها الخرق، وغدت مهجورة، على التالين محجورة، وكان له تنميق في البلاغة وتدقيق لمعانيها، وتزويق لأغراضها وتشييد لمبانيها، انتهى. وهو من نمط الصوفية الذين تُكُلّم فيهم، والتسليم أسلم، والله تعالى بأمرهم أعلم.

ومن حكايات أهل الأندلس في الانقباض عن السلطان، والفرار من المناصب، مع العذر اللطيف: ما حكاه في المطمح في ترجمة الفقيه أبي عبد الله الخشني[4] إذ قال: كان فصيح اللسان، جزيل البيان، وكان أنوفًا منقبضًا عن السلطان، لم يتشبّثْ بدُنْيَا، ولم يُنكث له مُبْرم عَلْيَا، دعاه الأمير محمد إلى القضاء فلم يجب، ولم يُظْهِرْ رجاءه المحتجب، وقال: أَبَيْتُ عن أمانة[5] هذه الديانة، كما أبت السموات والأرض عن حمل الأمانة، إباية إشفاق، لا إباية عصيان ونفاق، وكان الأمير قد أمر الوزراء بإجباره، أو حمل السيف إنْ تمادى على تأبّيه وإصراره، فلمّا بلغه قولُه هذا أعفاه، قال: وكان الغالب عليه علم النسب، واللغة والأدب، ورواية الحديث، وكان مأمونًا ثقة، وكانت القلوب على حُبّه متّفقة، وله رحلة دخل فيها العراق، ثم عاد إلى هذه الآفاق، وعندما اطمأنّت داره، وبلغ أقصى مناه مَدَاره، قال: [الطويل]

كأنْ لم يكن بَيْنٌ ولم تَكُ فُرْقَةٌ

الأبيات، انتهى.

---

(١) يوم دَجْن: يوم غيم كثيف ومطر غزير. لسان العرب (دجن).
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ٩٨): «نحكم فيه أشهى..» وهكذا ينكسر الوزن.
(٣) الرَّهَقُ: التهمة والخطيئة. لسان العرب (رهق).
(٤) مطمح الأنفس (ص ٥٦ ـ ٥٧).
(٥) في طبعة عبد الحميد: «إمامة».

وهذه الأبيات قدّمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى.

فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها، فمرة نسبها إلى هذا، ومرة نسبها إلى ذاك، وهي قطعة عَرْفُها ذاكٍ.

ومن دُعابات أهل الأندلس ومُلَحِهِمْ: ما يحكى عن ابن أبي حَلّى، وهو علي ابن أبي حَلّى المكناسي أبو الحسن؛ قال لسان الدين: كان شيخًا مليح الحديث، حافظًا للمسائل الفقهية، قائمًا على المدوّنة، مضطلعًا بمشكلاتها، كثير الحكايات، يحكي أنه شاهد غرائب وملحًا[1] فينمقها عليه بعض الطلبة، ويتعدون ذلك إلى الافتعال والمداعبة، حتى جمعوا من ذلك جزءا سمّوه «السالك والمحلّى، في أخبار ابن أبي حَلّى» فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يومًا فوجدها قد بلت إحدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها ونصبتها بإزاء كُوّة فأر ورفعت اليد الأخرى لصيده، فناداها باسمها، فزوت[2] رأسها، وجعلت إصبعها على فمها، على هيئة المشير بالصمت، وأشباه ذلك، وتوفي المذكور سنة ٤٠٦، قاله في الإحاطة.

ومن أجوبة ملوك الأندلس: أنَّ نزارًا العبيدي صاحب مصر، كتب إلى المرواني صاحب الأندلس كتابًا يسبّه فيه ويهجوه، فكتب إليه المرواني: أمَّا بَعْدُ، فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك، والسلام، فاشتدّ ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب، وحُكي أنه كتب إلى العبيدي ملك مصر مفتخرًا[3]: [الطويل]

ألسنا بني مروانَ كيف تَبَدَّلَتْ ... بنا الحالُ أو دارتْ علينا الدوائرُ
إذا وُلِدَ المولودُ منّا تَهَلَّلَتْ ... له الأرضُ واهتزَّتْ إليه المنابرُ[4]

ومن غريب ما يحكى من قوة أهل الأندلس وشجاعتهم: أنّ الأمير حريز بن عكاشة[5] من ذرّيّة عكاشة بن محصن صاحب رسول اللّه، ﷺ، لَمَّا نزل بساحة أذفونش

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٥٧): «وتملحًا».

(٢) في الطبعة نفسها: «فردّتْ».

(٣) البيتان لمحمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وأوردهما ابن الأبار في الحلة السيراء (ج ١ ص ٢٠٩) وقال إن الثعالبي نسبهما خطأ إلى الحكم المستنصر. وقد تقدما في الجزء الرابع.

(٤) في الحلة السيراء: «المنائرُ».

(٥) ترجمة حريز بن حكم بن عكاشة وأخباره في الحلة السيراء (ج ٢ ص ١٧٦ ـ ١٧٩) وتقدم شيء عنه في الجزء الرابع.

ملك الروم، فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر، فكتب إليه حريز: ليس من أخلاق القدير، الفساد والتدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك، ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة، ولا تمكن منها براحة، فلمّا وصلته الرسالة عَفّ، وأمر بالكفّ، وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به، فاسترهنه في نفسه عدة من ملوك الروم، فأجاب إلى ما ارتهن، ولَمّا ساروا إلى المدينة البيضاء - وهي قلعة رباح غربي طليطلة - خرج حريز لابسًا لأمَةَ حربه[1]، يرمق الروم منه شخصًا أُوتي بسطة في الجسم والبسالة يتحدثون[2] بآلات حربه، ويتعجّبون من شجاعة قلبه. ولمَّا وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة، ولَمّا أراد النزول عن فرسه ركز رمحه، فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حُدِّث، وهيبة يجزع للقائها الشجاع ويكترث، فدعاه إلى البراز عظيم أبطالهم، فقال له الملك: يَا حريز، أريد أن أنظر إلى مبارزتك هذا البطل، فقال له حريز: المبارز لا يبارز إلاَّ أكفاءه، وإنَّ لي بيّنة على صدق قولي أن ليس لي فيهم كُفْءٌ، هذا رمحي قد ركزته، فمن ركب واقتلعه بارزته، كان واحدًا أو عشرة، فركب عظيمهم فلم يهزّ الرمح من مكانه حين رامه، ثم فعل ذلك مرارًا، فقال له الملك: أرني يا حريز كيف تُقْلِعُه، فركب وأشار بيده واقتلعه، فعجب القوم، ووصله الملك وأكرمه، انتهى.

وكان حريز هذا شاعرًا، ولَمَّا اجتاز به كاتب ابن ذي النون الوزير أبو المطرف ابن المثنى كتب إليه[3]: [مجزوء الرمل]

يا فريدًا دون ثانِ ... وهلالاً في العيانِ
عُدِمَ الراحُ فصارتْ ... مثلَ دُهْنِ البلّسانِ

فجاوبه حريز، وهو يومئذ أمير قلعته[4]: [مجزوء الرمل]

يا فريدًا لا يُجارَى ... بين أبناءِ الزمانِ
جاء من شعركَ روضٌ ... جاده صَوْبُ البيانِ
فبعثناها سُلافًا ... كسجاياكَ الحسانِ

(١) لأمَةُ الحرب: الدرع.
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٥٥٩): «يتعجبون من آلات حربه، ويتحدثون بشجاعة قلبه».
(٣) البيتان في الحلة السيراء (ج ٢ ص ١٧٩) وتقدما في الجزء الرابع.
(٤) الأبيات في الحلة السيراء دون تغيير عمّا هنا.

وكان لحريز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد، فأمره أن يكتب إلى المأمون بن ذي النون في شأن حصنٍ دخله النصارى، فكتب: وقد بلغني أنَّ الحصن الفلاني دخله النصارى إن شاء اللّه تعالى، فهذه الواقعة التي ذكرها اللّه تعالى في القرآن، بل هي الحادثة الشاهدة بأشراط الزمان، فإنّا للّه على هذه المصيبة التي هَدَّتْ قواعد المسلمين، وأبقت في قلوبهم حسرة إلى يوم الدين. فلمّا وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للأرض، وكتب لابن عكاشة جوابه، وفيه: وقد عهدْناك منتقيًا لأمورك، نقّادًا لصغيرك وكبيرك، فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الأبله الجِلْفِ، وأسندت إليه الكتب عنك دون أن تَطَّلع عليه، وقد علمت أَن عنوان الرجل كتابه، ورائد عقله خطابه، وما أدري من أيّ شيء يتعجّب منه، هل من تعليقه إن شاء اللّه تعالى بالماضي؟ أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه؟ أم من تورُّعه عن تأويله إلاّ بتوقيف من سماع عن إمام؟ أم من تهويله لما طرأ على مَنْ يخاطبه؟ أم من علمه بشأن هذا الحصن الذي لو أنه القسطنطينية العظمى ما زاد عن عظمه وهَوْله شيئًا؟ ولو أنَّ حقيرًا يخفى عن علم اللّه تعالى لخفي عنه هذا الحصن! ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى، منقطع عن بلاد الإسلام، خارج عن سلك النظام، لا يعبره إلاّ لصٌّ فاجر، أو قاطع طريق غير متظاهر، حُرَّاسُه لا يتجاوزون الخمسين، ولا يرون خبز البر عندهم إلاّ في بعض السنين، باعه أحدهم بعشرين دينارًا، ولعمري إنه لم يغبن في بيعه ولا ربح أرباب ابتياعه، وأراح من الشين بنسبته والنظر في خداعه، فليت شعري ما الذي عظمه في عين هذا الجاهل، حتى خطب في أمره بما لم يخطب به في حرب وائل[1]؟

فلمّا وقف حريز على الكتاب كتب لابن ذي النون جوابًا منه: وإنّ المذكور مِمَّنْ له حُرْمة قديمة، تغنيه عن أن يمتَّ بسواها، وخدمة محمود أُولاها وأُخراها، ولسْنا مِمَّنْ اتّسعت مملكته، وعظمت حضرته، فنحتاج إلى انتقاء الكُتَّاب، والتحفّظ في الخطاب، وإنما نحن أحْلاَسُ ثغور[2]، وكُتّاب كتائب لا سطور، وإن كان الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم، فإنه يحسن كيف يصنع في مواطن الكرم، وله الوفاء الذي تحدّث به

(١) أراد حرب البسوس التي دارت رحاها بين بكر وتغلب في الجاهلية.

(٢) الأحلاس: جمع حلس وهو الملازم للشيء، والشجاع، وكلا المعنيين واردٌ هنا. الثغور: جمع ثغر وهو المدينة المحصّنة على الحدود مع العدو. لسان العرب (حلس) و (ثغر).

فلان وفلان، بل سارت بشأنه في أقصى البلاد الرُّكْبان، وليس ذلك يَقْدح عندنا فيه، بل زاده لكونه دالاً على صِحّة الباطن والسذاجة في الإكرام والتنويه، انتهى.

ولهذا الكاتب شعر يسقط فيه سقوط الأغبياء، وقد يتنبّه فيه تنبّه الأذكياء، فمنه قوله من قصيدة يمدح حريزًا المذكور مطلعها: [المتقارب]

يذكّرني بِهِمُ العنبرُ   وظَلْمُ ثناياهُمُ سُكَّرُ

إلى أن قال:

ولولا معاليكَ يا ذا النَّدَى   لما كان في الأرض مَنْ يشعرُ
فلا تنكرنَّ زحامًا على   ذَرَاك وفي كفِّكَ الكوثرُ

ومشى في موكبه وهم في سَفَر، وكان في فصل المطر والطين، فجعل فرسه في ذنب فرس ابن عُكَّاشة، فلمَّا أثارت يدا فرسه طينًا جاءَ في عنق أميره، ففطن لذلك الأمير، فقال له: يا أبا محمد، تقدَّمْ، فقال: معاذ اللّه أن أسيء الأدب بالتقدّم على أميري، فقال: فإن كان كذلك فتأخَّرْ مع الخيل، فقال: مثلي لا يزال على[1] ركابك في مثل هذه المواضع، فقال له: فقد واللّه أهلكتني بما ترمي يدا فرسك عليَّ من الطين، فقال: أعزَّ اللّه الأمير[2]! فواللّه ما علمت أنَّ يَدَ فرسي تصل إلى عنقك، فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه.

وكان بسَرَقُسْطَةَ غلام اسمه يحيىٰ بن يطفت من بني يفرن، قد نشأ عند ملكها المقتدر ابن هود، وتخلَّق بالركوب والأدب، وكان في غاية الجمال والحلاوة والظَّرف فعلق بقلب ابن هود، وكتم حُبَّه زمانًا فلم ينكتم، فكتب له: [المجتث]

يا ظَبْيُ، باللّه قُلْ لي   مَتَى تُرَى في حِبالي
يَمُرُّ عمري وحالي   من[3] خيبتي منك خالي

فكتب له الغلام في ظهر الرقعة: [المجتث]

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٦١): «عن ركابك».
(٢) في الطبعة نفسها: «الأمير، يعذرني، فوالله..».
(٣) في الطبعة نفسها: «في».

إن كـنـتُ ظـبـيًـا فـأنـت الـ ـهِـزَبْـرُ تـبـغـي اغـتـيـالـي
ولـيـس يـخـطـرُ يـومًـا حـلـولُ غِـيـلٍ بـبـالـي

ثم كتب بعدهما: هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم، وأنا بَعْدُ قد جعلت رَسَني بيد سيدي، فعسى أن يقودني إلى ما أُحِبُّ، لا ما أكره، والذي أُحبّه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضي بدوام الإخلاص، ونأمن في مَغَبّته من العار والقصاص، فتركه مدة، ثم كتب له يومًا على الصورة التي ذكرها: [الكامل]

مـاذا تـرى فـي يـومِ أمْـنٍ طَـرَّزَتْ حُلَلُ السَّحابِ به البروقُ المذهبة
وأنـا وكـاسـي لا جـلـيسٌ غـيـره مـلآن لا يـخـلـو إلـى أن تَـشْـرَبَـهْ
والأُنْـسُ إنْ يَـسَّـرْتَـهُ مـتـيـسِّـرٌ ومتى تُصَعِّبه فيـا ما أَصْعَبَهْ

فأجابه: [الكامل]

يـا مـالـكًـا بَـذَّ الـمـلـوكَ بـعـلـمِهِ وخـلالِهِ وعـلـوِّهِ فـي الـمـرتـبَـهْ
وافـى نَـدَاكَ فـحِـرْتُ عـنـد جـوابـه إذ مـا تـضـمَّـنَ ريـبـةً مـسـتـغـربـه
إنّـا إذا نـخـلـو، تَـقَـوَّلَ حـاسـدٌ وغَـدَا بـهـذا الأمـر يـنـصرُ مـذهـبهْ
هَـبْـنـي إلـى يـومٍ تـطـيشُ بـه الـنُّـهى والبِيضُ تُنْضَى والقَنَا مُتَأَشِبَهْ[1]
وهُـنَـاك فـانـظـرْنـي بـعـيـنِ بـصـيـرةٍ فـالـشِّـبـل يـعـرفُ أصـلـه مَـنْ جَـرَّبـه

ثم أعلاه إلى درجة الوزارة والقيادة، إلى أن قُتل في جيش كان قدّمه عليه، فقال فيه من قصيدة: [المجتث]

يـا صـارمًـا أغْـمَـدَتْـهُ عـن نـاظـريَّ الـصـوارمْ
وزهـرة غَـيَّـبَـتْـهـا مـن الـطـيـورِ كـمـائـمْ
يـا كـوكـبًـا خَـرَّ مـن أنـ ـجـمـي وأنـفـيَ راغـمْ
بَـكَـتْ عـلـيَّ وشَـقَّـتْ جُـيُـوبَـهُـنَّ الـغـمـائـمْ
قُـلْ لـلـحـمـائـم إنِّـي أصبحت أحكي الحمائمْ
وأنـثُـرُ الـدمـعَ مـهـمـا رأيـتُ لـلـزهـر بـاسـمْ
تـالـلّـه لا لَـذَّ عَـيْـشٌ لـمـتْـرَفٍ لـكَ عـادمْ

---

(١) متأشِبَةٌ: مجتمعة.

ولَمّا رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادي آش إلى علي الميورقي صاحب فتنة إفريقية أقبل عليه، ثم ولي أخوه يحيىٰ الإمارة بعده، فأسند جميع أموره إليه، فقال يخاطبه(١): [الطويل]

أَجُبْنًا ورمحي ناصِرِي وحُسَامي   وعجزًا وعزمي قائِدِي وإمامي
ولي منك بَطَّاشُ اليدين غَضَنْفَرٌ   يُحارِبُ عن أشباله ويُحامي
ألاَ غَنِّياني بالصَّهيل فإنه   سماعي ورَقْرَاقُ الدماءِ مُدَامي
وحُطَّا على الرمضاء رَحْلي فإنها   مِهادي وخَفَّاقُ البُنُودِ خيامي

وكان الأمير أبو عبد الله ابن مَرْدَنيش ملك شرق الأندلس من أبطال عصره، وكان يدفع في المواكب، ويشقّها يمينًا وشمالاً منشدًا(٢): [الوافر]

أَكُرُّ على الكتيبة لا أبالي   أَحَتْفي كان فيها أم سِواها

حتى إنه دفع مرة في موكب النصارى، فصَرَع منهم وقتل، وظهر منه ما أُعجبت به نفسه، فقال لشخص من خواصّه عالم بأمور الحرب: كيف رأيت؟ فقال: لو رآك السلطان لزاد فيما لَكَ في بيت المال، وأعلى مرتبتك، أمن يكون رأسَ جيشٍ يُقْدِم هذا الإقدام، ويتعرّض بهلاك نفسه إلى هلاك مَنْ معه، فقال له: دَعْني فإني لا أموت مرتين، وإذا مُتُّ أنا فلا عاشَ مَنْ بعدي.

ومن حكاياتهم في الظرف: أنَّ القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى(٣) من بني يحيىٰ ابن يحيىٰ خرج إلى حضور جنازة، وكان لرجل من إخوانه منزل بقرب مقبرة قريش، فعزم عليه في المَيْل إليه، فنزل وأحضر له طعامًا، وغنَّتْ جارية(٤): [الكامل]

طابتْ بِطِيْبِ لِثَاتِكَ الأقداحُ   وزَهَا(٥) بحُمْرَة وجهك التفاحُ

---

(١) تقدم هذا الشعر في الجزء الثالث.
(٢) تقدمت هذه الحكاية والبيت الشعري في الجزء الرابع.
(٣) مرّ التعريف بمحمد بن عيسى والإشارة إلى مصادر ترجمته في الجزء الأول.
(٤) الأبيات في جذوة المقتبس (ص ٧٥) وبغية الملتمس (ص ١١١)، وتقدمت في الجزء الثاني وروايتها في المصدرين المذكورين مختلفة بعض الاختلاف عمّا هنا.
(٥) في طبعة دار صادر (ص ٥٦٥): «وزَهَتْ».

وإذا الربيعُ تنسَّمَتْ أرواحُه ... نَمَّتْ بعَرْف نسيمكَ الأرواحُ
وإذا الحنادسُ أُلبِسَتْ ظلماءها ... فَضِياءُ وجهك في الدُّجَى مِصْباحُ

فكتبها القاضي طربًا على ظهر يده.

قال الراوي[1]: فلقد رأيته يكبّر على الجنازة والأبيات على ظهر يده.

ومن حكاياتهم في البلاغة: ما ذكره في «المطمح» أن أبا الوليد بن عيال[2] لَمّا انصرف من الحجّ اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر، ففاوضه قليلاً، ثم قال له: أنشدني لمليح الأندلس، يعني ابن عبد ربه، فأنشده[3]: [الكامل]

يا لؤلؤا يَسْبِي العقولَ أنيقا ... ورَشًا بتعذيب[4] القلوب رفيقا
ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِهِ ... دُرًّا يعودُ من الحياءِ عَقِيقا
وإذا نظرتَ إلى محاسن وجهِهِ ... أبصرْتَ وَجْهَكَ في سَناهُ غريقا
يا من تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقّةٍ ... ما بالُ قلبكَ لا يكون رقيقا

فلما كمل إنشادها استعادها، ثم صفّق بيديه وقال: يا ابن عبد ربه، لقد تأتيك العراق حَبْوًا، انتهى.

وقال مؤلف كتاب «واجب الأدب»[5]: مما يجب حفظه من مخترعات الأندلسيين قول ابن عبد ربه[6]: [الكامل]

يا ذا الذي خَطَّ العِذارُ[7] بخدّه ... خَطَّيْنِ هاجا لوعةً وبَلابِلاَ
ما كنتُ أقطع أنَّ لَحْظَكَ صارمٌ ... حتى حملتَ من العِذار حمائلا[8]

---

(١) هو القاضي يونس بن عبد الله كما في الجذوة والبغية.
(٢) مطمح الأنفس (ص ٥٢) وفيه أنه أبو الوليد بن عباد.
(٣) ديوان ابن عبد ربه (ص ١٢٠) وستأتي في الجزءين الثامن والتاسع وفيهما: «بتقطيع» بدل «بتعذيب».
(٤) في الديوان: «بتقطيع».
(٥) مؤلف كتاب «واجب الأدب» هو والد الأديب الجغرافي علي بن موسى بن سعيد.
(٦) ديوان ابن عبد ربه (ص ١٤١) وسيأتيان في الجزء التاسع ببعض الاختلاف.
(٧) في الديوان: «الجمال».
(٨) في الديوان: «ما صَحَّ عندي أنّ لحظك صارم حتى لبسْتَ من..».

وحُكي أنَّ الوزير أبا الوليد بن زَيْدُون توفيت ابنته[1]، وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند مُنْصَرفهم من الجنازة ليتشكّر لهم، فقيل: إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد، قال الصَّفَدي: وهذا من التوسُّع في العبارة، والقدرة على التفنّن في أساليب الكلام، وهو أمر صعب إلى الغاية، وأرى أنه أشقُّ مِمّا يحكى عن واصل بن عطاء أنه ما سُمعت منه كلمة فيها راء؛ لأنه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة، والسبب في تهوين هذا الأمر وعدم تهويله أنّ واصل بنَ عطاء كان يعدل إلى ما يُرادف تلك الكلمة مِمّا ليس فيه راء، وهذا كثير في كلام العرب، فإذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو ساعٍ أو صَافِن، أو العدول عن رمح قال قناة أو صَعْدة أو يَزَني أو غير ذلك، أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك، وأمَّا ابنُ زيدون فأقول في حقّه إنه أقلّ مما كان في تلك الجنازة، وهو وزير، ألف رئيس مِمَّن يتعيّن عليه أن يتشكّر له، ويضطر إلى ذلك، فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونُها الشكر، وهذا كثير إلى الغاية، لا سيما من محزون فَقَد قطعة من كبده[2]: [الطويل]

ولكنه صَوْبُ العقولِ إذا انبرتْ[3] سحائبُ منه أُعْقِبَتْ بسحائبِ

وقد استعمل الحريري هذا في مقاماته عندما يذكر طلوع الفجر، وهو من القدرة على الكلام، وأرى الخطيب ابن نُبَاتة ممن لا يُلْحَق في هذا الباب، فإنه أملى مجلدة معناها من أوّلها إلى آخرها «يا أيها الناس اتّقوا اللّه واحذروه فإنكم إليه راجعون»، وهذا أمر بارع معجز، والناس يذهلون عن هذه النكتة فيه، انتهى كلام الصَّفَدي ملخّصًا.

وقال في الوافي، بعد ذكره جملةً من أحوال ابن زيدون ما نصّه: وقال بعض الأدباء: مَنْ لبس البياض، وتختّم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقّه للشافعي، وروى شعر ابن زيدون، فقد استكمل الظّرْف. وكان يسمّى بُحْتُرِيَّ المغرب لحسن ديباجة نظمه، وسهولة معانيه، انتهى.

رَجْع إلى كلام أهل الأندلس:

---

(١) وردت هذه الحكاية مختصرة جدًا في الذخيرة (ق ١ ص ٣٣٩) وجاء هناك أن الجنازة كانت لبعض حُرَمِهِ.

(٢) البيت لأبي تمام، وجاء في ديوانه (ص ٤٣).

(٣) في الديوان: «إذا انجلتْ».

وكان الأديب المحدّث أبو الربيع سليمان بن علي الشلبي الشهير بكثير يهوى مَنْ يتجنّى عليه ويقول: إنه أبرد من الثلج، فخاطبه كثير بقوله: [الخفيف]

يا حبيبًا له كلامٌ خَلُوبُ[1] ... قُلِّبَتْ في لَظَى هواهُ القلوبُ
كيف تعزو إلى مُحِبِّكَ بَرْدًا ... ومن الحبِّ في حَشاه لهيبُ
أنت شمسٌ وقلتَ إنيَ ثلجٌ ... فلهذا إذا طلعتَ أذوبُ

وقال ابن مهران[2] مِمّا يشتمل على أربعة أمثال: [الكامل]

المال زينٌ، والحياةُ شهيّةٌ، ... والجُود يُفْقِرُ، والشجاعةُ تَقْتُلُ
والبخلُ عيبٌ، والجبانُ مُذَمَّمٌ، ... والقَصْدُ أحكمُ، والتوسّطُ أجملُ

وقال ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي متغزّلاً[3]: [الكامل]

نفسي الفداءُ لجؤذرٍ حُلْوِ اللَّمَى ... مُسْتَحْسَنٍ بصدودِهِ أضناني
في فيه سِمْطَا جوهرٍ يروي الظما ... لو عَلَّني ببَرُودِهِ أحياني

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع.

وقال ابن صارة مضمِّنًا[4]: [الوافر]

إلى كم ينفدُ[5] الدينار مني ... ويطلب كَفَّ مَنْ عنه يَحِيدُ
ألم أُنشِدْهُ في وادي هيامي ... به لو كان يَعْطِفُه النشيدُ
(حبيبي أنتَ تعلمُ ما أُريدُ ... ولكنْ لا ترِقُّ ولا تجودُ)
وكم غَنَّيْتُ حين تَنَكَّبَتْني ... مُنًى شيطانُها أبدًا مَرِيدُ
(يُريدُ المرءُ أن يؤتى[6] مُنَاه ... ويأبى اللَّهُ إلاَّ ما يريدُ)

---

(١) كلام خَلُوبٌ: كلام خلاّب.

(٢) هو أبو الربيع سليمان بن مهران السرقسطي؛ أديب شاعر مشهور، له جلالة وقدر، كان في أيام دولة المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر. جذوة المقتبس (ص ٢٢٥) وبغية الملتمس (ص ٣٠٠) والمغرب (جـ ٢ ص ٤٤٢) والذخيرة (ق ٣ ص ٣١٧).

(٣) تقدم هذان البيتان في الجزء الرابع باختلاف يسير عمّا هنا.

(٤) الأبيات في الذخيرة (ق ٢ ص ٨٤٤).

(٥) في طبعة دار صادر (ص ٥٦٧) وفي الذخيرة: «ينفر».

(٦) في الذخيرة: «أن يعطى».

وقال ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رَزِين[1]: [مجزوء الكامل]

بـالـلّـه إنْ لـم تَـزْدَجِـرْ   يـا مشبـهَ الـبَـدْرِ الـمـنـيـرِ
لأسَـرْحَـنَّ نـواظـري[2]   فـي ذلـك الـورد الـنـضـيـرِ
ولآكـلـنَّـكَ بـالـمـنـى   ولأشـربـنَّـكَ بـالـضـمـيـرِ

وقال ابن عبد ربه[3]: [مخلع البسيط]

اِشْرَبْ على المنظرِ الأنيقِ[4]   وامْزُجْ بِرِيقِ الحبيبِ ريقي
واخـلُـلْ وشـاحَ الـكَـعـاب رِفـقًـا   خوفًا[5] على خَصْرِها الرقيق
وقُـلْ لـمـن لام فـي الـتـصـابـي   خَلّ[6] قـلـيـلاً عـن الـطـريـقِ

وسيأتي إن شاء اللّه تعالى قريبًا من بلاغة أهل الأندلس في الجِدّ والهَزْل ما فيه مَقْنَع لمن اقتصر عليه.

ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذلّ والوصف بالأنفة: أنه لَمَّا ثار أيوب بن مطروح[7] في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غَرْنَاطة عبد اللّه بن بلقين بن حَبُّوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه مَوْجُها فيمن رمى على الساحل، وحصل فيما بَثّ عليهم يوسف بن تاشفين من الحبائل، وكانت له هِمّة وأَنَفَة عظيمة، وخُلع عن إمارته، وحصل في حِبالته، أدخل رأسه تحته، فانتظر مَنْ حضر معه أن يتكلّم أو يخرج رأسه، فلم يكن إلاّ قليل حتى وقع ميتًا، رحمه اللّه تعالى!.

ولَمَّا ثار الميورقي بإفريقية على بني عبد المؤمن الثورةَ المشهورة، وخدمه جملة من أعيان أهل الأندلس، وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي[8]، كتب عنه من

---

(١) البيتان الثاني والثالث في الذخيرة (ق ٣ ص ١١٩) وقد تقدما في الجزء الرابع.
(٢) في الذخيرة: «لواحظي».
(٣) ديوان ابن عبد ربه (ص ١١٨) والعقد الفريد (جـ ٦ ص ٢٨٥).
(٤) في الديوان: «على منظر أنيق».
(٥) في الديوان: «واحذرْ على. .».
(٦) في الديوان: «إليك، خَلِّ عن الطريقِ».
(٧) عن ثورة أيوب بن مطروح بغرناطة على أميره عبد اللّه بن بلقين، انظر المغرب (جـ ٢ ص ١٥٤).
(٨) ترجمة مالك بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في المغرب (جـ ٢ ص ١٧١).

رسالة: وبعد، فإنّا لا نحتاج لك إلى برهان على أمير لسانه الحسام، وأيّده التأييد الرابني الذي لا يُرَام، قد نصب خيامه بالبَراح، ولم يتّخذ سورًا غير سُمْر القَنَا وبِيْض الصِّفاح، له من العزم رِدء ومن الحزم[1] كمين[2]: [الوافر]

إذا صَدَقَ الحسامُ ومُنْتضيه   فكلُّ قَرَارةٍ حِصْنٌ حصينُ

وهو من القوم الذين لا يجورون على جار، ولا يرحلون بخَزْية ولا يتركون من عار، دينُهم دين التقوى، وإن كنت من ذلك في شكّ فأقدم علينا حتى يَصِحَّ لك اختبار الذهب بالسَّبْك، وأنت بالخيار في الظعن والإقامة، فإن حللتَ نزلتَ خيرَ منزل، وإن رحلتَ وُدِّعْتَ أفضل وَدَاع، وسرتَ في كنف السلامة، إذ قد شُهرنا بأنّا لا نقيّد إلاّ بالإحسان، وأن ندع لاختياره كل إنسان.

ومن حكايات أهل الأندلس في الجود والفضل ومكارم الأخلاق[3]: أنّ أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد، فأُدخلت عليه جملة من دنانير السَّكَّة، فأمر له بخريطتين منها، وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مُرَصَّع بنفيس الدّرّ، فقال أبو العرب: ما يحمل هذه الدنانير إلاّ جمل، فتبسّم المعتمد وأمر له به، فقال: [البسيط]

أعطيتني[4] جَمَلاً جَوْنًا شَفَعْتَ به   حملاً من الفِضّة البيضاء لو حُمِلاَ
نتاجُ جُودِكَ في أعطانِ مكرمةٍ   لا قِدَّ تَعْرف من مَنعٍ ولا عُقُلا[5]
فاعْجَبْ لشأني فشأني كلّه عَجَبٌ   رفَّهتني فحملتُ الحملَ والجَمَلاَ

ومن نظم أبي العرب المذكور: [الطويل]

إلامَ اتِّباعي للأماني الكواذبِ   وهذا طريق المجدِ بادي المذاهبِ
أهُمُّ ولي عزمان: عزمٌ مُشَرِّقٌ   وآخرُ يثني هِمَّتي لِلْمَغارب

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٦٩): «ومن الرأي كمين».
(٢) البيت للأعمى التطيلي وهو في ديوانه (ص ٢٠٢).
(٣) حكاية أبي العرب الصقلي في مجلس المعتمد بن عباد وشعره في الذخيرة (ق ٤ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢) وبدائع البدائه (جـ ٢ ص ١٣٦). وسترد هذه الأبيات في الجزء السادس ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٤) في المصدرين السابقين: «أَجْدَيْتني».
(٥) في الذخيرة: «سماح جودك... لا قِدَّ يعرف..».

ولا بدَّ لي أنْ أسألَ العِيسَ حاجةً تشقُّ على أخفافِها والغوارب
إذا كان أصلي من تُرابٍ فكلُّها بلادي وكلُّ العالمين أقاربي

وذكر الحافظ الحِجَاري في «المسهب» أنه سأل عمّه أبا محمد عبد اللّه بن إبراهيم[1] عن أفضل من لقي من أجواد تلك الحَلْبة، فقال: يا ابن أخي، لم يُقْدَرْ أن يقضى لي الاصطحاب[2] بهم، في شباب أمرهم، وعنفوان رغبتهم في المكارم، ولكن اجتمعت بهم وأمرُهُم قد هرم، وساءت بتغير الأحوال ظنونهم، ومَلُّوا الشكر، وضجروا من المروءة، وشغلتهم المحن والفتن، فلم يبق فيهم فضل للإفضال وكانوا كما قال أبو الطيب[3]: [البسيط]

أتَى الزمانَ بنُوه في شَبيبتِهِ فَسَرَّهُمْ وأَتَيْناه على الهَرَمِ

فإن يكن أتاه على الهرم فإنا أتيْناه وهو في سياق الموت، ثم قال: ومع هذا فإن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز ـ رحمه اللّه تعالى ـ! كان يحمِّل نفسه ما لا يحمله الزمان، ويبسم في موضع القطوب، ويظهر الرضا في حال الغضب، ويجهد ألاّ ينصرف عنه أحدٌ غير راضٍ، فإنْ لم يستطع الفعل عوّض عنه القول.

قلت له: فالمعتمد بن عباد كيف رأيته؟ فقال: قصدته وهو مع أمير المؤمنين[4] يوسف بن تاشفين في غَزْوته للنصارى المشهورة، فرفعت له قصيدة منها: [البسيط]

لا روّعَ اللّهُ سِرْبًا في رحابِهِمُ وإنْ رَمَوْني بترويعٍ وإبعادِ
ولا سقاهُمْ على ما كان من عطشٍ إلاّ ببعضِ نَدَى كَفِّ ابنِ عباد
ذي المكرمات التي ما زلتَ تسمعها أنسَ المقيمِ وفي الأسفار كالزادِ
يا ليت شعريَ ماذا يرتضيه لمن ناداه يا مَوْئلي في جَحْفلِ النادي

فلما انتهيت إلى هذا البيت قال: أما أرتضيه لك فلست أقدر في هذا الوقت عليه، ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان، وأمر خادمًا له فأعطاني ما أعيش في فائدته إلى الآن،

(١) ترجمة أبي محمد عبد اللّه بن إبراهيم الحجاري في المغرب (جـ ٢ ص ٣٤).
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٥٧٠): «الاستمطار بهم».
(٣) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب (ص ٥٤١).
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٥٧٠): «أمير المسلمين».

فإني انصرفت به إلى ألْمَرية، وكان يعجبني سكناها والتجارة بها، لكونها مِينا لمراكب التجار من مسلم وكافر، فتَجَرْتُ فيها فكان إبقاء ماء وجهي على يديه، رحمة الله تعالى عليه! ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر في القصيدة، وأنا مترقّب لنقده، لكونه في هذا الشأن من أئمتّه، وكثيرًا ما كان الشعراء يتحامَوْنه لذلك إلاً مَنْ عرف من نفسه التبريز، ووثق بها، إلى أن انتهى إلى قولي: [البسيط]

ولا سقاهُمْ عَلَى ما كان من عطش إلاّ ببَعْضِ نَدَى كَفِّ ابنِ عَبَّادِ

فقال: لأي شيء بخلت عليهم أن يُسْقَوْا بكفّه؟ فقلت: إذن كان يلحقني من النقد ما لحق ذا الرمة في قوله[1]: [الطويل]

ولا زال مُنْهَلاً بجرعائك القَطْرُ

وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك، فتألَّقَتْ غرّته، وبدت مَسَرَّته، وقال: إنّا للّه على أن لم يُعِنَّا الزمانُ على مكافأة مثلك.

قال: وكنت مِمّن زاره بسجنه بأغْمَات، وحملتني شدّة الحميّة له والامتعاض لِمَا حَلَّ به أن كتبت على حائط سجنه متمثّلاً: [الطويل]

فإن تَسْجُنوا القَسْريَّ لا تسجنوا اسْمَه ولا تسجنوا مَعْرُوفَهُ في القبائلِ

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام، فوجدت تحت البيت: لذلك سجنّاه[2]: [الطويل]

ومَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَام في الصَّيْدِ بازَهُ تَصَيَّدَهُ الضِّرغامُ فيما تَصَيَّدَا

فما أدري مَنْ جاوب بذلك، ثم عدت له ووجدته قد مُحي، وأعلمت بذلك ابن عَبَّاد، فقال: صدق المجاوب، وأنا الجاني على نفسه، والحافر بيده لرَمْسه، ولَمَّا أردت وداعه أمر لي بإحسان على قدر ما استطاع، فارتجلت: [السريع]

آليتُ لا أقبلُ إحسانَكُمْ والدَّهْرُ فيما قد عَرَاكُمْ مُسِي
ففي الذي أسْلَفْتُمُ غُنْيَةٌ وإن يكنْ عندكُمُ قد نُسِي

(١) هو عجز بيت لذي الرمة، وصدره هو: ألاَ يا اسلمي يادار ميّ على البلى. وسيأتي البيت في هذا الجزء (ص ٣٤٤).
(٢) البيت للمتنبي وهو في ديوانه (ص ٣٨٧).

قال: وفيه أقول من قصيدة: [السريع]

يا طالب الإنصاف مِنْ دَهْرِهِ   طَلَبْتَ أمرًا غير معتادِ
فلو يكون العدلُ في طبعه   لما عدا ملكَ ابن عَبَّاد

وللحِجَاري المذكور كتاب في البديع سماه «الحديقة» وأنشد لنفسه فيه[1]: [السريع]

وشادنٍ يُنْصِفُ مِنْ نفسه   أَمَّنني مِنْ سَطْوَةِ الدهرِ
ينامُ للشُّرْبِ على جَنْبِهِ   ويَصْرِفُ الذَّنْبَ إلى[2] الخمرِ

وله في فرس: [الوافر]

ومُسْتَبِقٍ يَحَارُ الطَّرْفُ فيه   ويسلمُ في الكفاح مِنَ الجماحِ
كأنَّ أدِيمَهُ ليلٌ بَهِيمٌ   تَحَجَّلَ باليسير من الصباح
إذا اخْتَدَمَ التسابقُ صار جِرْمًا   تقلَّب بين أجنحةِ الرياح

وكتب أبو العلاء إدريس بن أزرق إلى ابن رشيق ملك مُرْسِية، وقد طالت إقامته عند ابن عبد العزيز: [الطويل]

أَلاَ ليت شعري هل أعودُ إلى الذي   عهدْتُ من النُّعمى لديكُمْ بلا جَهْدِ
فواللَّه مُذْ فارقتكم ما تخلَّصَتْ   من الدهر عندي ساعةٌ دون ما كدِّ
فمُنُّوا بإذنٍ كي أطيرَ إليكُم   فلا عارَ في شوقٍ إلى المالِ والمجدِ

ووقف بعضُ أعدائه على هذه الأبيات، فوَشَى بها إلى ابن عبد العزيز قاصدًا ضَرَرَهُ، وكان ذلك في مَحْفِلٍ ليكون أبلغ، فقال: واللَّه لقد ذكرتني أمره، ولقد أحسن الدلالة على حاله، فإنّ الرجل كريم، وعلينا موضع اللوم، لا عليه، وواللَّه لأوسعنّهُ مالاً ووُجْدًا بقدر وسعي، ثم أخذ في الإحسان إليه حتى برّ يمينه رحمه اللَّه تعالى: [الخفيف]

هكذا هكذا تكونُ المعالي   طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طُرْقِ المزاحِ

ولنذكر جملة من بني مَرْوان بالأندلس، فنقول:

---

(١) البيتان في المغرب (جـ ٢ ص ٣٤).
(٢) في المغرب: «على الخمر».

قال محمد بن هشام المرواني[1] صاحب كتاب «أخبار الشعراء»: [البسيط]

وروْضَةٍ مِنْ رياضِ الحَزْنِ حالفَها طَلٌّ أطَلَّتْ به في أُفْقِها الحُلَلُ
كأنما الوَرْدُ فيما بينها مَلِكٌ مُوفٍ ونوّارُها من حَوْلِهِ خَوَلُ[2]

وكان في مدة الناصر، وأدخل عليه يومًا ليذاكره، فاستحسنه، وأمره بالتزام بنيه ليؤدّبهم بحسن أدبه، ويتخلّقوا بخلقه، فاستعفى من ذلك، وقال: إنّ الفتيان لا يتعلّمون إلاّ بشدّة الضبط والقَيْد والإغلاظ، وأنا أكره أن أُعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهوني، وقد يحقد لي بعضهم ذلك إلى أن يقدر على النفع والضرر.

قالوا: وكان يتعشّق المستنصر بالله ولي عهد الناصر وهو غلام، وله فيه: [المجتث]

مَتِّعْ بوجهكَ جَفْني يا كوكبًا فوق غُصْنِ
يا من تحجَّبَ حتى عن كلِّ فكرٍ وأُذْنِ
وخامَرَ الخوفُ فيه فما يمر[3] بذهن
فليس للطَّرْفِ والقَلْـ ـبِ غيرُ دمعٍ وحُزْنِ
فإنني ذو ذُنوبٍ وأنتَ جَنَّةُ عَدْنِ

وقال أخوه أحمد بن هشام[4]: [الطويل]

قطعتُ الليالي بارتجاء وصالكُمْ وما نلْتُ منكمْ غير مُتَّصِل الهَجْرِ
وما كنتُ أدري ما التصبُّر قبلكم فعلّمتوني كيف أقوى على الصبر
وما كنتُ مِمَّنْ يَغْلَقُ الصبرُ فكرَه ولكن خشيتُ الصبر يذهبُ بالعمر

ومن حكاياتهم في علوّ الهمة: أنه كان سبب قراءته واجتهاده أنه حضر مجلسًا فيه القائد أحمد بن أبي عبدة، وهو غلام، فاستخبره القائد، فرآه بعيدًا من الأدب والظَّرْف،

---

(١) هو أبو بكر محمد بن هشام بن عبد العزيز بن محمد بن سعيد الخير ابن الأمير الحكم بن هشام، من بني مروان، أديب مشهور بالتقدم في الأدب. كان في أيام عبد الرحمن الناصر. ترجمته وشعره في جذوة المقتبس (ص ٩٥ ـ ٩٦) وبغية الملتمس (ص ١٣٩).

(٢) الخَوَل، بالفتح: الخدم.

(٣) في طبعة دار صادر (ص ٥٧٤): «فما يَجولُ...».

(٤) هو أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن محمد بن سعد الخير ابن الأمير الحكم، أديب شاعر مشهور. جذوة المقتبس (ص ١٤٨) وبغية الملتمس (ص ٢٠٩).

ورأى له ذِهْنًا قابلاً للصلاح، فقال: أيُّ سيف لو كانت عليه حلية؟ فقامت مِنْ هذه الكلمة قيامَتُه، وثابت له همّة ملوكيّة عَطَفَ بها على الأدب والتعلّم، إلى أن صار ابن أبي عَبْدَة عنده كما كان هو عند ابن أبي عبدة أولاً، فحضر بعد ذلك معه، وجالا في مضمار الأدب، فرأى ابن أبي عبدة جوادًا لا يُشَقُّ غُبَاره، فقال: ما هذا؟ أين هذا مما كان؟ فقال: إن كلمتَكَ عملتْ في فكري ما أوجب هذا، فقال: واللّه إنّ هذه حلية تليق بهذا السيف، فجزاك اللّه عن همّتك خيرًا!.

ثم قال له: سِرْ، إنّ لي عليك حقًّا إذ بعثتك على التأدّب والتميز، فإذا حضرْنا في جماعة فلا تتطاولْ على تقصيري، وحافِظْ على أن لا أسقط من العيون بإرباء غيري عليَّ، فقال: لك ذلك وزيادة.

وكان المنذر ابن الأمير عبد الرحمن الأوسط سيء الخلق في أول أمره، كثير الإصغاء إلى أقوال الوشاة، مفرط القلق مِمّا يقال في جانبه، معاقبًا على ذلك مَنْ[1] يقدر على معاقبته، مكثر التشكّي مِمَّنْ لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن، فطال ذلك على الأمير، فقال لوكيل خاصّ به عارف بالقيام بما يكلّفه به: الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبني فيه الآن بناء أسْكِنُ فيه ابني المنذر، وأوصاه بالاجتهاد فيه، ففرغ منه، وعاد إليه، فقال له: تُعْلِم المنذر أني أمرته بالانفراد فيه، ولا تترك أحدًا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره، ولا يتكلّم معه البتّة، فإذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقلْ له: هكذا أمر أبوك، فتولّى الثقة ذلك على ما أمر به، ولَمَّا حصل المنذر في ذلك المكان وبقي وحده، وفَقَد خَوَله ومن كان يستريح إليه، ونظر إلى ما سُلِبه من الملك ضَجِر، فقال للثقة: عسى أن يصلني غلماني وأصحابي أتأنّسُ بهم، فقال له الثقة: إنّ الأمير أمر أن لا يصلك أحد وأن تبقى وحدك لتستريح مِمّا يرفع لك أصحابك من الوشاية، فعلم أن الأمير قصد مِحْنَتَه[2] بذلك وتأديبه، فاستدعى دواة وكتب إلى أبيه: إني قد توحّشت في هذا الموضع توحُّشًا ما عليه من مزيد، وعدمت فيه مَنْ كنت آنس إليه، وأصبحت مسلوبَ العِزّ فَقِيدَ الأمر والنهي، فإن كان ذلك عقابًا لذنبٍ كبير ارتكبتُه وعَلمه مولاي ولم أعلمه

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٧٥): «المن».
(٢) المحنة هنا: الاختبار.

فإني صابر على تأديبه، ضارع إليه في عَفْوه وصفحه: [الطويل]

وإنَّ أميرَ المؤمنين وفِعْلَهُ لكالدهرِ، لا عَارٌ بما فعل الدهرُ

فلمّا وقف الأمير على رقعته، وعلم أنّ الأدب بلغ به حقّه، استدعاه فقال له: وصلَتْ رقعتك تشكو ما أصابك من توحّش الانفراد في ذلك الموضع، وترغب أن تأنس بخَوَلك وعبيدك وأصحابك، وإن كان لك ذنب يترتّب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان، وما فعلتُ ذلك عقابًا لك، وإنما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل، فأردْنا راحَتَك بأن نحجب عنك سماع كلام مَنْ يرفع لك وينمُّ، حتى تستريح منهم، فقال له: سماعُ ما كنت أضجر منه أخفُّ عليَّ من التوحُّد والتوحّش والتخلّي مِمّا أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهي، فقال له: فإذ قد عرفت وتأدبْتَ فارجع إلى ما اعتدته، وعوّل على أن تسمع كأنك لم تسمع، وترى كأنك لم تر، وقد قال النبيُّ، ﷺ «لو تكاشفتم ما تدافنتم»، واعلم أنك أقرب الناس إليَّ وأحبّهم فيَّ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكار عليَّ، وسخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك، مما[1] لو أطلعني اللّه تعالى عليه لساءني، لكن الحمد للّه الذي حفظ ما بين القلوب بسَتْر بعضها عن بعض فيما يجول فيها، وإنك لذو همّة ومَطْمَح، ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل، ويبدل العقاب بالثواب، ويصير الأعداء من قبيل الأصحاب، ويصبر من الشخص على ما يسوء، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر، ولقد يخف عليَّ اليوم مَنْ قاسيت من فعله وقوله، ما[2] لو قطعتهم عضوًا عضوًا لما ارتكبوه مني ما شفيت منهم[3] غيظي، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال، لا سيما عند الاقتدار، أولى، ونظرت إلى جميع مَنْ حولي مِمَّنْ يحسن ويسيء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض، ونظرت إلى المسيء يعود محسنًا، والمحسن يعود مسيئًا، وصرتُ أنْدَم على مَنْ سبق له مني عقاب، ولا أندم على مَنْ سبق له مني ثواب، فالزم يا بنيَّ معالي الأمور، وإن جماعها في التغاضي، ومَنْ لا يتغاضى لا يسلم له صاحب، ولا يقرب منه جانب، ولا ينال ما تترقى إليه همّته، ولا يظفر بأمله، ولا يجد معينًا حين يحتاج

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٧٦): «ما لو».
(٢) في الطبعة نفسها: «ولو قطعتهم».
(٣) في الطبعة نفسها: «فيهم».

إليه، فقبَّلَ المنذر يده، وانصرف، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل، ويلغ ما أوصاه به أبوه، ورفع قدره.

ومن شعره في ابن عمّ له: [الطويل]

ومـولًـى أبَـى إلاَّ أذايَ وإنـنـي لأحْلُم عنه وهو بالجهل يقصدُ
تـوددتـه فـازداد بُـغـدًا وبـغـضـةً وهل نافعٌ عند الحسود التودّدُ

وقوله: [المجتث]

خـالـفْ عـدوّك فـيـمـا أتـاكَ فـيـه لـيـنـصـخ
فـإنـمـا يـبـتـغـي أن تـنـامَ عـنـه فـيـربـخ

ومن كرم نفسه أنَّ أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن، واسمها طَرَب، ولها صنعة في الغناء حسنة، فعندما وقع بصره على حسنها ثم أذُنُه على غنائها أخذت بمجامع قلبه، فقال لأحد خُدَّامه: ما ترى أن ندفع لهذا التاجر عوضًا عن هذه الجارية التي وقعت منّا أحسن موقع؟ فقال: تقدّر ما تساوي من الثمن وتدفع له بقدرها، فَقُوِّمت بخمسمائة دينار، فقال المنذر للخديم: ما عندك فيما ندفع له؟ فقال: الخمسمائة، فقال: إن هذا للؤم، رجل أهدى لنا جارية، فوقعت منّا موقع استحسان، نقابله بثمنها، ولو أنه باعها من يَهُودي لوجد عنده هذا، فقال له: إن هؤلاء التجار لؤماء بخلاء، وأقلُّ القليل يقنعهم، فقال: وإنّا كرماء سُمَحاء، فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه، فادفع له ألفَ دينارٍ، واشكره على كونه خَصَّنا بها، وأعلمه بأنها وقعت منّا موقع رضا.

وفيها يقول: [المنسرح]

لـيس يُـفـيـد الـسـرورُ والـطـربُ إن لـم تـقـابـل لـواحـظي طَـرَبُ
أَبهَتُ في الكأس لستُ أشربها والـفـكـرُ بـيـن الـضـلـوع يـلـتـهـبُ
يـعـجـب مـنـي مـعـاشِـرٌ جـهـلـوا ولـو رأوا حـسـنـهـا لـمـا عـجـبـوا

وقال له أبوه يومًا: إنّ فيك لتِيهًا مُفرِطًا، فقال له: حُقَّ لفرعٍ أنت أصلُه أن يعلو، فقال له: يا بنيَّ، إن العيون تمجُّ التيَّاه[1]، والقلوب تنفر عنه، فقال: يا أبي، لي من العِزّ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٧٨): «تمجُّ التائه، والقلوب تنحرف..».

والنسب وعلوّ المكان والسلطان ما يجمّلُ عن ذلك، وإني لم أَرَ العيون إلاّ مقبلة عليّ، ولا الأسماع إلاّ مُصْغية إليَّ، وإنَّ لهذا السلطان رَوْنَقًا يرنِّقه[1] التبذل، وعلوًّا يخفضه الانبساط، ولا يصونه ويشرفه إلاّ التيه والانقباض، وإنّ هؤلاء الأنذال لهم ميزان يَسْبُرون[2] به الرجل مِنّا، فإن رأوه راجحًا عرفوا له قدر رَجَاحته، وإن رأوه ناقصًا عاملوه بنقصه، وصيّروا تواضُعَه صغرًا، وتخضُّعَه خِسَّةً، فقال له أبوه: للّه أنت! فابْقَ وما رأيت.

وكان له أخ أديب أيضًا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الأوسط، ومن شعره: [المجتث]

أفنيتُ عمريَ في الشُّرْ ... ب والوجوه الملاحِ
ولم أضَيِّعْ أصِيلاً ... ولا اطلاعَ صباحِ
أُحْيِي الليالِيَ سُهْدًا ... في نَشْوَة ومراحِ
ولستُ أسمع ماذا ... يقول داعي الفلاحِ

والعياذ باللّه من هذا الكلام، وحاكي الكفر ليس بكافر.

وعتبه أحد إخوانه على هذا القول فقال: إني قلته وأنا لا أعقل، ولا أعلم أنه يُحْفَظُ عني، وأنا أستغفر اللّه تعالى منه، والذي يغفر الفعل أكرمُ من أن يعاقب على القول.

ومن جيد شعره قوله: [الخفيف]

يا أخي، فَرَّقَتْ صروفُ الليالي ... بَيْنَنا غَيْرَ زَوْرَةِ الأحلامِ
فغدوْنا بعد ائتلاف وقربٍ ... نتناجى بألسُنِ الأقلامِ

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان: [الطويل]

أُحِبُّك يا ريحانُ ما عِشْتُ دائمًا ... ولو لاَمَنِي في حُبِّك الإنسُ والجانُ
ولولاك لم أهْوَ الظلامَ وسُهْدَهُ ... ولا حُبِّبتْ لي في ذَرَا الدار غربانُ
وما أعشقُ الريحانَ إلاَّ لأنه ... شريكُكَ في اسمٍ فيه قلبيَ هَيْمان
على أنه لم يكملِ الظرفَ مجلسٌ ... إذا لم يكن فيه مع الراحِ ريحان

---

(١) يُرَنِّقُهُ: يكدره.
(٢) يسبرونه: يُخْبِرونه ليعرفوا عمقه، ومنه سبرُ الجرح. لسان العرب (سبر).

وله فيه: [الطويل]

إذا أنا مازحتُ الحبيبَ فإنما قصدتُ شفاءَ الهَمِّ في ذلك المزحِ
فما العيشُ إلاَّ أن أراه مُضاحِكًا كما ضحكَ الليلُ البهيمُ عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن[1]: [الوافر]

إذا أنا لم أجُدْ يومًا وقومي لهمْ في الجود آثارٌ عظامُ
فمن يُرْجَى لتشييد المعالي إذا قعدت عن الخيرِ الكرامْ

ومدحه بعضُ الشعراء، فأمر له بمال جزيل، فلما كان مثلُ ذلك الوقت جاءه بمدح آخر، فقال أحد خدام يعقوب: هذا اللئيم له دين عندنا جاء يقتضيه؟ فقال الأمير: يا هذا، إن كان اللّه تعالى خلقك مجبولاً على كره ربّ الصنائع فأجر على ما جُبِلت عليه في نفسك، ولا تكن كالأجرب يُعْدي غيره، وإنَّ هذا الرجل قصدنا قبلُ، فكان منّا له ما أنِسَ به وحَمَله على العودة، وقد ظَنَّ فينا خيرًا، فلا نخيب ظنّه، والحديث أبدًا يحفظ القديم، وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر، ونحن نسأل اللّه تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده، ويديم نعمنا حتى نجد ما نُنعِم به عليه، ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه، ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن إسداء الأيادي، وأمر الشاعر بما كان أمر له به قبلُ، وأوصاه بالعَوْد عند حلول ذلك الأوان ما دام العمر.

وقال أخوهم الخامس الأمير محمد ابن الأمير عبد الرحمن لأخيهم السادس أبان وقد خلا معه على راحة: هل لك أمل نبلغك إياه؟ فقال: لم يبق لي أمل إلاَّ أن يديمَ اللّه تعالى عمرك ويخلد ملكك، فأعجب ذلك الأمير، وقال: ما مالت إليك نفسي من باطل، وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر، وفي ذلك يقول أبان: [البسيط]

يا من يلومُ ولا يدري بمن أنا مفـ ـتونٌ لو أبصرته ما كنت تَلْحَاني
من مازَجَتْ روحُه روحي وشاطرني يا حُسْنَهُ حين أهواه ويهواني

وكان للأمير محمد ابن الأمير عبد الرحمن ثلاثة أولاد نجباء: القاسم، والمطرف، ومسلمة، ولهم أخ رابع اسمه عثمان.

---

(١) ترجمة يعقوب بن عبد الرحمن الثاني في الحلة السيراء (ج ١ ص ١٢٤).

فمن نظم القاسم في عثمان أخيه، وقد زاره فاستسقاه ماء، فأبطأ عليه غلامه لعلّة لم يقبلها القاسم[1]: [البسيط]

الـمـاءُ فـي دارِ عـثـمـانَ لـه ثـمـنٌ   والـخـبزُ شـيءٌ لـه شأنٌ مـن الشَّانِ
فاسْلَخْ على كل عثمانٍ مررتَ به   غيرِ الخليفةِ عثمانَ بن عفانِ[2]

وله: [مخلع البسيط]

شُـغِـلْـتُ بـالـكِـيـمِـيـاء دَهْـرِي   فـلـم أُفِـدْ غـيـرَ كـلُّ خُـسْـرِ
إتـعـابُ فـكـرٍ، خـداعُ عـقـلٍ   فـسـادُ مـالٍ، ضَـيـاعُ عُـمْـرِ

وقال شقيقُه المطرف[3]، ويعرف بابن غزلان، وهي أمه، وكانت مغنية بديعة محسنة عوّادة أديبة[4]: [المنسرح]

هـل أَتـكـي مُـشـرِفًـا عـلـى نَـهَـرٍ   أَرْمي بطَرْفي إليه من قَـصْـري
عـنـد أخٍ لـو دَعَـتْـهُ حـادثـةٌ   أَعْـطَـيْـتُـهُ مـا أُحِـبُّ مِـنْ عـمـري

وقال أخوهما مسلمة[5]: [الخفيف]

إنَّ شَـيْـبًـا وصَـبْـوةً لَـمُـحـالُ   أَوَ لـم يـأنُ أن يـكـونَ زوالُ
فَـدَعِ الـنـفـس عـن مـزاح ولَـهْـوٍ   تلك حال مضت وجاءتك حال

وكان يقول: إني لا أُفارق إلاَّ من اختار مفارقتي، ومَنْ خادعني انخدعت له، وأريته أني غير فَطِن بخداعه، ليعجبه أمره، وأُدخل عليه مسرّة بنفسه ورأيه.

وقال محمد ابن الأمير المنذر ابن الأمير محمد في جاريته الأراكة: [المجتث]

قُـلْ لـلأراكـة قـد زا   د بـالـدنـوّ اشـتـيـاقـي
وهـاجَ مـا بـي إلـيـهـا   تـمـثُّـلـي لـلـعِـنـاقِ

(١) ترجمة القاسم بن عبد الرحمن الثاني وشعره في الحلة السيراء (جـ ١ ص ١٢٧).
(٢) في الحلة السيراء: «واسلخ. . . إلاّ الخليفة. . .».
(٣) ترجمة المطرف بن عبد الرحمن الثاني في الحلة السيراء (جـ ١ ص ١٢٨) والمقتبس بتحقيق مكّي (ص ٢٠٥) وجمهرة أنساب العرب (ص ٩٨).
(٤) البيتان في الحلة السيراء (ص ١٢٩) والمقتبس (ص ٢٠٨).
(٥) ترجمة مسلمة بن عبد الرحمن الثاني في المقتبس بتحقيق مكي (ص ٢١١).

وإنــنــي وبــقــلــبــي جمرٌ جرى في المآقي
فــإنْ أَعُــذْ لاجــتــمــاع حَــرَّمْــتُ يــومَ افــتــراق
لا يــعــرفُ الــشــوقَ إلاّ مَــنْ ذاقَ طــعــمَ الــفــراقِ

وقال عبد الله بن الناصر[1]، وقد أهدى له سعيد بن فرج ياسمينًا أبيض وأصفر، وكتب معه[2]: [الكامل]

مولاي قد أرسلْتُ نحوكَ تُحفَةً بمرادِ ما أبغيه منكَ تُذَكِّرُ
من ياسمينٍ كاللُّجَين[3] تَبَرَّجَتْ بِيْضًا وصُفرًا والسَّماحُ يُعَبِّرُ

فأجابه بما نصُّه: [السريع]

أتاكَ تفسيري ولَمَّا يَحُلْ منِّي على أضغاثِ أحلام[4]
فاجْعَلْهُ رَسْمًا دائمًا زائرًا مني ومنك غُرَّةَ العامِ[5]

وبعث إليه بهذين البيتين مع ملء الطبق دنانير ودراهم، فقال ابن فرج: [الخفيف]

قد سمعْنا بِجُودِ كَعْبٍ وحاتمْ[6] ما سَمِعْنا جودًا مَدَى العمر لازمْ
فــدعــائــي بــأنْ تــدومَ دعــاءٌ ليَ ما زالَ طولَ ما عشتَ دائمْ
ما سمعْنا كمثلِ هذا اختراعًا هكذا هكذا تكونُ المكارمْ

وتُشبه هذه الحكاية حكاية اتّفقت لبعض ملوك إفريقية، وذلك أنّ رجلاً أهدى له في قادوس وردًا أحمر وأبيض، فأمر أن يملأ له دراهم، فقالت له جارية من جواريه: إن رأى الأمير أنْ يلوّن ما أعطاه، حتى يوافق ما أهداه، فاستحسن ذلك الأمير، وأمر أن يملأ دنانير ودراهم.

---

(١) ترجمة عبد الله بن عبد الرحمن الناصر في جذوة المقتبس (ص ٢٦٢) وبغية الملتمس (ص ٣٤٦) والحلة السيراء (جـ ١ ص ٢٠٦) والمغرب (جـ ١ ص ١٨٧).
(٢) البيتان وجوابهما في المغرب (جـ ١ ص ١٨٨).
(٣) في المغرب: «كالنجوم».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٥٨٢): «عني على..». وفي المغرب: «أتاك تعبيري..».
(٥) في طبعة دار صادر: «منك ومني غرّة..». وفي المغرب: «قائمًا منك ومني أول العام».
(٦) كعب: هو كعب بن مامة الإيادي. وحاتم: هو حاتم الطائي، وهما مضرب المثل في الجود. وقد أشرنا إلى ذلك في غير ما موضع.

وكان المرواني المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء، فمرًا بجميل، فمال عبد اللّه بطرفه إلى[1] وجهه، وظهر ذلك لمسايره، فتبسَّم، ففهم عبد اللّه تبسمه[2]، فقال: إنَّ هذه الوجوه الحسان خَلاَّبة، ولكنّا لا نتغلغل في نظرها، ولا ندَّعي العفّة عنها بالجملة، وفيها اعتبار وتذكار بالحُورِ العِيْن التي وعد اللّه تعالى، فقال له الفقيه: احتجَّ لروحك بما شئت، فقال: أَوَ ما هي حجّةٌ تُقْبَلُ؟ فقال الفقيه: يقبلها من رَقَّ طبعُهُ، وكاد يضيق عن الصبر وُسْعُهُ، فقال: وأراك شريكًا لي، فقال: ولولا ذلك لَلُمْتُك، فأطرق عبد اللّه ساعة ثم أنشد: [المنسرح]

أفدي الذي مَرَّ بي فمال له لحظي ولكنْ ثنيته غَضَبا
ما ذاكَ إلاّ مَخَافَ منتقدٍ فاللّهُ يعفو ويغفرُ الذَّنْبا

فقال له الفقيه: إن كنت ثنيتَ لحظك خوفَ انتقادي فإني أدعوه إليك حتى تملأ منه، ولا تنسبْ إليَّ ما نسبت، فتبسّم عبد اللّه وقال: ولا هذا كلّه، وقال له: إنَّ مثلك في الفقهاء لمعدوم، فقال له: ما كنتُ إلاّ أديبًا، ولكنّي لَمَّا رأيت سوقَ الفِقْهِ بقُرْطُبة نافقة اشتغلتُ به، فقال له: ومِنْ عَقْل المرء أن لا يفني عمره فيما لا ينفقه عصره.

وكان عبد اللّه المذكور يسمَّى الزاهد، فبايع قومًا على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولي العهد، فأُخذ يوم عيد الأضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، فذبح بين يديه رحمة اللّه تعالى[3]!.

وقال أخوه أبو الأصبغ عبد العزيز بن الناصر[4]، وقد دخل ابن له الكتّاب، فكتب أول لوح، فبعثه إلى أخيه الحكم المستنصر ملك الأندلس، ومعه[5]: [مجزوء الرمل]

هاك يا مولايَ خَطًّا مَطَّه في اللوح مَطّا

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٨٣): «على وجهه».
(٢) في الطبعة نفسها: «عبد اللّه عنه، فقال».
(٣) النص المذكور في المغرب (جـ ١ ص ١٨٨) وابن سعيد ينقل عن إبراهيم بن القاسم القروي، المعروف بالرقيق.
(٤) ترجمة عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر في جذوة المقتبس (ص ٢٨٩) وبغية الملتمس (ص ٣٨٥) والمغرب (جـ ١ ص ١٨٩) والحلة السيراء (جـ ١ ص ٢٠٨).
(٥) الأبيات في الجذوة والبغية والحلة.

ابـنُ سـبـعٍ فـي سِـنِـيـهِ لـم يُـطِـقْ[1] لـلـوحِ ضَـبْـطـا
دُمْـتَ يـا مـولاي حـتـى يـلـدَ ابنُ ابـنـكَ سِـبْـطـا[2]

وله[3]: [الرمل]

زارنـي مَـنْ هِـمْـتُ فـيـه سَـحَـرًا يَـتَـهـادَى كـنـسـيـمِ الـسَّـحَـرِ
أَقْـبَـسَ الـصـبحَ ضـيـاءً سـاطِـعًـا[4] فـأَضـاء والـفـجـرُ لـم يَـنْـفَـجِـرِ
واسـتـعـارَ الـروضُ مـنـه نَـفْـحَـةً بَـثَّـهَـا بـيـن الـصَّـبـا والـزَّهَـرِ
أيـهـا الـطـالـعُ بَـدْرًا نَـيِّـرًا لا حَـلَـلْـتَ الـدهـرَ إلاَّ بَـصَـرِي

وكان مُغْرًى مغرمًا بالخمر والغناء، فقطع الخمر، فبلغه أنَّ المستنصر لَمّا بلغه تركُهُ للخمر قال: الحمد للّه الذي أغنانا عن مفاتحته، ودَلَّه على ما نريد منه، ثم قال: لو ترك الغناء لكمل خيره، فقال: واللّه لا تركْتُه حتى تترك الطيورُ تغريدَهَا، ثم قال[5]: [الخفيف]

أنـا فـي صِـحّـةٍ وجـاهٍ ونُـعْـمَـى هـي تـدعـو لـهـذه[6] الألـحـانِ
وكذا الطيرُ في الحدائق تَشْدُو لـلـذي سَـرَّ نـفـسـه بـالـقـيـانِ[7]

وقال أخوه محمد بن الناصر لَمّا قدم أخوهما المستنصر من غَزْوة[8]: [الكامل]

قـدمـتَ بـحـمـد الـلّـه أسـعـدَ مَـقْـدَمِ وضِـدُّك أضـحـى لـلـيـديـنِ ولِـلْـفَـمِ[9]
لقد حُزْتَ فيها السَّبْقَ إذ كنتَ أَهْلَهُ كما حاز «بسم اللّه» فَضْلَ التقدُّمِ

---

(١) في البغية: «لم يصن».
(٢) في الجذوة والحلة: «يولد» بدل «يلد». وفي البغية: «تِهْتَ يا مولاي.. يولد ابن..».
(٣) الأبيات في المغرب (ج ١ ص ١٨٩).
(٤) في المغرب: «ضياءَ نورُه».
(٥) البيتان في المغرب (جـ ١ ص ١٨٩).
(٦) في المغرب: «للذّة الألحان».
(٧) في المغرب: «بالعِيانِ».
(٨) ترجمة محمد بن عبد الرحمن الناصر في المغرب (جـ ١ ص ١٨٩) وبيتاه في المصدر نفسه (ص ١٩٠).
(٩) أضحى لليدين وللفم: أي خرَّ صريعًا.

وأما أخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر[1] فقال الحِجَاري فيه: إنه لم يكن في ولد الناصر مِمَّنْ لم يَلِ الملكَ أشعر منه ومن ابن أخيه، وكتب إلى العزيز صاحب مصر[2]: [الطويل]

أَلَسْنَا بني مروان كيف تَبَدَّلَتْ ... بنا الحالُ أو دارتْ علينا الدوائرُ
إذا وُلِدَ المولودُ مِنّا تَهلَّلَتْ ... له الأرضُ واهتزَّتْ إليه المنابرُ[3]

وكان جواب العزيز له: أمّا بعدُ، فإنك عرفتنا[4] فهجوتنا، ولو عرفناك لهجوناك.

وله في الصَّنَوْبر: [المجتث]

إنَّ الصنوبَرَ حِصْنٌ ... لديه جِرزٌ وباسُ
خَفَّتْ مِنَ آجلِ إزها ... ب مَنْ عداهُ تراسُ
كأنما هو ضِدٌّ ... لما حواه الرئاسُ

وبعض سيوف الأندلس محفور صدر الرئاس على صورة قشور الصنوبر إلاّ أنَّ تلك ناتئة وهذه محفورة، وقال[5]: [الطويل]

أتاني وقد خُطَّ العِذارُ بخدِّه ... كما خُطَّ في ظهرِ الصحيفةِ عنوانُ
تزاحمتِ الألحاظُ في وَجَناته ... فشُقَّتْ عليه للشقائقِ أَزْدان
وزِدْتُ غرامًا حين لاحَ كأنما ... تَفَتَّحَ بين الورد والآسِ[6] سوسانُ

وقال[7]: [الطويل]

لئن كنتُ خَلاَّعَ العِذار بشادنٍ ... وكأسٍ فإني غيرُ نَزْرِ المواهبِ

---

(١) محمد بن عبد الملك بن الناصر ليس أخًا لمحمد بن الناصر، وهو حفيد الناصر، وترجمته في الحلة السيراء (جـ ١ ص ٢٠٨) والمغرب (جـ ١ ص ١٩٠).
(٢) البيتان في الحلة السيراء (جـ ١ ص ٢٠٩) والمغرب (جـ ١ ص ١٩٠) ويتيمة الدهر (جـ ١ ص ٢٩٤).
(٣) في الحلة السيراء: «المنائر».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٥٨٥): «فإنك علمتنا.. ولو علمناك..».
(٥) الأبيات في المغرب (جـ ١ ص١٩٠).
(٦) في المغرب: «آسٌ وسوسانُ».
(٧) الأبيات الثالث والرابع والخامس في المغرب.

وإنّي لَطَعَّانٌ إذا اشْتَجَرَ القَنَا ومُقْحِم طرفي في صدور الكتائب
وإني إذا لم تَرْضَ نفسي بمنزلٍ[1] وجاش بصدري الفكرُ جمُّ المذاهب
جليدٌ يَوَدُّ[2] الصَّخر لو أنَّ صَبْرَهُ كصبري، على ما نابني، للنوائبِ
وأَسْرِي إلى أن يَحْسِبَ الليلُ أنني لطول مَسِيري فيه بعضُ الكواكبِ

وأمّا ابن أخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر[3] فكان في بني أمية شبه عبد الله بن المعتز في بني العباس، بملاحة شعره وحسن تشبيهه.

ومن شعره القصيدة المشهورة[4]: [الرمل]

غُصُنٌ يهتزُّ في دِعْصِ نَقًا يجتني منه فؤادي حُرَقَا
سال لامُ الصّدغِ في صفحته سَيَلان التِّبر وافى الورقا
فتناهى الحُسْنُ فيه إنما يَحْسُنُ الغصنُ إذا ما أورقا

ومنها:

أصْبَحَتْ شمسًا وفوه مَغْرِبًا ويَدُ الساقي المحيِّي مشرقا
فإذا ما غَرَبَتْ في فمه تركتْ في الخَدِّ منه شفقا

ومنها:

وكأنَّ الوردَ يعلوه النَّدَى وَجْنَةُ المحبوب تَنْدَى عَرَقًا

قالوا: وهذا النمط قد فاق به أهل عصره، ويظنّ أنه لا يوجد لأحد منهم أحلى وأكثر أخذًا بمجامع القلوب من قوله: [الكامل]

وَدَّعْتُ مَنْ أهوى أصيلاً، ليتني ذُقْتُ الحِمامَ ولا أذوقُ نَوَاهُ
فَوَجَدْتُ حتى الشمس تشكو وَجْده والوُرْقُ تندبُ شجوها بهواه

---

(١) في المغرب: «إذا لم يَرْضَ قلبي. .».
(٢) في أصول النفح: «يئود» والتصويب عن المغرب.
(٣) مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر يعرف بالشريف الطليق، وترجمته في جذوة المقتبس (ص ٣٤٢) وبغية الملتمس (ص ٤٦١) ويتيمة الدهر (جـ ٢ ص ٦١) والذخيرة (ق ١ ص ٥٦٣) والحلة السيراء (جـ ١ ص ٢٢٠) والمغرب جـ ١ ص ١٩١).
(٤) الأبيات في معظم المصادر التي ترجمت له، وفي روايتها بعض الاختلاف عمّا هنا.

وعلى الأصائل رقَّةٌ مِنْ بُعْدِهِ فكأنها تَلْقَى الذي ألقاه
وغدا النسيمُ مُبَلِّغًا ما بيننا فلذاك رقَّ هَوًى وطابَ شَذَاه
ما الروضُ قد مُزِجَتْ به أنداؤه سَحَرًا بأطيبَ مِنْ شَذَا ذكراه
والزهرُ مبسمُهُ ونَكْهَتُه الصَّبا والوردُ أَخْضَلَهُ الندى خَدَّاه
فلذاك أُولِعُ بالرياض لأنها أبدًا تُذَكِّرني بمن أهواه

ولله قوله: [الخفيف]

وعَشِيّ كأنه صبحُ عيدِ جامعٍ بين بَهْجَةٍ وشحوبِ
هَبَّ فيه النسيمُ مثل مُحِبّ مستعيرًا شمائلَ المحبوبِ
ظَلْتُ فيه ما بين شمسين هذي في طلوعٍ وهذه في غُروب
وتَدَلَّتْ شمسُ الأصيلِ ولكنْ شمسُنا لم تزلْ بأعلى الجيوب[1]
ربُّ هذا خلقْته من بديعِ مَنْ رأى الشمس أُطْلِعَتْ في قضيب
أي وقتٍ قد أسعف الدهرُ فيه وأجابتْ به الْمُنَى عن قريب
قد قطعناه نَشْوةً ووصالاً وملأناهُ مِنْ كبارِ الذنوبِ
حين وَجْهُ السعودِ بالبِشرِ طَلْقٌ ليس فيه أمارةٌ للقطوب
ضَيَّعَ اللَّهُ من يضيّعُ وقتًا قد خلا مِنْ مُكَدِّرٍ ورقيبِ

وبات عند أحد رُؤساء بني مروان، فقدَّم إليه ذلك الرئيس قدحًا مِنْ فِضّة فيه راح أصفر، وقال: اِشرَبْ وصِفْ فِدَاك ابنُ عمك، فقام إجلالاً وشرب صائحًا بسروره، ثم قال: الدواةَ والقرطاس، فأُحْضِرا[2]، وكتب: [السريع]

اِشْرَبْ هنيئًا لا عَدَاكَ الطربْ شُرْبَ كريمٍ في العُلاَ منتخبْ
وافاكَ بالراحِ وقد أُلْبِسَتْ بُرْدَ أصيلٍ معلمًا بالْحَبَبْ
في قَدَحٍ لم يَكُ يُسْقَى به غيرُ أُولي المجدِ وأهلِ الحسبْ
ما جار إذ سَقَاكَ مِنْ كَفِّه في جامدِ الفِضَّةِ ذَوْبَ الذهب
فَقُمْ على رأسِكَ برًّا به واشْرَبْ على ذكراهُ طولَ الحقبْ

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ١٢٦): «الجنوب».
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ١٢٧): «فأُحْضِرَ».

ويحكى أنه لَمّا قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سَجَنه المنصورُ بن أبي عامر مدة، إلى أن رأى في منامه النبيّ، ﷺ، يأمره بإطلاقه، فأطلقه، فمن أجل ذلك عرف بالطليق.

وقال أحمد بن سليمان بن أحمد بن [عبد الرحمن بن][1] عبيد اللّه بن عبد الرحمن في ابن حزم لَمّا عاداه علماء عصره[2]: [المجتث]

لَـمّـا تـحـلّـى بِـخُـلْـقِ | كـالـمِـسْـكِ أو نَـشْـرِ عُـوْدِ
نـجـلُ الـكِـرام ابـنُ حـزمٍ | وقـام[3] فـي الـعـلـم عُـودِي
فـتـواه جـدَّد ديـنـي | جـذواه أورقَ عـودي[4]

وله في أبي عامر بن المظفر بن أبي عامر من قصيدة يمدحه بها: [الخفيف]

بـأبـي عـامـرٍ وَصَـلْـتُ حـبـالـي | فـزمـانـي بـه زمـانٌ سـعـيـدُ
فـمـتـى زدتُ فـيـه ودًّا وشـكـرًا | فـنَـدَاهُ وقـد تـنـاهـى يـزيـدُ
كيف لي وصفه وفي كلِّ يومٍ | منه في المكرمات معنًى جديدُ

وقال أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن الناصر يرثي أبا مروان بن سراج[5]: [الطويل]

وكـم مِـنْ حـديـثٍ لـلـنـبـيِّ أبـانَـهُ | وألْـبَـسَـهُ مِـنْ حُـسْـنِ مَـنْـطِـقِـهِ وَشْـيَـا
وكم مُصْعَبٍ للنحو قد راض صَعْبَهُ[6] | فعاد ذَلُولاً بَعْدَ ما كان قد أَعْيا

وقال عبيد اللّه بن محمد المهدي، وهو من حسنات بني مروان، ويُعْرف بالأقرع: [الطويل]

أقـول لآمـالـي سـتـبـلـغُ إنْ بَـدَا | مُحَيًّا ابن عَطّافٍ ونعم المؤمَّلُ

---

(١) ما بين قوسين ساقط من طبعة عبد الحميد.
(٢) ترجمة أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر والقطعة الأولى في جذوة المقتبس (ص ١٢٤) وبغية الملتمس (ص ١٨٠).
(٣) في الجذوة: «وفات». وفي البغية: «وبات».
(٤) في البغية: «فَشْواه جَدَّد. . جَذْواه أورق. . ».
(٥) البيتان في الذخيرة (ق ١ ص ٢٨٠)، وقد تقدّما في الجزء الرابع.
(٦) في الذخيرة: «في النحو راض جماحَهُ».

فقالتْ دعاني كلَّ يومٍ تعلُّلٌ فقلتُ لها إنْ لاحَ يَفْنَى التعلّلُ
لئن كان مني كلَّ حينٍ ترحُّلٌ فإنيَ إن أحْلُلْ به لستُ أرحَلُ
فَتَى تردُ الآمالُ في بحرِ جُوْده وليس على نُعْمى سواه المعوَّلُ

وقال هذه في الوزير ابن عَطّاف، فضنّ عليه حتى يِرَجْع الجواب، فكتب إليه بقصيدة منها: [الرمل]

أيها الممكنُ من قدرتِهِ لا يراكَ اللّهُ إلاّ مُحْسنا
إنما المرءُ بما قدَّمه فَتَخَيَّرْ بين ذمّ وثَنَا
لا تكنْ بالدهر، غِرًّا وإذا كنتَ فانظرْ فعله في ملكنا
كلُّ ما خُوِّلْتَ منه ذاهبٌ إنما[1] تصحب منه الكفنا
مُدَّ كفًّا نحو كفٌ طالما أمطرت منه السحاب الهُتَّنَا
أو أرِحْنِي بجوابِ مؤيسٍ فمطالُ البرِّ مِنْ شَرِّ الْعَنَا

فلم يُعْطه شيئًا، وكان له كاتب فتحيَّلَ في خمسين درهمًا فأعطاها له، فلما سمع الوزير بذلك طرده، وقال له: من أنت حتى تُحَمِّلَ نفسك هذا وتعطيه؟ قال: فواللّه ما لبث إلاّ قليلاً حتى مات الوزير، وتزوّج الكاتب بزوجته، وسكن في داره، وتخوّل في نعمته، فحملني ذلك على أن كتبت بالفحم في حائط داره: [الطويل]

أيا دارُ، قولِي أينَ ساكنُك الذي أبى لُؤْمه أن يَتْرُكَ الشُّكْرَ خالدا
تَسَمَّى وزيرًا والوزارةُ سُبَّةٌ لمن قد أبى أن يستفِيدَ المحامدا
وولّى ولكن ليس يبرحُ ذَمُّهُ فها هو قد أرضى عدوًّا وناقِدا
وأضحى وكيلٌ كان يأنف فعلَهُ نزيلَكِ في الحوض الممنَّع واردا
جزاءٌ بإحسانٍ لذا وإساءةٍ لذاك، وساعٍ وَرَّثَ الحمدَ قاعدا

والمثل السائر في هذا «رُبَّ ساعٍ لقاعد».

وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، وكان في غاية الجمال، ويلقب بالغَزّال: [الكامل]

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٨٩): «والذي تصحب».

قدمَ الربيعُ عليكَ بعد مَغِيبِ فـتـلـقَّـهُ بسُـلافَـةٍ وحـبـيـبِ
فَـصْـلٌ جـديـدٌ فـلـتـجـدَّدْ حـالـةٌ يأتي الزمانُ بها على المرغوب
الـجـوُّ طَـلْـقٌ فـالْـقَـهُ بـطـلاقـةٍ وإذا تـقـطَّـبَ فـالْـقَـهُ بـقُـطُـوبِ
لـلَّـه أيـامٌ ظـفـرتُ بـهـا ومَـنْ أهـواهُ مـنـقـادٌ بـغـيـر رقـيـبِ

وله: [الكامل]

لي في كَفَالاتِ الرماحِ لو أنها وَفَّتْ ضَمَانٌ يُبْلِغُ الآمالا[1]
وكَّلْتُ دهري في اقتضاء ضمانها ضَنًّا بِهِ أن لا يحولَ فحالا[2]

وكان مُولَعًا بالفكاهة والنادر، محبًّا للظرفاء[3]، وكان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة، ويحضر معه، ولعبوا في مجلس سليمان لعبة أفضَوْا فيها إلى أن تقسّموا اثنين اثنين، كل شخص ورفيقه، فقال سليمان: ومن يكون رفيقي؟ فقال له المضحك: يا مولاي، وهل يكون رفيق الغزال إلاّ الزرافة؟ فضحك منه على عادته.

ودخل عليه وهو قاعد في رحبة قصره، وقد أطلَّ عِذارُه، فقال له: ما تطلب الزرافة؟ فقال: ترعى الحشيش، وأشار إلى عِذاره، فقال له: أُغْرُبْ لعنك اللّه!

ومَرَّ سليمانُ به يومًا وهو سكرانُ، وقد أوقف ذَكَرَهُ وجعل يقول له: ماذا رأيتَ في القيام في هذا الزمان؟ أما رأيت كل ملك قام كيف خُلع وقُتل؟ واللّه إنك سيء الرأي! فقال له سليمان: وبِمَ لقبتَ هذا الثائر؟ فقال: يا مولاي، بصفته القائم، فقال: ويحتاج إلى خاتم؟ فقال: نعم، ويكون خاتم سليمان، فقال له: أخزاك اللّه! إنَّ الكلام معك لفضيحة.

وقال سعيد بن محمد المرواني[4]، وقد هجره المنصور بن أبي عامر مدّةً لكلام بلغه

---

(١) يقول: إذا ما وَفَتِ الرماح فإنّ لي ضمانًا يبلغ الآمال في كفالاتها.
(٢) حال: تحوّل من حال إلى أخرى.
(٣) في طبعة دار صادر (ص ٥٩٠): «محبًا في الظرفاء».
(٤) ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر (جـ ٢ ص ٥٤) باسم «سعيد بن العاص المرواني» وأورد له القطعة الثانية وهي في وصف الهلال، وأعقب البيتين ببيت ابن المعتز. وترجم له ابن سعيد في المغرب (جـ ١ ص ١٩٧ ـ ١٩٨) باسم «أبو عثمان سعيد بن عثمان بن مروان المعروف بالبُلّينة» وأورد له القطعتين. وترجم له بالاسم الأخير كل من الحميدي في جذوة المقتبس (ص ٢٣١) وبغية الملتمس (ص ٣١٠) وبلينة: كلمة إسبانية ballena وتعني الحوت. قاموس ف. كورينطي.

عنه، فدخل والمجلس غاصٌ، وأنشد: [السريع]

مَــولايَ مَــولايَ، أَمَــا آن أنْ تُـريحَنـي بالـلّـه[1] مِنْ هَجْرِكا
وكـيـف بـالـهَـجْـرِ وأنّـى بـه ولـم أزلْ أسـبـحُ فـي بَـحْـرِكـا

فضحك ابن أبي عامر على ما كان يُظْهره من الوَقَار[2]، وقام وعانقه، وعفا عنه، وخلع عليه.

وله: [الكامل]

والبدرُ في جَوِّ السماء قد انطوى طَرَفَاه حتى عاد مثلَ الزَّوْرَقِ
فتراه مِنْ تحتِ المَحَاقِ كأنما[3] غَرِقَ الكثيرُ وبَعْضُهُ لم يَغْرَقِ

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز: [الكامل]

وانظرْ[4] إليه كزَوْرَقٍ من فِضَّةٍ قد أَثْقَلَتْه حُمُولةٌ مِنْ عَنْبرِ

وقال قاسم بن محمد المرواني[5] يستعطف المنصور بن أبي عامر، وقد سَجَنه لقولٍ صدر عنه: [الكامل]

نـاشـدْتُـكَ الـلّـهَ الـعـظـيـمَ وحَـقَّـهُ فـي عَـبْـدِكَ الـمُـتَـوَسِّـلِ الـمُـتَـحَـرِّمِ
بـوسـائـل[6] المدح الـمُـعَـاد نـشـيـدُهـا فـي كـلِّ مجمعٍ موكـبٍ أو موسـمِ
لا تـسـتـبـحْ مـنـي حِـمًـى أَرْعَـاكَـهُ[7] يـا مـن يُـرَى فـي الـلّـه أحـمـى محتمي

وقال الأصم المرواني[8] يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح معارضًا بائية أبي تمام: [البسيط]

---

(1) في المغرب: «تريحني الأيام».
(2) أغلب الظن أنه ضحك لأن المترجم له كان يلقب بالبلينة، أي الحوت.
(3) في يتيمة الدهر: «كأنه».
(4) في اليتيمة: «انظر».
(5) ترجمة قاسم بن محمد المرواني في جذوة المقتبس (ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠) وبغية الملتمس (ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧) وفيهما الأبيات.
(6) في البغية: «بمسائل».
(7) في الجذوة: «لا يُسْتَبَحْ..». وفي البغية: «لا يُسْتَبَحْ منه حتى..».
(8) ترجمة الأصم المرواني في زاد المسافر (ص ٨٤) والمعجب (ص ٢٨٤) وبعض الأبيات البائية في=

بقصيدة طويلة منها: [البسيط]

ما للعدا جُنَّةٌ أوقى من الهربِ أين المفرُّ وخيلُ اللّه في الطلبِ
وأين يذهبُ مَنْ في رأسِ شاهقةٍ إذا رَمَتْهُ سماءُ اللّه بالشُّهُبِ

ومنها:

وطَوْدِ طارقَ قد حلَّ الإمامُ به كالطُّور كان لموسى أيمنَ الرُّتبِ
لو يعرفُ الطَّودُ ما غَشَّاه مِنْ كرمٍ لم يبسطِ النورُ فيه الكَفَّ للسُّحُبِ
ولو تَيَقَّنَ بأسًا حلَّ ذِرْوَته لصار كالعينِ مِنْ خوفٍ ومِنْ رَهَبِ
منه يعاودُ هذا الفتحَ ثانيةً أضعافَ ما حدّثوا في سالف الحِقَبِ
ويلبسُ الدينُ غضًّا ثوبَ عزّته كأنَّ أيامَ بَدْرٍ عنه لم تَغِبِ

وقال في نارنجة: [البسيط]

وبنتِ أَيْكٍ دنا من لثمها قُزَحٌ فصار منه على أرجائها أثرُ
يبدو لعينيك منها منظرٌ عَجَبٌ زَبَرْجَدٌ ونُضَارٌ صاغه المطرُ
كأنَّ موسى نبيَّ اللّه أقبسه نارًا وجَرَّ عليها كَفَّهُ الخَضِرُ

وقال[1]: [السريع]

وشادنٍ قلتُ له صِفْ لنا بُسْتانَنا هذا ونارَنْجَنا
فقال لي بستانكم جَنَّةٌ ومَنْ جَنَى النارنجَ نارًا جَنَى

وقال في زَلَبَاني[2]: [الكامل]

للّه سَفَّاحٌ بَدَا لي مسحرًا فأفادَ علم الكِيمِيا بيمينِه
ذَهَّبْتُ فِضّة خدّه بلواحظي وكذاك تفعلُ ناره بعجينه

= المصدرين المذكورين، والقطعة التي في النارنجة والأخرى التي قالها وهو في فندق لا يليق بمثله في زاد المسافر.

(١) سيرد هذان البيتان في الجزء العاشر ببعض الاختلاف عمّا هنا.

(٢) أراد: قالي الزلابية.

وقال، وقد نزل في فندق لا يليق بمثله: [مخلع البسيط]

يا هذه لا تُفَنِّديني ... أنْ صِرْتُ في منزلٍ هَجِينِ
فليس قبحُ المحلِّ مِمّا ... يقدحُ في مَنْصِبي وديني
فالشمسُ عُلْوِيَّةٌ ولكنْ ... تغربُ في حَمْأةٍ وطِيْنِ

وقال أحمد المرواني: [الوافر]

حَلَفْتُ بمن رمى فأصابَ قلبي ... وقَلَّبَهُ على جَمْرِ الصدودِ
لقد أودى تذكُّره بقلبي[1] ... ولست أشكُّ أنَّ النفسَ تُودِي
فَقيدٌ وهو موجودٌ بقلبي ... فواعجبا لموجودٍ فقيد

وقال الأصبغ القرشي يرثي ابنَ شُهَيد وهو من أصحابه: [الطويل]

نَأى مَنْ به كان السرورُ مواصلاً ... وأسْلَمَ قلبي للصَّبابةِ والفِكْرِ

ومنها:

لَعَمْرُك ما يُجْدِي النعيمُ إذا نأتْ ... وجوهُهُمْ عني ولا فُسْحَةُ العُمْرِ

وقال سليمان بن عبد الملك الأموي: [الوافر]

وذي جَدَلٍ أطال القولَ منه ... بلا معنًى وقد خفيَ الصوابُ
فقلتُ أُجِيبُهُ فازدادَ ردًّا ... فقلتُ له قد ازدحمَ الجوابُ
ولم أرَ غيرَ صمتي من مريحٍ ... إذا ما لم يفدْ فيه الخطابُ

وقال أبو يزيد بن العاصي: [الخفيف]

عابَهُ الحاسدُ الذي لام فيه ... أنْ رأى فوقَ خَدِّه جُدَرِيَّا
إنما وَجْهُهُ هلالُ تمامٍ ... جَعَلُوا بُرقعًا عليه الثُّرَيّا

وله: [الطويل]

إذا شئتَ أن يصفو صديقُكَ فاطَّرِحْ ... نزاعَ الذي يُبْدِيه في الهَزْلِ والجِدِّ
وإنْ كنتَ مِنْ أخلاقِهِ في جهنَّمٍ ... فأَنْزِلْهُ مِنْ مَثْوَاكَ في جَنَّةِ الخلدِ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٩٤): «بجسمي».

إلى أنْ يُتِيحَ اللَّهُ مِنْ لطفِ صنعهِ فراقًا جميلاً فاجْعَلِ العُذْرَ في البعدِ

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بني مروان رحمهم اللّه تعالى!.

ولنرجع إلى أهل الأندلس جملة، فنقول:

أمر أبو الحجاج المَنْصَفي أن يُكْتَبَ على قبره[1]: [السريع]

قالتْ ليَ النَّفْسُ أتاكَ الرَّدَى وأنتَ في بحرِ الخَطَايا مُقِيمْ
هلا[2] ادَّخَرْتَ الزادَ قلْتَ اقْصِرِي لا يُحْمَلُ الزادُ لدارِ الكريمْ

وقد ذكرنا هذين البيتين في غير هذا الموضع.

وقال ابن مرج الكحل[3]: اجتمعنا في حانوت بعض الأطباء بإشبيلية فأضجرناه بكثرة جلوسنا عنده، وتعذّرت المنفعة عليه من أجلنا، فأنشدنا: [مجزوء الرمل]

خَفِّفُوا عَنَّا قليلاً رُبَّ ضيقٍ في بَرَاحِ
هل شكوتمْ مِنْ سقامٍ أو جَلَسْنا للصحاحِ؟

فأضفت إليهما ثالثاً، وأنشدته إياهُ على سبيل المُدَاعبة: [مجزوء الرمل]

إنْ أتيتمْ فَفُرَادَى ذاك حكمُ المستراحِ

ودخل أبو محمد غانم بن وليد مجلسَ باديس بن حبوس، فوسَّع له على ضيق كان فيه، فقال[4]: [البسيط]

صَيِّرْ فؤادَكَ للمحبوب منزلةً سَمُّ الخِيَاطِ مجالٌ للمُحِبَّيْنِ
ولا تسامحْ بغيضًا في معاشرةٍ فقلَّما تَسَعُ الدنيا بَغِيضَيْنِ

---

(١) هو أبو الحجاج يوسف المَنْصَفي، زاهد مشهور سكن مدينة سبتة. ترجمته وبيتاه في المغرب (جـ ٢ ص ٣٥٤). وقد تقدم هذان البيتان في الجزء الأول منسوبين إلى الفقيه الزاهد أبي عبد اللّه المَنْصَفي. وجاء هناك: «فما ادَّخَرْتَ.. وهل يحملُ..».

(٢) في المغرب: «فما» بدل «هلا».

(٣) هو أبو عبد اللّه محمد بن إدريس، المعروف بابن مرج الكحل، توفي بجزيرة شقر سنة ٦٣٤ هـ. زاد المسافر (ص ٢٧) والتكملة (ص ٦٣٦) والمغرب (جـ ٢ ص ٣٧٣) والوافي بالوفيات (جـ ٢ ص ١٨١).

(٤) تقدم هذان البيتان في الجزء الرابع، وسيردان في هذا الجزء (ص ١٧٧).

ودخل على أبي جعفر اللمائي[1] بعضُ أصحابه عائدًا في علّته التي مات فيها، وجعل يروّح عليه بمروحة، فقال أبو جعفر على البديهة: [المنسرح]

روَّحَني عائدي فقلتُ له ... لا لا تزدْني على الذي أجِدُ
أمَا ترى النارَ وهي خامدةٌ ... عند هبوبِ الرياح تتقدُ

وقال الأعلم: ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القَبْطُرْنة[2]: [المتقارب]

دعاكَ خليلُكَ واليومُ طَلْ ... وعارضُ وجهِ[3] الثَّرَى قد بَقَلْ
لِقِدْرَيْنِ فاحا وشَمَّامَةٍ ... وإبريقِ راحٍ ونَغْمَ المحلْ
ولو شاءَ زادَ ولكنه ... يُلامُ الصديقُ إذا ما احتفلْ

وقال أبو عامر بن يَنّق[4] الشاطبي: [البسيط]

ما أَحْسَنَ العيشَ لو أنَّ الفتى أبدًا ... كالبَدْرِ يرجو تمامًا بعد نقْصانِ
إذ لا سبيلَ إلى تخليدِ مأثرةٍ ... إذ لا سبيلَ إلى تخليدِ جثمانِ

وقال أبو الحسن اللورقي[5]: [مجزوء الكامل]

عَجَبًا لِمَنْ طَلَبَ المَحَا ... مِدَ وَهْوَ يَمْنَعُ ما لديهِ
ولباسطٍ آمالَهُ ... للغير لم يَبْسُطْ يديه
لِمَ لا أُحِبُّ الضَّيْفَ أو ... أرتاحُ مِنْ طربٍ إليه
والضَّيْفُ يأكلُ رِزْقَه ... عندي ويحمدني عليه

---

(١) في طبعة عبد الحميد (جـ ٥ ص ١٣٤): «اللماي».
(٢) هو أبو بكر عبد العزيز ابن القبطورنة، وترجمته في قلائد العقيان (ص ١٤٨ ـ ١٥٤) والمغرب (جـ ١ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨) وفيهما أبياته.
(٣) في القلائد: «خَدّ الثرى».
(٤) هو محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة بن ينّق، من أهل شاطبة، توفي سنة ٥٤٧ هـ. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ١٦٩) وقلائد العقيان (ص ١٨٥) والمغرب (جـ ٢ ص ٣٨٨) والتكملة (ص ٤٧٩).
(٥) هو أبو الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج، من أهل لورقة، كان مقدمًا في النثر والنظم، وزاد انطباعًا في طريقة الزهد. كانت له صلة بالمعتمد بن عباد. المطرب (ص ١٧٥) وبغية الملتمس (ص ٢٥٨) والمغرب (جـ ٢ ص ٢٧٧) وقلائد العقيان (ص ١٣٩). وأبياته في بغية الملتمس (ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩) والمغرب (ص ٢٨٠) والقلائد (ص ١٤٢) باختلاف يسير عمّا هنا.

وقال أبو عيسى ابن لَبُّون[1]، وهو من قواد المأمون بن ذي النون: [البسيط]

نَفَضْتُ كفّي من الدنيا وقلْتُ لها ... إليكِ عني فما في الحقّ أُغْتَبَنُ
مِنْ كِسْرِ بيتيَ لي روضٌ ومِنْ كُتُبي ... جليسُ صدْقٍ على الأسرار مؤتمنُ
أدري به ما جرى في الدهر من خبرٍ ... فعنده الحقُّ مسطورٌ ومختزَنُ
وما مُصَابي سوى موتي ويدفنُني ... قومٌ وما لهُم علمٌ بِمَنْ دفنوا

وقال أبو عامر بن الحمارة[2]: [الطويل]

ولي صاحبٌ أحنو عليه وإنه ... ليوجعني حينًا فلا أتوجَّعُ
أُقيمُ مكاني ما جفاني وربما ... يسائلني الرُّجْعَى فلا أتمنَّعُ
كأنيَ في كَفَّيه غُصْنُ أراكةٍ ... تميلُ على حكمِ النسيمِ وترجعُ

وقال أبو العباس بن السعود[3]: [البسيط]

تَبًّا لقلبٍ عن الأحبابِ منصرفٍ ... يهوى أحبَّته ما خالسَ النظرا
مثل السَّجَنْجَلِ فيه الشخص تُبْصِرُهُ ... حتى إذا غاب لم يترك به أثرا

[ثم نظر إليهم وأنشدهم ارتجالاً قوله: [البسيط]

مُغيثُ أيوبَ والكافي لذي النونِ ... يحلّني فَرَجًا بالكافِ والنونِ
كم كربة من كروب الدَّهْرِ فَرَّجها ... عني ولم ينكشفْ وجهي لمن دوني][4]

ومرض أبو الحكم بن غلندة[5]، فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السنّ، فوفّاه من برّه ما أوجب تغيّرهم، ففطن لذلك وأنشد ارتجالاً: [الطويل]

---

(١) ترجمة أبي عيسى بن لبّون في قلائد العقيان (ص ٩٨ـ ١٠٢) والمغرب (جـ ٢ ص ٣٧٦ـ ٣٧٧) والحلة السيراء (جـ ٢ ص ١٦٧ـ ١٧١) والذخيرة (ق ٣ ص ١٠٤ـ ١٠٨) وفيها أبياته باختلاف يسير عما هنا.

(٢) أبو عامر بن الحمارة شاعر أديب مجيد خبيث الهجاء. بغية الملتمس (ص ٥٣٢) والمغرب (جـ ٢ ص ١٢٠) والمطرب (ص ١٠٩).

(٣) أبو العباس أحمد بن السعود، كاتبُ أبي إسحق إبراهيم بن همشك. المغرب (جـ ٢ ص ٥٢).

(٤) ما بين قوسين ساقط من طبعة عبد الحميد (ص ١٣٥).

(٥) هو أبو الحكم عبيد الله بن علي بن غَلِندة الكاتب، من أهل سرقسطة، وسكن إشبيلية، وتوفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ. ترجمته وشعره في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٢٤) دون تغيير عما هنا.

تَكَثَّرْ من الإخوان للدهر عُدَّةً فكثرةُ دُرِّ العقدِ مِنْ شَرَفِ العِقْدِ
وعَظِّمْ صغيرَ القومِ وابدأ بحقِّه فمن خِنْصَرَيْ كَفَّيْك تبدأ بالعَقْدِ

وقال القاضي أبو موسى بن عمران: [مجزوء الكامل]

ما للتجاربِ مِنْ مَدًى والمرءُ منها في ازدياذْ
قد كنتُ أحسبُ ذا العُلا مَنْ حاز عِلْمًا واستفاذْ
فإذا الفقيهُ بغيرِ ما لٍ كالخيامِ[1] بلا عماذْ
شرفُ الفتى بنُضاره إنَّ الفقيرَ أخو الجماذْ
ما العلمُ إلاّ جوهرٌ قد بيع في سوقِ الكساذْ

وقال أبو بكر بن الجزار السَّرَقُسْطي: [الكامل]

إيّاكَ مِنْ زَلَلِ اللسان فإنما عَقْلُ الفتى في لفظِهِ المسموعِ
والمرءُ يختبر الإناءَ بنَقْرِهِ ليرى الصحيحَ به من المصدوعِ

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شُهَيد: تناول بعض أصحابنا نرجِسَة، فركّبها في وردة، ثم دفعها إليَّ وإلى صاعد، وقال: قُولاَ، فأبهمت دوننا أبوابُ القول، فدخل الزهيري[2]، وكان أمّيًا لا يذكر من الكلام إلاّ ما علق بنفسه في المجالس، وينفذ مع هذا في المطوّلات من الأشعار، فأُشعِرَ بأمرنا، فجعل يقول دون روية: [السريع]

ما للأديبين قَدَ اَعْيَتْهُما مليحةٌ من مُلَحِ الجَنَّةْ
نَرْجِسَةٌ في وردةٍ رُكِّبَتْ كمقلةٍ تطرفُ في وَجنَةْ

وقال أبو محمد ابن حَزْم في «طوق الحمامة»[3]: [الطويل]

خلوْتُ بها والراحُ ثالثةٌ لنا وجُنحُ ظلامِ الليلِ قد مُدَّ واعتلجْ
فتاةٌ عَدمْتُ العيشَ إلاّ بقربها فهل في ابتغاء العيش وَيْحَكَ من حَرَجْ
كأني هي والكأسُ والخمرُ والدُّجا حَيًا وثَرًى والدُّرُّ والتبرُ والسبجْ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٩٨): «كالخباءِ».
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ١٣٦): «الدميري»، وقد تقدمت هذه الحكاية والبيتين في الجزء الرابع منسوبين إلى «الزهيري» صاحب أبي العلاء صاعد البغدادي.
(٣) طوق الحمامة (ص ٧٧) ورسائل ابن حزم (جـ ١ ص ١٠٩ . ١١٠) ببعض الاختلاف عمّا هنا.

قال: وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها إذ تضيق الأعاريض عنه.

قال أبو عامر ابن مسلمة: ولا أذكر مثلها إلاّ قول بعض[1]: [البسيط]

فأمطرتْ لؤلؤاً من نرجسٍ فَسَقَتْ   وَرْدًا وعَضَّتْ على العُنَّاب بالبَرَدِ

إلاّ أنه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم، بل اكتفى بالعلم في التشبيهات.

قال: ومن أغرب ما وقع لي من التشبيهات في بيتٍ قولُ ابن برون الأكشوني[2] الأندلسي يصف فرسًا وَرْدًا أغرّ مُحَجَّلاً: [الكامل]

فكأن غُرَّتَهُ وتحجيلاتِهِ   خمسٌ من السُّوْسانِ وَسْطَ شقائقِ

قال: وهذا على التحقيق ستةٌ على ستة، ولم أسمع بمثله لأحد [من الأندلسيين ولا من المشارقة][3].

قال ابن الجلاب: وكلام أبي عامر هذا لا يخلو من النقد.

وقال ابن صارة: [السريع]

انظُرْ إلى البدرِ وإشراقِهِ   على غديرٍ مَوْجُه يَزْهَرُ
كمِشْحَذٍ مِنْ حَجَرٍ أخضرٍ   خُطَّ عليه ذهبٌ أحمرُ

وقال أبو القاسم بن العطار الإشبيلي[4]: [الطويل]

رَكِبنا[5] سماءَ النَّهر والجَوُّ مُشرِقٌ   وليس لنا إلاَّ الحبَابَ نُجُومُ
وقد أَلْبَسَتْهُ الأَيْكُ بُرْدَ ظلالِها   وللشمس في تلك البُرُودِ رُقُومُ

---

(١) البيت للوأواء الدمشقي وهو في فوات الوفيات (جـ ٣ ص ٢٤٠) وجاء فيه: «وأمطرت... وسقت..».

(٢) أغلب الظن أنها «الأكشونبي» نسبة إلى أكشونبة وهي كورة قاعدتها شِلْب. الروض المعطار (ص ٣٤٢).

(٣) ما بين قوسين ساقط من طبعة عبد الحميد (ص ١٣٧).

(٤) البيتان في قلائد العقيان (ص ٢٨٣) ووردا في الجزء الثاني باختلاف يسير عمّا هنا، وسيأتيان في الجزء السادس باختلاف يسير أيضًا عمّا هنا.

(٥) في القلائد: «عبرنا».

وقال ابن صارة[1]: [الكامل]

والنَّهْرُ قد رَقَّتْ غِلاَلَةُ صَبْغِهِ وعليه مِنْ ذَهَبِ الأصيلِ طِرازُ
تَتَرَقْرَقُ الأمواجُ فيه كأنها عُكَنُ الخُصُورِ تضمُّها الأعجازُ

وقال سهل بن مالك: [البسيط]

ورُبَّ يومٍ وَرَدْنَا فيه كلَّ مُنى وقَلَّ في مثل ذاك اليومِ أنْ نردا
في روضتين بشطَّيْ سلسلٍ شبِمٍ كما اجتليتَ مِنَ المحبوبِ مفتقدا
يُبَدِّدُ القَطْرُ في أثنائه حلقًا فتنظمُ منها فوقه زَرَدَا

وقال ابن صارة: [الخفيف]

أنظرِ النهرَ في رداء عروسٍ صبغته بزعفرانِ العشيِّ
ثم لَمَّا هَبَّ النسيمُ عليه هَزَّ عِطْفيه في دِلاَصِ الكَمِيِّ

ولبعضهم في شكل يرمي الماء مجوفًا مثل الخباء وتمزّقه الريح أحيانًا: [الكامل]

ومُطَنَّب للماءِ ما أوتاده إلاَّ نتائج فكر طَبٍّ حاذقِ
لعبتْ به أيدي الصَّبا فكأنها أيدي الصبابة بالفؤاد العاشقِ

وقال صفوان بن إدريس يصف تفاحة في ماء[2]: [الطويل]

ولم أرَ فيما تشتهي العينُ منظرًا كتفاحةٍ في بركةٍ بقَرَارِ
يفيضُ عليها ماؤها فكأنها بقيَّةُ خَدٍّ في اخضرارِ عِذارِ

وقال أبو جعفر ابن وضاح في دولاب: [الطويل]

وباكيةٍ والروضُ يضحكُ كلّما أَلَحَّتْ عليه بالدموعِ السواجمِ
يروقُك منها إن تَأَمَّلْتَ نحوها زئيرُ أُسودٍ والتفافُ أراقمِ
تُخَلِّصُ من ماء الغديرِ سبائكًا فَتُنْبِتُها في الروض مثلَ الدراهمِ

---

(١) البيتان في قلائد العقيان (ص ٢٦٩) وتقدما في الجزء الثاني ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٦٠١): «في الماء».

وقال الوزير ابن عمار: [الكامل]

يـومٌ تـكـاثَـفَ غـيـمُـهُ فـكـأنـه دونَ السماءِ دخانُ عُودٍ أخْضَرِ
والـطَّـلُّ مـثـلُ بُـرَادةٍ مِـنْ فِضَّـةٍ مـنـثـورةٍ فـي تـربـةٍ مِـنْ عـنـبـرِ
والـشـمـسُ أحـيـانًـا تـلـوحُ كـأنـهـا أَمَةٌ تُعَرِّضُ نفسها للمشتري

وقال أبو الحسن بن سعد الخير[1]: [الكامل]

لـلّـه دولابٌ يـفـيـضُ بـسـلـسـلٍ في روضةٍ قد أَيْنَعَتْ أفنانا
قد طَارَحَتْهُ بها الحمائمُ شَجْوَهَا فَيُجِيبُها ويُرَجِّعُ الألحانا
فـكـأنـه دَنِـفٌ يـدورُ بِـمَـعْـهَـدٍ يبكي ويسأل فيه عَمَّنْ بانا
ضاقتْ مجاري طَرْفِهِ عن دَمْعِهِ فـتـفـتَّـحـتْ أضـلاعُـهُ أجـفـانـا

وقال ابن أبي الخصال: [الطويل]

وورْدٍ جَـنِـيٍّ طـالَـعَـتْـنـا خُـدُودُهُ ببشرٍ ونشرٍ يبعثانِ على السكرِ
وحـفٌّ تـرنـجـانٌ بـه فـكـأنـه خدودُ العَذَارى في مَقَانعها الخضرِ

وقال ابن صارة[2]: [البسيط]

يا ربَّ نارنجةٍ يلهو النديمُ بها كـأنـهـا كُـرَةٌ مِـنْ أحـمـرِ الـذهـبِ
أو جَذْوَةً حملتها كفُّ قابِسِها لـكـنـهـا جـذوةٌ مـعـدومـةُ الـلـهـبِ

وقال الخفاجي[3]: [الطويل]

ومَيَّاسة تزهو[4] وقد خَلَعَ الحَيَا عليها حُلًى حُمْرًا وأرديةً خُضْرا
يذوبُ بها ريقُ الغَمامةِ فِضّةً ويَجْمُدُ في أعطافِها ذَهَبًا نَضْرَا

---

(١) هو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير الأنصاري. من أهل بلنسية، تصدّر لإقراء العربية ببلنسية في مدة منصور بني عبد المؤمن، وتوفي بإشبيلية سنة ٥٧١ هـ. المغرب (جـ ٢ ص ٣١٧) وزاد المسافر (ص ١٠٣) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٠٤) والتكملة (رقم ١٨٦٧) والذيل والتكملة (جـ ٥ ص ١٨٧). وأبياته هذه في معظم هذه المصادر ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) قلائد العقيان (ص ٢٦٦).
(٣) ديوان ابن خفاجة (ص ٩٧).
(٤) في الديوان: «ومائسةٍ تُزْهَى».

وقال ابن صارة أيضًا: [المتقارب]

ونارنجةٍ لم يَدَعْ حُسْنُها   لعينيَ في غيرها مَذْهَبا
فطورًا أرى لَهَبًا مُضرَمًا   وطورًا أرى شَفَقًا مُذْهَبا

وقال ابن وضاح في السرو: [الطويل]

أيا سَرْوُ، لا يُعْطِشْ مَنَابِتَكَ الْحَيَا   ولا يَدَعَنْ أعطافَكَ الخضِلُ النضرُ
فقد كسيتْ منك الجذوع بمثل ما   تلفُّ على الخطّيِّ راياته الخضرُ

وقال أبو إسحاق الخَوْلاَني: [مخلع البسيط]

نيلوفرٌ شكلُهُ كشَكْلي   يعومُ في أبحرِ الدموعِ
قد ألْبَسَتْ عِطْفَه دروعًا   خوذٌ لريح الصَّبا شموع
يلوحُ إذ لونُهُ كلوني   من فوقِ فَضْفَاضةٍ هموعِ[1]
مثلَ مساميرَ مذهباتٍ   في حَلقاتٍ من الدروعِ

وقال ابن الأبّارِ: [البسيط]

وسوْسناتٍ أرَتْ من حُسْنها بِدَعًا   ولم يزل عصرُ مولانا يُري بِدَعَهْ
شبيهةٌ بالثُّرَيَّا في تألُّفها   وفي تألُّقها تلتاحُ مُلْتَمِعَهْ
هامتْ بِيُمْناه تبغي أن تُقَبِّلَها   واستشرفتْ تجتلي مرآه مُطّلعَهْ
ثم انثنى بعضُهَا مِنْ بعضها غَلَبًا   على البدارِ فوافتْ وهي مجتمعَهْ

ورفع هذه الأبيات إلى الأمير أبي يحيىٰ زكريا.

وقال حازم[2]: [البسيط]

لا نَوْرَ يعْدِلُ نَوْرَ اللوز في أَنَقٍ   وبهجةٍ عند ذي عَدْلٍ وإنصافِ
نظام زهرٍ يَظَلُّ الدرُّ مُنْتَثِرًا   عليه من كلِّ هامي القَطْرِ وَكّافِ
بينا تُرَى وهي أصدافٌ لِدُرِّ حَيًا   بيضٍ غَدَتْ درراً في خُضْرِ أصدافِ

---

(١) الهموع: السيّال. لسان العرب (همع).
(٢) الأبيات في ديوان حازم القرطاجي (ص ٨٠) وهي في وصف نَوْرِ اللوز.

وقال ابن سَعْد الخير في رُمّانة[1]: [المتقارب]

وساكنةٍ في ظلالِ الغصونِ بروضٍ[2] يروقُكَ أفنانُهُ
تَضاحَكُ أترابُها فيه إذ[3] غَدَا الجَوُّ تدمعُ أجفانُهُ
كما فتح الليثُ فاه وقد تَضَرَّجَ بالدمِ أسنانُهُ

وقال ابن نزار الوادي آشي: [الطويل]

ورُمانةٍ قد فَضَّ عنها ختامَها حبيبٌ أعار البدرَ بعضَ صفاتِهِ
فكسَّر منها نهد عذراء كاعبٍ وناولني منها شبيه لداتِهِ

وقال بعضهم في القَرَاسيا، ويقال له بالمغرب «حبّ الملوك»: [المتقارب]

ودَوْحٍ تَهَدَّلَ أشطانُهُ رعى الدهرُ مِنْ حُسْنِهِ ما اشتهى
فما احمرّ منه فصوصُ العقيقِ وما اسودَّ منه عيونُ المَهَا

وقال بعضهم: [الوافر]

وأين معاهدٌ للحُسْنِ فيها وللأُنسِ التقاءُ البهجتينِ
وللأوتارِ والأطيارِ فيها لدى الأسحارِ أطربُ ساجعين
فكم بَدْرٍ تجلّى مِنْ رُباها ومِنْ بطحائها في مطلعين
وأغْيَدَ يرتعي مِنْ تَلْعَتَيْها ومِنْ ثمرِ القلوبِ بمرتعين
إذا أهوى لِسَوْسَنَةٍ يمينًا عجبتَ من التقاء السوسنين
وكم يومٍ توشَّحَ مِنْ سَناهُ ومِنْ زَهَراتها في حلتين
وراح أصيلُهُ ما بين نهرٍ ودولابٍ يدورُ بمسمعين
بنهرٍ كالسماء يجولُ فيه سحائبُ من ظلالِ الدوحتين
تَدَرَّعَ للنَّواسم حين هَزَّتْ عليه كلُّ غُصْنٍ كالرُّدَيْني
ملاعب في غرامي عند ذكري صباه وغصنه المتلاعبين

---

(١) الأبيات في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٠٦).
(٢) في المقتضب: «بِخِذْرٍ».
(٣) في المقتضب «لَمّا».

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بنِ هانيء: [السريع]

يا حُرْقَةَ البَيْنِ كَوَيْتِ الحَشا ... حتى أذبتِ القلبَ في أضْلُعِهْ
أذكيتِ فيه النارَ حتى غدا ... ينسابُ ذاك الذَّوْبُ من مدمعِهْ
يا سُؤْلَ هذا القلبِ حتى متى ... يؤسى برشفِ الريقِ مِنْ منبعِهْ
فإنَّ في الشهدِ شفاءَ الورى ... لا سيما إن مُصَّ مِنْ مَكْرَعِهْ
واللّه يُدْني منكُمُ عاجلاً ... ويُبْلِغُ القلبَ إلى مَطْمَعِهْ

ولو لم يكن للأندلسيين غير كتاب «شذور الذهب» لكفاهم دليلاً على البلاغة، ومؤلّفه هو علي بن موسى بن علي بن محمد بن خلف أبو الحسن الأنصاري، الْجَيَّاني، نزيل فاس، وولي خَطَابتها، ولم ينظم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه بلاغةَ معانٍ وفصاحةَ ألفاظٍ، وعذوبةَ تراكيبَ، حتى قيل فيه: إن لم يعلّمك صناعة الذهب علّمك الأدب. وفي عبارة بعضهم: إنْ فاتك ذهبه، لم يفتْك أدبه. وقيل فيه: إنه شاعر الحكماء، وحكيم الشعراء. وتوفي رحمه اللّه تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الأندلس، وإن مرّت من ذلك جملة، وستأتي أيضًا زيادة على الجميع، فنقول:

قال في «بدائع البداله» ما صورته[1]: روى عبد الجبار بن حَمْديس الصقلي قال: صنع عبد الجليل بن وَهْبُون المرْسي الشاعر لنا نزهة بوادي إشبيلية، فأقمْنا فيه يومنا، فلما دَنَت الشمسُ للغروب هبَّ نسيم ضعيف غَضَّن وَجْهَ الماء، فقلت للجماعة: أجيزوا: [الرمل]

حاكتِ الريحُ مِنَ الماءِ زَرَدْ

فأجازه كلٌّ منهم بما تيسّر له، فقال له أبو تمام غالب بن رباح الحجام[2]: كيف قلت يا أبا محمد؟ فأعَدْتُ القسيم له، فقال:

---

(١) بدائع البداله (جـ ١ ص ٦٣).

(٢) في طبعة عبد الحميد: «الحجاج». وأبو تمام غالب بن رباح، المعروف بالحجّام شاعر قلعة رباح غربي طليطلة، تعلّم الحجامة فأتقنها ثم تعلّق بالآداب حتى صار آية، وكان في مدة ملوك الطوائف. المغرب (جـ ٢ ص ٤٠) والذخيرة (ق ٣ ص ٨٢١).

أيُّ دِرْعٍ لـقـتـالٍ لـو جَـمَـدْ

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع في محلّه[1].

ثم قال صاحب «بدائع البدائه» بعد ما سبق ما صورته[2]: وقد نقله ابن حَمْديس إلى غير هذا الوصف، فقال[3]: [الرمل]

نَثَرَ الجوُّ على التربِ[4] بَرَدْ أيُّ دُرٍّ لـنـحـورٍ لـو جَـمَـدْ

فتناقض المعنى بذكر البرد، وقوله «لو جمد» إذ ليس البَرَد إلاّ ما جمده البَرْد، اللهمّ إلاّ أن يريد بقوله «لو جمد» دام جموده، فيصحّ، وينعقد عن[5] التحقيق.

ومثل هذا قولُ المعتمد بن عباد يصف فوّارة: [الكامل]

ولربّما سَلَّتْ لنا مِنْ مائِها سَيْفًا وكان عن النواظر مُغْمَدَا
طبعته لجيًّا فزانتْ صفحةً منه ولو جمدتْ لكان مُهَنَّدَا

وقد أخذت أنا[6] هذا المعنى فقلت أصف روضًا[7]: [الطويل]

فلو دام ذاك النبتُ كان زَبَرْجَدًا ولو جَمَدَتْ أنهارُه كُنَّ بِلُّورَا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي التونسي الإيادي من قصيدته الطائية المشهورة: [البسيط]

ألؤلؤٌ قَطْرُ هذا الجوِّ أم نُقَطُ؟ ما كان أَحْسَنَه لو كان يُلْتَقَطُ

وهذا المعنى كثير للقدماء؛ قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازقي: [الرجز]

لو أنه يبقى على الدهورِ قَرَّطَ آذانَ الحِسانِ الحُوْرِ

---

(١) سيأتي ما يخالفه في هذا الجزء (ص ٣٤٩).
(٢) بدائع البدائه (جـ ١ ص ٦٤ ـ ٦٥).
(٣) البيت في ديوان ابن حمديس (ص ١١٧) وهو مطلع قصيدة من ٢٢ بيتًا.
(٤) في الديوان: «على الأرض».
(٥) في طبعة دار صادر (ص ٦٠٧): «على التحقيق».
(٦) الضمير يعود إلى ابن ظافر صاحب كتاب «بدائع البدائه».
(٧) سيأتي هذا البيت في هذا الجزء (ص ٣٤٩) وجاء هناك: «كان» بدل «كُنّ».

قال علي بن ظافر[1]: وأخبرني مَنْ أثِق به قال: ركب المعتمد على الله أبو القاسم ابن عَبَّاد للنزهة بظاهر إشبيلية في جماعة من ندمائه، وخواصّ شعرائه، فلمّا أبْعَدَ أخذ في المسابقة بالخيول، فجاء فرسُه بين البساتين سابقًا، فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت، فسدَّد إليها عَصا كانت في يده فأصابها، وثبتت على أعلاها، فأطْرَبَه ما رأى مِنْ حُسْنها وثباتها، والتفت ليخبر به مَنْ لحقه من أصحابه، فرأى ابنَ جاخِ الصباغ أول من لحق به فقال: أجز: [مجزوء الرجز]

كـأنـهـا فـوق الـعـصـا

فقال:

هَـامَـةُ زنـجـيّ عَـصَـى

فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله، وأمر له بجائزة سنيّة.

قال علي بن ظافر[2]: وأخبرني أيضًا أنَّ سبب اشتهار ابن جاخ هذا أنَّ الوزير أبا بكر ابن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الأندلس، لا يستقرُّ ببلد[3]، ولا يستفزّه عن وَطَرِهِ وَطَن، وكان كثير التطلّب لما يصدر عن أرباب المهن، من الأدب الحسن، فبلغه خبرُ ابن جاخ هذا قبل اشتهاره، فمرّ على حانوته وهو آخذ في صناعة صباغته، والنيل قد جرّ على يديه ذَيْلاً، وأعاد نَهَارَهما ليلاً، فأراد أن يعلم سرعة خاطره، فأخرج زندَه ويده بيضاء من غير سوء، وأشار إلى يده، وقال: [المجتث]

كـم بـيـن زنـدٍ وزنـدٍ؟

فقال:

مـا بـيـن وَصْـلٍ وَصَـدِّ

فعجب من حسن ارتجاله، ومُبَادرة العمل واستعجاله، وجَذَب بضَبُعِهِ، وبلغ من الإحسان إليه غايةَ وُسْعِهِ.

---

(١) بدائع البدائه (ج ١ ص ٦٦ . ٦٧).
(٢) المصدر نفسه (ص ٦٧).
(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ١٤٤): «ببلدة».

وبلغني أيضًا أنه دخل سَرَقُسْطَةَ فبلغه خبر يحيىٰ القصَّاب السرقسطي، فَمَرَّ عليه، ولحم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم، وقال[١]: [المنسرح]

لَحْمُ سِبَاطِ الخرفانِ مهزولُ

فقال:

يقول للمفلسين[٢] مَهْ زُولُوا

ولَمَّا صنع المتوكل على الله بن الأفطس صاحبُ بَطَلْيَوسَ هذا القسيم[٣]: [المجتث]

الشِّعْرُ خُطَّةُ خَسْفِ

أُرْتِجَ عليه، فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التي أوّلها: [البسيط]

الدهرُ يفجعُ بعد العَين بالأثَرِ

وقد تكرّر ذكره في هذا الكتاب، وهو أحد وزراء دولته، وخواصّ حضرته، فاستجازه إيّاه، فقال[٤]: [المجتث]

لكلِّ طالبِ عُرْفِ
للشيخِ عَيْبَةُ عَيْبِ   وللفتى ظَرْفُ ظَرْفِ

وذكر ابن بَسَّام في الذخيرة[٥] أنّ قائل القسيم الأوّل الأستاذ أبو الوليد بن ضابط، وأنّ عبد المجيد أجازه ارتجالاً، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقد ذكرنا ما يقرب من ذلك في هذا الكتاب.

---

(١) تقدّم هذا البيت في الجزء الرابع ببعض التغيير عمّا هنا.
(٢) هكذا في بدائع البداته، وفي طبعة دار صادر (ص ٦٠٩): «يقول يا مشترين. .».
(٣) بدائع البداته (ج ١ ص ٧٢). وقد مرّت هذه الحكاية والشطر المذكور في الجزء الرابع ونُسب الشطر إلى ابن عبدون.
(٤) تقدم هذا الشطر في الجزء الرابع.
(٥) الذخيرة (ق ٤ ص ٤٤).

وقال ابن الغليظ المالقي[1]: قلت يومًا للأديب أبي عبد اللّه بن السراج المالقي، ونحن على جرية ماء: أجز: [الطويل]

شـربْـنـا عـلـى مـاءٍ كـأنَّ خـريـرَهُ

فقال بديهًا:

بـكـاءُ مُـحِـبٍّ بَـانَ عـنـه حـبـيـبُ

فمن كان مشغوفًا كئيبًا بإلْفِهِ

فـإنـيَ مـشـغـوفٌ بـه وكـئـيـبُ

وذكر ابن بَسَّام في الذخيرة[2] أنه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتي بألْمَرِية، فنظر إلى وسيم يسبح في البحر، وقد تعلّق بسُكَّان[3] بعض المراكب، فقال ابن عبادة: أجز: [السريع]

اُنْـظُـرْ إلـى الـبَـدْرِ الـذي لاَحَ لَـكْ

فقال ابن القابلة: [السريع]

فـي وَسَـطِ الـلـجّـة تـحـت الـحَـلَـكْ

قـد جَـعَـلَ الـمـاءَ سـمـاء لـه   واتّـخـذَ الـفُـلْـكَ مـكـانَ الـفَـلَـكْ

وقال أبو عامر بن شُهَيد[4]: لَمّا قدم زُهَير الصقلبي إلى حضرة قرطبة من ألمرية وجَّه وزيره أبو جعفر ابن عباس إلى لُمّة من أصحابنا منهم ابن بُرْد وأبو بكر المرواني وابن الحناط[5] والطبني، فحضروا إليه، فسألهم عنّي، وقال: وَجِّهُوا إليه، فوافاني رسوله مع دابة بسَرْج مُحَلًّى ثقيل، فسِرْتُ إليه، ودخلت المجلس، وأبو جعفر غائب، فتحرّك[6]

---

(١) بدائع البدائه (ج ١ ص ٧٣) ومرت الحكاية في الجزء الرابع من نفح الطيب.
(٢) الذخيرة (ق ٤ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١). وسترد هذه الحكاية مع الشعر في هذا الجزء (ص ١٦٥).
(٣) السُّكان: ذيل السفينة.
(٤) بدائع البدائه (ج ١ ص ٧٥).
(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ١٤٦): «وابن الخياط».
(٦) في طبعة دار صادر (ص ٦١١): «فتحفّز».

المجلسُ لدخولي، وقاموا جميعًا لي، حتى طلع أبو جعفر علينا ساحبًا ذيلاً لم أرَ أحدًا سَحَبه قبله، وهو يترنّم، فسلمت عليه سلام مَنْ يعرف قَدْرَ الرجال، فردَّ ردًّا لطيفًا، فعلمتُ أنَّ في أنفه نُعَرة لا تخرج إلاَّ بسعوط الكلام، ولا تُرَاض[1] إلاَّ بمستحصد النظام، ورأيت أصحابي يُصِيخون إلى ترنّمه. فقال لي ابن الحناط[2]، وكان كثير الإنحاء عليّ، جالبًا في المحافل ما يسوء إليَّ: إنّ الوزير حضره قسيم، وهو يسألنا إجازته، فعلمت أني المراد، فاستنشدْتُه، فأنشد: [الكامل]

مَرَضُ الجفونِ ولثغةٌ في الْمَنْطِقِ

فقلت لمن حضر: لا تجهدوا أنفسكم، فما المراد غيري، ثم أخذت الدواة فكتبت: [الكامل]

سَبَبَانِ جَرَّا عِشْقَ من لم يَعْشَقِ

مَنْ لي بألثغَ لا يزالُ حديثُهُ ... يُذكي على الأحشاء جمرةَ محرقِ
يُنْبي فينبو في الكلام لسانُهُ ... فكأنه مِنْ خمرِ عينيه سُقِي
لاَ ينعشُ الألفاظَ مِنْ عَثَراتها ... ولَوَ أنها كُتبتْ له في مُهْرَقِ

ثم قمت عنهم، فلم ألبث أن وَرَدُوا عليّ، وأخبروني أنّ أبا جعفر لم يَرْضَ[3] بما جئت به من البديهة، وسألوني أن أحمل مَكَاويَ الهجاء على حتاره[4]، فقلت: [المتقارب]

أبو جعفرٍ كاتبٌ مُحْسِنٌ ... مليحُ سنا الخَطِّ حلو الخطابة
تملَّأ شحمًا ولحمًا وما ... يليقُ تملُّؤه بالكتابة
له عَرَقٌ ليس ماء الحياءِ ... ولكنه رشحُ ماءِ الجنابة
جرى الماءُ في سفله جريَ لينٍ ... فأحدث في العلوّ منه صلابة

---

(١) في طبعة دار صادر: «ولا ترام».
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ١٤٦): «وابن الخياط».
(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ١٤٧): «لم تَرْضَ».
(٤) الحتار: الإطار المحيط بالغربال ونحوه، أو ما يحيط بالظفر من اللحم. لسان العرب (حتر).

وذكر الوزير أبو بكر ابن اللبّانة الداني[1] في كتابه «سقيط الدرر، ولقيط الزهر» أنَّ المعتمد بن عباد صنع قسيمًا في القبّة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي، وهو: [الكامل]

سَعْدُ السعودِ يتيهُ فوقَ الزاهي

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا، فصنع ولده عبد الله الرشيد: [الكامل]

وكلاهما في حُسْنِهِ مُتَناهي

ومَنِ اغْتَدَى سكنًا لمثل محمدٍ | قد جلَّ في العليا عن الأشباهِ
لا زال يبلغُ فيهما ما شاءه | ودهت عِدَاه من الخطوبِ دَوَاهي

وخرج القاضي الفقيه[2] أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحدُ رؤساء المغرب الأوسط في جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الأشبوني ورجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح، ثقيل الجسم، فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم، فصنع القاضي أبو الحسن معاتبًا له[3]: [السريع]

وشاعرٍ أثقلَ مِنْ جسمِهِ

ثم استجاز ابن سوار، فقال:

تأتي معانيه على حُكْمِهِ

يهجو فلا يُهْجَى فهل عندكم | ظُلامةٌ تُعْدِي على ظُلْمِهِ
لسانُهُ في هَجْوِهِ حَيَّةٌ | منيّةُ الحيّة في سُمِّهِ
يصيبُ سِرَّ المرء في رميه | كأنما العالِمُ في عِلْمِهِ
أَمّا أبو موسى ففي كَفِّه | عصا ابنِهِ والسحرُ في نظمه

(١) بدائع البداته (جـ ١ ص ٧٨).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) في طبعة دار صادر (ص ٦١٢): «معابثًا له».

وفي «المقتبس، في تاريخ الأندلس»[1] أن الأمير عبدَ الرحمن خرج في بعض أسفاره فطرقه خيال جاريته طَروب أمّ ولده عبد اللّه، وكانت أعظم حَظَاياه عنده، وأرفعهنّ لديه، لا يزال كلِفًا بها، هائمًا بحبِّها، فانتبه وهو يقول: [السريع]

شاقكَ مِنْ قرطبةَ الساري في الليل لم يَدْرِ به الداري

ثم أنْبَهَ عبدَ اللّه بن الشمر نديمَهُ فاستجازه كمالَ البيت، فقال: [السريع]

زار فحيًّا في ظلام الدُّجى أحْبِبْ به من زائرٍ ساري

وصنع الأمير عبد الرحمن المذكور في بعض غزواته قسيمًا، وهو: [الطويل]

نرى الشيء مِمّا يُتَّقَى فنهابه[2]

ثم أُرتج عليه، وكان عبد اللّه بن الشمر نديمه وشاعره غائبًا عن حضرته، فأراد مَنْ يجيزه، فأحضر بعض قوّاده محمد بن سعيد الزجالي، وكان يكتب له، فأنشده القسيم، فقال: [الطويل]

وما لا نَرَى مِمّا يَقي اللّهُ أكثَرُ

فاستحسنه وأجازه، وحمله استحسانه على أن استوزره.

وذكر ابنُ بَسَّام[3] أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزالٍ وهلالٍ مِنْ ذهب، فَصِيغا، فجاء وزنهما سبعمائة مثقال، فأهدى الغزال إلى السيدة ابنة مجاهد، والهلال إلى ابنه الرشيد، فوقع له إلى أن قال: [الوافر]

بَعَثْنا بالغزال إلى الغزالِ وللشمسِ المنيرةِ بالهلالِ[4]

ثم أصبح مصطبحًا، وجاء الرشيد فدخل عليه، وجاء الندماء والجلساء، وفيهم أبو

---

(١) النص في بدائع البدائه (ج ١ ص ٨٧).

(٢) في المقتبس بتحقيق مكي (ص ٣٤) أن الأمير عبد الرحمن الأول لم يضع هذا القسيم، بل تمثّل به، ثم نسي تمامه فأكمله محمد بن سعيد الزجالي. وقد تقدم في هذا الجزء (ص ٨٦). وفي المقتبس: «تَرَى الشيءَ...».

(٣) الذخيرة (ق ٢ ص ٥٢١) وبدائع البدائه (ج ١ ص ١٠٧).

(٤) في الذخيرة: «للهلال».

القاسم ابن المرزقان فحكى لهم المعتمد البيت، وأمرهم بإجازته، فبدر ابنُ المرزقان فقال: [الوافر]

فـذا سـكـنـي أُبـوِّئـه[1] فـؤادي   وذا نَـجْـلـي أقـلِّـدُهُ الـمـعـالـي
شَغَلْتُ بذا الطلا[2] خلدي ونفسي   ولـكـنـي بـذاك رَخِـيُّ بـال
دَفَعْتُ إلى يديه زِمامَ مُلْكي[3]   مـحـلًّـى بـالـصـوارم والـعـوالـي
فـقـام يُـقِرُّ عـيـني في مـضـاءٍ   ويسلكُ مَسْلَكي في كلِّ حال
فَـدُمْـنـا لـلـعـلاءِ ودامَ فـيـنـا   فـإنـا لـلـسـمـاحِ[4] ولـلـنـزال

ولما أنشد أبو القاسم ابن الصيرفي قول عبد الله بن السمط: [مجزوء الخفيف]

حـارَ طَـرْفٌ تـأمَّـلَـكْ   مَـلِـكٌ أنـتَ أم مَـلَـكْ

قال بديهًا: [مجزوء الخفيف]

بـل تـعـالـيـتَ رتـبـةً   فـلـكَ الأرضُ والـفَـلَـكْ

وذكر ابن بسام في الذخيرة[5] أنه غُنِّيَ يومًا بين يدي العالي بالله الإدريسي بمَالَقَةَ بيتٌ لعبد الله بن المعتز: [المديد]

هـل تـريـن الـبـيـنَ يـحـتـالُ   أنْ غَـدَتْ لـلـحـي أَجْـمـالُ

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقي بإجازته، فقال بديهًا: [المديد]

إنـمـا الـعـالـي إمـامُ هـدًى   حَـلِـيَـتْ فـي عـصـره الـحـالُ
مـلـكٌ أقـيـالُ دولـتـه   لـذوي الأفـهـامِ إقـبـالُ
قـل لـمـن أَكْـدَتْ[6] مـطـالـبُهُ   راحـتـاهُ الـجـاهُ والـمـالُ

---

(١) في الذخيرة: «أُسَكِّنُهُ».
(٢) في الذخيرة: «بذا وذا خلدي..».
(٣) في الذخيرة: «زَفَفْتُ... ملكِ».
(٤) في الذخيرة: «للكفاح».
(٥) الذخيرة (ق ١ ص ٨٦٣) وبدائع البدائه (ج ١ ص ١٤٨) وفي رواية بيت ابن معتز بعض اختلاف عمّا هنا.
(٦) أَكْدَى: قلّ خيرُه.

وغَنَّى أبو الحسن زرياب يومًا بين يدي الأمير عبد الرَّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين، وهما لأبي العتاهية[1]: [الكامل]

قالت ظلومُ سَمِيَّةُ الظُّلم ما لي رأيتكَ ناحِلَ الجسمِ
يا من رَمَى قلبي فأَقْصَدَهُ[2] أنتَ الخبيرُ بموقعِ السَّهْمِ

فقال عبدُ الرحمن: هذان البيتان منقطعان، فلو كان بينهما ما يوصلهما[3] لكان أبدع، فصنع عبيد الله بن فرناس بديهًا: [الكامل]

فأجبْتُها والدمعُ منحدرٌ مِثْلُ الجُمَان وَهَى من النَّظْمِ

فاستحسنه، وأمر له بجائزة.

وذكر ابن بسام أيضًا أن المعتمد بن عباد غُنِّيَ بين يديه بقول ابن المعتز[4]: [المتقارب]

وخَمَّارة من بنات المجوسِ ترى الزقَّ في بيتها شائلا
وَزَنَّا لها ذهبًا جامدًا فكالَتْ لنا ذهبًا سائلا

فقال بديهًا يُجيزه: [المتقارب]

وقلت خُذِي جوهرًا ثابتًا فقالتْ خذوا عَرَضًا زائلا[5]

وركب المعتمد[6] في بعض الأيام قاصدًا الجامع، والوزير أبو بكر بن عمار يسايره، فسمع أذان مؤذن، فقال المعتمد: [الكامل]

هذا المؤذنُ قد بَدَا بأذانِهِ

فقال ابن عمار:

يرجو بذاك العفوَ مِنْ رحمانِهِ

---

(١) بدائع البدائه (جـ ١ ص ١٥٥).
(٢) أَقْصَدَه: أصابه فقتله.
(٣) في طبعة دار صادر (ص ٦١٥): «يصلهما».
(٤) بدائع البدائه (جـ ١ ص ١٥٤).
(٥) الجوهر والعَرَضُ من اصطلاحات الفلاسفة.
(٦) بدائع البدائه (جـ ١ ص ١٧١).

فقال المعتمد:

طوبى له من شاهد بحقيقةٍ

فقال ابن عمار:

إن كان عَقْدُ ضميره كلسانِهِ

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي[1]: أقمتُ بإشبيلية لَمَّا قدمْتُها على المعتمد بن عباد مدّة لا يلتفت إليّ ولا يعبأ بي، حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي، وهممت بالنكوص على عقبي، فإني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي إذا[2] بغلام معه شمعة ومركوب، فقال لي: أجب السلطان، فركبْتُ مِنْ فَوْرِي، ودخلْتُ عليه، فأجلسني على مرتبة فَنَك[3]، وقال لي: افتح الطاق التي تليك، ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد، والنارُ تلوح من بابَيْه، وواقدة تفتحهما تارة وتسدُّهما أخرى، ثم دام سدّ أحدهما وفتح الآخر، فحين تأمّلتهما قال لي: أجز: [المنسرح]

أنظُرهما في الظلام قد نجما

فقلت:

كما رَنَا في الدُّجُنَّةِ الأسدُ

فقال:

يفتحُ عينيه ثُمَّ يُطْبِقُها

فقلت:

فعلَ امرئٍ في جُفونه رمَدُ

فقال:

فابتزَّهُ الدهرُ نورَ واحدةٍ

---

(١) بدائع البدائه (جـ ١ ص ١٧١)، وانظر الجزء السادس من نفح الطيب.
(٢) في بدائع البدائه: «إذا أتاني غلامٌ».
(٣) في المصدر نفسه: «على مرتبته».

فقلت:

وهـل نَـجَـا مـن صُـروفـه أحـدُ؟

فاستحسن ذلك، وأمر لي بجائزة سنيّة، وألزمني خدمته.

وقد ذكرنا هذه الحكاية في هذا الكتاب، ولكن ما هنا أتمّ مَسَاقًا فلذلك نبّهت عليه.

وذكر صاحب «فرحة الأنفس، في أخبار أهل الأندلس»[1] أنّ أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس في جماعة من خَوَاصّه، ومعهم أبو القاسم لب، وكان يعدّه للمجون والتطايب، فقال له: أُهْجُ عبد الملك بن جهور، يعني أحدَ وزرائه، فقال: أخافه، فقال لعبد الملك: فاهْجُه أنت، فقال: أخاف على عِرْضي منه، فقال: أهجوه أنا وأنت، ثم صنع: [السريع]

لـبٌّ أبـو الـقـاسـمِ ذو لـحـيـةٍ　　　طـويـلـةٍ أزرى بـهـا الـطـولُ

فقال عبد الملك: [السريع]

وعرضُـهـا مـيلانِ إنْ كُـسِّـرَتْ　　　والـعـقـلُ مـأفـونٌ ومـخـبـولُ

فقال الناصر للبّ: أُهْجُهُ فقد هجاك، فقال بديهًا: [السريع]

قـال أمـيـنُ الـلّـه فـي عَـصْـرنـا　　　لـي لـحـيـةٌ أزرى بـهـا الـطـولُ
وابـن جـهـيـرٍ قـال قـولَ الـذي　　　مـأكَـلُـه[2] الـقـرضـيـل والـفـول
لـولا حـيـائي مِـنْ إمـامِ الـهـدى　　　نـخـسـت بـالـمـنـخـس شـو...

ثم سكت، فقال له الناصر: هات تمام البيت، فامتنع، فقال له «قولو» تمام البيت، كلمة قالها الناصر مسترسلاً غير متحفّظ من زيادة الواو وإبدال الهاء واوا، إذ صوابها «قله» على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلّف، فقال لب: يا مولانا، أنت هجوته، ففطن الناصر والحاضرون، وضحكوا، وأمر له بجائزة.

والقرضيل: شوك له ورق عريض تأكله البقر، وقوله «شو» اسم لِذَكَرِ الرجل

---

(١) بدائع البدائه (جـ ١ ص ١٨٥).

(٢) في طبعة دار صادر (ص ٦١٨): «مأكوله».

بالرومية، و «قولو» اسم للاست بها[1]، فكأنه قال: لولا حيائي من إمام الهدى نخست بالمنخس - الذي هو الذَّكَر - استه.

وقال ابن ظافر[2]: أخبرني مَنْ أثق به قال: اجتمع الوزير أبو بكر بن القَبْطُرْنة والأستاذ أبو العباس ابن صارة في يوم جلا ذهب برقه، وأذاب ورق وَدْقه[3]، والأرض قد ضحكت لتعبيس السماء، واهتزَّتْ ورَبَتْ عند نزول الماء، فترافدا في صفتها، فقال ابن صارة: [الكامل]

هذي البسيطةُ كاعبٌ أبرادُها حُلَلُ الربيعِ وحَلْيُها النوّارُ

فقال ابن القبطرنة: [الكامل]

وكأنَّ هذا الجوَّ فيها عاشقٌ قد شَفَّه التعذيبُ والإضرارُ

فقال ابن صارة: [الكامل]

فإذا شكا فالبرق قلبٌ خافقٌ وإذا بكى فدموعه الأمطارُ

فقال ابن القبطرنة: [الكامل]

فَمِنَ أجلِ عِزّةِ ذا وذلَّةِ هذه تبكي الغمامُ وتضحك الأزهارُ

وقال أبو بكر محمد بن الحسن[4] الزبيدي النحوي صاحب الشُّرْطة يخاطب الوزير أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي لَمّا كتب كتابًا له فيه «فاضت نفسه» بالضاد - مبينًا له الخطأ دون تصريح[5]: [المنسرح]

قُلْ للوزير السنيِّ مَحْتِدُهُ لي ذمَّةٌ منك أنت حافِظُها
عنايةٌ بالعلومِ مُعْجِزَةٌ[6] قد بهظ الأوّلين باهِظُها

---

(١) «شو» ليست، كما يزعم «المقري» اسم لِذَكَر الرجل، وهي ضمير الغائب وهي بالإسبانية «Su». و «قولو» بالإسبانية Culo وهي القفا والمراد: نَخَسْتُ قفاه. وذكر الرجل بالإسبانية «pene».

(٢) بدائع البدائه (جـ ١ ص ١٨٦) وهذا مكرّر لما مرّ معنا في الجزء الرابع.

(٣) الوَدَق، بالفتح: المطر. مختار الصحاح (ودق).

(٤) كلمة «الحسن» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ١٥٣).

(٥) هذه القطعة والقطعتان التاليتان في جذوة المقتبس (ص ٤٦ - ٤٨).

(٦) في الجذوة (ص ٤٧): «مفخرةٌ».

يُقِرُّ لي عَمْرُها ومَعْمَرُها فيها ونظَّامها وجاحظُها[1]
قد كان حَقًّا قبولُ حرمتها لكنَّ صرفَ الزمان لافظها
وفي خطوبِ الزمان لي عظةٌ لو كان يَثْنِي النفوس واعظُها
إنْ لم تحافظْ عصابةٌ نُسِبَتْ إليكَ قِدْمًا فمن يحافظها
لا تَدَعَنْ حاجتي بمطرحةٍ فإنَّ نفسي قد فاظ[2] فائظها

فأجابه المصحفيّ: [المنسرح]

خَفِّضْ فُواقًا فأنت أوحَدُها عِلمًا ونقَّابها وحافظها
كيف تضيعُ العلومُ في بلدٍ أبناؤها كلُّهم يحافظها
ألفاظُهُمْ كلُّها مُعَطَّلَةٌ ما لم يعوِّلْ عليك لافظها
مَنْ ذا يساويك إن نطقتَ وقد أَقَرَّ بالعجزِ عنكَ جاحظها
علمٌ ثَنَى العالمينَ عنكَ كما ثنى عن الشمس مَنْ يلاحظها
وقد أتتني فُدِيتَ شاغلَةٌ للنفس أنْ قلتَ فاظَ فائظها
فأوْضِحَنْهَا تَفُزْ بنادرةٍ قد بهظَ الأوّلينَ باهظُها

فأجابه الزبيدي، وضمَّن شعره الشاهد على ذلك: [الطويل]

أتاني كتابٌ مِنْ كريم مكرَّمٍ فنَفَّسَ عن نَفْسٍ تكادُ تفيظُ
فسَرَّ جميعَ الأولياء وروده وسيء رجالٌ آخرون وغيظوا
لقد حفظَ العهدَ الذي قد أضاعه لديَّ سواه والكريمُ حفيظ
وباحثتَ عن فاظتْ وقبليَ قالها رجالٌ لديهم في العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسانَ سهلٌ وأنشدوا مقالَ أبي الغياظ وهو مغيظ
وسميتَ غياظًا ولست بغائظٍ عدوًا ولكن للصديقِ تغيظ
فلا رَحِمَ الرحمنُ روحَكَ حَيَّةً ولا هي في الأرواح حين تفيظُ[3]

---

(١) عَمرُو: هو سيبويه الإمام النحوي المشهور، وقد يكون أراد الجاحظ. مَعْمرها: هو أبو عبيدة معمر بن المثنى. النظام: هو إبراهيم النظام شيخ الجاحظ.

(٢) فاض الرجل وفاظ: مات.

(٣) في الجذوة (ص ٤٨): «فلا حفظ الرحمن.. ولا هي في..».

قلت: وفي خطاب الوزير بهذا البيت وإن حكي عن قائله ما لا يخفى أن اجتنابه المطلوب، على أنه قد يقال «فاضت نفسه» بالضاد، كما ذكره ابن السكيت في خلل «الألفاظ» له، والله أعلم.

وكتب الزبيدي المذكور إلى أبي مسلم بن فَهْد[1]: [الطويل]

أبا مسلم، إنَّ الفَتَى بجَنَابِهِ[2] ومِقْوَلِهِ، لا بالمراكبِ واللبسِ
وليست[3] ثيابُ المرء تغني قُلامَةً إذا كان مقصورًا على قِصرِ النفسِ
وليس يفيدُ العلمَ والحلمَ والحجا أبا مسلمٍ طولُ القعود على الكرسي

وقال، وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع إلى أهله بإشبيلية ولم يأذن له، فكتب إلى جاريته سلمى[4]: [مخلع البسيط]

ويحكِ يا سَلْمَ، لا تُرَاعِي لا بُدَّ للبينِ من زَماعِ
لا تحسبيني صَبَرْتُ إلاَّ كصبرِ مَيْتٍ على النِّزاعِ
ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ عذابٍ أشدَّ مِنْ وقفةِ الوَداعِ
ما بَيْنَها[5] والحِمَامِ فَرْقٌ لولا المناحاتُ والنواعي
إنْ يفترقْ شملُنا وَشِيكًا مِنْ بَعْدِ ما كان ذا اجتماعِ
فكلُّ شَمْلٍ إلى افتراقٍ وكلُّ شَعْبٍ إلى انصداعِ
وكلُّ قُربٍ إلى بِعادٍ وكلُّ وَصْلٍ إلى انقطاعِ

واجتمع جماعة من الأدباء فيهم أبو الحسن سَهْل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١، فتذاكروا محبوبًا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم، فقالوا: ليقلْ كلُّ واحد منكم شيئًا فيه، فقال سهل بن مالك[6]: [الكامل]

---

(١) الأبيات في الجذوة (ص ٤٦) وسترد في الجزء التاسع ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) في الجذوة: «بجنانه».
(٣) في الجذوة: «وليس».
(٤) جذوة المقتبس (ص ٤٨).
(٥) في الجذوة: «ما بيننا».
(٦) الأبيات، عدا البيت الثاني، في اختصار القدح (ص ٦٢).

لَمَّا حططتُ بسبتةٍ قَتَبَ النَّوى   والقَلْبُ يرجو أن يحوِّلَ حالَه[1]
والجَوُّ مصقولُ الأديمِ كأنما   يُبْدي الخفيَّ من الأمورِ صقالُهُ
عايَنْتُ من بَلَد الجزيرةِ مَكْنَسًا   والبحرُ يمنعُ أنْ يُصادَ غزالُهُ
كالشكلِ في المرآة تُبْصِرُهُ وقد   قَرُبَتْ مسافتُهُ وعَزَّ مَنالُهُ

فقال الجماعة: واللَّه لا يقول أحد منا بعد هذا شيئًا.

ولَمّا قرأ أبو محمد عبد اللَّه بن مطروح البَلَنْسِي صداق إملاك، وغيَّر فيه حال القراءة لفظة «غير» برفع ما كان منصوبًا أو بالعكس، أنشد بديهًا بعد الفراغ معتذرًا عن لحنه: [مخلع البسيط]

غيرتُ غيرًا فصرتُ عَيْرا[2]   وهكذا من يجدُّ سَيْرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع ابن سالم الكُلاَعي، وكان إلى جانبه، بديهة: [مخلع البسيط]

ما أنت مما يُظَنُّ فيه   بذاك جهلٌ فَظُنَّ خيرا

ووقف أبو أمية ابن حَمْدُون بباب الأستاذ الشلوبين، فكتب في ورقة «أبو أمية بالباب» ودفع الورقة لخادم الأستاذ، فلمّا نظر إليها الأستاذ نوّن تاء أمية، ولم يزد على ذلك، وأمر الخادم بدفع الورقة إليه، فلمّا نظر فيها أبو أمية انصرف، علمًا منه أن الأستاذ صرفه، فانظر إلى فِطْنَة الشيخ والتلميذ، مع أنّ الشيخ منسوب إلى التغفّل في غير العلم.

ومن حكايات أهل الأندلس في العفو أنّ المعتصم بن صُمَادح كان قد أحسن للنَّحْلي البَطَلْيَوسي، ثم إنّ النَّحلي سار إلى إشبيلية، فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه: [المتقارب]

أبادَ ابنُ عبّادٍ البربرا   وأفنى ابنُ مَعْنٍ دجاجَ القِرَى

ونسي ما قاله، حتى حَلَّ بألْمَرِيَّة، فأحضره ابن صُمَادح لمنادمته، وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج، فقال النَّحلي: يا مولاي، ما عندكم في ألمرية لحم غير

(١) في اختصار القدح: «لمّا أنختُ بسبتةٍ.. أن تحوّل..».
(٢) العَيْرُ، بفتح العين وسكون الياء: الحمار.

الدجاج؟ فقال: إنما أردنا أن نكذبك[1] في قولك:

وأفـنـى ابـنُ مَـغْـنٍ دَجَـاجَ الـقـرى

فطار سكر النحلي، وجعل يعتذر، فقال له: خَفِّضْ عليك، إنما ينفق مثلك بمثل هذا، وإنما العتب على مَنْ سمعه فاحتمل[2] منك في حقّ مَنْ هو في نِصَابه، ثم أحسن إليه، وخاف النَّحلي، ففرَّ من ألمرية، ثم ندم فكتب إلى المعتصم: [المتقارب]

رِضـا ابـنِ صـمـادحَ فـارقْـتُـه فـلـم يُـرْضـنـي بـعـده الـعـالِـمُ
وكـانـت مَـرِيَّـتُـهُ جَـنَّـةً فـجـئـتُ بـمـا جـاءه آدمُ

فما زال يتفقّده بالإحسان على بُعْد دياره، وخروجه عن اختياره، انتهى.

وقال في بلنسية أبو عبد اللّه الرصافي، وقد خرج منها صغيرًا[3]: [الطويل]

بـلادي الـتـي رِيـشَـتْ قُـوَيْـدِمَـتي بـهـا فُـرَيْـخًـا وآوتـنـي قـرارَتُـهـا وَكْـرَا
مِهَادي ولينُ العيشِ في رَيِّقِ الصِّبا أبى اللّهُ أن أنسى اعتيادي بها خيرا[4]

وقال أبو بكر محمد بن يحيىٰ الشلطيشي[5]: [الوافر]

وفـاةُ الـمـرء سِرٌّ لـم يـكـاشـف ولـم تـثـبـتْ حـقـيـقـتـه درايَـهْ
سـيـفـنـى كـلُّ ذي شَـبَـحٍ ونـفـسٍ وتـلـتـحـقُ الـنـهـايـةُ بـالـبـدايَـهْ
ويـنـصـدعُ الـجـمـيـعُ إلـى صـدوعٍ تـعـودُ بـه الـبـريّـةُ كـالـبُـرايَـهْ[6]
كـأنّ مـصـائـبَ الـدنـيـا سـهـامٌ لـهـا الأيـامُ أغـراضُ الـرمـايَـهْ
فَـنَـلْ مـا شِـئْـتَ إنَّ الـفَـقْـرَ بَـذْءٌ[7] وعِـشْ مـا شِـئْـتَ إنَّ الـموتَ غـايَـهْ

---

(١) في طبعة دار صادر (جـ ٤ ص ٩): «إنما أردتُ أن أكذبك..».
(٢) في الطبعة نفسها: «فاحتمله».
(٣) ديوان الرصافي البلنسي (ص ٦٩).
(٤) في الديوان: «مبادىء لِيْنِ العيشِ.. أنسى لها أبدًا ذِكْرا».
(٥) ترجم ابن سعيد لمحمد بن يحيىٰ الشلطيشي وقال: يعرف بابن القابلة. المغرب (جـ ١ ص ٣٥٢).
(٦) البُراية، بضم الباء: النحاتة المتساقطة من الشيء الذي ينحت.
(٧) في طبعة دار صادر (جـ ٤ ص ١٠): «إنَّ الفقرَ حَدٌّ».

وقال أبو بكر محمد بن العطار اليابسي، وهو من رجال الذخيرة[1]: [البسيط]

أمطيتَ عَزْمَكَ منه مَتْنَ سابحةٍ   خِلْتَ الحبابَ على لَبَّاتها لببا[2]
تبدو على الموجِ أحيانًا ويُضْمِرُها   كالعِيسِ تعتسف الأهضامَ والكُثُبَا[3]

وقال محمد بن الحسن الجبلي النحوي[4]: [الطويل]

وما الأنسُ بالناسِ الذين عهدتُهُمْ   بأُنْسٍ ولكن فقد رؤيتهم أُنسُ[5]
إذا سَلِمَتْ نفسي وديني منهمُ   فحسبيَ أنَّ العِرْضَ مني لهم تُرْسُ[6]

وقال محمد بن حرب[7]: [مجزوء الكامل]

طُوبَى لروضةِ جَنَّةٍ   لك قد نَوَيْتَ[8] ورودَها
نَظَمَتْ على لَبّاتها   أيدي الغمامِ عُقُودَها
وسقتْ بماء الورد والـ   ـمسكِ الفَتيتِ صعيدَها
والطيرُ تشدو في الغصو   ن المائداتِ[9] قصيدَها
وتُعِيرُ سَمْعَ المستعيـ   ـر نظيمها ونَشيدَها

وكان في دار محمد بن اليَسَع[10] شاعر الدولة العامرية وردة، وكان يهدي وردها كلَّ

---

(1) ترجمة أبي بكر محمد بن العطار اليابسي في الذخيرة (ق ٤ ص ٣٧٦) والبيتان (ص ٣٧٨) قالهما في صفة زورق.

(2) في الذخيرة: «أمطاكَ عَزْمُك. . . لهبا».

(3) في طبعة عبد الحميد (ص ١٥٨): «الأهضاب» بدل «الأهضام». وفي الذخيرة:

يبدو على الموج أحيانًا وتُضْمِرُهُ   كالأيم يعتسفُ الأهضامَ والكُثُبا

(4) ترجمة محمد بن الحسن الجبلي في جذوة المقتبس (ص ٥٠) وبغية الملتمس (ص ٦٨) وفيهما البيتان.

(5) في المصدرين السابقين: «وما الأنس بالإنس. . . فقد أُنسِهِم أنسى».

(6) في المصدرين: «ترسى».

(7) هو محمد بن مروان بن حرب، شاعر أديب. ترجمته وشعره في جذوة المقتبس (ص ٩٢) وبغية الملتمس (ص ١٣٠).

(8) في البغية: «نديت».

(9) في الجذوة والبغية: «المرهفات».

(10) ترجمة محمد بن اليسع وشعره في جذوة المقتبس (ص ٩٧ ـ ٩٨) وبغية الملتمس (ص ١٤٣ ـ ١٤٤).

عام إلى عارض الجيش أحمد بن سعيد [1]، فغاب العارض سنة، فقال: [مجزوء الرمل]

قال لي الوردُ وقد لا حظْتُهُ في رَوْضَتَيْهِ
وَهْوَ قد أَيْنَعَ طِيبًا جَمَعَ الحُسْنَ لديه
أين مولاي الذي قد كنتَ تهديني إليه
قلتُ غابَ العامَ فايأسْ أن تُرَى بين يديه
فبدا يذبلُ حتى ظَهَر الحزنُ عليه

وقال أحمد بن أفلح[2]: [البسيط]

ما أستريحُ إلى حالٍ فأَحْمَدَها بالبين قلبي وقَبْلَ البَيْنِ قد ذَهَبا
إن كان لي أَرَبٌ في العيش بعدكُمُ فلا قضيتُ إذنْ مِنْ حُبِّكم أَرَبَا

وقال أحمد بن تليد الكاتب[3]: [السريع]

لم أرضَ بالذُّلِّ وإن قَلاَّ والحرُّ لا يحتملُ الذُّلاَّ
يا رُبَّ خِلٍّ كان لي خاملٍ صار إلى العِزَّةِ فاحولاَّ[4]
حَرَّمْتُ إلمامي[5] على بابه ووصْلُهُ لم أَرَهُ حِلاَّ
تأبى عليَّ النفسُ من أن أُرى يومًا على مستثقلٍ كَلاَّ[6]

وقال إسحاق بن المنادى[7]، وقد أهدى له مَنْ يهواه تفاحة: [الوافر]

مجالُ العين في وَرْدِ الخدودِ يُذَكِّرُ طيبَ جنّاتِ الخلودِ
وآرجةٌ من التفاح تزهو[8] بطيبِ النشرِ والحسْنِ الفريد
أقول لها فَضَحْتِ المِسْكَ طيبًا فقالتْ لي بطيبِ أبي الوليدِ

---

(١) في المصدرين السابقين: «سعد».
(٢) ترجمة أحمد بن أفلح وبيتاه في جذوة المقتبس (ص ١١٨) وبغية الملتمس (ص ١٧٠).
(٣) ترجمة أحمد بن تليد وشعره في جذوة المقتبس (ص ١١٩) وبغية الملتمس (ص ١٧٢ ـ ١٧٣).
(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ١٥٩): «ما خلا».
(٥) في الجذوة: «إلمامتي».
(٦) الكَلُّ، بفتح الكاف وتشديد اللام: العالة على الغير.
(٧) في طبعة عبد الحميد (ص ١٥٩): «المنادم». وهو إسحق بن إسماعيل المنادى؛ شاعر أديب. ترجمته وشعره في جذوة المقتبس (ص ١٦٨) وبغية الملتمس (ص ٢٣٥).
(٨) في المصدرين السابقين: «تَزْهى».

وقال غالب بن عبد الله الثَّغْري[1]: [البسيط]

يا راحلاً عن سَوَاد المُقْلَتَين إلى سوادِ قلبٍ عن الأضلاع قد رحلا
غدا كجسمٍ وأنت الروحُ فيه فما ينفكُ مرتحلاً ما دمت مرتحلا
ولـلـفـراقِ جَـوًى لـو مَـرَّ أبـردُهُ من بعد فرقتكمْ بالماء لاشتعلا

وقال الوزير أبو الحسن ابن الإمام الغَرْنَاطي يهجو مراكش المحروسة[2]: [البسيط]

يا حضرةَ الملك ما أشهاكِ لي وَطَنَا لـولا ضروبُ بـلاء فيـكِ مَصْبُـوبِ
مـاءٌ زُعَـاقٌ وجَـوٌ كـلُّـه كَـدَرٌ وأكـلـةٌ مـن بـذنجـانِ ابـن مـعيـوبِ

وابن معيوب هذا كان من خدام أبي العلاء بن زُهْر، يزعم الناس أنه سَمَّ ابنَ باجة لعداوته لابن زهر في باذنجان.

ولَمَّا بنى الفقيهُ أبو العباس ابن القاسم قصره بسَلاَ وشَيَّدَه وَصَفَتْهُ الشعراء، وهَنَّته به، ودعتْ له، وكان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر ابن الخمارة، ولم يكن أعدَّ شيئًا، فأفكر قليلاً ثم قال[3]: [البسيط]

يا أوْحَدَ[4] الناس قد شَيَّدْتَ واحدةً فحُلَّ فيها حلولَ الشمس في الحَمَلِ
فما كَدَارِكَ في الدنيا لذي أملٍ ولا كدارِكَ في الأخرى لذي عملِ

وفيهم[5] يقول ابنُ بقي في موشحته الشهيرة التي آخرها:

إن جـــئـــتَ أرضَ سَـــلاَ تـلـقـاكَ بـالـمـكـارمْ فـيـدان
هـــمُ ســـطـــورُ الـــعُـــلا ويـوسـفُ بـن القـاسـم عـنـوان

---

(1) الأبيات في جذوة المقتبس (ص ٣٢٥) وبغية الملتمس (ص ٤٤٠) وفي روايتها بعض اختلاف عمّا هنا.
(2) هو أبو الحسن علي بن الإمام، كاتب تميم بن يوسف بن تاشفين، تغرّب بعد هروبه من غرناطة وسافر إلى مصر. المغرب (جـ ٢ ص ١١٦).
(3) سيرد هذان البيتان في هذا الجزء (ص ٢٨٣) ببعض الاختلاف في البيت الأول.
(4) في طبعة دار صادر (جـ ٤ ص ١٣): «يا واحد الناس..».
(5) يريد بني عشرة، أعيان سلا، وقد مدحهم كثير من شعراء الأندلس والمغرب، ومن مدّاحهم الأعمى التطيلي وابن بقي.

وكان محمد بن عبادة بألمرية، ومعه ابن القابلة السبتي، فنظر إلى غلام وسيم يسبح، وقد تعلّق بسفينة[(١)]، فقال ابن عبادة[(٢)]: [السريع]

أنْـظُـرْ إلـى الـبـدرِ الـذي لاحَ لـكْ

فقال ابن القابلة: [السريع]

فـي وَسَـطِ الـلُّـجَّـةِ تـحـت الـحـلـكْ

قـد جـعـل الـمـاء مـكـان الـسـمـا   واتّـخـذ الـفُـلْـكَ مـكـان الـفَـلَـكْ

وقال ابن خروف، ويروى لغيره[(٣)]: [السريع]

أيـتـهـا الـنـفـسُ إلـيـه اذهـبـي   فَـحُـبُّـهُ المشهورُ من مذهبي
مُـفَـضَّـضُ الـثـغـرِ لـه شـامـةٌ   مسكيّةٌ في خدِّهِ المذهبِ
أيـأسـنـي الـتـوبـةَ مِـنْ حُـبِّـه   طلوعُهُ شمسًا من المغربِ

واجتمع في بستان واحد ثلاثة من شعراء الأندلس، وهم: ابن خفاجة، وابن عائشة وابن الزقاق، فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك[(٤)]: [مخلع البسيط]

لـلّـه نُـورِيّـةُ الـمـحـيّـا   تَـخـمِـلُ نـارِيّـةَ الـحُـمَـيَّـا
دُرْنَـا بـهـا تَـحـت ظِـلِّ دَوحٍ   قـد راق مَـرْأى وطـابَ رَيّـا[(٥)]
تَـجَـسَّـمَ الـنُّـورُ فـيـه نَـورًا   فـكـلُّ غـصـنٍ بـه ثُـرَيّـا

وقال ابن عائشة[(٦)]: [مخلع البسيط]

ودوحـةٍ قـد عـلـتْ سـمـاءً   تَـطْـلُـعُ أزهـارُهـا نُـجُـومَـا

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٣): «بمركب».
(٢) تقدم هذا الشعر في هذا الجزء (ص ١٤٨).
(٣) سيرد البيتان الأول والثاني في الجزء الثامن.
(٤) ديوان ابن خفاجة (ص ٢٧١).
(٥) في الديوان: «والدوحُ رطبُ المَهَزِّ لَدْنٌ قد رَقَّ ريّا..».
(٦) هو أبو عبد الله محمد بن عائشة، صاحب أعمال بلنسية وكاتب علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي. المغرب (جـ ٢ ص ٣١٤) والذخيرة (ق ٣ ص ٨٨٧) وفيهما الأبيات. وسترد هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ٢٠٣، ٢٩٨) ببعض الاختلاف عمّا هنا.

هفا نسيمُ الصبا علينا فخلْتُها أَرْسَلَتْ رُجُوما
كأنما الأفقُ[1] غار لَمّا بَدَتْ فأغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق[2]: [الخفيف]

ورياضٍ من الشقائق أضحَتْ يَتَهادى بها نسيمُ الرياحِ
زُرْتُها والغمامُ يَجْلِدُ منها زَهَراتٍ تَفُوقُ لونَ الراح
قلتُ ما ذنبُها؟ فقال مجيبًا سَرَقَتْ حُمْرَةَ الخدودِ الملاحِ

وقال الأديب أبو الحسن بن زنون: وقع بيدي ـ وأنا أسير بقيجاطة[3]، أعادها اللّه تعالى دار إسلام! ـ كتابٌ ترجمته «كتاب التحف والطرف»[4] لابن عفيون فوجدت فيه: قال الحسين بن الضحاك: [البسيط]

ما كان أحوجني يومًا إلى رَجُلٍ في وَسْطه ألفُ دينار على فرسِ
في كَفِّه حَرْبةٌ يَفْري الدروعَ بها وصارمٌ مُرْهَفُ الحَدَّيْنِ كالقَبَس
فلو رجَعْتُ ولم أظفرْ بمهجتِهِ وقد خضبتُ ذبابَ الصارم الشكس
فلا اغتبطتُ بعيشٍ وابتليتُ بما يحولُ بيني وبين الشادنِ الأنِسِ

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال: [البسيط]

ما كان أحوجني يومًا إلى خَنِثٍ حُلْو الشمائلِ في باقٍ من الغَلَسِ
في كَفِّه قهوةٌ يَسْبي النفوسَ بها محكَّمِ الطَّرْفِ للألبابِ مختلسِ
فلو رَجَعْتُ ولم أظفرْ بتكّتِهِ وقد رويتُ من الصهباء كالقبس
فلا هنيتُ بعيشٍ وابْتُلِيتُ بما يكونُ منه صدودُ الشادنِ الأنِسِ
هذا ألَذُّ وأشهى من مُنَى رجلٍ في وَسْطه ألفُ دينارٍ على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن ينّق فقال: [البسيط]

---

(١) في الجذوة والذخيرة: «كأنما الجوُّ».
(٢) ديوان ابن الزقاق (ص ١٢٥) وقد تقدمت في الجزء الرابع باختلاف يسير عمّا هنا.
(٣) قيجاطة، بالإسبانية Quesada وهي مدينة بالأندلس من عمل جيان. الروض المعطار (ص ٤٨٨).
(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ١٦١): «والظرف».

ما كان أحوجني يومًا إلى رجلٍ يردِّدُ الذكرَ في باقٍ من الغلسِ
في حَلْقه غُنَّةٌ يشفي النفوسَ بها وفي الحشا زفرةٌ مشبوبةُ القَبَسِ
فلو رَجَعْتُ ولم أوثر تلاوتَهُ على سماعِ غناءِ الشادنِ الأَنِسِ
فلا حمدت إذن نفسي ولا اعتمدتْ بي النجائبُ قصدَ البيت ذي القُدُسِ[1]
ولا أسلتُ لقبر[2] المصطفى مُقَلاً تبكي عليه بهامي الدمعِ منبجسِ

قال ابن زنون: فوقفت على ذلك[3]، فقلت: وكلٌّ يُنفِقُ مِمّا عنده، ومن عجائب[4] صنعه تعالى أنه عند فراغي من كَتْب هذه القطعة وصل الفكاك إليّ، وحلّ قيودي، وأخرجني إلى بلاد المسلمين، وهي: [البسيط]

ما كان أحوجني يومًا إلى رجلٍ يأتي فينبّهني في فحمةِ الغَلَسِ
يفكُّ قيدي وغلّي غير مرتقبٍ ولا مبالٍ من الحجّاب والحَرَسِ
وقوله لي تأنيسًا وتسليةً هذا سلاحيَ فالبسه وذا فرسي
فلو جَبُنْتُ ولم أقبلْ مقالَتَهُ وأمتطي الطِّرْفَ وِثبًا فِعْلَ مفترس
إذن خَلَعْتُ لباسَ المجدِ مِنْ عنقي وصار حظّيَ منه حظَّ مختلس
وأخلفتني أمانيَّ التي طَمَحَتْ نفسي إليها بإحساني لكلِّ مُسِي

وقال أبو بكر ابن حبيش، وقد زاره بعضُ أودّائه في يوم عيد فطر: [السريع]

أَكُلُّ ذا الإجمالِ في ذا الجمالْ اللَّهَ أستحفظُ ذاكَ الكمالْ
يا مالكًا بالبرِّ رِقِّي أما يكفيكَ أن تملكني بالوصالْ
سِرْتَ إلى رَبْعيَ زَوْرًا كما سرى إلى المهجور طيف الخيالْ
العيدُ لي وحديَ بين الوَرَى حقًّا لأني قد رأيتُ الهلالْ
صَوْمِيَ مقبولٌ وبرهانُهُ أنيَ دُخِلْتُ جنانَ الوصالْ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٦): «البيت والقدس».
(٢) في الطبعة نفسها: «بقبر».
(٣) في الطبعة نفسها: «فوقفت على ذلك . يقول ابن زنون . فلت . .».
(٤) في الطبعة نفسها: «ومن عجائب الله أنه عند . . .».

وقال أبو بكر ابن يوسف اللخمي، وقد عاده في شكاية فتى وَسِيم من الأعيان كان والده خطيب البلد: [مخلع البسيط]

يا عائدي وَهْوَ أصلُ مَا بِي أفْدِيكَ من مُمْرِضٍ طَبيبِ
أضمَيْتَ لَمّا رَمَيْتَ قلبي بِسَهْمِ ألحاظك المصيبِ
وجئتني مُنْكِرًا لسقمي وتلك من عادة الحبيبِ
يا ساعةً قد غفرتُ فيها ما كان للدهر من ذنوبِ
ما كان في فضلها مثالٌ لو لم تكنْ جلسةَ الخطيبِ

وخاطب أبو زيد بن أبي العافية أبا عبد اللّه العطار القرطبي بقصيدة منها هذا البيت: [الوافر]

وكيف يُفِيقُ ذو صبرٍ قصيرٍ حليفُ وساوسٍ حُول طوالِ

يعرِّض له بطوله وحَوَله، ولصاحبه أبي محمد بن بلال بقصره، فراجعه أبو عبد اللّه المذكور بهذه الأبيات يعرض له فيها بجَرَبِه، وكان أبو زيد أصابه جَرَبٌ كثير: [الوافر]

أَجَلْ يا نافثَ السِّحْرِ الحلالِ أتاني منكَ نَظْمٌ كاللآلي
يروقكَ أوّلاً لفظًا ومعنًى ويلدغُ آخرًا لدغَ الصِّلالِ(١)
تُعَرِّضُ فيه أنكَ ذو مطالٍ حليفُ وساوسٍ حُولٍ طوالِ
كأنكَ لم تُجَرِّبْ قَطُّ خَلْقًا ولم تعرف بتجربةِ الليالي
أأنسيتَ التجارب إذ تجاري بهنَّ الجِرْبِيَاءَ مع الشمال
فلا تَغْفَلْ عن التجريبِ يومًا ولو أُعطيت فيه جِرَابَ مالِ
وجَرِّبْ جارَ بيتك واختبره وجُرَّ برجله إن كان قالي
وجارُ بنيكَ لا تستحي منه ومن نَجَّار بابك لا تبالِ
وأجرِ ببالك الجرباء تبصرْ نجومَ الأفقِ تجري بانتقال
وجَرِّبْ أهلَ جرْبَةَ تُلْفِ قومًا أبوا لبسَ الجواربِ والنعال
تجارًا باعةً تَجَرُوا بِزيتٍ تَسَمَّوا بالتِّجار بغير مالِ

---

(١) الصِّلال: جمع صِلّ وهو الثعبان.

إذا سمعوا بتمرٍ في جريبٍ جَرَوْا ببطالة[1] التمر البوالي
إذا جَرَّبْتَ هذا الخَلْقَ أبدى لك التجريبُ أجْرِبَةً خوالي
ترى بالنُّجح دهرًا جَرَّ بؤسًا عليكَ وجار بالثُّوبِ الثقالِ

وخرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مُرْسِية، وصلّوا خلف إمام بمسجد قرية، فأخطأ في قراءته، وسها في صلاته، فلمّا خرج أحدهم كتب على حائط المسجد: [المجتث]

يا خَجْلتي لصلاةٍ صلَّيْتُها خَلْفَ خلفِ[2]

فلما خرج الثاني كتب تحته:

أُغضُّ عنها حياءً من المهيمنِ طَرْفِي

فلما خرج الثالث كتب تحته:

فليس تُقْبَلُ مِنّا لو أنها ألفُ ألفِ

وقال أبو إسحاق ابن خفيف الأندلسي[3] في أحْدَبَ أُخذ مع صبي في خلوة فضُربا، وطِيفَ بهما، والأحدب على عنق الصبي: [مجزوء الوافر]

رأيتُ اليومَ مَحْمولاً وأعجبُ منه مَنْ حَمَلَهْ
جِمَالُ الناسِ تحملهمْ وهذا حاملٌ جَمَلَهْ

وقال أبو الصلت الأندلسي[4]: [الطويل]

وقائلةٍ: ما بالُ مِثْلِكَ خامِلاً أأنت ضعيفُ الرأي أم أنت عاجِزْ
فقلت لها: ذنبي إلى القوم أنني لِمَا لم يَحُوزُوه مِن المَجْدِ حائزْ

وكتب بعض المغاربة لأبي العباس ابن مَضَاء يذكره بحاله: [مخلع البسيط]

يا غارسًا لي ثمار مجدٍ سقيتها العذبَ من زلالِكْ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٨): «ببطاء ذي التمر..».
(٢) الخلف: المتخلّف الذي لا خير فيه.
(٣) كلمة «الأندلسي» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ١٦٤).
(٤) خريدة القصر - قسم شعراء المغرب (جـ ١ ص ٢٢٦) ووفيات الأعيان (جـ ١ ص ٢٤٤) دون تغيير عمّا هنا. وقد تقدّما في الجزء الرابع.

أخافُ من زهرها سُقُوطًا إن لم يكنْ سَقيُها ببالِكْ

وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزًا وعْدًا: [الوافر]

أبا عبد الإلٰه وعدتَ وعدًا فأنجزْ تربحِ الشكرَ الجزيلا
ولا تمطلْ فإنَّ المَطْلَ يَمْحُو من الإحسانِ رونقهُ الصقيلا
إذا كان الجميلُ يُحَبُّ طبعًا فإني أكره الصبرَ الجميلا

وكتب ابن هذيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب: [الرمل]

ليس يا مولاي لي من جابرٍ إذ غدا قلبي من البَلْوَى جُذَاذًا[1]
غيرَ صكٌ أحمرٍ تكتبُ لي فيه يمناكَ اعتناء: صَحَّ هذا

وقال أبو الحسن ابن الزقاق في غلام يهودي كان يجلس معه وينادمه يوم سَبْت[2]: [الطويل]

وحَبَّبَ يومَ السبت عنديَ أنني يُنادمني فيه الذي أنا أَحْبَبْتُ
ومن أعجبِ الأشياءِ أنيَ مسلمٌ حنيفٌ[3] ولكنْ خيرُ أياميَ السبتُ

وقال أبو حيان: [المتقارب]

ويعجبني رشفُ تلك الشفاهِ وعضُّ الخدودِ وهَصْرُ القوامِ
محاسِنُ فاقت[4] قضيبَ الأراك ووردَ الرياضِ وكأسَ المُدام

وكتب أحد الأدباء بمُرْسِية إلى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه، بأبيات في غرض، فراجعه عنه أبو العباس ابن سعد بقوله: [الكامل]

ما للمُحِبِّ لديَّ غير صبابةٍ تقضي عليه ولَوْعَةٍ وغرامِ
فدع الطماعةَ واسترحْ باليأسِ مِنْ وَصْلٍ عليك إلى المماتِ حرامِ

---

(١) جذاذًا: قطعًا.
(٢) ديوان ابن الزقاق (ص ١١٣).
(٣) في الديوان: «تقيٌّ».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٢٠): «فاتت».

وقال السميسر: [مخلع البسيط]

قــرابــةُ الــســوء شَــرُ داءٍ فاحملْ أذاهُمْ تَعِشْ حميدا
ومـن تـكـنْ قُـرْحَـةٌ بـفـيـه يـصبرْ على مَصِّهِ الصديدا

وقال ابن خفاجة[1]: [الرمل]

إنَّ لـلـجـنـةِ بـالأنـدلـسِ مُجْتَلَى عَيْنٍ وريًا نَفَسِ[2]
فَسَنَا صُبْحَتِها مِنْ شَنَبٍ ودُجَا ليلتها[3] من لَعَس
فإذا ما هَبَّتِ الريحُ صَبًا صِحْتُ: واشَوْقي إلى الأندلس

وقال بعض الأندلسيين مِمَّنْ لم يحضرني اسمه الآن: [الطويل]

إذا صـال ذو ودٍّ بـودِّ صـديـقـه فيا أيها الخلُّ المصاحبُ لي صُلْ بِي
فإنيَ مثلُ الماءِ لينًا لصاحبي وناهيك للأعداء من رَجُلٍ صُلْبِ

وقال أبو يحيىٰ ابن هشام القرطبي: [مخلع البسيط]

وخـائِـطٍ رائـعٍ جـمـالاً وصـالُـهُ غـايـةُ اقـتـراحـي
تـنـعـمُ مـنـه الـخـيـوطُ فَـتْـلاً بـيـن أقـاحٍ وبـيـن راحِ
تـراه فـي الـسـلـم ذا طـعـانٍ بـنـافـذاتٍ بـلا جـراحِ
حُـلَّـتـه[4] أشـبـهـتْ فـؤادي لكثرة الوخز في النواحي
تُـقَـطِّـعُ الـثـوبَ راحـتـاه كـصـنـعِ ألـحـاظِـهِ الـمـلاحِ
فَـقَـبْـلَـهُ مـا رأيـتُ بـدرًا مُـمَـزِّقًـا بُـرْدَةَ الـصـبـاحِ

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البَلَنسي[5]: [الطويل]

غَصَبْتِ الثريَّا في البِعادِ مكانَها وأودَعْتِ في عينيَّ صادقَ نوئها
وفي كلِّ حالٍ لم تزالي بخيلةً فكيف أعرْتِ الشمسَ حُلَّةَ ضوئها

---

(١) ديوان ابن خفاجة (ص ١٥١).
(٢) في الديوان: «في الأندلس مجتلى حُسْنٍ..».
(٣) في الديوان: «ظلمتها».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٢١): «حَلْقَتُهُ».
(٥) التكملة (ص ٢٤).

قال ابن الأبار: أنشد مؤلف «قلائد العقيان» هذين البيتين لأبي جعفر البني اليعمري، وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما، والتفرقة بينهما مستوفاة في تأليفي المسمى بـ «هداية المعتسف، في المؤتلف والمختلف» انتهى.

وأبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنبيطور. لعنه اللَّه تعالى! . حين تغلّبِه بالروم على بَلَنْسية. قال ابن الأبار: وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقيل: إنّ إحراقه كان سنة تسعين وأربعمائة، انتهى.

وقال أبو العباس القيجاطي فيما أنشده له ابن الطيلسان[1]: [المجتث]

لـيـس الـخـمـولُ بـعـارٍ   عـلـى امـرىءٍ ذي جـلالِ
فـلـيـلـةُ الـقَـدْرِ تَـخْـفَـى   وتـلـك خـيـرُ الـلـيـالـي

وقال أبو محمد ابن جحاف المَعَافري البَلَنْسي[2]: [المتقارب]

أقـول وقـد خوّفـوني القِرانَ   ومـا هـو مـن شـرّه كـائـنُ
ذنـوبـي أخـافُ وأمّا الـقـران   فـإنـيَ مـن شَـرّه آمِـنُ

وأبوه أبو أحمد هو المحرَّق ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع.

وقال أبو العباس المالقي[3]. [الطويل]

وبـين ضـلـوعي لـلـصـبابةِ لـوعةٌ   بحكم الهوى تقضي عليَّ ولا أقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى   فيا مَنْ رأى بعضًا يُعِينُ على بعضِ

ودخل أبو القاسم ابن عبد المنعم، وكان أزرق وسيمًا، ومعه أبو عبد اللَّه الشاطبي وأبو عثمان سعيد بن قوشترة، على صاحب كتاب «مشاحذ الأفكار، في مآخذ النُّظّار» فقال ابن قوشترة: [الكامل]

عابوه بالزَّرَقِ الذي بجفونِهِ   والماءُ أزرقُ والسِّنانُ كذالكا

---

(١) المصدر نفسه (ص ٤٦).
(٢) المصدر نفسه (ص ٥٦).
(٣) التكملة (ص ٦٩).

فقال الشاطبي: [الكامل]

والماء يُهْدي للنفوس حياتَها   والرمحُ يشرع للمنونِ مسالكا

فقال أبو بكر ابن طاهر صاحب كتاب «المشاحذ»: [الكامل]

وكذاك في أجفانه سببُ الردى   لكنْ أرى طِيْبَ الحياةِ هنالكا

وهذا من بارع الإجازة، وكم لأهل الأندلس من مثل هذا الديباج الخُسْرُواني، رحمهم اللّه تعالى وسامحهم!

وكتب الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عبد اللّه محمد بن الصائغ الأندلسي النحوي عند قول الحريري «أمنا أن يُعزَزا بثالث» ما نصُّه: قد جيء لهما بثالث ورابع في قافيتهما، وهو قول بعض الفضلاء: [السريع]

ما الأَمَةُ اللَّكْعَاءُ بين الورى   كمسلمٍ حُرّ أتى مَلأَمَهْ
فَمَهْ إذا استَجْدَيْتَ من قولِ لا   فالحرُّ لا يملأ منها فَمَهْ

ثم قال: وبخامس وسادس:

انقدَّ مَهْوَى أُزْرِهِ فانثنى   مَهْ يا عذولي في الذي انقدَّ مَهْ
مَنْدَمَةٌ قتلُ المعنَّى فلا   تُرْسِلْ سهام اللحظِ تأمَنْ دَمَهْ

قلت: رأيت في المغرب[1] في هذا المعنى ما ينيّف على سبعين بيتًا كلّها مُسَاجلة لبيتي الحريري، رحمه اللّه تعالى[2]!

وقال أبو بكر[3] عبادة الشاعر في أبي بكر والد الوزير أبي الوليد بن زيدون: [الخفيف]

أيُّ ركنٍ من الرياسةِ هِيْضَا   وجَمُومٍ من المكارم غيضا

---

(١) يريد بلاد المغرب، وليس كتاب «المغرب» لابن سعيد.

(٢) في الذيل والتكملة (جـ ٤ ص ٤٩ . ٥٣) نماذج من هذه المساجلة لبيتي الحريري.

(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ١٦٩): «أبو بكر بن عبادة».

حملوه من بلدةٍ نحو أخرى   كي يوافوا به ثراهُ الأرِيضَا[1]
مثل حملِ السحابِ ماءً طبيبًا   لتداوي به مكانًا مريضا

وكان المذكور توفي في ضيعة له، ونُقل تابوته إلى قُرْطُبة فدفن في الرَّبَض سنة ٤٠٥، وولد سنة ٣٠٤.

وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات[2]: [الوافر]

وعهدي بالشباب وحُسْن قدِّي   حكى ألِفَ ابن مُقْلة في الكتابِ
فصرتُ اليوم منحنيًا كأني   أَفَتِّشُ في التراب على شبابي

وقال: [السريع]

يا ربَّ يومٍ زارني فيه مَنْ   أطلع من غُرَّته كوكبا
ذو شَفَةٍ لَمْيَاءَ معسولةٍ   ينشعُ من خَدَّيْهِ ماءُ الصبا
قلتُ له هَبْ لي بها قبلةً   فقال لي مبتسمًا مَرْحَبَا
فذقتُ شيئًا لم أذقْ مثله   للّه ما أحلى وما أعذبا
أسعدني اللّه بإسعاده   يا شقوتي يا شقوتي لو أبى

قال لسان الدين: كان ابن قزمان نسيجَ وَحْدِهِ أدبًا وظَرْفًا ولَوْذَعية وشهرة؛ قال ابن عبد الملك: كان أديبًا بارعًا، حلو الكلام، مليح النثر[3]، مبرزًا في نظم الزجل، قال لسان الدين: وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكّم فيها ألقاب البديع، وتنفسح لكثير مِمّا يضيق على الشاعر سلوكه، وبلغ فيها أبو بكر، رحمه اللّه تعالى، مبلغًا حَجَره اللّه عَمَّنْ سواه، فهو آيتها المعجزة، وحجّتها البالغة، وفارسُها المُعْلم، والمبتدىء فيها والمتمِّم.

وقال الفتح في حقّه[4]: مبرز في البيان، ومُحْرِز للسَّبْق[5] عند تسابق الأعيان،

---

(١) الأريض: المعجب للعين. لسان العرب (أرض).
(٢) ابن قزمان صاحب الأزجال، وليس صاحب الموشحات.
(٣) في طبعة دار صادر (ص ٢٤): «مليح التندير».
(٤) قلائد العقيان (ص ١٨٦).
(٥) في القلائد: «ومحرز الخصل».

اشتمل عليه المتوكل على الله فرقّاه[1] إلى مجالس، وكساه ملابس، فامتطى[2] أسْمى الرتب وَتَبوَّأها، ونال أسنى الخطط[3] وما تملأها، وقد أثبتُّ له ما يُعلم به رفيع[4] قدره، ويُعْرف كيف أساءَ له الزمان بغَدْره، كقوله: [الكامل]

ركبوا السيولَ من الخيولِ وركَّبوا　　فوق العوالي السُّمْرِ زُرْقَ نطافِ
وتجلّلوا الغدرانَ مِنْ ماذِيِّهِمْ　　مُرْتَجَّةً إلاّ على الأكتافِ[5]

وقال الفقيه أبو بكر ابن القوطية صاحب «الأفعال» في اللغة والغريب، في زمن الربيع[6]: [الكامل]

ضحك الثرى وبَدَا لك استبشارُهُ　　فاخضرَّ شاربُهُ وطَرَّ عذارُهُ
ورَنَتْ حدائقُه وزرَّرَ نَبْتُهُ　　وتعطَّرَتْ[7] أنوارُه وثمارُهُ
واهتزَّ ذابِلُ كلِّ ماءٍ[8] قرارةٍ　　لما أتى متطلّعًا آذارُهُ
وتَعَمَّمَتْ صُلْعُ الرُّبا بنباته　　وترنَّمت من عُجْبها أطيارُهُ

وقال في المطمح في حقّ ابن القوطية المذكور[9]: إنه مِمَّنْ له سَلَف، وثَنِيَّة كلّها شَرَف، وهو أحد المجتهدين في الطلب، والمشتهرين بالعلم والأدب، والمنتدبين للعلم والتصنيف، والمرتِّبينَ له بحسن الترتيب والتأليف، وكان له شعر نبيه، وأكثره أوصاف وتشبيه، انتهى.

وقال القاضي الأجلّ يونس بن عبد الله بن مغيث[10]: [الطويل]

أَتَوا حسبةً إذ قيل جدَّ نُحولُه　　فلم يَبْقَ من لحمٍ ولا عَظْمِ

---

(١) في القلائد: «المتوكل اشتمالاً أرقاه. .».
(٢) في القلائد: «فاقتطع».
(٣) في القلائد: «الحظوظ».
(٤) في القلائد: «ما تعلم به حقيقة قدره وتعرف. .».
(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ١٧٠): «الأكتاف».
(٦) مطمح الأنفس (ص ٥٩) والبديع في فصل الربيع (ص ٢٠).
(٧) في المطمح: «ودَنَتْ». وفي البديع: «ورَبَتْ».
(٨) في البديع: «كل نَبْتٍ».
(٩) مطمح الأنفس (ص ٥٨).
(١٠) مطمح الأنفس (ص ٥٩).

فعادوا قميصًا في فراشٍ فلم يَرَوا ولا لَمُسوا شيئًا يدلُّ على جسم
طواه الهوى في ثوبِ سقمٍ مِنَ الضنى وليس بمحسوسٍ بعينٍ ولا وهم

وقال في المطمح فيه: إنه قاضي الجماعة بقرطبة، فاضلٌ، ورع، مبرز في النسّاك والزهّاد، دائم الأرق في التخشّع والسُّهاد، مع التحقّق بالعلم والتميز بحمله[1]، والتحيز إلى فئة الورع وأهله، وله تآليف[2] في التصوّف والزهد، منها «كتاب المنقطعين إلى اللّه» و «كتاب المجتهدين» وأشعار في هذا المعنى، منها قوله: [الوافر]

فررتُ إليك من ظلمي لنفسي وأوحَشَنِي العبادُ وأنت أُنْسي
قصدتُ إليكَ منقطِعًا غريبًا لتؤنس وَحْدَتي في قعْر رمسي
وللعُظْمَى من الحاجاتِ عندي قصدتُ وأنتَ تعلمُ سِرَّ نفسي

ولَمّا أراد المستنصر باللّه غزوَ الروم تقدّم إلى أبي محمد والده بالكَونِ في صحبته، ومسايرته في غَزْوته، فاعتذر بعذر يجده، وألم لا ينجده، فقال له الحكم: إن ضمن له أن يؤلف في أشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيته من الغَزَاة، وجازيته أفضل المُجَازاة، فأجابه إليه على أن يؤلفه بالقَصْر، فزعم أنه رجل مَزْور، وأنّ ذلك الموضع ممتنع على من يُلِمُّ به ويزور، فألّفه بدار الملك المطلّة على النهر، وأكمله فيما دون شهر، وتوفي والمستنصر بَعْدُ في غزاته[3].

وقال ابن سِيدَه صاحب «المحكم» يخاطب إقبال الدولة[4]: [الطويل]

أَلاَ هل إلى تقبيل راحتك اليمنى سبيلٌ؟ فإنَّ الأمن في ذاك واليُمْنَا

قال في المطمح[5]: الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن سيده إمام في اللغة والعربية، وهُمَام في الفئة الأدبية، وله في ذلك أوضاع، لأفهام أَخْلاَفِهَا استدرار واسترضاع، حَرَّرها تحريرًا، وأعاد طَرْف الذكاء بها قريرًا، وكان منقطعًا إلى الموفَّق

---

(١) في المطمح: «بفضله».
(٢) في المطمح: «وله تصانيف في الزهد والتصوّف».
(٣) في المطمح: «وتوفي بعد المستنصر في غزاته».
(٤) تقدم هذا البيت في الجزء الرابع.
(٥) مطمح الأنفس (ص٦٠).

صاحب دَانِيَةَ، وبها أدرك أمانيه، ووجد تجرّده للعلم وفراغه، وتفرّد بتلك الإراغه، ولا سيما كتابه المسمى بالمحكم، فإنه أبدع كتاب[1] وأحكم، ولَمّا مات الموفّق رائشُ جَنَاحِهِ، ومثبت غُرَرِه وأوضاحه، خاف من ابنه إقبال الدولة، وأطاف به مكروهًا[2] بعضُ مَنْ كان حَوْلَه، إذ أهل الطلب كحيات مُسَاوِرة، ففرَّ إلى بعض الأعمال المجاورة، وكتب إليه منها مستعطفًا: [الطويل]

ألاَ هل إلى تقبيلِ راحتِكَ اليُمْنى ... سبيلٌ؟ فإنَّ الأمنَ في ذاك واليُمْنا
فتنضى همومٌ طَلَّحته[3] خطوبُها ... ولا غَاربًا يُبْقِينَ منه ولا متنا
غريبٌ نأى أهلوه عنه وشَفَّه ... هواهمْ فأمسى لا يَقِرُّ ولا يَهْنَا
فيا ملكَ الأملاكِ، إني مُحَلأٌ ... عن الوِرْدِ لا عنه أُذَادُ ولا أُدْنى
تحققتُ مكروهًا فأقبلتُ شاكيًا ... لعمري أمأذونٌ لعبدك أن يُعْنَى
وإن تتأكّدْ في دمي لك نيّةٌ ... فإنيَ سيفٌ[4] لا أُحِبُّ له جفنا
إذا ما غَدَا من حَرِّ سيفك باردًا ... فَقِدْمًا غَدَا من برد نعماكُم سخنا
وهل هيَ إلاّ ساعةٌ ثم بَعْدَها ... ستقرعُ ما عُمِّرْتَ من نَدَمٍ سِنّا
ومالِيَ من دهري حياةٌ ألَذُّها ... فتجعلها نُعْمَى عليَّ وتَمتنَّا
إذا ميتةٌ أرضتك عنا فهاتِها ... حبيبٌ إلينا ما رضيتَ به عَنَّا

وقال الفقيه أبو محمد غانم بن الوليد الأندلسي المخزومي المالقي[5]: [البسيط]

صَيِّرْ فؤادَك للمحبوبِ منزلةً ... سَمُّ الخِيَاطِ مجالٌ للمُحِبَّيْنِ
ولا تسامحْ بغيضًا في معاشرةٍ ... فقلّما تَسَعُ الدنيا بَغِيضَيْنِ

وله[6]: [السريع]

الصبرُ أولى بوَقَارِ الفَتَى ... مِنْ قَلَقٍ يَهْتِكُ سِتْرَ الوَقَارْ

---

(١) في المطمح: «كتاب في اللغة».
(٢) في المطمح: «مكروه».
(٣) طَلَّحَته: أَعْيَتْه، أتعبته.
(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ١٧٢): «فإني بسيف».
(٥) تقدم هذان البيتان في الجزء الرابع وفي هذا الجزء (ص ١٣٦).
(٦) تقدم هذان البيتان في الجزء الرابع باختلاف يسير عمّا هنا.

مَنْ لزمَ الصبرَ على حالةٍ كان على أيامِهِ بالخيارْ

وقال في المطمح فيه[١]: إنه عالم مُتَفَرِّس، وفقيه مُدَرِّس، وأستاذ متجرد[٢]، وإمام لأهل الأندلس مجرّد، وأما الأدب فكان جُلَّ شِرْعَته، وهو رأس بغيته، مع فضل وحسن طريقة، وجدّ في جميع الأمور وحقيقة، انتهى.

وقال المحدّث الحافظ أبو عمر بن عبد البر[٣] يوصي ابنه بمقصورة: [الطويل]

تَجافَ عن الدنيا وهوّنْ لِقَدْرها ووفِّ سبيلَ الدين بالعروة الوثقى
وسارعْ بتقوى اللّه سِرًّا وجهرةً فلا ذمّة أقوى هُدِيتَ من التقوى
ولا تَنْسَ شكرَ اللّه في كلِّ نعمةٍ يَمُنُّ بها فالشكرُ مستجلبُ النُّعْمَى
فَدَعْ عنك ما لا حَظَّ فيه لعاقلٍ فإنَّ طريقَ الحق أبلجُ لا يخفى
وشحَّ بأيامٍ بَقِينَ قلائلٍ وعمرٍ قصيرٍ لا يدوم ولا يبقى
ألم تَرَ أنَّ العمرَ يمضي مولّيًا فجدّته تَبْلَى ومدته تفنى
نخوضُ ونلهو غَفْلةً وجَهالةً وننشرُ أعمالاً وأعمارُنا تُطْوَى
تواصِلُنَا فيه الحوادثُ بالردى وتنتابُنا فيه النوائبُ بالبلوى
عجبتُ لنفسٍ تبصرُ الحَقَّ بَيِّنًا لديها وتأبى أن تفارقَ ما تهوى
وتسعى لِمَا فيه عليها مَضَرَّةٌ وقد علمتْ أن سوف تجزى بما تَسْعَى
ذنوبيَ أخشاها ولستُ بآيس وربِّيَ أهلٌ أن يُخافَ وأن يُرْجى
وإن كان ربي غافرًا ذنب مَنْ يَشَا فإنيَ لا أدري أَأُكْرَمُ أم أُخْزى

وقال في المطمح: الفقيه الإمام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد اللّه بن عبد البر، إمام الأندلس وعالمها، الذي التاحت به معالمُها، صَحَّحَ المتن والسند، وميّز المرسل من المسند، وفرّق بين الموصل[٤] والقاطع، وكسا المِلَّةَ منه نورٌ ساطع، حصر الرواة، وأحصى الضعفاء منهم والثقات، وجَدَّ في تصحيح السقيم، وجدد منه ما كان كالكهف

---

(١) مطمح الأنفس (ص ٦٠ ـ ٦١).
(٢) في المطمح: «مجود».
(٣) مطمح الأنفس (ص ٦٢).
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٢٩): «الموصول».

والرَّقيم، مع مُعَاناة[1] العلل، وإرهاف ذلك العَلل، والتنبيه والتوقيف، والإتقان والتثقيف، وشرح المقفل، واستدراك المغفل، وله فنون هي للشريعة رِتاج، وفي مَفرِق المِلَّةِ تاج، أشهرت للحديث ظُبَا، وفرعت لمعرفته رُبَا، وهَبَّتْ لتفهّمه شمال[2] وصَبَا، وشفت منه وصَبَا، وَكان ثقة، والأنفس على تفضيله متّفقة، وأما أدبه فلا تُغبَرُ لجّته، ولا تدحض حُجّته، وله شعر لم نجد منه إلاّ ما نفث به أنفة، وأقصى[3] فيه عن معرفة، فمن ذلك قوله.

وقد دخل إشبيلية فلم يَلْقَ فيها مبرّة، ولم يلق من أهلها تهللَ أسِرَّة، فأقام بها حتى أخلقه مُقامه، وأطبقه اغتمامه، فارتحل وقال: [الطويل]

تَـنَـكَّـرَ مَـنْ كُـنَّـا نُـسـرُّ بـقـربـه ... وعاد زعافًا[4] بعدما كان سلسلا
وحُـقَّ لـجـارٍ لـم يـوافـقْـه جـارُهُ ... ولا لاءمـتـه الـدارُ أن يـتـحـوّلا
بُـلِـيـتُ بـحـمـصٍ والـمـقـامُ بـبـلـدةٍ ... طويلاً لعمري مخلقٌ يورث البِلَى
إذا هــان حُــرٌّ عـنـد قـوم أتـاهـم ... ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا
ولـم تُـضـرَبِ الأمـثـالُ إلاّ لـعـالـم ... ومـا عـوتـبَ الإنسان إلاّ لـيـعـقـلا

وقال الفقيه أبو بكر بن أبي الدوس[5]: [الطويل]

إليكَ أبا يحيىٰ مددتُ يَدَ المنى ... وقِدْمًا غدتْ عن جود غيرك تُقْبَضُ
وكانت كنورِ العين يلمعُ بالدجا ... فلمّا دعاه الصبحُ لَبّاه ينهضُ

وقال في المطمح: إنه من أبدع الناس خطًا، وأصحهم نقلاً وضَبْطًا، اشتهر بالإقراء، واقتصر بذلك على الأمراء[6]، ولم ينحطّ لسواهم، ومَطَل الناسَ بذلك ولَوَاهم، وكان كثير التحوّل، عظيم التجوّل، لا يستقرّ في بلد، ولا يستظهر على حرمانه بجَلَد، فقذفته النوى، وطردتْه عن كل ثَوى، ثم استقرّ آخر عمره بأغمات، وبها مات، وكان له شعر بديع يصونه أبدًا، ولا يمدّ به يدًا.

---

(١) في الطبعة نفسها: «مع معلنات».
(٢) في المطمح: «شمالاً».
(٣) في المطمح: «وأوصى».
(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ١٧٤): «زعاقًا» بالقاف.
(٥) مطمح الأنفس (ص ٦٤).
(٦) المراد أمراء الطوائف.

أخبرني مَنْ دخل عليه بألمَرِيَّة فرآه في غاية الإملاق، وهو في ثياب أخْلاَق، وقد تواري في منزله تواريَ المذنب، وقعد عن الناس قعود مجتنب، فلمَّا علم ما هو فيه، وترفّعه عمَّنْ يَجْتَدِيه، عاتبه في ذلك الاعتزال، وآخَذَه حتى استنزله بغَيْضِ[1] الإنزال، وقال له: هلا كتبت إلى المعتصم، فما في ذلك ما يَصِم، فكتب إليه: إليك أبا يحيىٰ مددتُ يَدَ المنى - البيتين، انتهى.

وقال الفقيه القاضي الفاضل أبو الفضل ابن الأعلم[2]، حين أقلع وأناب، وودع ذلك الجَنَاب، وتزهدّ وتنسّك، وتمسّك من طاعة اللّٰه بما تمسّك، وتذكّر يومًا يتجرّد من أمله، وينفرد فيه بعمله: [مجزوء الكامل]

المـوتُ يـشـغـلُ ذكـرُهُ عـن كـلِّ مـعـلـومٍ سـواهْ
فـاعـمـرْ لـه رَبْـعَ ادّكـا رِكَ فـي الـعـشـيّـة والـغَـدَاهْ
واكـحـلْ بـه طَـرْفَ اعـتـبـا رِكَ طـولَ أيـامِ الـحـيـاهْ
قَـبْـلَ ارتـكـاضِ الـنـفـس مـا بـيـن الـتـرائـب والـلَّـهَـاهْ
فـيـقـالُ هـذا جـعـفـرٌ رَهْـنٌ بـمـا كـسـبـتْ يـداه
عـصـفـتْ بـه ريـحُ الـمـنـو ن فَـصَـيَّـرَتْـه كـمـا تـراه
فـضَـعُـوه فـي أكـفـانِـهِ ودَعُـوه يـجـنـي مـا جـنـاه
وتـمـتَّـعُـوا بـمـتـاعـه الـمـ ـحـزون وَاحْـوُوا مـا حـواه
يـا مـنـظـرا مـسـتـبـشـعًـا بـلـغ الـكـتـابُ بـه مـداهْ
لُـقِّـيـتُ فـيـه بـشـارةً تـشـفـي فـؤادي مِـنْ جَـوَاهْ
ولـقـيـتُ بـعـدك خَـيـرَ مَـنْ نَـبَّـاه ربـي واجـتـبـاهْ[3]
فـي دارِ خَـفْـضٍ مـا اشـتـهـت نـفـسُ الـمـقـيـمِ بـهـا أتـاهْ

وقال في المطمح: إنه كَهْلُ الطريقة، وفَتَى الحقيقة، تدرَّع الصيانة، وبرع في الورع والديانة، وتماسك عن الدنيا عَفَافًا، وما تماسك[4] التماسًا بأهلها والتفافًا، فاعتقل

(١) في طبعة دار صادر (ص ٣١): «بفيض الاستزال».
(٢) مطمح الأنفس (ص ٦٦).
(٣) اجتباه: اختاره.
(٤) في مطمح الأنفس: «وما تمالك».

النُّهى[١]، وتنقَّل في مراتبها حتى استقرّ فيها في السُّهَا، وعَطَّل أيام الشباب، ومَطَل فيها سعاد وزينب والربَّاب، إلاّ ساعات وقَفَها على المُدَام، وعطفها إلى النَّدام، حتى تخلّى عن ذلك واتَّرك، وأدرك من المعلومات ما أدرك، وتعرَّى من الشبهات، وسرى إلى الرشد مستيقظًا مِنْ تلك السِّنات[٢]، وله تصرّف في شتى[٣] الفنون، وتقدّم في معرفة المفروض والمسنون، وأمّا الأدب فلم يُجاره في مَيْدانه أحدٌ، ولا استولى على إحسانه فيه حَصْر ولا حَدٌّ، وجَدُّهُ أبو الحجاج الأعلم هو خَلَّد منه ما خلّد، ومنه تقلّد ما تقلّد، وقد أثبتّ لأبي الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل[٤] زُلاَلاً، ويُريك سحرَ البيانِ حَلالاً، فمن ذلك ما كتب به إليَّ، وقد ممرتُ على شنت مرية بعدما رحل عنها وانتقل، واعتقل من نَوَانا وبَيْنِنا ما اعتقل، وشنت مرية هذه دارُه، وبها كمل خلالُه وإبداره، وفيها اسْتُقضي، وشيم مضاؤه وانْتُضي، فالتقينا بها على ظَهْر، وتعاطينا ذكر ذلك الدهر، فجددتُ من شوقه، ما كان قد شبَّ على[٥] طَوْقِه، فرامني على الإقامة، وسامني على ذلك بكلِّ كرامة، فأبيت إلاَّ النوى، وانثنيت عن الثَّوَى، فودعني، ودفع إليَّ تلك القطعة حين شيَّعني: [الكامل]

بشراي أطلعتِ السعودُ على … آفاقِ أُنسي بَدْرَها كَمَلاَ
وكسا أديمَ الأرضِ منه سَنًا … فكستْ بسائطها به حُلَلاَ
إيهِ أبا نصرٍ، وكم زمنٍ … قصر ادكارُك عنديَ الأملا
هل تذكُرَنْ والعهد يخجلني … هل تذكرنْ أيامنا الأوَلاَ
أيامَ نعثرُ في أعنتنا … ونجرُّ من أبرادنا خُيَلاَ
ونحلُّ روض الأنس مؤتنقًا … وتَحُلُّ شمسُ مرادنا الحَمَلا
ونرى لياليناا مساعفةً … تدعو رفاقتنا لنا الجَفَلَى[٦]
زَمَنٌ نقول على تذكره … ما تَمّ حتى قيل قد رَحَلاَ
عرضت لزورتكم وما عرضت … إلاّ لتمحَقَ كلّ ما فعلا

(١) اعتقل النُّهَى: ليس التعقّل.
(٢) السِّنات: جمع سِنة وهي النوم.
(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ١٧٦): «شتى من الفنون».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٣٢): «ماء الإحسان».
(٥) في الطبعة نفسها: «عن طوقه».
(٦) في طبعة دار صادر (ص ٣٣): «تدعو إلينا رفقتنا الجفلى».

ووافيتُه عشيةً من العشايا أيام ائتلافنا، وعَودِنا إلى مجلس الطلب واختلافنا، فرأيته مستشرفًا متطلّعًا، يرتادُ موضعًا يقيم به لثغور الأنس مرتشفًا ولثديه مرتضعًا، فحين مَقَلني[1]، تقلّدني إليه واعتقلني، ومِلْنا إلى روضة قد سَنْدَسَ الربيعُ في بساطها، ودَبَّج الزهر دَرَانك أوساطها، وأشعرت النفوسَ فيها بسرورها وانبساطها، فأقمْنا بها نتعاطى كؤوس أخبار، ونتهادى أحاديثَ جهابذة وأحبار، إلى أن نثر زعفران العشي، وأذهب الأنس خوف العالم الوحشي، فقمت وقام، وعوّج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام، وقال[2]: [الكامل]

وعشيَّةٍ كالسيفِ إلاّ حَدَّه ... بَسَطَ الربيعُ بها لنَعْلِي خَدَّهُ
عاطيتُ كأسَ الأُنْسِ فيها واحدًا ... ما ضَرَّه إن كان جَمْعًا وَحْدَهُ

وتنزّه يومًا بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرَّد نهرُها، وتوقَّد زهرُها، والريحُ يسقطه فينظم بِلَبَّة الماء، ويتبسّم فتخاله كصفحة خضرة السماء، فقال: [الكامل]

انظُرْ إلى الأزهار كيف تطلعتْ ... بسماوَةِ الروضِ الْمَجُودِ نُجوما
وتساقَطَتْ فكأنّ مسترقًا دنا ... للسَّمع فانقضَّتْ عليه رُجوما[3]
وإلى مَسيل الماء قد رقَمتْ به ... صَنَعُ الرياحِ من الحباب رُقُوما
ترمي الرياحُ لها نَثِيرَ[4] أزاهر ... فتمدّه في شاطئيه رقيما

وله يصف قلم يراعة، وبرع في صفته أعظم براعة: [الكامل]

ومهفهفٍ ذَلِقٍ صليب المكسرِ ... سببٌ لنيلِ المطلبِ المتعذِّرِ
متألِّقٌ تنبيك صُفرةُ لونه ... بقديم صحبته لآلِ الأصفر
ما ضرَّه أن كان كَعْبَ يراعةٍ ... وبحكمه اطَّردت كعوبُ السَّمْهَرِي[5]

---

(١) مقلني: نظر إليّ.
(٢) سيرد هذان البيتان في هذا الجزء (ص ٢٢٤) دون تغيير عمّا هنا.
(٣) الرجوم: جمع رجم وهو ما يرجم به.
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٣٣): «نثيرًا زَهْرَهُ».
(٥) السمهريّ: الرمح.

وله عندما شارف الكهولة، واستأنف قطع صَبْوَة[1] كانت موصولة: [الكامل]

أمّا أنا فقد ارعويْتُ عن الصِّبا وعَضَضْتُ من ندمٍ عليه بناني
فأطعتُ نُصّاحي ورُبَّ نصيحةٍ جاءوا بها فلججتُ في العصيان
أيامَ أسحَبُ من ذيولِ شبيبتي مَرحًا وأعثرُ في فضولِ عناني
وأُجلُّ كأسي أن تُرى موضوعة فعلى يدي أو في يَدَيْ ندماني
أيام أحْيَا بالغواني والغِنا وأموتُ بين الراح والريحان
في فتيةٍ فرضوا اتّصالَ هواهُمُ فمناهُمُ دَنٌّ من الأدنان
هَزَّتْ عُلاهم أريحيَّاتُ الصِّبا فهي النسيمُ وهم غصونُ البان
مِنْ كلِّ مخلوعِ الأَعِنَّةِ لم يُبَلْ في غَيِّهِ بمصارفِ الأزمانِ

إلى أن قال: ومن نثره يصف فرسًا: انظرْ إليه سليمَ الأديم، كريمَ القديم، كأنما نشأ بين الغبراء واليَحْمُوم، نجمٌ إذا بَدَا، ووَهْمٌ إذا عدا، يستقبل بغزال، ويستدبر برال، ويتحلّى بشِيَات تقسيمات الجمال.

وله يصف سَرْجًا: بزة جياد، ومَرْكب أجواد، جميل الظاهر، رحيب ما بين القادمة والآخر، كأنما قُدّ من الخدود أديمُه، واختصّ بإتقان الحُبُك تقويمه.

وله في وصف لجام: متناسب الأشلاء، صريح الانتماء، إلى ثُرَيَّا السماء، فكلّه نكال، وسائره جمال.

وله في وصف رمح: مُطَّرد الكعوب، صحيح اتّصال الغالب والمغلوب، أخ ينوب كلّما استنيب ويصيب.

وله في وصف قميص: كافوريُّ الأديم، بابليُّ الرسوم، تباشر منه الجسوم، ما يباشر الروض من النسيم.

وله في وصف بغل: مُترف[2] النسب، مستخبر الشرف، آمن الكبب، إن ركب امتنع اعتماله، أو وكب استقلّ به أخواله.

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٣٤): «قطع صرّة».
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٣٥): «مُقْرِف».

وله في وصف حمار: وثيق المفاصل، عتيقُ النهضة إذا وَنَتْ المراسل، انتهى ببعض اختصار.

وقال الأديب الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون الكندي، المعروف بالرمادي[1]: [الكامل]

أومَى لتقبيل البِساط خُنُوعا فوضعتُ خَدِّي في التراب خضوعا
ما كان مذهبه الخنوعَ لِعَبْدِهِ إلاَّ زيادةُ قَلْبِهِ تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤادَ مُسَلَّمًا يمننْ عليَّ بِرَدِّهِ مَصْدُوعا
العبدُ قد يعصي، وأحلفُ أنني ما كنت إلاَّ سامعًا ومطيعا
مولاي يحيى في حياةٍ كاسمه وأنا أموتُ صبابةً ووَلُوعَا
لا تنكروا غيثَ الدموعِ فكلُّ ما ينحلُّ من جسمي يكونُ دموعا

والرمادي المذكور عَرَّف به غير واحد[2]، منهم الحافظ أبو عبد اللّه الحميدي في كتابه «جذوة المقتبس» وقال[3]: أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة وهي موضع بالمغرب، وهو قُرْطُبي، كثير الشعر، سريع القول، مشهور عند الخاصّة والعامة هنالك، لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مَسَالك، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: فُتح الشعر بِكِنْدَة، وخُتم بكندة، يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون، على أنَّ في كون المتنبي من كِنْدَة القبيلة كلامًا مشهورًا[4].

وأخذ أبو عمر ابن عبد البر عن الرمادي هذا قطعة من شعره، وضمّنها بعض تأليفه.

قال ابن حيان: توفي الرمادي سنة ٤٠٣، وذكر ابن سعيد في «المغرب»[5] أن الرمادي اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبي بكر يحيىٰ بن هذيل الكفيف عالم أدباء الأندلس، وهو القائل رحمه اللّه تعالى: [الخفيف]

---

(١) مطمح الأنفس (ص ٧١).
(٢) مرّ التعريف بالرمادي والإشارة إلى مصادر ترجمته في الجزء الأول.
(٣) جذوة المقتبس (ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠) وبغية الملتمس (ص ٤٩٣).
(٤) نسب المتنبي إلى كندة حيّ من أحياء الكوفة، وليس إلى قبيلة كندة.
(٥) ترجم له ابن سعيد في المغرب (جـ ١ ص ٣٩٢) ولم يرد هناك ما يذكره المقري هنا.

لا تلمني على الوقوفِ بدارٍ أهلُها صيَّروا السقامَ ضجيعي
جعلوا لي إلى هواهم سبيلاً ثم سدُّوا عليَّ بابَ الرجوعِ

وروى الرمادي عن أبي عليّ كتاب «النوادر» ومدح أبا علي بقصيدة كما أشرنا إليه في غير هذا الموضع.

وقال في المطمح[1]: إنه شاعر مُفْلق، انفرج له من الصناعة المُغْلَق، ووَمَضَ له برقها المؤتلق. وسال بها طبعه كالماء المندفق، فأجمع على تفضيله المختلف والمتّفق، فتارة يُحْزِنُ وأخرى يُسهل، وفي كلتاهما بالبديع يعلُّ ويَنْهل، فاشتهر عند الخاصّة والعامّة بانطباعه في الفريقين، وإبداعه في الطريقين، وكان هو وأبو الطيب متعاصرين، وعلى الصناعة متغايرين، وكلاهما من كِنْدَةَ، وما منها إلاَّ من اقتدح في الإحسان زَنْدَه، وتمادى بأبي عمر، طَلَقُ العمر، حتى أفرده صاحبه ونديمه، وهُرِيقَ شبابُه واستشن أديمُه، ففارق تلك الأيام وبهجتها، وأدرك الفتنة فخاض لُجَّتَها، وأقام فَرِقًا[2] من هيجانها شرقًا بأشجانها، ولحقته فيها فاقة نَهَكَته، وبعدت عنه الإفاقة حتى أهلكته، وقد أثبتُّ من محاسنه ما يعجبك سَرْدُه، ولا يمكنك نقْدُهُ، فمن ذلك قوله: [البسيط]

شَطَّتْ نَوَاهم بشمسٍ في هَوَادجهم لولا تلألؤها في ليلهنَّ عَشُوا
شكتْ محاسنها عيني وقد غدرت لأنها بضميرِ القلبِ تنخمش
شَعْرٌ ووَجْه تبارى في اختلافهما بحسن هذا وذاك الرومُ والحَبَشُ
شككتُ في سَقَمي منها أفي قُرُشِي منها تنكست[3] وإلاَّ الطيفُ والفرشُ

إلى أن قال: وكان كلِفًا بفتًى نصراني استسهل[4] لباس زُنَّاره، والخلود معه في ناره وخلع بُرُودَه لِمُسوحه، وتسوغ الأخذ عن مسيحه، وراح في بيعَتِه، وغدا من شِيعَتِهِ، ولم يشرب نصيبه، حتى حطّ عليه صليبه، فقال: [الوافر]

---

(١) مطمح الأنفس (ص ٦٩).
(٢) فَرِقًا: خائفًا.
(٣) في طبعة دار صادر (ص ٣٧): «نُكِسْتُ».
(٤) في المطمح: «استحسن».

أَدِزها مثل ريقكَ ثم صَلّبْ　كعادتهم[1] على وهمي وكاسي
فيقضى ما أمرتَ به اجتلابًا　لمسروري وزاد خضوع راسي[2]

وله في مثله: [مجزوء الكامل]

ورأيتُ فوق النَّحْر دِرْ　عًا فاقعًا من زعفرانِ
فَزَجَرْتُه لونًا سقا　مي بالنوى والزَّجْرُ شاني
يا مَنْ نأى عنّي كما　تنأى[3] العيون الفرقدانِ
فأرى بعيني الفرقديـ　ـن ولا أراه ولا يراني
لا قُدِّرَتْ لك أوبةٌ　حتى يَؤوبَ القارظانِ[4]
هل ثم إلاّ الموتُ فر　دًا لا تكون منيّتانِ

وله أيضا: [الخفيف]

إشْرَبِ الكاسَ يا نصيرُ وهاتِ　إنَّ هذا النهارَ مِنْ حسناتي
بأبي غُرَّةٌ ترى الشخصَ فيها　في صفاءٍ أصفى من المرآةِ
تنزح[5] الناس نحوها بازدحامٍ　كازدحامِ الحجيجِ في عَرَفات
هاتِها يا نصيرُ إنّا اجتمعْنا　بقلوبٍ في الدين مختلفات
إنما نحن في مجالسِ لَهْوٍ　نشربُ الراحَ ثم أنت مُوَاتِي
فإذا ما انقضتْ ديانة[6] ذا اللهـ　ـو اعتمدْنا مواضِعَ الصلوات
لو مضى الدهرُ دون راحٍ وقَصْفٍ　لَعَدَدْنا هذا من السيئات

وشاعت عنه أشعار في دولة الخلافة[7] وأهلها، سدّد إليهم صائبات نَبْلها، وسقاهم

(١) في المطمح: «كعادتكم».
(٢) في المطمح: «فقضى ما أمرتَ... خنوع راسي».
(٣) في المطمح: «ينأى لعيني».
(٤) «حتى يؤوب القارظان» مثل ضُرِبَ برجلين من عنزة خرجا في طلب القَرَظ (شجر يدبغ به) فلم يرجعا. مجمع الأمثال (جـ ١ ص ٢١١) والذخيرة (ق ١ ص ٧١٦ ـ ٧١٧) ولسان العرب والقاموس المحيط (قرظ).
(٥) في مطمح الأنفس: «تسرع».
(٦) في المطمح: «دنان على اللهو».
(٧) في المطمح: «الخليفة».

كؤوس نهلها، أوغَرَتْ عليه الصُّدور، ونعرت[1] عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور، فسجَنه الخليفة دهرًا، وأسكنه[2] من النكبة وعرًا، فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه، وأجناه كل زهر من الإحسان وأقطفه، فما أصغى إليه، ولا ألغى مَوْجِدَتَه[3] عليه، وله في السجن أشعار صَرَّح فيها ببَثِّه، وأفصح فيها عن جُلِّ الخطب لفقد صبره ونكثه، فمن ذلك قوله: [الطويل]

لك الأمن مِنْ شجوٍ يزيد تشوقي

ومنها:

فوافوا بنا الزهراء في حالِ خالعِ الـ ... أئِمَّةِ[4] لاستيفائهم في التوثّقِ
وحوليَ من أهل التأذب مأتمٌ ... ولا جؤذرٌ إلاّ بثوبٍ مُشَقَّقِ
فلو أنَّ في عيني الحمام كروضها ... وإن كان في ألوانه غير مشفق
ونادى حمامي مهجتي لتقلقلت ... فهلاّ أجابتْ وَهْوَ عندي بمحنق[5]
أعينيَّ إن كانت لدمْعِكِ[6] فضلة ... تثبّتُ صبري ساعةً فتدفّقي
فلو ساعدتْ قالت أمنِ قلَّة[7] الأسى ... تنقت دموعي أم من البحر تستقي

ومنها:

وقالت تظنُّ الدهرَ يجمعُ بيننا ... فقلتُ لها مَنْ لي بظنٍّ محقَّقِ
ولكنني فيما زجرتُ بمقلتي ... زجرتُ اجتماعَ الشملِ بعد التفرّق
فقد كانت الأشفارُ[8] في مثل بُعْدنا ... فلمّا التقتْ بالطيفِ قالتْ سنلتقي
أباكيةً يومًا ولم يأتِ وقتُهُ ... سينفدُ قبلَ اليومِ دمعك فارفقي

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٣٨): «ونفرت». وفي المطمح: «وفغرتْ».

(٢) في المطمح: «وأسلكه».

(٣) المَوْجِدَةُ: الغضب.

(٤) في المطمح: «حلة تلائم».

(٥) في المطمح «فتغافلت» بدل «التقلقلت». وفي طبعة دار صادر (ص ٣٩): «المحنق» بدل «بمحنق».

(٦) في طبعة دار صادر (ص ٣٩): «الدمعي».

(٧) في الطبعة نفسها: «عُدَّة الأسى».

(٨) في طبعة عبد الحميد (ص ١٨٣): «الأشعار».

إلى أن قال: وله أيضًا: [الطويل]

على كَمَدي[1] تهمي السحابُ وتذرفُ ... ومن جزعي تبكي الحمام وتهتفُ
كأنَّ السحابَ الواكفاتِ غواسلي ... وتلك على فقدي نوائحُ هُتَّفُ
ألاَ ظعنتْ ليلى وبان قطينُها ... ولكنني باقٍ فلُومُوا وعَنِّفُوا
وآنستُ في وجه الصباح لبينها ... نحولاً كأنَّ الصبح مثليَ مُدْنَفُ
وأقربُ عهدٍ رشفةٌ بَلَّتِ الحَشَا ... فعاد شتاءً باردًا وهو صَيِّفُ
وكانت على خوفٍ فولَّتْ كأنها ... من الرِّدفِ في قيد الخلاخل ترسُفُ

وله: [السريع]

قَبَّلْتُه قُدَّامَ قسِّيسِهِ ... شَرِبْتُ كاساتٍ بتقديسِهِ
يقرعُ قلبي عند ذكري له ... من فرط شوقي قرع ناقوسه

وسُجن معه غلام من أولاد العبيدِ[2] فيه مَجَال، وفي نفس متأمّله من لوعته أوجال، فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها: [الطويل]

حَبِيسُكَ مِمَّن أتلف الحبُّ عَقْلَهُ[3] ... ويلذع قلبي حرقةٌ دونها الجمرُ
هلالٌ وفي غير السماء طلوعُهُ ... وريمٌ ولكنْ ليس مسكَنَهُ القفرُ
تَأَمَّلْتُ عينيه فخامرني السكرُ ... ولا شكَّ في أنَّ العيونَ هي الخمرُ
أُناطقُهُ كيما يقولَ، وإنما ... أُناطِقُهُ عمدًا لينتشر الدُّرُّ
أنا عبدُهُ وهو المليكُ كما اسمُه ... فلي منه سطرٌ كاملٌ وله شطرُ

انتهى باختصار.

وقال محمد بن هانيء[4]: [الخفيف]

---

(١) في طبعه دار صادر: «على كبري».
(٢) في طبعة عبد الحميد: «العبيدية».
(٣) رواية صدر البيت في طبعة دار صادر (ص ٤٠) هي:
جليسُكَ مِمَّنْ أتلف الحبُّ قَلْبَهُ
(٤) ديوان ابن هاني الأندلسي (ص ٢٤٩) ومطمح الأنفس (ص ٧٧)، وترجمته في المطمح (ص ٧٤) وقد مرَّ التعريف به والإشارة إلى مصادر ترجمته في الجزء الأول.

قد مَرَرْنا على مغانيكَ تِلْكَ ... فرأينا بها مَشَابِهَ مِنْكِ
عارضَتْنا المَها الخواذِلُ سِرْبًا ... عند أَجْراعِها فلم نَسَلْ عنكِ[1]
لا يُرَعْ لِلْمَها بذكرك[2] سِرْبٌ ... أَشْبَهَتْكِ في الوصف إن لم تكُنْكِ
كُنْ عذيري لقد رأيت مَعَاجي ... يومَ تبكي بالجزع وَلْهى وأبكي[3]
بحنينِ مُرَجَّعٍ وتشكٍّ ... وأنينِ مُوجِعٍ كَتَشَكّي[4]

وقال صاحب المطمح في حقِّه: الأديب أبو القاسم محمد بن هانيء، ذخر[5] خطير، وروضُ أدب مَطِير، غاص في طلب الغريب حتى أخرج دُرَّه المكنون، وبَهْرَج بافتنانه فيه كلَّ الفنون، وله نظم تتمنَّى الثريا أن تتوّج به وتتقلّد، ويودُّ البدرُ أن يكتب ما اخترع فيه ووَلّد، زهت به الأندلس وتاهتْ، وحاسنت ببدائعه الأشمس وباهتْ، فحسد المغربَ فيه المشرقُ، وغصَّ به مَنْ بالعراق وشرق، غير أنه نَبَتْ به أكنافُها، وشمختْ عليه آنافُها، وبرئت منه، وزُوِيَتْ الخيرات فيها عنه؛ لأنه سلك مسلك المعرِّي، وتجرّد من التدين وعَرِي، وأبدى الغلوّ، وتعدّى الحقّ المجلوّ، فمجَّتْه الأنفس، وأزعجته الأندلس، فخرج على غير اختيار، وما عَرَّجَ على هذه الديار، إلى أن وصل الزاب واتّصل بجعفر ابن الأندلسية، مأوى تلك الجنسية، فناهيك من سعد وردَ عليه فكَرَع، ومن باب ولج فيه وما قَرَع، فاسترجع عنده شبابه، وانتجع وَبْلَه ورَبَابه، وتلقّاه بتأهيل ورَحُبْ، وسقاه صَوْب تلك السُّحب، فأفرط في مدحه فيه في الغلوّ وزاد، وفَرَّغَ عنده تلك المزاد، ولم يتورّع، ولا ثناه ذو وَرَع، وله بدائع يتحيّر فيها ويُحَار، ويخال لرقّتها أنها أسحار، فإنه اعتمد التهذيب والتحرير، واتّبع في أغراضه الفرزدق مع جرير، وأما تشبيهاتُه فَخَرَق فيها المعتاد، وما شاء منها اقتاد، وقد أثبتُّ له ما تَحِنُّ له الأسماع، ولا تتمكّن منه الأطماع، فمن ذلك قوله[6]:

[الطويل]

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ١٨٤): «الخرائد» بدل «الخواذل». وفي الديوان: «الخواذل أسرابًا بأجراعها..».
(٢) في الديوان: «بدارك».
(٣) في مطمح الأنفس: «وجدًا وأبكي». وفي الديوان: «مُسْعدي عُجْ فقد رأيت.. أبكي على الديار وتبكي».
(٤) في الديوان: «كحنيني وتَشَكٍّ مُرَدَّدٍ كتشكي».
(٥) في المطمح: «علق».
(٦) ديوان ابن هاني (ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩).

أليلَتَنا إذ أرسَلَتْ واردًا وَحْفَا	وبِتْنا نرى الجوزاءَ في أُذْنها شَنْفَا
وبات لنا ساقٍ يقومُ على الدُّجى	بشمعةِ صُبحٍ[1] لا تُقَطُّ ولا تُطْفَا
أغنُّ غضيضٌ خفَّف اللِّينُ قَدَّهُ	وثقَّلتِ الصهباءُ أجفانَهُ الوُطْفَا
ولم يُبقِ إرعاشُ المُدام له يَدًا	ولم يُبْقِ إعناتُ التثنّي له عِطْفَا
نزيفٌ نَضَاه السكرُ إلاَّ ارتجاجةً[2]	إذا كَلَّ عنها الخصرُ حَمَّلَها الرِّدْفا
يقولون حِقْفٌ فَوْقَهُ خَيْزُرانَةٌ	أمَا يعرفون الخيزرانةَ والحِقْفَا
جعلْنا حشايانا ثيابَ مُدامنا	وقَدَّتْ لنا الأزهارُ[3] من جلدها لُحْفَا
فمن كَبِدٍ توحي إلى كَبِدٍ هوًى	ومن شَفَةٍ تؤوي إلى شفةٍ رَشْفَا[4]

ومنها:

كأنَّ السِّماكَينِ اللَّذين تراهُما[5]	على لِبْدَتَيهِ ضامِنانِ له حَتْفَا
فذا رامحٌ يَهْوِي إليه سِنانَهُ	وذا أعزلٌ قد عَضَّ أَنْمُلَهُ لَهْفَا
كأنَّ سُهيلاً في مطالعِ أُفْقِهِ	مُفَارِقُ إلْفٍ لم يَجِدْ بَعْدَهُ إلْفا
كأنَّ بني نَعْشٍ ونعشًا مَطافِلٌ	بوَجْرَةَ قد أَضْلَلْنَ في مَهْمَهٍ خِشْفَا
كأنَّ سُهَاها عاشِقٌ بين عُوَّدٍ	فآوِنةً يبدو وآونةً يَخْفَى
كأنَّ قُدَامَى النَّسْرِ والنَّسْرُ واقعٌ	قُصِصْنَ فلم تَسْمُ الخوافي له ضعفا[6]
كأنَّ أخاه حين حوَّمَ طائرٌ[7]	أتى دون نصفِ البدر فاختطف النصفا
كأنَّ ظلامَ الليلِ إذ مال مَيْلَةً	صريعُ مُدامٍ باتَ يشربُها صِرْفَا
كأنَّ عمودَ الصبحِ خاقانُ معشرٍ[8]	من الترك نادى بالنجاشيِّ فاستخفى

---

(١) في الديوان: «نجم».
(٢) في الديوان: «ارتجاجَهُ».
(٣) في الديوان: «الظَّلْماءُ».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ٤٢): «تومي» بدل «تؤوي». وفي الديوان: «تدني إلى كبدٍ... توحي إلى شفةٍ..».
(٥) في الديوان: «تظاهرَا».
(٦) في الديوان: «به ضعفا».
(٧) في الديوان: «حين دَوَّمَ طائرًا».
(٨) في الديوان: «عمود الفجر خاقان عسكرٍ».

كـأن لـواء الـشـمـس غـرة جـعـفـر   رأى القِرْنَ فازدادت طَلاَقته ضعفا

وله أيضا[1]: [الكامل]

فُتِقَتْ لكمْ ريحُ الجِلاَد بعنبرِ   وأمدَّكُمْ فَلَقُ الصباح المسفِرِ
وجـنـيـتُـم ثَـمَرَ الـوقـائـع يـانِـعًـا   بالنصر مِنْ وَرَقِ[2] الحديد الأخْضَرِ
أبني العوالي السمهريّةِ والسيو   ف المَشْرَفِيَّة والعديدِ الأكثر
مَنْ منكُم المَلِكُ المُطاعُ كأنه   تحت السوابغِ تُبَّعٌ في حِمْيَرِ
جيشٌ تعدُّ له الليوثُ وفَوْقَها   كالغِيل مِنْ قَصَبِ الوشيج الأخضرِ[3]
وكأنما سَلَبَ القَشاعِمَ رِيشَها   مِمّا يَشُقُّ من العَجاج الأكدرِ
لحق[4] القَبولَ مع الدَّبورِ وسار في   جمعِ الهِرَقْلِ وعزمةِ الإسكندر
في فتيةٍ صَدَأُ الحديد لباسُهمْ   في عبقريِّ البِيْضِ جِنَّةُ عَبْقَرِ[5]
وكفاه مِنْ حُبِّ السماحة أنه   منها بموضع مُقْلةٍ من مَحْجِرِ[6]

ومنها:

نـعـمـاؤه مـن رحـمـةٍ، ولـبـاسُـهُ   مِنْ جنّةٍ، وعطاؤه مِنْ كوثرِ[7]

وله أيضًا من قصيدة في جعفر بن علي[8]: [الطويل]

ألا أيها الوادي المقدّس بالندى[9]   وأهلِ الندى قلبي إليك مَشُوقُ
ويا أيها القصرُ المنيفُ قِبَابُهُ   على الزابِ لا يُسْدَدْ إليك طَرِيقُ

---

(١) ديوان ابن هاني (ص ١٦١ ـ ١٦٤).
(٢) هكذا في الديوان، وفي طبعة دار صادر (ص ٤٢): «من علق الحديد».
(٣) في الديوان: «جيشٌ تَقَدَّمَهُ الليوثُ... الأسمرِ».
(٤) في الديوان: «نَحَرَ القبول».
(٥) رواية البيت في الديوان هي:
في فتيةٍ صَدَأ الدروع عبيرهُمْ   وخلوقُهم عَلَقُ النجيع الأحمرِ
(٦) في الديوان: «وكفاك.. أنها منه بموضع..».
(٧) في الديوان: «فنعامه.. وعِراصُهُ.. ويمينه من كوثر».
(٨) لم ترد هذه القصيدة في الديوان.
(٩) في المطمح: «بالطوى».

ويا ملكَ الزاب الرفيعَ عمادُهُ بقيتَ لجمع المجدِ وهو فريق
فمَا أنسَ لا أنسَ الأميرَ إذا غدا يروع بحور ملكه ويَرُوق[1]
فللجود مجرى[2] من صفيحة وَجْهِهِ إذا كان من ذاك الجبينِ شروق
وهزَّته للمجد حتى كأنما جَرَتْ في سجاياه العِذَابِ رحيقُ
أما وأبي تلك الشمائل إنها دليلٌ على أنّ النِّجار[3] عَتيقُ
فكيف بصبرِ النفس عنه ودونه من الأرضِ مغبَرُ الفِجاجِ عميق
فكنْ كيف شاء الناسُ أو شئتَ دائمًا فليس لهذا الملك غيرك فُوق
ولا تشكرِ الدنيا على نَيْلِ رتبةٍ فما نلْتَها إلاّ وأنتَ حَقيقُ

وله من أخرى[4]: [الطويل]

خليليَّ، أينَ الزابُ مني وجعفرُ وجنَّاتُ عدنٍ بِنْتُ عنها وكوثرُ
فقبلي نأى عن جنّةِ الخلدِ آدمٌ فما راقَهُ مِنْ جانبِ الأرضِ مَنْظَرُ
لقد سرّني أني أمرٌّ ببالـه فيخبرني عَنْهُ بذلك مخبر
وقد ساءني أني أراه ببلدةٍ بها مَنْسَكٌ منه عظيمٌ ومَشْعَرُ
وقد كان لي منه شفيعٌ مُشَفَّعٌ به يَمْحَصُ اللّه الذنوبَ ويغفرُ
أتى الناسُ أفواجًا إليك كأنما من الزاب بيتٌ أو من الزاب محشرُ
فأنت لمن قد مزّق اللّهُ شَمْلَه ومعشرَهُ والأهلَ أهلٌ ومَعْشَرُ

وله أيضًا[5]: [الطويل]

أَلاَ طرقَتْنَا والنجومُ رُكُودُ وفي الحيِّ أيقاظٌ ونحن[6] هُجُودُ
وقد أَعْجَلَ الفجرُ المُلَمَّعُ خَطْوَها وفي أُخْرَيَاتِ الليل منه عَمُودُ

---

(١) رواية عجز البيت في طبعة دار صادر (ص ٤٣) هي:
تروع بحورًا فُلْكُهُ وتروقُ
(٢) في طبعة دار صادر: «ولا الجود يجري..».
(٣) النِّجار: الأصل.
(٤) لم ترد هذه الأبيات في الديوان.
(٥) ديوان ابن هاني (ص ٩٦ ـ ٩٧).
(٦) هكذا في الديوان، وفي طبعة دار صادر (ص ٤٤): «وهنّ هجودُ».

سَرَتْ عاطلاً غَضْبَى على الدُّرِّ وَحْدَهُ ... ولم[1] يَدْرِ نَحْرٌ ما دهاه وجيد
فما بَرِحَتْ إلاَّ ومن سِلْكِ أدمعي ... قلائدُ في لَبَّاتِها وعُقُودُ
ويا حُسْنَها في يومِ نَضَّتْ سوالفًا ... تَرُوغُ إلى أترابِها وتحيد[2]
ألم يأتِها أنّا كَبُرْنا عن الصِّبا ... وأنا بَلِينا والزمانُ جديد
ولا كالليالي ما لهنَّ مَوَاثِقٌ ... ولا كالغواني ما لهنّ عُهُود
ولا كالمُعِزِّ ابنِ النبيّ خليفةً ... له اللّهُ بالفخر[3] المبينِ شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيىٰ بن علي بن رمان[4]: [الطويل]

قفا بي فلا مَسْرَى سَرَيْنَا ولا نَسْرِي ... وإلاّ نرى مَشْيَ القَطَا الوارد الكُدْرِ[5]
قِفا نَتَبَيَّنْ أين ذا البرقُ منهمُ ... ومن أين تأتي الريحُ طيبةَ النَّشْرِ[6]
لعلَّ ثرى[7] الوادي الذي كنتُ مرّة ... أزورهُمُ فيه تضوَّعَ للسَّفْرِ
وإلاَّ فما وادٍ يسيلُ بعنبرٍ ... وإلاّ فما تدري الركابُ ولا ندري
أَكُلَّ كِناسٍ بالصريم[8] تظنّه ... كِناسَ الظباء الدُّعْج والشُّدُنِ العُفْرِ
وهل عَجِبوا[9] أني أُسائلُ عنهُمُ ... وهُمْ بين أحناءِ الجوانحِ والصَّدْرِ
وهل علموا أني أُيَمِّمُ أَرْضَهُمْ[10] ... ومالي بها غيرُ التعسّفِ من خُبْرِ
ولي سَكَنٌ تأتي الحوادثُ دونه ... فيبعُدُ عن عيني ويقرُبُ من فكري
إذا ذَكَرَتْهُ النفسُ جاشتْ بذكره ... كما عَثَرَ الساقي بجامٍ من الخمر[11]

---

(١) في الديوان: «فلم».
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٤٤): «تريع» بدل «تروغ». وفي الديوان: «بأحسن منها حين نَضَّتْ سوالِفًا..».
(٣) في الديوان: «بالفضل».
(٤) ديوان ابن هاني (ص ١٥٣ . ١٥٥).
(٥) في الديوان: «قفا فلأمرٍ ما سرينا.. فمشيًا مثل مشي القطا الكُدْري».
(٦) في الديوان: «ومن أين تسري الريح عاطرة النَّشْر».
(٧) في طبعة عبد الحميد (ص ١٨٨): «نرى الوادي».
(٨) في الديوان: «في الصريم».
(٩) في الديوان: «ومن عَجَبٍ أني..».
(١٠) في الديوان: «فهل علموا أني أسير بأرضهمْ».
(١١) في الديوان: «لذكره.. بكأس من الخمر».

فلا تسألاني عن زماني الذي خَلاَ فوالعَصْرِ إني قبل يحيىٰ لفي خُسْرِ
وآليتُ لا أعطي الزمانَ مَقادتي على مثلِ يحيىٰ ثم أُغضي على الوَتْرِ [1]
حنيني إليه ظاعنًا ومُخَيِّمًا وليس حنينُ الطير إلاّ إلى الوكر

وله من قصيدة [2]: [الكامل]

فَتَكاتُ طَرْفِكِ أم سيوفُ أبيكِ وكؤوسُ خمرك أم مراشفُ فيكِ
أَجِلادُ مُزهَفَةٍ وفَتْكُ محاجرٍ لا أنتِ [3] راحمةٌ ولا أهلوكِ
يا بنت ذي [4] السيف الطويل نجادُهُ أكذا يجوزُ الحكمُ في ناديكِ
عيناكِ أم مَغْناك مَوعِدُنا، وَفِي وادي الكرى ألقاكِ أم واديك [5]

وله أيضًا [6]: [الكامل]

أَحْبِبْ بهاتيك [7] القِبابِ قِبابَا لا بالحُدَاة ولا الركابِ ركابا
فيها قلوبُ العاشقين تخالُها عَنَمًا بأيدي البِيْض أوْ عُنَّابا [8]
واللَّه لولا أنْ يُعَنِّفَني الهوى ويقولَ بعضُ العاذلينَ تصابَى [9]
لَكَسَرْتُ دُمْلُجَها بضيق عناقِها ورشفتُ من فيها البَرودِ رُضَابَا
بِنْتُمْ فلولا أنْ أُغَيِّرَ لِمَّتي عَبَثًا وألقاكُمْ عليَّ غِضابَا
لخَضَبْتُ شَيْبًا في [10] مفارق لمتي ومَحَوتُ مَحْوَ النِّقْسِ عنه شبابا
وخَضَبْتُ مبيضَّ [11] الحِداد عليكم لو أنني أجدُ البَياضَ خِضابا

---

(١) في الديوان: «مقادةَ إلى مثل. . على وَتْرِ».
(٢) ديوان ابن هاني (ص ٢٥٢).
(٣) في الديوان: «ما أنتِ».
(٤) في الديوان: «ذا السيف».
(٥) في الديوان: «نلقاك أو واديك».
(٦) ديوان ابن هاني (ص ٤٩ ـ ٥٢).
(٧) في الديوان: «بتيّاكَ».
(٨) في الديوان: «والعُنّابا».
(٩) في الديوان: «يسفّهني الهوى. . القائلين تصابى».
(١٠) في الديوان: «في عِذاري كاذبًا».
(١١) في الديوان: «مُسْوَدّ الحداد».

وإذا أردتَ على المشيب وِفادةً فاحثث مَطِيَّكَ دونه الأحقابا [1]
فلتأخذَنَّ من الزمان حَمامةً ولَتَدْفَعَنَّ إلى الزمان غُرابا

ومنها:

قد طَيَّبَ الأقطار [2] طِيبُ ثنائِهِ من أجلِ ذا نجدُ الثغورَ عِذابا
لم تُدْنِني أرضٌ إليكَ وإنما جئتُ السماءَ فَفُتِّحَتْ أبوابا
ورأيتُ حولي وَفْدَ كلِّ قبيلةٍ حَتَّى تَوَهَّمْتُ العراقَ الزابا
أرضٌ وَطِئْتُ الدُّرَّ من رضراضها [3] والمِسْكَ تربًا والرياضَ جنابا
ورأيتُ أَجْبُلَ أرضِهَا مُنْقادةً فحسِبْتُها مدَّتْ إليك رِقابا
سَدَّ الإمامُ بِكَ الثغورَ وقبلَهُ [4] هَزَمَ النبيُّ بقومِكَ الأحزابا

وقال ابن هانىء يصف الأسطول [5]: [الطويل]

مُعَطَّفة الأعناقِ نحو مُتُونِها كما نَبَّهَتْ أيدي الحُوَاةِ [6] الأفاعيا
إذا ما وَرَدْنَ الماء شوقًا لبَرْدِهِ صَدَرْنَ ولم يشربْنَ غرفًا صواديا
إذا أعملوا فيها المجاذيفَ سرعةً ترى عقربًا منها على الماء ماشيا

وقال الأديب أبو عمر أحمد بن فرج الجَيَّاني رحمه الله تعالى [7]: [الوافر]

وطائعةِ الوصالِ عدوتُ [8] عنها وما الشيطانُ فيها بالمُطاعِ

---

(١) في الديوان: «فاجعل إليه مطيَّك الأحقابا».
(٢) في الديوان: «الأفواه».
(٣) في الديوان: «أرضًا.. رضراضًا بها».
(٤) هكذا في الديوان، وفي طبعة دار صادر (ص ٤٦): «بها الثغور وقلبها..».
(٥) لم ترد هذه الأبيات في الديوان.
(٦) الحُواة: جمع حاوٍ وهو الذي يجمع الحيّات.
(٧) الأبيات في جذوة المقتبس (ص ١٠٥) وبغية الملتمس (ص ١٥٢ ـ ١٥٣) والمغرب (ج ٢ ص ٥٦) ومطمح الأنفس (ص ٨٠). وتقدم ذكرها في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٨) في طبعة عبد الحميد (ص ١٩٠): «غدوت» بالغين المعجمة.

بَدَتْ في الليلِ ساترةً ظلامَ الـ ... ـدَّياجي[1] منه سافرةَ القناعِ
وما مِنْ لَحْظَةٍ إلاّ وفيها ... إلى فِتَنِ القلوبِ لها دَوَاعي
فَمَلَّكْتُ النُّهَى جَمَحَاتِ[2] شوقي ... لأجريَ بالتعفاف[3] على طباعي
وبِتُّ بها مَبِيْتَ الطفل يَظْمَا ... فيمنعه الفطامُ[4] عن الرّضاع
كذاكَ الروضُ ليس به لمثلي ... سوى نَظَرٍ وشَمٍّ من مَتاع
ولستُ من السوائم مُهمَلاتٍ ... فأتّخذَ الرياضَ مِنَ المراعي

وقال: [مخلع البسيط]

للروض حسنٌ فَقِفْ عليه ... واصرِفْ عنانَ الهوى إليهِ
أما ترى نرجسًا نضيرًا ... يرنو إليه بمُقْلَتيه
نَشْرُ حبيبي على رباه ... وصفرتي فوق وجنتيهِ

وقال: [الطويل]

بمهلكة يستهلكُ الحمدُ عَفْوَها ... ويتركُ شملَ العزم وهو مُبَدَّدُ
ترى عاصفَ الأرواح فيها كأنها ... من الأينِ تمشي ظالعٌ أو مُقَيَّدُ

وقال في المطمح: مُحْرِزُ الخصل، مُبَرَّز في كل معنى وفَضْل[5]، متميز بالإحسان، مُنْتَمٍ إلى فئة البَيَان، ذكي الخَلَد مع قوة العارضة، والمنّة الناهضة، حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهرَ الضَّبط، مُنْتَصِرًا[6] لمن انبسط فيه بعضَ البَسْط، حتى إنَّ أهله لا يتكلّمون فيه إلاّ رمزًا، ولا يخاطبون إلاّ إيماء فلا تسمع لهم رِكْزًا، فكلّم فيه خَصْمًا له كلامًا استطال به عليه لفضل بَيَانه، وطلاقة لسانه، ففارق عادة المجلس في رفض الأَنَفَة، وخفض الحجّة المؤتنفة، وهزّ عطفه وحَسَر عن ساعده، وأشار بيده، مادًا بها لوجه خَصْمه، خارجًا عن حَدّ المجلس ورَسْمه، فهمّ الأعوانُ بتَقْويمه وتَثْقيفه، ووَزَعَهم رهبة منه

---

(١) في المصادر المذكورة عدا المطمح: «سافرة دياجي..». وفي المطمح: «ساترة دياجي ظلام الليل».
(٢) في المغرب: «حُجّاب شوقي».
(٣) في المصادر كلها: «في العفاف».
(٤) في المصادر كلها: «فيمنعه الكعام من الرضاع».
(٥) في المطمح: «وفضل».
(٦) في طبعة دار صادر (ص ٤٧): «منتهرًا». وفي المطمح: «مشهرًا».

وخشية، حتى تناوله القاضي بنفسه، وقال له: مهلاً، عافاك اللَّه، اخْفِضْ صَوتَك، واقبض يَدَك، ولا تفارق مركزك، ولا تَعْدُ حَقَّك، وأقصر عن إدلالك[1]، فقال له: مهلاً يا قاضي، أمن المخدَّرات أنا فأخفض صوتي وأستر يدي، وأُغطي معاصمي لديك؟ أم من الأنبياء أنت فلا يُجْهَر بالقول عندك؟ وذلك لم يجعله اللَّه تعالى إلاَّ لرسوله عليه الصلاة والسلام، لقول اللَّه تعالى ﴿ يا أيها الذين آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصواتَكُمْ فَوقَ صوتِ النبيِّ ﴾. إلى قوله: ﴿ لا تَشْعُرُوْنَ ﴾[2] ولستَ به ولا كرامة، وقد ذكر اللَّه تعالى أنَّ النفوس تُجَادِل في القيامة في موقف الهَول الذي لا يَعْدِله مَقَام، ولا يشبه انتقامَه انتقام، فقال تعالى ﴿يَومَ تأتي كلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عن نَفْسِها ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[3] لقد تعديت طَورَك، وعَلَوت في منزلك[4]، وإنما البيان، بعبارة اللسان، وبالنطق يستبين الحقُّ من الباطل، ولا بُدَّ في الخصام، من إفصاح الكلام. وقام وانصرف. فبُهِتَ القاضي، ولم يُحِرْ جوابًا، وكان في الدولة صدرًا من أعيانها، وناسق درر تبيانها، نَفَق[5] في سوقها وصنَّف، وقَرَّطَ محاسنَهَا وشَنَّف، وله الكتاب الرائق، المسمَّى بالحدائق، وأدركه في الدولة سَعْي، ورُفض له فيها الرَّعْي، واعتمله الخليفة وأوثقه في مكان أخيه فلم يومض له عَفو، ولم يشبْ كدر حاله صَفْو، حتى قضى معتقلاً، ونُعيَ للنائبات نَعْيًا مثكلاً، وله في السجن أشعار كثيرة، وأقوال مُبْدَعات منيرة، فمن ذلك ما أنشده ابن حزم يصف خيالاً طرقه، بعد ما أسهره الوجد وأرَّقه[6]: [الوافر]

بأيِّهما أنا في الشُّكر بادِي ... بشُكْرِ الطَّيْفِ أم شكرِ الرقادِ
سَرَى وازداد في أَمَلِي ولكنْ ... عَفِفْتُ فلم أجِدْ منه مُرَادي
وما في النوم مِنْ حرجٍ ولكنْ ... جريتُ من العفاف على اعتيادي

وقال الشاعر المشهور أبو عبد اللَّه محمد بن الحدّاد[7]: [البسيط]

---

(١) في المطمح: «انتمائك وإدلالك».
(٢) سورة الحجرات ٤٩، الآية: ٢.
(٣) سورة النحل ١٦، الآية: ١١١.
(٤) في المطمح «منزلتك».
(٥) في طبعة دار صادر (ص ٤٨): «ونفق».
(٦) تقدم ذكر هذه الأبيات في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٧) ديوان ابن الحداد (ص ٢٠٩ ـ ٢١٠).

يا غائبًا، خَطَرَاتُ القَلْبِ مَحْضَرُهُ   الصَّبْرُ بَعْدَكَ شيءٌ لستُ أَقْدِرُهُ
تَرَكْتَ قلبي وأشواقِي تُفَطِّرُهُ   ودَمْعَ عَيْنِي وأحْدَاقِي تُحَدِّرُهُ
لو كُنتَ تُبْصِرُ في تُدْمِيرَ[1] حالَتَنا   إذَنْ لأَشْفَقْتَ مما كُنْتَ تُبْصِرُهُ
فالعَيْنُ دونَكَ لا تَحْلى[2] بلَذَّتِها   والدَّهْرُ بَعْدَكَ لا يَصْفُو تكَدُّرُهُ
أُخْفي اشتياقي وما أَطْويهِ مِنْ أَسَفِ   عن المرية[3] والأنفاسُ تُظْهِرُهُ

قال في المطمح: هو شاعر مادح، وعلى أَيْك الندى صَادح، لم يُنْطِقه إلاّ مَعْن[4] أو صُمَادح، فلم يَرِمْ مَثْواهما، ولم ينتجعْ سواهما، واقتصر على ٱلْمَرِية، واختصر قَطْعَ المَهَامه وخوض الْبَرِّيّة، فَعَكَفَ فيها ينثر دُرَرَه في ذلك المُنْتَدَى، ويرشف أبدًا ثغورَ ذلك النَّدَى، مع تميّزه بالعلم، وتحيُّزه إلى فئة الوقار والحِلْم، وانتمائه إلى آية سَلَف، ومذهبه مذاهبَ أهل الشَّرَف، وكان له لَسَنٌ ورُوَاء يشهدان له بالنباهة، ويقلّدان كاهلَه ما شاء من الوَجَاهة، وقد أثبتُّ له بعض ما قذفه من دُرَره، وفَاهَ به من محاسن غُرَره؛ فمن ذلك قوله[5]: [الطويل]

إلى الموتِ رُجْعَى بعد حِينٍ فإن أَمُتْ   فقد خُلِّدَتْ خُلْدَ الزمانِ مناقبي
وذِكرايَ في الآفاق طيبًا كأنها[6]   بكلِّ لسانٍ طِيبُ عَذْراءَ كاعِبِ
ففي أيِّ عِلْمٍ لم تُبَرِّزْ سوابقي   وفي أيِّ فَنٍّ لم تُبَرِّزْ كتائبي

وحضر مجلسَ المعتصم بحضور ابن اللبّانة فأنشد فيه قصيدًا أبرز به من عُرَا الإحسان ما لم ينفصم واستمرّ فيها يكمل[7] بَدَائعها وقوافيها، فإذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذي أوّله: [الكامل]

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ١٩٢): «تدبير». وتدمير Todmir كورة من كور الأندلس الشرقية، وقاعدتها مدينة لورقة. نصوص عن الأندلس (ص ١) ومعجم البلدان (جـ ٢ ص ١٩) والروض المعطار ص(١٣١) وقطعة من كتاب فرحة الأنفس (ص ٢٨٤).
(٢) في طبعة عبد الحميد: «لا تخلو».
(٣) في أصول النفح: «البرية»، والتصويب عن الديوان.
(٤) في المطمح: «إلاّ جود معن».
(٥) ديوان ابن الحداد (ص ١٤٥).
(٦) في طبعة دار صادر (ص ٤٩) وفي الديوان: «وذكري في الآفاق طار كأنه».
(٧) في طبعة دار صادر: «يستكمل».

عُجْ بالحِمَى حيثُ الظِّباءُ العِينُ[1]

فقال ابن الحداد مرتجلا[2]: [الكامل]

حَاشَا لِعَذْلِكَ يا ابنَ مَعْنٍ أنْ يُرَى في سِلْكِ غَيْرِي دُرِّيَ المَكْنُونُ
وإليكَها تشكو اسْتلابَ مَطِيِّها: عُجْ بالحِمَى حيثُ الظِّباءُ[3] العِينُ
فاحْكُمْ لها واقْطَعْ لسانًا لا يَدًا فلسانُ مَنْ سَرَقَ القريضَ يَمِينُ

وله[4]: [مجزوء الكامل]

إنَّ المَدامِعَ والزَّفِيرْ قد أعْلَنَا ما في الضَّمِيرْ
فَعَلامَ أُخْفِي ظاهِرًا سَقَمِي عليَّ به ظَهِيرْ
هَبْ لي الرِّضا مِنْ ساخِطٍ قَلْبِي بساحَتِهِ الأَسِيرْ

وله أيضًا[5]: [مجزوء الرمل]

أيُّها الواصِلُ هَجْرِي، أنا في هِجْرانِ صَبْرِي
لَيْتَ شِعْرِي أيُّ نَفْعٍ لكَ في إدْمانِ ضَرِّي

وله أيضًا[6]: [البسيط]

يا مُشْبِهَ المَلِكِ الجَعْدِيِّ تسميةً ومُخْجِلَ القَمَرِ البَدْرِيِّ أنوارا[7]

---

(١) هو صدر مطلع قصيدة من ٦١ بيتًا وردت في ديوان ابن الحداد (ص ٢٦٥ ـ ٢٧٨)، فيه هكذا:
عُجْ بالحِمَى حيث الغِياض الغِيْنُ
وسيرد المطلع كاملاً في هذا الجزء (ص ٢٤٨).
(٢) ديوان ابن الحداد (ص ٢٦٣).
(٣) في الديوان: «حيث الخماص».
(٤) ديوان ابن الحداد (ص ٢٢٢).
(٥) ديوان ابن الحداد (ص ٢٢١).
(٦) ديوان ابن الحداد (ص ٢١٨).
(٧) الملك الجعديّ: البخيل؛ يقال: رجل جَعْدٌ إذا كان بخيلاً لئيمًا. وهنا يشبه الشاعر محبوبته بالملك الجعدي؛ فكما هو بخيل لا يجود على رعيته، كذلك هي باخلة لا تجود عليه بالرضى. وفي العجز يجعل وجهها أكثر إشراقًا من البدر.

وله[1]: [الكامل]

تُطالبني نَفْسي بما فيه صَوْنُهَا فَأَعْصِي، ويَسْطُو شَوْقُها فأُطِيعُها
واللَّه ما يَخْفَى عليَّ ضَلالُها ولكنها تَهْوَى[2] فلا أَسْتَطِيعُها

وقال[3]: [الطويل]

بخافِقَةِ القُرْطَينِ قلبُكَ خافِقُ وعَنْ خَرَسِ القُلْبَينِ دَمْعُكَ ناطِقُ
وفي مَشْرِقِ الصُّدْغَيْنِ لِلبَدْرِ مغربٌ ولِلفِكْرِ إظْلامٌ[4] ولِلعَيْنِ شارق
وبَيْنَ حَصَا الياقوتِ ماءُ وَسَامةٍ مُحَلَّأَةٌ عنه الظِّباءُ السوابِق
وحَشْوُ قِبابِ الرَّقْمِ أَحْوَى مُقَرْطَقٌ كما آسُ رَوْضٍ عِطْفُهُ والقَراطِقُ

انتهى باختصار.

وقال الأسعد بن بليطة[5]: [الطويل]

برامةَ ريمٌ زارني بعدما شَطَّا تَقنَّصته بالحلم في الشَّطِّ فاشتطَّا
رعى من أفانين الهوى ثمرَ الحشا جنيًّا ولم يَرْعَ العهود ولا الشرطا
خيال لمرقوم غرير برامةٍ تأوبني بالرقمتين لدى الأرطى
فألْثَمَنِي[6] من خدِّها روضةَ الجنى وألذعني من صُدْغها حيةً رَقْطا
وباتت ذراعاها نِجادًا لعاتقي إذا التقتا[7] بالحلى غنى لها لَغْطا
وسَلَّ اهتصاري غُصْنَها من مخصَّر طواه الضنى طيَّ الطوامير فامتطَّا
وقد غاب كحلُ الليل في دمع فجره إلى أن تَبَدَّى الصبحُ في اللِّمَّة الشمطا

---

(١) ديوان ابن الحداد (ص ٢٣٥).
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٥٠): «تهوي».
(٣) ديوان ابن الحداد (ص ٢٣٧).
(٤) في طبعة دار صادر والديوان: «حالاتٌ».
(٥) مطمح الأنفس (ص ٨٣ ـ ٨٣) ووفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٣).
(٦) في طبعة دار صادر (ص ٥١): «فأكسبني».
(٧) في الطبعة نفسها: «إذا ما التقاها الحليُ».

ومنها في وصف الديك:

وقام لها ينعى الدجى ذو شقيقة يديرُ لنا من عين أجفانه سِقْطا
إذا صاح أصْخى سَمْعُهُ لأذانِهِ وبادر ضربًا من قوادمه الإبطا
كأنَّ أنوشروان أعلاه تَاجَهُ وناطتْ عليه كفُّ ماريةَ القُرْطَا
سبى حلَّةَ الطاووس حسنَ لباسها ولم يكفه حتى سبى المشية البطَّا

ومن غزلها:

غُلاَمِيَّةٌ جاءتْ وقد جعل الدجى لخاتم فيها فَصَّ غالِية خطًّا
فقلتُ أُحاجيها بما في جفونها وما في الشفاهِ اللُّعْسِ من حسنها المُعْطَى
مخمرة العينين من غير سكرةٍ متى شربتْ ألحاظُ عينيك إسْفَنْطا[1]
أرى نَكْهَةَ المسواك في حُمْرة اللَّمَى وشاربك المخضرّ بالمسك قد خطًّا
عسى قُزَحٌ قبَّلتِهِ فإخاله على الشفةِ اللمياء قد جاء مختطًّا

وقال في المطمح في تحلية الأسعد: إنه سَرَدَ البدائع أحسن السَّرْد، وافترس المعاني كالأسد الْوَرْد[2] وأبْرَزَ دُرَرَ المحاسن من صدفها، وحاز من فخر[3] الإجادة وشرفها، ومدح ملوكًا طَوَّقهم من مدائحه قلائد، وزفَّ إليهم منها خَرَائد، وجَلاها عليهم كواعب، بالألباب لواعب، فأسالت العَوَارف، وما تقلَّصَ له من الحظوة ظِلّ وارف، وقد أثبتُّ له ما يعترف بحقّه، ويُعرف به مقدار سَبْقِه، فمن ذلك قوله: [الكامل]

لو كنتَ شاهدنا عشيةَ أمسنا والمُزْنُ يبكينا بعيني مذنبِ
والشمسُ قد مَدَّتْ أديمَ شعاعِها في الأرض تجنحُ غير أن لم تغربِ

وقوله: [الكامل]

وتلذُّ تعذيبي كأنَّكَ خلتني عودًا فليس يطيب ما لم يُحْرَقِ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥١): «محَيِّرة العينين». والإسفنط: الخمر.
(٢) الأسد الوَرْدُ: الشجاع.
(٣) في طبعة دار صادر (ص ٥٢): «من بحر».

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون[1]: [الطويل]

تظنونني كالعُودِ حَقًّا وإنما   تطيبُ لكم أنفاسه حين يُحْرَقُ

انتهى ببعض اختصار.

وقال الأديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء، وهو كما في المطمح[2]: من فحول الشعراء، وأئمتهم الكبراء، وكان متنجعًا بشعره، مسترجعًا من صرف[3] دهره، وكانت له همّة أطالت هَمّه، وأكثرت كمده وغَمّه: [الطويل]

يؤرّقني الليلُ الذي أنا نائِمُهْ   فتجهلُ ما ألقى وطرفك عالِمُهْ
وفي الهودج المرقوم وَجْهٌ طوى الغشا   عن الحسن[4] فيه الحسن قد حار راقمهْ
إذا شاء وقفًا أرسل الحسنُ فَرْعَهُ   يُضِلُّهم عن منهجِ القَصْد فاحمه
أظلمًا رأوا تقليده الدُّرَّ أم زَرَوْا   بتلك اللآلي أنهنّ تمائمه

وقال الأديب أبو عبد الله ابن عائشة في فتى طرزت غلالة خدّه، ورُكب من عارضه سنانا[5] على صَعْدة قدّه[6]: [الطويل]

إذا كنت تهوى خدّه وَهْوَ روضةٌ   به الوردُ غَضٌّ والأقاحُ مفلَّجُ
فزدْ كَلَفًا فيه وفَرْطَ صبابةٍ   فقد زيد فيه مِنْ عِذارٍ بنفسجُ

وحَلاّه في المطمح بأن قال: اشتهر صَونًا وعفافًا، ولم يخطب بعقيلة حُظْوَةٍ[7] زفافًا، فآثر انقباضًا وسكونًا، واعتمد إليها ركونًا، إلى أن أنهضه أميرُ المسلمين إلى بساطه فهبَّ من مرقد خموله، وشَبَّ لبلوغ جدوة[8] مأموله، فبدا منه في الحال انزواء، في تسنّم تلك

---

(١) رواية البيت في ديوان ابن زيدون (ص ٢٥٥) هي:

تَعُدّونني كالعَنْبَرِ الوَرْد إنما   تَطيبُ لكمْ أنفاسُهُ حين يُحْرقُ

(٢) مطمح الأنفس (ص ٨٤).

(٣) في طبعة دار صادر: «من صروف».

(٤) في الطبعة نفسها: «على الحزن فيه..».

(٥) في الطبعة نفسها: «سنان».

(٦) مطمح الأنفس (ص ٨٤ - ٨٦).

(٧) في طبعة دار صادر (ص ٥٣): «بعقيلة حظرة».

(٨) كلمة «جدوة» ساقطة من طبعة دار صادر.

الرسوم والتواء، وقعود عن مراتب الأعلام، وجمود لا يُحمد فيه ولا يُلام، إلاَّ أنَّ أمير المسلمين ألقى عليه منه مَحَبَّه، جلبت إليه مَسْرَى الظهور ومَهَبَّه، وكان له أدب واسع المَدَى، يانع كالزهر بلَّله الندى، ونظم مشرق الصفحة، عَبِق النفْحَة، إلاَّ أنه قليلاً ما كان يحلُّ ربعه، ويذيل له طبعه، وقد أثبتُّ له منه ما يدع الألباب حائرة، والقلوب إليه طائرة، فمن ذلك قولُه في ليلة سمحت له بفتى كان يهواه، ونفحت له هَبَّة وصْل أبدت جَوَاه: [السريع]

لِلَّهِ لَيلٌ باتَ عِندي بِهِ طوعَ يدي مَنْ مُهْجَتي في يديهْ
وبِتُّ أسقيهِ كؤوسَ الطلا ولم أزل أسهرُ شوقًا إليهْ
عاطيتُهُ حمراءَ ممزوجةً كأنها تُعْصَرُ مِنْ وجنتيهْ

وخرج من بَلَنْسية يومًا إلى منية الوزير الأجلّ أبي بكر ابن عبد العزيز، وهي من أبدع منازل الدنيا، وقد مدّت عليها أدواحُها الأفيا، وأهدت إليها أزهارُها العَرْفَ والرَّيَّا، والنهر قد غصّ بمائه، والروض قد خصّ بمثل أنجم سمائه، وكانت لبني عبد العزيز فيها أطراب، تهيّأ لهم فيها من الأيام آراب، فلبسوا فيها الأنس حتى أبلوه، ونشروا فيها الحظ[1] وطَوَوه، أيام كانوا بذلك الأفق طلوعًا، لم تضمّ عليهم النُّوَبُ ضلوعًا، فقعد أبو عبد اللّه مع لُمَّة من الأدباء تحت دَوْحَة من أدواحها، فهبَّتْ ريح أُنس من أرواحها، سطت بإعصارها، وأسقطت لؤلؤها على باسم أزهارها، فقال[2]: [مخلع البسيط]

ودوحةٍ قد عَلَتْ سماءً تطلعُ أزهارُها نُجُوما
هَفَا نسيمُ الصَّبا عليها فأرسلتْ فوقنا رجوما
كأنما الجوُّ غار لَمّا بَدَتْ فأغرى بها النسيما

وكان في زمان عطلته، ووقت اصفراره وعلّته، ومُقَاساته من العيش أنكده، ومن التخوّف أجهده، كثيرًا ما ينشرح بجزيرة شُقْر ويستريح، ويستطيب هبوب[3] تلك الريح،

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٥٤): «الأنس».

(٢) تقدّمت هذه الأبيات (ص ١٦٥) من هذا الجزء ببعض الاختلاف عمّا هنا، وسترد بعد قليل (ص ٢٩٨).

(٣) كلمة «هبوب» ساقطة من طبعة دار صادر.

ويَجُول في أجارع واديها، وينتقل من نواديها إلى بَوَاديها، فإنها صحيحة الهواء، قليلة الأدواء، خَضِلة العُشب والأزاهر[١]، قد أحاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الأساور، والأيْكُ قد نشرت ذوائبها على صفيحه، والروض قد عَطَّر جوانبَه[٢] بريحه، وأبو إسحاق ابن خفاجة هو كان متزع نفسه، ومصرع أُنسه، نفح له بالمنى عَبَق وشذا، ومسح عن عيون مَسَرَّاته القَذَى، وغدا على ما كان وراح، وجرى متهافتًا في ميدان ذلك المراح، قريب عهدِ بالفِطام، ودهره ينقاد في خطام، فلمّا اشتعل رأسه شيبًا، وزَرَّتْ عليه الكهولة جَيْبًا، أقصر عن تلك الهنَات، واستيقظ من تلك السِّنات، وشبَّ عن ذلك الطَّوق، وأقصر عن الهوى والشوق، وقنع بأدنى تحيّة، وما يستشعره في وصف تلك العهاد من أرْيَحِيَّة، فقال: [الطويل]

أَلاَ خَـلِّـيـانـي والأسـى والـقـوافـيـا ... أُرَدِّدُهـا شـجـوًا[٣] وأُجـهـشُ بـاكـيـا
آآمـن شـخـصًـا لـلـمـسـرّة بـاديًـا ... وأنـدبُ رسـمًـا لـلـشـبـيـبـة بـالـيـا
تـولّـى الـصِّـبـا إلاَّ تـوالـيَ فـكـرةٍ ... قـدحـتُ بـهـا زنـدًا ومـا زلـتُ واريـا
وقـد بـان حـلـوُ الـعَـيـشِ إلاَّ تـعـلَّـةً ... تـحـدّثـنـي عـنـهـا الأمـانـيُّ خـالـيـا[٤]
ويا بَرْدَ هذا الماء هل منك قطرةٌ ... تـهـلُّ فَـيُـسْـتَـسْـقَـى[٥] غـمـامُـكَ صـاديـا
وهيهات حالتْ دون حُزْوَى وأهلها ... لـيـالٍ وأيـامٌ تـحـاكـي[٦] الـلـيـالـيـا
فقُلْ في كبيرٍ عاده صائد الظِّبا ... إلـيـهـنَّ مُـهْـتَـاجًـا وقـد كـان سـالـيـا
فـيـا راكـبًـا الـخـطـو قـاصـدًا ... أَلاَ عُـجْ بـشُـقْـرٍ رائـحًـا أو مـغـاديـا
وقِفْ حيث سال النهرُ ينسابُ أَرْقُمًا ... وهَـبَّ نـسـيـمُ الأَيْـكِ يـنـفـثُ راقـيـا
وقُـلْ لأُثَـيـلاتٍ هـنـاك وأَجْـرَعٍ ... سُـقِـيـتِ أُثَـيـلاتٍ وحُـيِّـيـتَ واديـا

انتهى ببعض اختصار[٧].

وابن عائشة أشهر من أن يطال في أمره، وليس الخبر كالعيان.

---

(١) في المطمح: «زاهية الأزاهر».
(٢) في المطمح: «جوانبها».
(٣) في طبعة دار صادر (ص ٥٥): «شجوي».
(٤) في المطمح: «خواليا».
(٥) في طبعة عبد الحميد: «فأستسقى».
(٦) في طبعة دار صادر: «تُخال».
(٧) لم يختصر المقري شيئًا من مطمح الأنفس المطبوع.

وقال أبو عمرو يزيد بن عبد اللّه بن أبي خالد اللخمي الإشبيلي الكاتب في فتح المهدية سنة ٦٠٢: [الكامل]

كم غادر الشعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ... ذُخِرَتْ عظائمه لخيرِ مُعظَّمِ
تبعًا لمذخورِ الفتوحِ فإنه ... جاءتْ له بخوارقٍ لم تُعْلَمِ
مِنْ كلِّ سامية المَنَال إذا انتمتْ ... رَفَعَتْ إلى اليرموكِ صوتَ المنتمي
وتَوَسَّطَتْ في النهروان بنسبةٍ ... كَرُمَتْ ففازتْ بالمحلِّ الأكرمِ

وقال ابن الأبار في «تحفة القادم»[1]: هو صدر في نبهائها وأدبائها، يعني إشبيلية، ومِمَّنْ له قدر في منجبيها ونجبائها، وإلى سلفه يُنْسب المعقل المعروف «بحجر ابن[2] أبي خالد»، وتوفي بها سنة ٦١٢، وأورد له قوله: [الطويل]

ويا لِلْجَواري المُنْشآتِ وحُسْنِها ... طوائرَ بين الماءِ والجوّ عُوَّمَا
إذا نشرتْ في الجوِّ أجنحةً لها ... رأيتَ به روضًا ونَورًا مُكَمَّمَا[3]
وإن لم تَهِجْهُ الريحُ جاء مُصافحًا ... فمدّت له كَفًّا خَضِيبًا ومِعْصَما
مجاذِفُ[4] كالحيَّات مَدَّتْ رؤوسَها ... على وَجَلٍ في الماء كي تَرْوِيَ الظَّمَا
كما أَسْرَعَتْ عَدًّا أناملُ حاسبٍ ... بقبضٍ وبسطٍ يسبقُ العينَ والفما
هي الهُدْبُ في أجفان أكْحَلَ أَوْطَفٍ ... فهل صُنِعَتْ[5] من عَنْدَمٍ أو بكتْ دما

قال ابن الأبار: أجاد ما أراد في هذا الوصف، وإنْ نظر إلى قول أبي عبد اللّه بن الحداد يصف أسطول المعتصم بن صُمَادح[6]: [الخفيف]

هامَ[7] صَرْفُ الردى بِهامِ الأعادي ... أن سَمَتْ نحوهُمْ لها أَجْيادُ
وتراءتْ بِشَرْعِها كعيونٍ ... دأبُها مِثْلُ خائِفِيها سُهادُ

---

(١) المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٧٣).
(٢) كلمة «ابن» ساقطة من النفح، وزدناها من المقتضب.
(٣) في المقتضب: «إذا انتشرت... رأيت بها».
(٤) في المقتضب: «مجاذيف».
(٥) في المقتضب: «فهل صُبِغَتْ».
(٦) ديوان ابن الحداد (ص ١٨٧ ـ ١٨٩).
(٧) في المقتضب: «سامَ صَرْفُ..».

ذاتُ هُدْبٍ مِنَ المجاذيفِ حاكٍ هُـدْبَ بـاكٍ لِـدَمْـعِـهِ إسـعـادُ
خُـنـمٌ فـوقـهـا مِـنَ الـبِـيضِ نـارٌ كـلُّ مَـنْ أُرسـلـتْ عـلـيـه رَمـاد
ومِنَ الخَطُّ في يَدَيْ كلَّ درٍّ[1] أَلِفٌ خَطُّها على البحر صادُ

قال: وما أحسن قولَ شيخنا أبي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيدة أنشدنيه[2]: [الكامل]

وكـأنـمـا سَـكَـنَ الأراقـمُ جَـوفَـهـا من عهد نوحٍ خشية الطوفانِ[3]
فإذا رأين الماءَ يطفحُ نضنضتْ مِنْ كلِّ خرقٍ حَيَّةٌ بلسانِ[4]

قال: ولم يسبقهم[5] إلى الإحسان، وإنما سبقهم بالزمان، عليُّ بن محمد الإيادي التونسي في قوله: [الكامل]

شرعوا جوانِبَها مجاذفَ أَتْعَبَتْ شادي[6] الرياح لها ولَمَّا تَتْعَبِ
تنصاعُ مِنْ كَثَب كما نَفَرَ الْقَطَا طورًا وتجتمع اجتماعَ الرَّبْرَبِ
والبحرُ يجمعُ بينها فكأنه ليلٌ يُقَرِّبُ عَقْرَبًا من عقرب
وعلى جوانِبِها أسودُ خلافةٍ تختالُ في عدد السلاح المذهبِ
وكأنما البحرُ استعار بزيِّهم ثوبَ الجمالِ من الربيع المُعْجب

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع:

ولها جَنَاحٌ يُسْتعارُ يُطِيرُها طوعَ الرياح وراحةَ المُتَطَرِّبِ
يعلو بها حَدَبَ العُباب مُطارُه في كلِّ لجٍّ زاخرٍ مُغلولب[7]
يسمو بآخر في الهواء منصّبٍ عريانَ منسرحِ الذؤابة شوذب

---

(١) في المقتضب والديوان: «كلِّ ذِمْرٍ».

(٢) في طبعة دار صادر (ص ٥٦): «أنشدنيها». والبيتان أيضًا في زاد المسافر (ص ٢٣) والمغرب (جـ ٢ ص ٣٢٠). وقد تقدما في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.

(٣) في المقتضب: «الأراقم جُرْفَها..». وفي زاد المسافر والمغرب: «مدّة الطوفانِ».

(٤) في المقتضب: «رأينا الماء.. من كل خَرْتٍ..». وفي المغرب: «من كل خَرْتٍ». والخَرْتُ: الخرق.

(٥) في المقتضب: «ولم يسبقها بالإحسان، وإن كان سبقهم..».

(٦) في المقتضب: «شأو».

(٧) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٠٠): «مغلولب» بالغين المعجمة.

يـتـنـزّلُ الـمَـلاّحُ مـنـه ذُؤابـةً   لو رام يركبها القَطا لم يركب
وكـأنـمـا رَامَ اسـتـراقَـةَ مَـقْـعَـدٍ   لـلـسَّـمـعِ إلاّ أنـه لـم يُشْـهَـبِ
وكـأنـمـا جِـنُّ ابـنِ داودٍ هـمُ   ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواهم بينهمْ فتقاذفوا   مـنـهـا بـألْـسُـنِ مـارجٍ مـتـلـهّـب
من كل مسجون الحريق إذا انبرى   من سجنه انْصَلَتَ انصلاتَ الكوكب
عـريـان يـقـدمُـهُ الـدخـانُ كـأنـه   صُبْحٌ يكرُّ على ظلام غيهب

ومن أولها:

أعجِبْ بأسطولِ الإمامِ محمدٍ   وبحسنه وزمانه المستغربِ
لبستْ به الأمواجُ أحسنَ منظرٍ   يبدو لعينِ الناظرِ المتعجِّبِ
من كلِّ مشرفةٍ على ما قابلتْ   إشرافَ صدرِ الأجدلِ المتنصبِ

ومنها:

جوفاء تحملُ موكبًا في جوفها   يومَ الرهانِ وتستقلُّ بموكب

وهي طويلة من غرر القصائد، وقد سَرَد جملة منها صاحب «المناهج» وغيره..

وقال أبو عمر القسطلي[1]: [الوافر]

وحال الموجُ بين بني سبيلٍ   يطيرُ بهمْ إلى القول ابنُ ماءٍ[2]
أَغَـرُّ لـه جـنـاحٌ مـن صـبـاحٍ   يرفرفُ فوق جُنْحٍ من سماءٍ[3]

وأخذه أبو إسحاق بن خفاجة فقال[4]: [الوافر]

وجـاريـةٍ ركـبـتُ بـهـا ظـلامًـا   يطيرُ من الصباح[5] بها جَناحُ
إذا الـمـاء اطـمـأنَّ ورَقَّ خـصـرًا   عـلا مـن مـوجـه رِدْفٌ رَداحُ
وقـد فَـغَـرَ الـحِـمـام هـنـاك فـاهُ   وأتـلـع جِـيـدَه الأَجَـلُ الـمُـتَـاحُ

---

(١) ديوان ابن دراج القسطلي (ص ٣٢٣).
(٢) في الديوان وفي المقتضب: «دون بني سبيلٍ.. إلى الغَوْل ابن ماء».
(٣) في المصدرين نفسيهما: «من مساء».
(٤) ديوان ابن خفاجة (ص ٦٦).
(٥) هكذا في المقتضب (ص ١٧٥). وفي الديوان: «من الرياح بها جناحُ».

ولا يخفاك حُسْن هذه العبارة الصقيلة المرآة، فالله تعالى يرحم قائلها!

وقال ابن الأبار: وقد قلت أنا في ذلك: [البسيط]

يا حبذا مِنْ بناتِ الماءِ سابحةٌ   تطْفُو لِمَا شَبَّ أهلُ النار تطفئُهُ
تُطيرها الريحُ غِرْبَانًا بأجنحة الـ   ـحمائم البيض للأشراكِ تَرْزؤه
من كلِّ أدهمَ لا يُلْفَى به جَرَبٌ   فما لراكبه بالقارِ يَهْنؤه
يُدْعى غُرَابا وللفَتْخاء[1] سُرْعته   وهو ابن ماءٍ وللشاهين جُؤْجُؤه

واجتمع ابن أبي خالد.وأبو الحسن بن الفضل الأديب عند أبي الحجاج بن مرطير الطبيب بحضرة مراكش، وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبي عمران موسى بن عمران بينهم، وما كان عليه من القصور والبعد عَمّا أتيح له، وأوثر به، فقال أبو الحجاج: [الرمل]

ليس فيه من أبي مُوسَى شَبهْ

فقال أبو الحسن:

فأبوه فِضّةٌ وَهْوَ شَبَهْ

فقال ابن أبي خالد:

كم دعاه إذ رآه عُرَّةً   وأباه إذ دعاه يا أَبَهْ

وقال أبو العباس الأعمى[2]: [البسيط]

بهيمةٌ لو جَرَى في الخَيلِ أكبرها   لغابت الريح في الأحجال والغررِ[3]
تجري فللماء ساقا عائمٍ دَرِبٍ   وللرياح جَناحا طائرٍ حَذِرِ[4]
قد قَسَّمَتْها يَدُ التقديرِ[5] بينهما   على السَّواء فلم تَسْبَحْ ولم تَطِرِ

---

(١) في المقتضب: «وللعجماء».
(٢) ديوان الأعمى التطيلي (ص ٥١).
(٣) رواية البيت في الديوان هي:
بهيمةٌ لو تُوَفَّى كنه شِرّتها   لفاتت الخيلَ بالأحجالِ والغُرَرِ
(٤) في الديوان: «ذكر».
(٥) في الديوان: «التدبير».

وقال عبد الجليل بن وَهْبون يصف الأسطول[1]: [الكامل]

يا حسنها يومًا شهدتُ زفافَها بنتَ الفضاء إلى الخليج الأزرقِ[2]
وَرْقـاءُ كـانـتْ أيـكـةً فـتـصـوَّرَتْ لك كيف شئتَ من الحمام الأورق
حيثُ الغرابُ يجرُّ شملةَ عُجْبِهِ وكـأنـه مـن عِـزَّةٍ[3] لـم يـنـعـق
مِنْ كـلِّ لابسةِ الشـبـابِ مُلاءَةً حَسْبَ اقتدارِ الصانعِ المتأنّقِ
شهدتْ لها الأعيانُ[4] أنَّ شَوَاهِنًا أسماؤها فتصحَّفَتْ في المنطق
مِـنْ كـلِّ نـاشـرةٍ قـوادمَ أجـنُـحٍ وعلى معاطفها وهادةُ سَوْذَقِ[5]
زأرتْ زئيرَ الأسْدِ وهي صوامتٌ وزحفْنَ زَحْفَ مواكبٍ[6] في مأزق
ومَجَاذفٌ[7] تحكي أراقمَ ربوةٍ نَزَلَتْ لِتكرعَ مِنْ غديرٍ مُتْأقِ

وقال ابن خَفَاجة[8]: [مخلع البسيط]

سَـقْـيًـا لـهـا مـن بـطـاحِ خزٍّ[9] ودَوحِ نـهـرٍ بـهـا مُـطِـلٍّ
فـمـا تـرى غـيـرَ وَجْـهِ شـمـس أظـلٍّ[10] فــيــه عِــذارُ ظِـلٍّ

وهو من بديع الشعر، وكم لابن خفاجة من مثله.

وقال عبيد اللّه بن جعفر الإشبيلي، وقد زار صاحبًا له مرّات ولم يزره هو، فكتب على بابه[11]: [البسيط]

---

(١) الذخيرة (ق ٢ ص ٥٠٥ . ٥٠٦).
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٠٢): «بنت الغضاء». وفي الذخيرة: «يا حُسْنَهُ».
(٣) في طبعة عبد الحميد: «غِرّة».
(٤) في الديوان: «لهنّ العين».
(٥) في الديوان: «قوادم أفتخٍ . . فراهةُ شَوْذَقِ». وفي طبعة عبد الحميد: «سودق» بالدال المهملة.
(٦) في الديوان: «مركب».
(٧) في الديوان: «ومجادف» بالدال المهملة.
(٨) ديوان ابن خفاجة (ص ٢٠٢).
(٩) في الديوان: «بطاح أُنسٍ».
(١٠) في طبعة دار صادر (ص ٦٠): «أَطَلَّ فيه».
(١١) ترجمة عبد الله بن جعفر الإشبيلي والبيتان في المغرب (ج ١ ص ٢٦٧).

يا من يُزَارُ على بُعْدِ المحلِّ ولا	يَزُورُنا مرَّةً مِنْ[1] بين مراتِ
زُرْ من يزورك واحذرْ قولَ عاذلةٍ[2]	تقول عنك: فتًى يُؤتَى ولا يأتي

ومن مجونياته[3] سامحه الله تعالى: [الوافر]

وأغيدَ ليس تعدوه الأماني	ولو حَكَمَتْ عليه باشتطاطِ
سَقَيتُ الراحَ حتى مالَ سكرًا	ونامَ على النمارقِ والبساط
وأسلمَ لي على طول التجنّي	وأمكنني على فرط التعاطي
فأُولِجَتِ المقادرُ جِيْدَ بَكْرٍ	ولا كُفْرانَ في سَمِّ الخياط
وغناني بصوتٍ مِنْ حشاه	فأطربني وبالغَ في نشاطي
فما نَقْرُ المثالث والمثاني	بأطربَ من تلاحين الضراط
ولولا الريقُ لم أظفرْ بشيء	على عدم اهتبالي واحتياطي
فلا تَسْخَرْ بريقٍ بَعْدَ هذا	فإنَّ الريقَ مفتاحُ اللواط

وقال أبو الحسن علي بن جحدر الزجال[4]: [الخفيف]

كيف أصبحتَ أيهذا الحبيبُ؟	نحن مَرْضَى الهوى وأنتَ الطبيبُ
كلُّ قلبٍ إليك يهفو غرامًا	وَيْحَها يا عليّ منك القلوبُ[5]
إنْ تَلُحْ حَوَّمَتْ عليك هُيَامًا	أو تَغِبْ حَنُّهَا عليك الوجيبُ
غير أني مِنْ بينهم مستريبٌ	حين تبدو وليس لي ما يريب
كلُّ ما قد ألقاه منكَ ومني	دون هذا له تُشَقُّ الجيوبُ

---

(١) في المغرب: «ما بين..».

(٢) في المغرب: «قول عاتبة».

(٣) يصف لنا الشاعر في هذا الغزل الغلماني الشاذّ الماجن ما جرى معه في ممارساته الحب الشاذ، وهو وصف بعيد عن الخجل والعفّة، وكأنَّ شاعرنا يودّ أن يرسم لنا صورة عن حياة الأندلسيين في وقته، وكأنَّ الحب الشاذ أصبح ظاهرة مستشرية آنذاك.

(٤) أبو الحسن علي بن جحدر من أهل إشبيلية، اشتهر بالزجل، وكانت وفاته في سنة ٦٣٨ هـ. ترجمته والبيتان الأول والثاني في اختصار القدح (ص ١٧٢) والمغرب (ج ١ ص ٢٦٧).

(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٠٣): «وتجانى علي منك القلوبُ». ورواية البيت في اختصار القدح والمغرب هي:

لا تزيدُ الزمانَ إلاّ نفاذًا	وَيْحَها، يا عليّ، منك القلوبُ

وقال أحمد المعروف بالكساد[١]، في موسى[٢] الذي كان يتغزّل فيه شعراء إشبيلية: [الخفيف]

ما لموسى قد خرَّ للّه لَمّا ... فاض نورًا غشاه ضوء سناهُ
وأنا قد صُعِقْتُ مِنْ نور موسى ... لا أُطيقُ الوقوفَ حين أراهُ

وللّه دَرُّه في رثاء موسى المذكور إذ قال[٣]: [السريع]

فَرَّ[٤] إلى الجَنَّةِ حُورِيُّهَا ... وارتفعَ الحُسْنُ مِنَ الأرضِ
وأصبح العُشّاقُ في مأتمٍ ... بعضُهُمُ يبكي إلى بعضِ

وقوله فيه[٥]: [الرمل]

هَتَفَ الناعي بِشَجْو الأبَدِ ... إذ نَعَى موسى بنَ عبدِ الصمدِ
ما عليهمْ وَيحَهُمْ لو دَفَنُوا ... في فؤادي قِطْعَةً مِنْ كَبِدي

ولقب بالكساد لقوله: [الوافر]

وبيعَ الشعرُ في سوق الكَسَادِ

وقال أبو القاسم ابن أبي طالب الحضرمي المنيشي[٦]: [المنسرح]

صاغَتْ يَمِينُ الرياح مُحْكَمَةً ... في نَهَرٍ واضحِ الأساريرِ
فكلّما[٧] ضاعَفَتْ به حَلَقًا ... قام لها القَطْرُ بالمساميرِ

---

(١) هو أبو العباس أحمد المقريني، المعروف بالكساد؛ كان في إشبيلية في مدة منصور بني عبد المؤمن، شاعر وشّاح وله أزجال كثيرة وترجمته وبعض شعره في المغرب (ج ١ ص ٢٨٨). وسيرد هذان البيتان في هذا الجزء (ص ٢٧٣) وجاء هناك: «نورٌ» بالرفع في البيت الأول.

(٢) هو موسى بن عبد الصمد كما جاء في المغرب، وكان مليح إشبيلية في ذلك الأوان.

(٣) البيتان في المغرب، وسيردان في هذا الجزء (ص ٢٧٣) وجاء هناك: «على» بدل «إلى» في البيت الثاني.

(٤) في المغرب: «رُدَّ إلى...».

(٥) البيتان في المغرب، وسيردان في هذا الجزء (ص ٢٧٣).

(٦) هو أبو القاسم المعروف بعصا الأعمى، لقّب بذلك لأنه كان يقود الأعمى التطيلي. ترجمته وبيتاه في المغرب (ج ١ ص ٢٨٩). وانظره أيضًا في المطرب (ص ١١٠) وبغية الملتمس (ص ٥٣٤).

(٧) في المغرب: «وكلّما».

وقال أبو زيد عبد الرحمن العثماني، وهو من بيت إمارة[1]: [الخفيف]

لا تسلْنِي عن حالتي فَهْيَ هٰذِي ... مثلُ حالي لا كنتَ يا من يراني
مَلَّني الأهلُ والأخلاّءُ لَمّا ... أنْ جفاني بَعْدَ الوصالِ زماني
فاعتبر بي ولا يغرَّكَ دهرٌ ... ليس منه ذو غبطةٍ في أمانِ

وقال أبو زكريا يحيىٰ بن محمد الأركشي[2]: [البسيط]

لا حَبّذا المالُ والإفضالُ يُتْلفه ... والبخلُ يحميه والأقدارُ تعطيهِ

وقال[3]: [البسيط]

لا تبكينَّ لإخوانٍ تُفارِقُهُمْ ... فإنني قبلك اسْتَخْبَرْتُ إخواني
فما حَمِدْتُهُمُ في حالِ قُرْبِهِمُ ... فكيف في حال إبعادٍ وهجرانِ

وقال أبو عمران موسى الطرياني[4] لَمّا دخل يومَ نيروز إلى بعض الأكابر، وعادتهم أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صُوَر مستحسنة، فنظر إلى صورة مدينة، فأعجبته، فقال له صاحب المجلس: صفها وخُذْها: [مجزوء الرجز]

مدينةٌ مُسَوَّرَهْ[5] ... تحارُ فيها السَّحَرَهْ
لم تَبْنِها إلاّ يد ... عذراءَ أو مُخَدَّرَهْ
بَدَتْ عروسًا تُجْتَلَى ... من دَرْمَكٍ[6] مُزَعْفَرَهْ
وما لها مفاتحٌ ... إلاّ البَنانُ العَشَرَهْ

---

(١) ترجم ابن سعيد في اختصار القدح (ص ١٩٦) لعبد الرحمن العثماني وكناه أبا القاسم. وسيرد هذان البيتان في هذا الجزء (ص ٢٧٤).

(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٠٥): «الأكشي»، وكان الأركشي أديبًا كاتبًا شاعرًا، قتل بقرطبة في داره سنة ٥٨٦ هـ. المغرب (جـ ١ ص ٣١٦) والتكملة (رقم ٢٠٥٣) وصلة الصلة (ص ١٨٤).

(٣) البيتان في المغرب دون تغيير عمّا هنا.

(٤) ينسب أبو عمران موسى بن علي إلى طريانة المنارة التي أمام إشبيلية على الجانب الغربي من ظهرها، وهو شيخ نحوي أديب ظريف، حسن المعاشرة، توفي سنة ٦٣٩ هـ. ترجمته وشعره في اختصار القدح (ص ١٠١، ٢٠٢) والمغرب (جـ ١ ص ٢٩٤). وسترد هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ٢٧٤ـ٢٧٥).

(٥) في المغرب: «مُصَوَّرَهْ».

(٦) الدَّرْمَكُ: فتات الزعفران ودقائقه.

وقال أبو عمرو بن حكم[1] : [السريع]

حاشا لمن أمَّلَكمْ أن يخيبْ   ويَنْثَني نحو العِدَا مُسْتَرِيبْ
هذا وكم أقرأني[2] بِشْرُكُمْ   ﴿نصرٌ من الله وفَتْحٌ قريبْ﴾[3]

وقال أبو الحسن علي بن الجعدي القرموني[4]: [الكامل]

إيـاكَ مِنْ زَلَلِ اللسانِ فإنه   قَدْرُ الفتى في لفظِهِ المسموعِ[5]
فالمرء يَخْتَبِرُ الإناءَ بِنَقْرِهِ   لِيَرى الصَّحِيحَ به مِنَ المَصْدُوعِ

وقال الفقيه أبو الحسن علي بن لُبَال في محبرة عناب محلاة بفضة[6] : [المنسرح]

مُنْعَلَةٌ بالهلال مُلْجَمَةٌ   بالنَّسْرِ مَجْدُولَةٌ من الشَّفَقِ
كأنما حِبْرُها تَمَيَّعَ في   فُرْضَتِها سائلاً من الغَسَقِ[7]
فأنتَ مهما تُرِدْ تشبهها[8]   في كلِّ حالٍ فانظرْ إلى الأُفُقِ

وقال في محبرة أبنوس[9]: [الكامل]

وخَدِيمَةٍ للعلم في أحشائها   كَلَفٌ بجمْعِ حَرامِهِ وحَلالِهِ
لَبستْ رداءَ الليلِ ثم توشَّحَتْ   بِنُجُومه وتتوَّجَتْ بِهِلالِهِ

---

(١) هو الحسيب أبو عمرو بن حكم القَبْطَليّ، نسبة إلى جزيرة قَبْطل من جزر وادي إشبيلية. ترجمته وبيتاه في اختصار القدح (ص ٢٠٠) والمغرب (جـ ١ ص ٢٩٢).

(٢) في اختصار القدح: «أقرأ في بشركم».

(٣) عجز البيت الآية ١٣ من سورة الصف ٦١.

(٤) أبو الحسن علي بن الجعد القرموني فقيه لحق دولة المرابطين، وترجمته وبيتاه في المغرب (جـ ١ ص ٣٠٠).

(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٠٥): «من لفظه». وفي المغرب: «اللسان فإنما».

(٦) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح بن لبال، من شريش، كان معتنيًا بالقراءات، وافر الحظ من الآداب، متقدمًا في علم العربية، استقضي بشريش فتقلد القضاء مكرهًا. توفي سنة ٥٨٣ هـ. الذيل والتكملة (جـ ٥ ص ١٦٩) والمغرب (جـ ١ ص ٣٠٣ . ٣٠٤) والمطرب (ص ٩٧ . ٩٨)، وأبياته في المصدرين الأخيرين.

(٧) في المغرب: «كأنما جَمْرُها . . . في قرصتها . .».

(٨) في المطرب والمغرب: «شبيهتها».

(٩) البيتان في المطرب (ص ٩٨).

وقال أبو العباس أحمد بن شكيل الشَّريشي[1]: [السريع]

تـفـاحـةٌ بِـتُّ بـهـا لـيـلـتـي أبـثُّـهـا سـرِّيَ والـشـكـوى
أضـمُّـهـا مـعـتـنـقًـا لاثِـمًـا إذا ذكـرْتُ خَـدَّ مَـنْ أهـوى

وقال: [السريع]

تـفـاحـةٌ حـامـضـةٌ عَـضَّـهـا في ثَـمَـلٍ مَـنْ قَـطَّـبَ الـوَجْـهـا
ولـم أخَـلْ مـن قـبـلـهـا مـحـسـنًـا يُـجْـزَى عـلـيـه الـعـضّ والـنـجـهـا

وقال أبو جعفر أحمد الشريشي[2]: [الطويل]

على حُسْنِ نَوْرِ الباقلاء أَدِرْهُما على الصَّبِّ[3] كأسَيْ خمرة وجفونِ
يُـذَكِّـرُنـي بُـلْـقَ الـحـمـام وتـارةً يـؤكِّـد[4] لـلأشـجـان شُـهْـلَ عـيـونِ

وقال أبو[5] عمرو بن غياث[6]: [الطويل]

وقالوا مَشيبٌ قلتُ واعَجَبًا لكم أَيُنْكَرُ صبحٌ قد تَخَلَّـلَ غيهبا
وليس مَشِيبًا[7] ما تَرَونَ وإنما كُمَيتُ الصِّبا لَمَّا جرى عاد أشهبا

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون[8]: [البسيط]

---

(١) أبو العباس أحمد بن يعيش بن شكيل صوفي من أهل شريش وأحد شعرائها الفحول، توفي سنة ٦٠٥ هـ. ترجمته في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٥٠) والمغرب (جـ ١ ص ٣٠٤ـ ٣٠٥) وبيتاه في المغرب. وترتيبهما في طبعة دار صادر (ص ٦٤) بعد بيتي أبي جعفر الشريشي.

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد، كان في مدة منصور بني عبد المؤمن. ترجمته وشعره في المغرب (جـ ١ ص ٣٠٤).

(٣) في طبعة دار صادر: «على صَبّ..».

(٤) في المغرب: «يذكّرُ».

(٥) كلمة «أبو» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ٢٠٦).

(٦) هو أبو عمرو محمد بن عبيد اللّه بن غيَاث، من أهل شريش، شاعر مطبوع، توفي سنة ٦١٩هـ، وقيل: ٦٢٠هـ. المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٨١) والمغرب (جـ ١ ص ٣٠٥) والتكملة (ص ٦١٠) والوافي بالوفيات (جـ ٤ ص ١٠). والبيتان في المغرب.

(٧) في المغرب: «وليس بشيبٍ».

(٨) ترجمة أبي بكر محمد بن عبد العزيز في الذخيرة (ق ٢ ص ٥٣٣) وقلائد العقيان (ص ١٦٢) والمطرب (ص ٢٠٨) والأبيات في الذخيرة (ص ٥٤١). وفي القلائد والمطرب البيتان الأول والثاني.

في ذِمّة الفضلِ والعَلْياء مُرْتَحَلٌ | فارقتُ صبريَ إذ فارقتُ مَوْضِعَهُ[1]
ضاءتْ به بُرْهَةً أرجاءُ قرطبةٍ | ثم استقلَّ فَسَدَّ[2] البَينُ مَطْلَعَهُ
عذرًا إلى المجد عني حين فارقني | ذاك الجلالُ فأعيا أن أُشَيّعَهُ
قد كنتُ أصحبته قلبي وأقعدني | ما كان أودعني عن أن أُوَدِّعَهُ

وفيهم يقول ابن عبدون: [الوافر]

بحورُ بلاغةٍ ونجومُ عزٍّ | وأطوادُ رَوَاسٍ من جَلالِ

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم ابن أبي بكر بن عبد العزيز: [الوافر]

نديمي لا عدمتُكَ من نديمِ | أَدِرْها في دُجَى الليل البهيمِ
فخيرُ الأنس أُنسٌ تحت سترٍ | يُصانُ عن السفيهِ أو الحليمِ

وقال الثائر أبو عبد الله الجزيري[3]: [المجتث]

في أُمِّ رأسيَ سِرُّ | يبدو لكم بَعْدَ حِينِ
لأَبْلُغَنَّ[4] مُرادي | إن كان سَعْدي مُعِينِي
أو لا فأُكْتَبُ مِمَّنْ | سَعَى لإظهار دينِ[5]

وسبب قوله هذا أنّ بني عبد المؤمن لَمّا غيّروا رَسْم مَهْديهم، وصيّروا الخلافة مُلْكًا، وتوسَّعوا في الرفاهية، وأهملوا حقّ الرعيّة، جعل يتستّر، وقال هذه الأبيات، وشاع سرّه في مدة ناصر بني عبد المؤمن، فطلبه، ففرَّ، ولم يزل يتنقّل مستخفيًا مع أصحابه إلى أن حصل في حصن قولية من عمل مدينة بسطة، فبينما هو ذاتَ يومٍ في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخًا ويرمون قشره في صحن الجامع، إذ أنكر ذلك رجل من العامّة، وقال لهم: ما تتّقون اللّه تعالى؟! تتهاونون ببيت من بيوته؟ فضحكوا منه، واستهزأوا به، وأهلُ

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٠٧): «إذا فارقتُ» وهكذا ينكسر الوزن. وفي المطرب والقلائد: «في ذمّة المجد».
(٢) في المطرب: «فَسَرَّ».
(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزيري، وترجمته وشعره في المغرب (ج ١ ص ٣٢٣).
(٤) في المغرب: «لأظلبنّ».
(٥) في المغرب: «ديني».

تلك الجهة لا تحتمل شيئًا من ذلك، فصاح بفتية من العامة، فاجتمع جمع وحُملوا إلى الوالي فكان عند الوالي مَنْ عرفه، فقُتلوا جميعًا، وأمر الناصر أن يُرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان.

ولَمَّا عَتَبَ المنصور بن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري، وسجنه في الزاهرة، ثم صفح عنه، قال وكتب به إليه[1]: [السريع]

عجبتُ مِنْ عَفْوِ أبي عامرٍ   لا بُدَّ أن تَتْبَعَهُ مِنَّهْ
كذلك اللّه إذا ما عَفا   عن عَبْدِهِ أَدْخَلَهُ الجنّهْ

فاستحسن ذلك، وأعاده إلى حاله.

وقال على لسان بَهَار العامرية، وهو النرجس[2]: [الكامل]

حَدَقُ الحِسانِ تُقِرُّ لي وتَغارُ   وتَضِلُّ في وصفي النُّهى وتَحارُ
طَلَعَتْ على قضبي عيونُ تمائمي   مثلَ العيونِ تَحُفُّها الأشفار
وأَخَصُّ شيءٍ بي إذا شَبَّهْته   دُرٌّ تمنطقَ سلكَهُ دينارُ
أنا نرجسٌ، حقًّا بَهَرْتُ عقولهمْ   ببديعِ تركيبي فقيلَ بَهارُ

وقال في بنفسجها[3]: [الكامل]

شَهِدَتْ لِنُوّارِ البَنَفْسَجِ أَلْسُنٌ   مِنْ لَوْنِهِ الأَحْوَى ومن إيناعِهِ
بمشابِهِ الشَّعْرِ الأحمِّ أعاره الـ   قمرُ المنيرُ الطّلقُ نُورَ شُعاعِهِ
ولربما جمد النجيعُ من الطُّلَى   في صارم المنصور يوم قِرَاعِهِ
فحكاه غَيْرَ مخالفٍ في لونه   لا في روائحه وطِيْبِ طِباعِهِ

---

(١) مرّ التعريف بعبد الملك بن إدريس الجزيري والإشارة إلى مصادر ترجمته في الجزء الثاني. ومرّ هذان البيتان في الجزء الأول. وهما في المغرب (ج ١ ص ٣٢١).

(٢) الأبيات في الذخيرة (ق ٤ ص ٤٨)، وتقدمت في الجزء الثاني ببعض الاختلاف عمّا هنا.

(٣) الأبيات في الذخيرة (ق ٤ ص ٤٩ـ ٥٠)، وتقدمت في الجزء الثاني. وفي روايتها بعض اختلاف عمّا هنا.

وقال في القمر حين جعل يختفي بالسحاب ويبدو أمام المنصور[١]: [الوافر]

أرى بَدْرَ السماءِ يلوحُ حِينًا فيظهرُ[٢] ثم يلتحفُ السَّحابا
وذلـك أنـه لَـمَّـا تَـبَـدَّى وأبصرَ وَجْهَكَ ٱسْتَحْيَا وغابا[٣]

وقال الحِجَاري في «المسهب»: سألت أبا الحسن علي بن حَفْص الجزيري[٤] أن ينشدني شيئًا من شعره، فقال: يا أبا محمد، إذا لم ينظم الإنسان مثل قول شرف: [البسيط]

لم يبقَ للجور في أيامكمْ أثرٌ إلاَّ الذي في عيون الغِيدِ مِنْ حَوَرِ

فالأولى له أن يترك نظم الشعر، إلى أن خرجتُ معه يومًا إلى سِيفِ الجزيرة الخضراء، فلقي غلامًا قد كدر رونَقَ حُسْنِهِ السفر، وأثَّر في وجهه كآثار الكلف في القمر، فصافحه، ثم قال[٥]: [الكامل]

بأبي الذي صافَحْتُهُ فتورَّدَتْ وَجَناتُه وأناء[٦] نحويَ قدُّهُ
قمرٌ بَدَا كَلَفُ السُّرى في خدِّه لَمّا توالى في الترحُّل جَهْدُهُ
لكنْ معالمُ حُسْنِهِ تَمَّتْ كما قد تَمَّ في صدإِ الحسام فِرِنْدُهُ[٧]

فحفظتها من سمعه، ثم قلت له: قد أخذت عنك من نظمك، بغير شكرك، فضحك وقال: فاحفظ هذا، وأنشد: [مجزوء الرمل]

لا تـقـولَـنَّ فـلانٌ صـاحـبٌ قبل اختبارِ
وانتظرْ ويحك نقد الليـ ـل فيه والنهار
أنا جَرَّبْتُ فلم أُلْـ ـفِ صديقًا باختياري

---

(١) البيتان في جذوة المقتبس (ص ٢٨١) وبغية الملتمس (ص ٣٧٥)، وقد تقدما في الجزء الثاني والجزء الرابع وفي روايتهما هناك بعض اختلاف.
(٢) في الجذوة والبغية: «فيبدو».
(٣) في الجذوة: «وذاك أنه.. فغابا». وفي البغية: «وذاك بأنه.. فغابا».
(٤) ترجمة أبي الحسن علي بن حفص الجزيري في المغرب (ج ١ ص ٣٢٥).
(٥) الأبيات في المغرب.
(٦) في المغرب: «وانآد».
(٧) في المغرب: «تَمَّتْ كما قد تَمَّ عن صدإ..».

وأنشد[1]: [الكامل]

كم قد بَكَرْتُ إلى الرياض وقُضْبُها ... قد ذَكَّرَتْني موقفَ العُشّاقِ
يا حُسْنَها والريحُ يلحفُ[2] بَعْضَها ... بَعْضًا كأعناقٍ إلى أعناقِ
والوردُ خَدٌّ والأقاحي مبسمٌ ... وغدا البَهارُ ينوبُ عن أحداقِ
لم أنفصلْ عنها بكأسِ مُدامةٍ ... حتى حَمَلْتُ مَحاسِنَ الأخلاقِ

ولَمّا كتب أبو الحسن بن سعيد إلى الأديب القائد أبي العباس أحمد بن بلال يستدعيه ليوم أنس بقوله[3]: [الوافر]

أبا العباس، لو أبصرتَ حولي ... ندامى بادَرُوا العَيشَ الهَنِيَّا
يُبِيحون المُدامَ ولا انتقادٌ ... وقارُهُمُ ويزدادون غَيّا
وهمْ معْ ما بَدَا لك من عفافٍ ... يُحِبُّون الصبيَّةَ والصبيَّا
ويَهْوَوْنَ المثالثَ والمثاني ... وشُرْبَ الراح صُبْحًا أو عَشِيًّا
على الروض الذي يُهْدِي لطَرْفٍ ... وأنْفٍ منظرًا بَهِجًا وريَّا
فلا تَلُمِ السَّريَّ على ارتياحٍ ... حكى طَرَبًا بجانبه سَرِيًّا
وبادرْ[4] نحو نَادٍ ما خلا من ... نَدَاك فقد عهدتك لَوْذَعِيًّا

أجابه بقوله[5]: [الوافر]

أَبَيتَ سوى المعاليَ يا عليًّا ... فما تنفكُّ دهرَكَ أَرْيَحِيًّا
تميلُ إذا النسيمُ سَرَى كغصنٍ ... وتَسْري للمكارم مَشْرَفيًّا
وترتاح ارتياحًا بالمثاني[6] ... وتفتض الصبيّة والصبيًّا
وتَهْوَى الروضَ قلّده نَداه ... وألبسه مع الحُلَل الحُلِيًّا
وإنْ غنَّى الحَمامُ فلا اصطبارٌ ... وإنْ خَفَقَ الخليجُ فَنِيتَ حَيًّا

---

(١) الأبيات في المغرب.
(٢) في المغرب: «تُلْحِفُ».
(٣) المغرب (جـ ١ ص ٣٢٦، ٣٢٧) واختصار القدح (ص ٨٦).
(٤) في المغرب: «فبادِرْ».
(٥) الأبيات في المغرب واختصار القدح ببعض الاختلاف عما هنا.
(٦) في طبعة دار صادر (ص ٦٩): «للمثاني وتقتنص..».

تذكُرُني الشبابَ فلست أدري أَصُبْحًا حِين تَذْكُرُ أم عشيًا
فلو أَدْرَكْتَني والغصن غَضٌّ لأدركتَ الذي تَهْوَى لَدَيْا
ولم أترك وحَقِّكَ قَدْرَ لحظٍ وقد ناديتني ذاك النَّدِيَّا

وقال بعض أهل الأندلس: [الوافر]

وفرعٍ كان يُوعدني بأسرٍ وكان القلبُ ليس له قرارُ
فنادى وجهه لا خوفَ فاسكنْ «كلامُ الليل يمحوه النهار»

ولستُ على يقين أنّ قائلهما أندلسي، غير أني رأيت في كلام بعض الأفاضل نسبتهما لأهل الأندلس، والله تعالى أعلم.

وقال أبو الوليد القسطلي[1]: [الوافر]

وفوق الدوحةِ الغَنَّا غديرٌ تلألأ صفحَةً وسَجَا[2] قرارا
إذا ما انصبَّ أزرق مستقيمًا تَدَوَّرَ في البحيرة فاستدارا[3]
يُجَرِّدُه فَمُ الأنبوبِ صَلْتًا حُسامًا ثم يُفْلته[4] سوارا

ولأبي كثير الطريفي يمدح الناصر بن المنصور[5]: [الطويل]

فُتُوحٌ لها يهتزُّ شرقٌ ومغربُ كما اطَّردتْ في السمهرية أكْعُبُ
تَجَلَّتْ على الدنيا شموسٌ منيرةٌ فلم يبق في ليلِ الكآبةِ غَيْهَبُ
أقام بها الإسلامُ شَدْوَ مغرّدٍ وظلت بأرض الشرك بالخَطْب تَخْطُبُ
فلا سَمْعَ إلاّ وهو قد مال نحوها ولا قَلْبَ إلاّ في مُنَاها يقلَّبُ

وقال أبو عامر ابن الجد[6]: [البسيط]

---

(١) هو أبو الوليد يونس بن محمد القسطلي؛ شاعر مشهور، رحل إلى المشرق، وكان بالقاهرة في المائة السادسة. ترجمته وشعره في المغرب (ج ١ ص ٣٢٨).
(٢) في المغرب: «وصفا».
(٣) في المغرب: «أزرق مستطيلاً. . . واستدارا».
(٤) في المغرب: «يَفْتِلُهُ».
(٥) ترجم له ابن سعيد في المغرب (ج ١ ص ٣١٩) باسم «كثير الطريفي» وقال «شاعر أدركه والدي».
(٦) هو أبو عامر أحمد بن عبد الله بن الجد، مَهَرَ في كتاب سيبويه وفهم غوامضه وأغراضه. قتل في عشر=

لـلّـه لـيـلـةُ مـشـتـاقٍ ظـفـرتُ بـهـا قَـطَـعْـتُـهـا بـوصـالِ الـلَّـثْـم والـقُـبَـلِ
نـعـمـتُ فـيـهـا بـأوتـارٍ تـعـلّـلُـنـي أَحْلَى من المنّ[1] أو أُمْنِيَةِ الغَزِلِ
أحْـبِـبْ إلـيَّ بـهـا إذ كـلّـهـا سَـحَـرٌ أراحَتِ الصَّبَّ من عذرٍ ومن عَذَلِ[2]

وقال الكاتب أبو عبد اللّه محمد الشُلْبي، كاتب ملك إفريقية عبد الواحد بن أبي حَفْص: [السريع]

مَـدَّ إلـيَّ الـكـاسَ مَـنْ لَـحْـظُـهُ لا يـحـوجُ الـشُّـرْبَ إلى الـكـاسِ
ومــنــذ حَــيّـانــي بـآسٍ فـلـم أيـأس ولـكـن كـان لـي آسـي
وقــال لــولا الــنــاس قــبــلــتــه مـا أشـأم الـنـاسَ عـلـى الـنـاس

وقال أبو بكر محمد بن الملح[3]، وهو من رجال الذخيرة، على لسان حال سوار مذهب: [البسيط]

أنا من الفِضَّةِ البيضاء خالِصةً لكنْ دَهَتْني خطوبٌ غَيَّرَتْ جسدي
عُلِّقْتُ غصنًا على أحْوَى فأحسدني جَرْيَ الوشاح وهذي صفرةُ الجسدِ[4]

وما أحسن قوله من قصيدة في المعتضد والد المعتمد: [المنسرح]

غُـرَّتُـهُ الـشـمـسُ والـحَـيَـا يَـدُهُ بـيـنـهـمـا لـلـنـجـيـع قـوسُ قُـزَحْ

وأمّا ابنه أبو القاسم[5] فهو من رجال «المسهب» وكان اشتغل أوّل أمره بالزهد،

= الخمسين وخمسمائة. ترجمته في بغية الوعاة (ص ٢٧٥) والمغرب (جـ ١ ص ٣٤٢) وأبياته في المغرب.

(١) في المغرب: «من الأمن».

(٢) في المغرب: «صممتُ فيها عن العُذّال والعَذَلِ».

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق اللخمي، من أهل شلب، يعرف بابن الملح وابن الملاح. ترجمته في الذخيرة (ق ٢ ص ٤٥٣) والمغرب (جـ ١ ص ٣٨٣) والذيل والتكملة (جـ ٦ ص ١١٨) وقلائد العقيان (ص ١٨٦) وبيتاه في الذخيرة (ص ٤٧١).

(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ٢١٢): «الجسد» بالجيم المعجمة، وفي الذخيرة: «عُلِّمْتُ عضّي بما أحوى فأحسدني.. فهذي صفرة..».

(٥) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسحٰق اللخمي، وترجمته وشعره في المغرب (جـ ١ ص ٣٨٤)، وستأتي هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ٢٩٠) باختلاف يسير عمّا هنا.

وكتب التصوّف، فقال له أبوه: يا بنيّ، هذا الأمر ينبغي أن يكون آخر العمر، وأمّا الآن فينبغي أن تعاشر الأدباء والظرفاء، وتأخذ نفسك بقول الشعر، ومطالعة كتب الأدب، فلمّا عاشرهم زيّنوا له الراح، فتهتك في الخلاعة، وفرَّ إلى إشبيلية، وتزوَّج بامرأة لا تليق بحاله، وصار يضرب معها بالدف، فكتب إليه أبوه[1]: [مخلع البسيط]

يا سُخْنَةَ العَيْنِ يا بُنَيَّا ... ليتكَ ما كنتَ لي بُنَيَّا
أبكيتَ عيني، أطلتَ حزني ... أمَتَّ ذكري وكان حَيّا
حططتَ قدري وكان أعلى ... في كلِّ حالٍ مِنَ الثُّرَيَّا
أَمَا كَفَاكَ الزِّنا ارتكابًا ... وشربُ مشمولة الحُمَيّا
حتى ضربتَ الدفوفَ جهرًا ... وقلتَ للشَّرِّ جيءْ إليَّا
فاليومَ أبكيكَ مِلْءَ عيني ... إن كان يُغْني البكاءُ شَيَّا

فأجاب أباه بقوله[2]: [مخلع البسيط]

يا لائمَ الصَّبِّ في التصابي ... ما عنكَ يُغْني البكاءُ شَيّا
أَوْجَفْتَ خَيْلَ العتابِ نحوي ... وقبلُ أوثبتها[3] إليَّا
وقلتَ هذا قصيرُ عُمْرٍ ... فاربَحْ من الدهر ما تَهَيَّا
قد كنتُ أرجو المَتابَ مِمّا ... فُتِنْتُ جَهْلاً به وغَيَّا
لولا ثلاثٌ شيوخُ سوءٍ ... أنتَ وإبليسُ والحُمَيَّا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشِّلبي يستدعي: [الطويل]

فَدَيْتُك باكِر نحو قُبَّةِ روضةٍ ... تسيحُ بها الأمواهُ والطيرُ تهتفُ
وقد طلعتْ شمسُ الدنانِ بأُفقِها ... ونحن لديها في انتظارك وُقَّفُ
فلا تتخلَّفْ ساعةً عن محلةٍ ... صدودُك عَمَّنْ حلَّ فيها تخلُّفُ

---

(١) البيت الأول في المغرب.

(٢) الأبيات، عدا البيت الأول، في المغرب، وستأتي في هذا الجزء (ص ٢٩٠) باختلاف يسير عمّا هنا.

(٣) في المغرب: «زَيَّنْتَها».

وقال أخو إمام نحاة الأندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البَطَلْيَوْسي[1]، وهو أبو الحسن علي بن السيد: [الكامل]

يا رُبَّ ليلٍ قد هَتَكْتُ حِجَابَهُ ... بـزجاجـةٍ وَقَّادةٍ كـالـكـوكـبِ
يسعى بهـا سـاقٍ أَغَنُّ كـأنهـا ... مِنْ خدِّه ورُضَابِ فيه الأشْنَبِ
بَدْرانِ بَدْرٌ قد أمِنتُ غروبَهُ ... يسعى ببدرٍ جانحٍ للمغرب
فإذا نعمتَ برَشْفِ بدرٍ طالعٍ ... فـانـعـمْ ببـدرٍ آخرٍ لـم يـغـرب
حتى ترى زُهْر النجوم كأنها ... حولَ المجرّة رَبْرَبٌ في مَشْرَبِ
والـلـيـلُ منحفزٌ يطيرُ غرابُهُ ... والـصـبـحُ يطرده ببازٍ أشـهـبِ

ولَمَّا مدح أبو بكر محمد بن الروح الشِّلْبي[2] الأميرَ إبراهيمَ الذي خطب به الفتح في القلائد، وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وكان يُدِلُّ عليه وينادمه، بقصيدته التي أوّلها: [الطويل]

أنـا شـاعـرُ الـدنـيـا وأنـت أمـيـرُهـا ... فـمـا لـي لا يَسْرِي إلـيَّ سـرورُهـا

أشار الأمير إلى مضحك له كان حاضرًا أن يَحْبِق[3] له لقوله «أنا شاعر الدنيا» فقال له ابن الروح: على من حَبَقْتَ؟ يعني أنه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله «أنا شاعر الدنيا» أو لقوله «وأنت أميرها» ففطن الأمير لِمَا قصده، وضحك وتغافل.

وقال أبو بكر بن المنخل الشلبي[4]: [الكامل]

كـم لـيـلـةٍ دارتْ عـلـيَّ كـواكـبٌ ... للخمر تطلع ثم تغربُ في فَمِي
قَبَّلْتها في كفِّ مَنْ يسعى بها ... وخلطت قبلتها بقبلة معصمِ
وكـأنَّ حُسْـنَ بـنـانـه مـع كـأسِهِ ... غيمٌ يشيرُ لـنـا ببعض الأنـجـمِ

---

(١) مرّ التعريف بأبي محمد عبد الله بن السيد والإشارة إلى مصادر ترجمته في الجزء الأول.
(٢) أبو بكر محمد بن الروح من شعراء دولة المرابطين، وترجمته في المغرب (جـ ١ ص ٣٨٦).
(٣) حَبَقَ يَحْبِقُ: ضرط. محيط المحيط (حبق).
(٤) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن مُنَخَّل الشلبي، أحد الأدباء المتقدمين والشعراء المجودين، توفي في حدود ٥٦٠ هـ. المغرب (جـ ١ ص ٣٨٧) وزاد المسافر (ص ٨٧) والتكملة (ص ٤٩٦).

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار[1]: [المتقارب]

قـرأتُ كـتـابَـكَ مسـتـشـفـعًـا بـوجـهِ أبـي الـحُـسْـنِ مِـنْ ردِّه
ومِنْ قَبْلِ فَضِّ ختامِ الكتابِ قـرأتُ الـشـفـاعـةَ فـي خَـدِّه

وقال: [المجتث]

غـزا الـقـلـوبَ غـزالٌ حَـجَّـتْ إلـيـه الـعـيـونُ
قـد خَـطَّ فـي الـخَـدِّ نـونًـا وآخِـرُ الـحُـسْـنِ نـونُ

قال الحجاري: وإكثار ابن عمار في المعذَّرين وإحسانه فيهم يدلّك على أنه، كما قيل عنه، كان مشغوفًا بالكاس، والاستلقاء من غير نُعاس.

وكان أبو الفضل ابن الأعلم[2] من أجمل الناس وأذكاهم[3] في علم الأدب والنحو، وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحي، فقال ابن صارة فيه[4]: [الكامل]

أَكْرِمْ بجعفرِ اللبيبِ فإنه ما زال يوضح مُشْكِلَ «الإيضاحِ»[5]
ماءُ الجمالِ بخدِّه مترقرقٌ فالعينُ منه تجول في ضحضاحِ
ما خدُّه جَرَحَتْه عيني، إنما صَبَغَتْ غِلالَتَه دماءُ جِراحِي
للّه زاي زبرجدٍ في عسجدٍ في جوهرٍ في كوثرٍ في راح
ذي طُرَّةٍ سَبَجِيَّةٍ ذي غُرَّة عاجِيَّة كالليل والإصباح
رشأ له خَدُّ البريء ولحظُهُ أبدًا شريكُ الموتِ في الأرواح

وقال الرمادي[6]: [مجزوء الرجز]

نـورٌ[7] وغَـيْـثٌ مُـسْـبَـلُ وقـهـوةٌ تَـسَـلْـسَـلُ

---

(١) سيرد هذان البيتان في الجزء السادس ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن الأعلم المتوفى سنة ٥٤٧ هـ، وترجمته في المغرب (جـ ١ ص ٣٩٦) وبغية الملتمس (ص ٢٥٦).
(٣) في المغرب: «وأذكرهم».
(٤) سترد هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ٢٣٤) دون تغيير عمّا هنا.
(٥) الإيضاح: اسم كتاب في النحو لأبي علي الفارسي.
(٦) الأبيات، عدا البيت الثاني، في كتاب التشبيهات (ص ٣٦).
(٧) في طبعة عبد الحميد (ص ٢١٥): «ونور غيث».

تــدور بــيــن فــتــيــةٍ بــخــلــقــهــم تــمــثّــلُ
والأفــقُ[1] مــن ســحــابــه طَــلٌّ ضــعــيــفٌ يــنــزل
كـــأنـــه مِـــنْ فِـــضّـــةٍ بُـــرَادةٌ تـــغـــربَـــلُ[2]

وقال[3]: [السريع]

بَدْرٌ بَدَا يَحْمِلُ شمسًا بَدَتْ وحَدُّها في الحُسْنِ من حدِّهِ[4]
تَـغْـرُبُ فـي فـيـه ولـكـنـهـا مـن بعد ذا تَطْلُعُ في خَدِّهِ

ومن نظم أبي الفضل ابن الأعلم السابق الذكر[5]: [الكامل]

وعـشـيّـةٍ كـالـسَّـيْـف إلاَّ حَـدَّه بَسَطَ الربيعُ بها لِنَعْلِي خَدَّهُ
عاطيتُ كأسَ الأُنْسِ فيها واحدًا ما ضَرَّه أنْ كان جَمْعًا وَحْدَهُ

وهو جعفر ابن الوزير أبي بكر محمد[6] ابن الأستاذ الأعلم، من رجال «القلائد» و «المسهب» و «سمط الْجُمَان»، وكان قاضي شَنْتَمرية، والأستاذ الأعلم هو إمام نحاة زمانه أبو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال «الصلة» و «المسهب» و «السمط»، وهو شارح الأشعار الست، ومن نظمه يخاطب المعتمد بن عباد: [البسيط]

يا من تَمَلَّكني بالقول والعملِ ومُبْلِغِي في الذي أمَّلْتُه أملي
كيف الثناءُ وقد أعجزتني نعمًا مالي بشكري عليها الدهرَ مِنْ قِبَلِ
رفعتَ للجود أعلامًا مُشَهَّرة فبابُك الدهرَ منها عامرُ السبلِ

وقال أبو علي إدريس بن اليمان العَبْدَرِي[7]: [المديد]

---

(١) في التشبيهات: «فالغيث مِنْ سحابه».
(٢) رواية البيت في كتاب التشبيهات هي:
كـــأنـــه بُـــرادةٌ مـــن فِـــضّـــة تُـــغَـــرْبَـــلُ
(٣) المغرب (جـ ١ ص ٣٩٣).
(٤) في طبعة عبد الحميد: «وخدُّها.. من خَدِّه».
(٥) تقدم هذان البيتان في هذا الجزء (ص ١٨٢) دون تغيير عمّا هنا.
(٦) في طبعة عبد الحميد (ص ٢١٥): «حمد».
(٧) في أصول النفح: «اليماني»، وإدريس بن اليمان شاعر جليل، وشعره كثير مجموع، تردّد على ملوك الطوائف ومدحهم. جذوة المقتبس (ص ١٧٠) وبغية الملتمس (ص ٢٣٦) والمغرب (جـ ١ ص ٤٠٠) والذخيرة (ق ٣ ص ٣٣٦) والأبيات في الذخيرة (ص ٣٣٧).

قُبلَةٌ كانت عنى دَهَشِ　　أذهبتْ ما بي من العَطَشِ
ولها في القلب منزلةٌ　　لو عَدَتْهَا النفسُ لم تَعِشِ
طرقتني والدُّجا لبستْ　　خِلَعًا من جِلْدَةِ الحبش[1]
وكأنَّ النَّجْمَ حين بدا　　درهمٌ في كفِّ مرتعشِ

وسأله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن حَمُّود فقال له: أشعاري مشهورة، وبنات صدري كريمة، فمن أراد أن ينكِّح بِكْرَها، فقد عرف مَهْرَها، وكانت جائزته مائة دينار.

ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله[2]: [الكامل]

ثَقُلَتْ زجاجاتٌ أتتنا فُرَّغًا　　حتى إذا مُلِئَتْ بصرْفِ الراحِ
خَفَّتْ فكادتْ أن تطير بما حَوَتْ　　وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

وكانت بين الأديب الحسيب أبي عمرو بن طَيْفُور[3] والحافظ الهيثم مُهَاجاة، فقال فيه الحافظ: [مجزوء الرمل]

لابن طيفور قريضُ　　فيه شوكٌ وغموضُ
عُدِمَتْ فيه القوافي　　والمعاني والعَرُوضُ

وقال فيه ابن طَيْفُور[4]: [مجزوء الرمل]

إنما الهيثمُ سِفْرٌ　　من كلام الناس ضَخْمُ
لا تُطالِبْه بفهمٍ　　ليس للديوان فَهْمُ

وقال أبو عمران بن سعيد: أخبرني والدي أنه زار ابن حمدين بقرطبة في مدة يحيىٰ ابن غانية، قال[5] فوجدته في هالة من العلماء والأدباء، فقام وتلقّاني، ثم قال: يا أبا عبد

---

(١) في الذخيرة: «الحنش».
(٢) البيتان في الذخيرة (ص ٣٤٤) والجذوة والبغية والمغرب، وفيها بعض اختلاف عمّا هنا.
(٣) ترجمة أبي عمرو بن طيفور الباجي في المغرب (جـ ١ ص ٤٠٣).
(٤) البيتان في المغرب (جـ ١ ص ٤٠٤).
(٥) كلمة «قال» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ٢١٦).

اللّه، ما هذا الجفاء؟ فاعتذرت بأني أخشى التثقيل، وأعلم أنَّ سيدي مشغول بما هو مُكِبٌّ عليه، فأطرق قليلاً ثم قال: [الكامل]

لو كنتَ تَهْوانا طلبتَ لقاءنا ... ليس المُحِبُّ عن الحبيبِ بصابرِ
فَدَعِ المعاذرَ إنما هي جُنَّةٌ ... لمخادعٍ فيها، ولستُ بعاذر

فقلت: تصديق سيدي عندي أحبُّ إليّ وإن ترتبت عليّ فيه المَلاَمة من منازعته منتصرًا لحقّي، فاستحسن جوابي، وقال لي: كرره فإنه واللّه ماحٍ لكل ذنب، ثم سألته كَتْبَ البيتين عنه، فقال لي: وما تكتب فيهما؟ فقلت: أليس في الإنعام ذلك لأجحد ما أُخبر به والذي إذا أُبْتُ إليه؟ فأملاهما عليَّ، فقلت: مَنْ قائلهما؟ قال: قائلهما، فعلمت أنهما له، وقنعت بذلك.

وقال الحِجَاري صاحب «المسهب، في أخبار المغرب»: [الكامل]

كم بِتُّ مِنْ أَسْرِ السُّهاد بِلَيْلَةٍ ... ناديْتُ فيها هل لِجُنْحِكِ آخِرُ
إذ قام هذا الصبحُ يظهر ملَّةً ... حكمتْ بأنْ ذُبِحَ الظلامُ الكافرُ

وعلى ذكر «المسهب» فقد كنت كثيرًا ما أستشكل هذه التسمية، لما قال غير واحد: إنَّ المسهب إنما هو بفتح الهاء، كقولهم سَيْل مُفْعَم ـ بفتح العين ـ والفقرة الثانية وهي «المغرب» تقتضي أن يكون بكسر الهاء، ولم يزل ذلك يتردّد في خاطري إلى أو وقفت على سؤال في ذلك رفعه المعتمد ابن عَبَّاد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتَمَرِي المشهور بالأعلم، ونص السؤال:

سألك ـ أبقاك اللّه ـ الوزيرُ الكاتبُ أبو عمرو بن غطمش، سلّمه اللّه، عن «المسهب» وزعم أنك تقول بالفتح والكسر، والذي ذكر ابن قتيبة في «أدب الكاتب» والزبيدي في «مختصر العين» أَسْهَبَ الرجلُ فهو مُسْهَب إذا أكثر الكلام، بالفتح خاصّة، فبيِّنْ لي ـ أبقاك اللّه تعالى! ـ ما تعتقد فيه، وإلى أي كتاب تسند القولين، لأقف على صِحّة من ذلك.

فأجابه: وصل إليّ ـ أدام اللّه تعالى توفيك! ـ هذا السؤال العزيز، ووقفت على ما تضمّنه، والذي ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدي في الكتابين موضوع كما ذكرته، والذي أحفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر من غير صواب، وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر من الصواب، إلاَّ أني لا أسند ذلك إلى كتاب بعينه، ولكني أذكره عن أبي علي

البغدادي عن[1] كتاب «البارع» أو غيره، معلّقًا في عدة نسخ من كتاب «البيان والتبيين» على بيت في صدره لمكي بن سوادة وهو: [الخفيف]

حَـصِـرٌ مُـسْـهَـبٌ جَـريءٌ جَـبَـانٌ   خير عِيٍّ الرجالِ عِيُّ السكوتِ

والمعلقة: «تقول العرب: أسهب الرجل فهو مُسْهَب وأحصن فهو مُحْصَن وألفج فهو مُلْفَج، إذا افتقر، قال الخليل: يقال رجل مُسْهَب ومُسْهِب، قال أبو علي: أسهب الرجل فهو مُسْهَب بالفتح إذا أكثر من غير صواب، وأسهب فهو مُسْهِب بالكسر إذا أكثر وأصاب، قال أبو عبيدة: أسهب الرجل فهو مُسْهَب إذا أكثر من خرف وتلف وذهن، وقال أبو عبيدة[2] عن الأصمعي: أسهب الرجل فهو مُسْهَب بالفتح إذا خرف وأهتر، فإن أكثر من الخطإ قيل: أفند فهو مُفند»، انتهت المعلقة. فرأيُ مملوكك ـ أيّدك اللّه تعالى! ـ واعتقاده أنَّ المُسْهَب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن، ولا المكثر المصيب، ألاَ ترى قول الشاعر «حصر مسهب» أنه قرن فيه المسهب بالحصِر وذمّه بالصفتين، وجعل المسهب أحقّ بالعيِّ من الساكت والحصِر فقال: [الخفيف]

خَيْرُ عِيٍّ الـرجـالِ عـيُّ الـسـكـوتِ

والدليل على أن المُسْهِب بالكسر يقال للبليغ المكثر من الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مُسْهِب بالكسر خاصّة لأنها بمعنى الإجادة والإحسان، وليس قول ابن قتيبة والزبيدي في المُسْهَب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أنَّ المكثر هو البليغ المصيب؛ لأن الإكثار من الكلام داخل في معنى الذمّ، لأنه من الثرثرة والهذر، ألاَ تراهم قالوا: رجل مِكْثار، كما قالوا: ثرثار، ومهذار، وقال الشاعر: [البسيط]

فـلا تُـمَـارُونَ إنْ مـاروا بـإكـثـارِ

فهذا ما عندي، واللّه تعالى الموفق للصواب.

قال الأعلم: ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور، فقلت: [المتقارب]

سـلامُ الإلـه ورَيـحَـانُـهُ   على الملك المجتبى المنتخلْ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٧٧): «من».

(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ٢١٨): «أبو عبيد».

سلامَ امرىءِ ظَلَّ مِنْ شَيْبِهِ خصيبَ الجنابِ رحيبَ المحلّ
أتاني سؤالُكَ أعْزِزْ بِهِ سؤالَ مبرّ على من سألْ
يسائل عن حالَتيْ مُشهِبٍ ومُشهَبٍ المبتلي بالعِلَلْ
لِمَ[1] اختلفا في بنائِهِما وحكمُهما واحدٌ في فعلْ
أتى ذا على مُفْعَلٍ لم يُعَلَّ وذاك على مُفْعَلٍ قد أُعلّْ
فقلتُ مقالاً على صدقِهِ شهيدٌ مِنَ العقل لا يستزلّ
بناءُ البليغِ أتى سالمًا سلامتهُ من فضول الخَطَلْ
وأسهبَ ذاك مسيئًا فزلَّ ذليلاً ثنى متنه فانخذلْ
وأحسنَ ذا فَجَرى وصفُهُ على سَنَنِ المحسن المستقلْ
فهذا مقاليَ مستبصرًا ولستُ كمن قال حَدْسًا فضلْ
تقلّدتُ في رأيه مذهبًا يخصّك بين الظُّبا والأسلْ
سَمَوك في الروع مستشرفًا إلى مهجة المستميت البطلْ
كأنك فيها هلالُ السما يزيدُ بهاءً إذا ما أهَلّ
بَلَ انتَ مطلٌّ كبدرِ السماءِ يُمْضي الظلامَ إذا ما أطلْ

قلت: رأيت في بعض الحواشي الأندلسية: أنّ ابن السكيت ذكر في بعض كتبه في بعض ما جعله بعضُ العرب فاعلاً وبعضهم مفعولاً: رجل مُسْهِب ومُسْهَب، لكثير الكلام، وهذا يدلّ على أنهما بمعنى واحد، انتهى.

وسأل بعضُ الأدباء الأستاذَ الأعلم المذكور عن المسألة الزنبورية، المقترنة بالشهادة الزورية، الجارية بين سيبويه والكسائي أو الفراء، والقضاء بينهم فيها، وهي «ظننتُ أنّ العَقْرَبَ أشدُّ لسعةً من الزنبور، فإذا هو هي، أو إياها» وعن نسب سيبويه: هل هو صريح أو مَولًى؟ وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير، وعن علّة تعرضه لمناظرة الكسائي والفراء، وعن كتابه الجاري بين الناس: هل هو أولُ كتاب أو أنشأهُ بعد كتاب أولَ، ضاع كما زعم بعض الناس؟

فأجاب: أما المسألة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائي، أو بينه وبين الفراء على

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٢١٨): «لما».

حسب الاختلاف في ذلك، بحضرة الرشيد، أو بحضرة يحيىٰ بن خالد البرمكي فيما يروى، فقد اختلفت الرواة فيها: فمنهم من زعم أنَّ الكسائي أو الفراء قال لسيبويه: كيف تقول «ظننت أنَّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزنبور، فإذا هو هي، أو إياها»؟ فأجاب سيبويه. بعد أن أطْرَقَ شيئًا. «فإذا هو إياها» في بعض الأقاويل، وزعم آخرون أنه قال «فإذا هو هي» ففيها من الاختلاف عنهم ما ترى، فإن كان أجاب بإذا هو هي، فقد أصاب لفظًا ومعنًى، ولم تدخل عليه في جوابه شُبْهة، ولا علقة لمعترض؛ لأن «إذا» في المسألة من حروف الابتداء المتضمّنة للتعليق بالخبر، فإذا اعتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول «فإذا الزنبورُ العقربُ» أو «اللسعة اللسعة» أي مثلها سواء، فلو قلت «فإذا هو إياها» بنصب الضمير الأخير للزمك أن تقول: فإذا الزنبورُ العقربَ، بالنصب، وهذا لا وجه له، فإذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه؟ ويروى في المسألة أنَّ الكسائي أو الفراء قال لسيبويه بعد أن أجاب برفع الضميرين على ما يوجبه القياس: كيف تقول يا بصري «خرجت فإذا زيد قائم، أو قائمًا؟» فقال سيبويه: أقول «قائم» ولا يجوز النصب، فقال الكسائي: أقول قائم وقائمًا، والقائمُ والقائمَ، بالرفع والنصب في الخبر مع النكرة والمعرفة، فتأول الكسائي والفراء في اختيارهما «فإذا هو إياها» حمل الخبر المضمر في النصب على الخبر المظهر المعرفة مع الإعراب بوجه النصب، فكأنه قال: فإذا الزنبور العقربَ، كما تقول: فإذا زيد القائمَ، فيجري المعرفة في النصب مجرى النكرة، وقولُهما في هذا خطأ من جهتين: إحداهما: أنَّ نصب الخبر بعد إذا لا يكون إلاّ بعد تمام الكلام الأول في الاسم مع حرف المفاجأة، ومع كون الخبر نكرة، كقولك: خرجت فإذا زيد قائمًا؛ لأنك لو قلت «خرجت فإذا زيد» تمَّ الكلام، لتعلّق المفاجأة بزيد على معنى حضوره، ثم تُبَيِّن حاله في المفاجأة المتعلّقة به فتقول «قائمًا» أي: خرجت ففاجأني زيد في هذا الحال، وقوله في المسألة «إياها» لا يتم الكلام في الاسم الأول دونها، ألاَ ترى أنك لو قلت «ظننتُ أنَّ العقرب أشدُّ لسعة من الزنبور فإذا هو» وسكتَّ، لم يتمَّ الكلام أولا، ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة، وإنما المفاجأة للضمير الآخر، فلا بُدَّ من ذكره والاعتماد عليه، وهذا يوجب الرفع في الخبر؛ لأنَّ الظرف له، لا للمخبر عنه، فهذا بيِّنٌ واضحٌ، والجهة الأخرى في غلطهما أنَّ «إياها» معرفة، والحال لا تكون إلاَّ نكرة، فقد اجتمع في قولهما أن أتَيَا بحالٍ لم يتمَّ الكلامُ دونها، معرفة، والحال لا تكون إلاَّ بعد تمام الكلام ومع التنكير، فقد تبيّن خطؤهما وإصابة سيبويه في لزوم الرفع في الخبر فقط.

وأما من زعم عن سيبويه أنه قال «خرجت فإذا زيد قائم» بالرفع لا غير فباطلٌ، وكيف يُنسب إليه وهو عَلَّمنا أنَّ الظرف إذا كان مستقرًا للاسم المخبر عنه نصب الخبر، وإذا كان مستقرًا للخبر رفع الخبر، ونحن نقول «خرجت فإذا زيد» فيتمّ الكلام، و «نظرت فإذا الهلال طالع» فيتبعه الخبر رفعًا، كما تقول «في الدار زيد قائمٌ، وقائمًا» و «اليوم سيرك سريع، وسريعًا» ولكن الخبر إذا كان الظرف له ولم يتعلّق إلاَّ به لم يكن إلاَّ رفعًا، كقولك «اليوم زيد منطلق، وغدًا عمرو خارج»؛ لأنَّ الظرف لا يكون مستقرًا للاسم المخبر عنه إذا كان زمانًا، والمخبرُ عنه جُثّة، وكذلك المفاجأة إذا كانت للخبر لم يكن إلاَّ مرفوعًا، معرفة كان أو نكرة، فإذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال، فجرى قولُك «ظننت أنَّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزنبور فإذا هو هي، وظننتُ زيدًا عالمًا فإذا هو جاهل» في لزوم الرفع في الخبر مجرى «اليوم زيد منطلق، وغدًا عمرو خارج» كما جرى «خرجت فإذا زيد قائم، وقائمًا» في جواز الرفع والنصب مجرى «في الدار زيد جالس، وجالسًا» فتأمّلِ الفرق بينهما وحَصِّله، فإنَّ النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين.

وأَمَّا نصب الخبر المعرفة بعد إذا، تمّ الكلام أو لم يتمَّ، فباطل لا تقوله العرب، ولا يجيزه إلاَّ الكوفيون.

وإن كان سيبويه، رحمه اللّه تعالى، أجاب بقوله «فإذا هو إياها» كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول؛ لما قدمت، والخطأ فيه بيِّن من جهة القياس كما ذكرنا، فإن كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه، وإن كان قد قاله وهو يرى أن الرفع أولى وأحق، إلاَّ أنه آثر النصب للإعراب حملاً على المعنى الخفي، دون ما يوجبه القياس واللفظ الجلي، فلجوابه عندي وجهان حسنان:

أحدهما: أن يكون الضميرُ المنصوب وهو «إياها» كنايةً عن اللسعة، لا عن العقرب، والضمير المرفوع كناية عن الزنبور، فكأنه قال «ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور لسعَةَ العقرب» أي فإذا الزنبور يلسع لسعة العقرب، فاختزل الفعل لما تقدّم من الدليل عليه، بعد أن أضمر اللسعة متّصلة بالفعل، فكأنه قال «فإذا الزنبور يلسعها» فاتّصل الضمير بالفعل لوجوده، فلمّا اختزل الفعل انفصل الضمير، لعدم الفعل.

ونظير هذا من كلام العرب قولهم «إنما أنت شُرْبَ الإبل» أي: إنما أنت تشرب شرب الإبل، فاختزل الفعل، وبقي عمله في المصدر، ولم يرفع؛ لأنه غير الاسم الأول، فلو

أضمرت شرب الإبل بعدما جرى ذكره فقلت «ما يشرب زيد شرب الإبل، إنما أنت تشربه» لاتّصل الضمير بالفعل، فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت إنما أنت إياه» فتدبره تجده منقادًا صحيحًا.

والوجه الآخر: أن يكون قوله «فإذا هو إياها» محمولاً على المعنى الذي اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولاً وآخرًا؛ لأنَّ الأصل في تأليف المسألة «ظننت أنّ العقرب أشدُّ لسعة من الزنبور فلمّا لسعني الزنبور ظننته هو إياها» فاختصر الكلام لعلم المخاطب، وحذف الظنّ آخرًا لما جرى من ذكره أولاً، ودلّت «إذا» لما فيها من المفاجأة على الفعل الواقع بعد لما الدالّة على وقوع الشيء لوقوع غيره، فإذا جاز حذف الكلام إيثارًا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا «فإذا هو إياها» بمنزلة قولنا «فلمّا لسعني الزنبور ظننتُه هو إياها» فحذف الظن مع مفعوله الأول، وبقي الضمير الذي هو العماد والفصل مؤكدًا للضمير المحذوف مع الفعل ودالاً على ما يأتي بعده من الخبر المحتاج إليه، فيكون في حذف المخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الإتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المتاح إليه مثل قوله ﴿ولا يَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُونَ بما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيرًا لهمْ ﴾[1] فحذف البخل الذي هو المفعول الأول لقوله «يحسبن» وبقي الضمير مؤكدًا له مثبتًا لما بعده من الخبر، وجاز حذفه لدلالة «يبخلون» عليه، والمعنى: لا يحسبن[2] الذين يبخلون البخل هو خيرًا لهم، فهو في المسألة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظنّ المضمر ومُثبِت لما يجيء بعده من الخبر الذي هو «إياها» فتفَهَّمه فإنه متمكّن من جهة المعنى، وجارٍ من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل، وشاهدُه القرآنُ في الحذف واستعمالُ العرب النظائرَ، وهي أكثر من أن تحصى، فمنها قولهم «ما أغفله عنك شيئًا» أي تثبَّتْ شيئًا ودَع الشكّ، وقولهم لمن أنكر عليه ذكر إنسان ذكره «مَنْ أنت زيدًا» أي: من أنت تذكر زيدًا، وربما قالوا «من أنت زيد» بالرفع على تقدير: من أنتَ ذكرك زيد، فحذفوا الفعل مرّة وأبقوا عمله، وحذفوا المبتدأ أخرى وأبقوا خبره، وكلّ ذلك اختصار؛ لعلم المخاطب بالمعنى، وكذلك قولهم «هذا ولا زَعَمَاتِك» أي هذا القول والزعم

---

(١) سورة آل عمران ٣، الآية: ١٨٠.

(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٢٤): «تحسبنّ».

الحقَ ولا أتوهَّمُ زعماتك، فحذف هذا لعلم السامع مع تحصّل المعنى وقيامه عند المخاطب، والحملُ في كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى.

فإن كان الضمير الأول في المسألة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتّة إلاّ رفع الضميرين بالابتداء والخبر، على حَدِّ قولك «ظننت زيدًا عاقلاً فإذا هو أحمق، وحسبت عبد الله قاعدًا فإذا هو قائم» ولو تقدّم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت «فإذا هو هو» ولم يجز فإذا هو إياه البتّة. ويجوز في المسألة [إذا قلت: فإذا هو، لأبى أن يكون الضمير للزنبور والعقرب على حدِّ قولك «الزنبور العقرب» ويجوز][1] أن تقول «فإذا هي هو» على التقديم والتأخير على حدِّ قولك «فإذا العقربُ الزنبورُ» أي سواء في شدة اللسعة كما تقول «خرجت فإذا قائم زيد» على تقدير فإذا زيد قائم، ويجوز أن يكون «هو» كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه، وتكون «هي» كناية عن اللسعة على تقدير: فإذا لسع الزنبور لسعة العقرب، ويجوز «فإذا هي هو» على إضمار اللسعة واللسع، والتقدير: فإذا لسعة الزنبور لسع العقرب، وهذا كلّه لا يجوز فيه إلاّ الرفع عند البصريين؛ لأنَّ الآخر هو الأول، والخبر معرفة متعلّق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال، والكوفيون يجيزون النصب كما تقدّم، وهو غلط بَيِّنٌ، وخطأ فاحش، لا تقوله العرب، ولا تعلّق له بقياس، فاعلمه.

ويجوز في المسألة «فإذا هو هو» على تقدير: فإذا اللسع اللسع، ويجوز «فإذا هي هي» على تقدير: فإذا اللسعة اللسعة، وفي هذا كفاية إن شاء الله تعالى.

وأمّا نسب سيبويه ففارسي مولى لبني الحارث بن كعب بن علة بن خلدة بن مالك، وهو مَذْحج، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر، وكنيته أبو بشر، ولقبه الذي شهر به سيبويه، ومعناها بالفارسية رائحة التفاح، وكان من أطيب الناس رائحة، وأجملهم وجهًا، وقيل: معنى «سي» ثلاثون، ومعنى «بويه» رائحة، فكأنَّ معناها: الذي ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرّة.

وأما سبب تعويله على الخليل[2] في طلب النحو - مع ما كان عليه من الميل إلى التفسير والحديث - فإنه سأل يومًا حماد بن سلمة فقال له: أَحَدَّثَكَ هشام بن عروة عن أبيه

---

(١) ما بين قوسين ساقط من طبعة عبد الحميد (ص ٢٢٥).
(٢) الخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي.

في رجل رَعُفَ في الصلاة، بضم العين، فقال له حماد: أخطأت، إنما هو رَعَفَ بفتح العين، فانصرف إلى الخليل، فشكا إليه ما لقيه من حماد، فقال له الخليل: صدق حماد، ومثل حماد يقول هذا، ورعُف بضم العين لغة ضعيفة، وقيل: إنه قَدِمَ البصرة من البَيدَاء من قرى شيراز من عمل فارس، وكان مولده ومنشؤه بها، ليكتب الحديث ويرويه، فلزم حلقة حماد بن سَلَمة، فبينما هو يستملي على حماد قولَ النبي، ﷺ «ليس مِنْ أصحابي إلاَّ من لو شئت لأخذت[1] عليه، ليس أبا الدرداء» فقال سيبويه «ليس أبو الدرداء» بالرفع، وظنه[2] اسم ليس، فقال له حماد: لحنت يا سيبويه [ليس هذا حيث ذهبت، إنما ليس ههنا استثناء][3]، فقال سيبويه: سأطلب علمًا لا تلحنني فيه، فلزم الخليل، وبرع في العلم.

وأمَّا سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرّضه لمناظرة الكسائي والفراء، فلما كانا عليه من تمكّن الحال، والقرب من السلطان، وعلوّ همّته، وطلبه للظهور مع ثقته بعلمه؛ لأنه كان أعلم أهل زمانه، وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب، فوفد على يحيىٰ بن بَرْمَك وابنيه جعفر والفضل، فعرض عليهم ما ذهب إليه من مناظرة الكسائي وأصحابه فسعَوا له في ذلك، وأوصلوه إلى الرشيد، فجرى بينه وبين الكسائي والفراء ما ذكر واشتهر، وكان آخر أمره أنّ الكسائي وأصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الأعراب على حسب ما لُقِّنُوا أنْ قال يحيىٰ بن خالد أو الكسائي للرشيد: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لا يرجع خائبًا فعلت، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وانصرف إلى الأهواز، ولم يُعَرِّج على البصرة، وأقام هنالك مدّة إلى أن مات كمدًا، ويروى أنه ذَرِبَتْ معدته فمات، فيرون أنه مات غمًّا، ويُرْوَى أنَّ الكسائي لما بلغه موتُه قال للرشيد: دِهْ[4] يا أمير المؤمنين، فإني أخاف أن أكون شاركتُ في دمه، ولَمّا احتُضر وضع رأسه في حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خدِّه، فرفع عينيه وقال: [الطويل]

أُخَيَّيْنِ كُنَّا فَرَّقَ الدهْرُ بَينَنا إلى الأمد الأقصى، ومن يأمن الدهرا

ومات على السنّة والجماعة، رحمه اللّه تعالى!

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٨٥): «لأقدت».

(٢) في الطبعة نفسها: «وخَمَّنه».

(٣) ما بين قوسين ساقط من طبعة عبد الحميد (ص ٢٢٦).

(٤) دِهْ: أمر من: وداه يديه، مثل: وقاه يقيه: إذا غرم ديته.

وأمّا كتابه الجاري بين الناس فلم يصحّ أنه أنشأه بعد كتاب آخر قبله، على أن ذلك قد ذُكر.

فهذا ما حضر فيما سألت عنه؛ فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فإنه لساعتين من نهار، إملاء يوم الثلاثاء عشي النهار لثمان خلون لصفر سنة ٤٧٦ انتهى.

وقال الإلبيري، رحمه الله تعالى[١]: [الكامل]

لا شيءَ أخسرُ صَفْقَةً مِنْ عالم ... لعبتْ به الدنيا مَعَ الجُهّالِ
فغدا يفرقُ دينه أيدي سَبا ... ويذيله حرصًا بجمع المال
لا خَيْرَ في كسب الحرام، وقلّما ... يُرْجَى الخلاصُ لكاسبٍ لحلال
فَخُذِ الكفافَ ولا تكنْ ذا فضلةٍ ... فالفضلُ تُسْأَلُ عنه أيّ سؤال

وكان أبو الفضل ابن الأعلم من أحسن الناس وجهًا، وأذكاهم[٢] في علم النحو والأدب، وأقرأ النحو في صباه، وفيه يقول ابن صارة الأندلسي، رحمه الله تعالى[٣]: [الكامل]

أَكْرِمْ بجعفرٍ اللبيبِ فإنه ... ما زال يوضحُ مشكل «الإيضاحِ»[٤]
ماءُ الجمالِ بوجهه مترقرقٌ ... فالعينُ منه تَجُولُ في ضَحْضَاح
ما خَدُّهُ جَرَحَتْه عيني، إنما ... صَبَغَتْ غِلالَتَهُ دماءُ جراحي
للّه زايُ زبرجدٍ في عسجدٍ ... في جوهرٍ في كوثرٍ في راحِ
ذي طُرَّةٍ سَبَجِيّةٍ ذي غُرَّةٍ ... عاجيّةٍ، كالليلِ والإصباحِ
رشأٌ له خَدُّ البريءِ، ولحظه ... أبدًا شريكُ الموت في الأرواح

وقال محمد بن هانيء الأندلسي من قصيدة[٥]: [الكامل]

السافراتُ[٦] كأنهنّ كواكبٌ ... والناعماتُ كأنهنّ غصونُ

---

(١) ديوان أبي إسحٰق الإلبيري (ص ٨١)، وسترد في الجزء السادس ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٨٦): «وأذكرهم».
(٣) تقدمت هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ٢٢٣) دون تغيير عمّا هنا.
(٤) الإيضاح: اسم كتاب في النحو لأبي علي الفارسي.
(٥) ديوان ابن هاني الأندلسي (ص ٣٥٠ـ٣٥١ـ٣٥٤).
(٦) في الديوان: «المُشْرقات».

ماذا على حُلَلِ الشقيقِ لَوَ انّها   عن لابِسِيها في الخدود تَبِينُ
لأعَطِّشَنَّ الروضَ بعدهُمُ ولا   يُزويه لي دَمْعٌ عليه هَتُونُ
أأُعِيرُ لحظَ العَيْنِ بهجةَ منظرٍ   وأخونهم؟ إني إذن لخؤون
لا الجوُّ جوٌّ مُشرِقٌ وإنْ[1] اكتسى   زهوًا، ولا الماءُ المَعِينُ مَعِين
لا يَبْعَدَنَّ إذِ العبيرُ له ثَرى   والبانُ روح[2]، والشموسُ قَطِين
الظلُّ لا متنقِّلٌ، والحوضُ لا   مُتَكَدِّرٌ، والأمنُ لا ممنونُ[3]

وقال القَسْطَلي في أسطول أنشأه المنصور بن أبي عامر من قصيدة[4]: [الطويل]

تَحَمَّلَ منه البحرُ بحرًا مِنَ الْقَنَا   يروعُ بها أمواجَهُ ويَهُولُ
بكلِّ ممالاتٍ[5] الشُّراع كأنها   وقد حَمَلَتْ أُسْدَ الحقائق. غِيلُ
إذا سابَقَتْ شأوَ الرياحِ تَخَيَّلَتْ   خيولاً مدى فرسانِهِنَّ خُيولُ
سحائبُ تُزجيها الرياحُ فإنْ وَفَتْ   أطافتْ بأجيادِ النعام فُيُولُ
ظباءُ سِمامٍ ما لهنَّ مَفاحِصٌ   وزُرْقُ حَمامٍ ما لهنّ هديلُ[6]
سواكنُ في أوطانهنَّ كأنْ سَمَا   بها الموجُ حيث الراسياتُ نزول[7]
كما رفعَ الآلُ الهوادجَ بالضُّحى   غداةَ استقلَّتْ بالخليط حُمُولُ
أَراقِمُ تحوي ناقعَ السمِّ مالها   بما حَملتْ دون العُداة مَقيلُ[8]

وقد أطنب الناس في وصف السفن وأطابوا، وقَرْطَسُوا القريضَ وأصابوا، وقد ذكرنا نبذة من ذلك في هذا الكتاب.

وقال أبو بحر صَفْوان بن إدريس التُّجِيبي: حدّثني بعض الطلبة بمراكش أنَّ أبا العباس

---

(١) في الديوان: «ولو اكتسى زهرًا».
(٢) في الديوان: «والبانُ أَيْكٌ».
(٣) في الديوان: «فالفيء لا متنقّل.. والمَنُّ لا ممنونُ».
(٤) ديوان ابن دراج القسطلي (ص ٥).
(٥) في الديوان: «مُعالاة».
(٦) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٢٨): «ظباء شِمامٍ.. وذُرْقُ حَمامٍ..».
(٧) في الديوان: «نَزُولُ».
(٨) في الديوان: «أراقمُ تَقْري.. الغواة مقيلُ».

الجراوي كان في حانوت وَرَّاق بتونس، وهناك فتى يميل إليه، فتناول الفتى سَوْسَنة صفراء، وأومأ بها إلى خدّيه مشيرًا، وقال: أين الشعراء؟ تحريكًا للجراوي، فقال ارتجالاً: [الوافر]

وعُـلْـوِيُّ الـجـمـال إذا تَـبَـدَّى أراكَ جـبـيـنَـهُ بَـدْرًا أنـارَا
أشـارَ بِسَوْسَـنٍ يـحـكـيه عَرْفًا ويحكي لونَ عاشِقِهِ اصفرارا

قال أبو بحر: ثم سألني أن أقول في هذا المعنى: فقلت بديهًا: [المنسرح]

أومـىٰ إلـى خَـدِّه بـسَـوْسَـنـةٍ صفراءَ صيغتْ من وَجْنَتَيْ عَبْدِهْ
لـم تَـرَ عيني من قبله غُصُنًا سَـوْسَـنُـهُ نـابِـتٌ إزا وَرْدِهْ
أعـمـلـتُ زَجْـري فـقـلـتُ ربّـما قـرَّب خَـدَّ الـمـشوق مِـنْ خَـدِّهْ

فحدّثني المذكور أنه اجتمع مع أبي بكر بن يحيىٰ بن مجبر. رحمه اللّه تعالى! . قبل اجتماعه بي في ذلك الموضع الذي اجتمع فيه بي بعينه، فحدّثه بالحكاية كما حدّثني، وسأله أن يقول في تلك الحال، فقال بديهًا: [السريع]

بـي رشـأ وَسْـنَـانُ مـهـمـا انـثـنـى حـار قـضـيـبُ الـبـان فـي قَـدِّه
مُـذْ وَلِـيَ الـحـسـنَ وسـلـطـانَـه صارتْ قلوبُ الناس مِنْ جُنْدِهِ
أودع فـي وجـنـتـه زهـرةً كـأنـهـا تـجـزعُ مِـنْ صَـدِّهِ
وقـد تـفـاءلْـتُ عـلـى فـعـلـه أنـي أرى خـدّي عـلـى خَـدِّهِ

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الأخير.

قال أبو بحر: ثم قلت في تلك الحال: [السريع]

أَبْـرَزَ مِـنْ وجـنـتـه وردةً أودعـهـا سـوسـنـةً صَـفْـرا
وإنـمـا صـورَتُـهُ آيـةٌ ضـمّـنها من سوسنٍ عشرا

وقال بعضهم في الباذنجان: [الطويل]

ومُسْتَحْسَنٍ عند الطعامِ مُدَحْرَجٍ غَذَاهُ نميرُ الماء في كلِّ بستانِ
تَـطَـلَّـعَ فـي أقـمـاعِـهِ فـكـأنـه قلوبُ نعاجٍ في مخاليبِ عقبان

وقال ابن خروف، ويقال: إنها في وصف دمشق: [الوافر]

إذا رحلتْ عَرُوبَةُ عن حِماها تـأوَّه كـلُّ أوّاهٍ حـلـيـمِ

إلى سَبْتٍ حكى فرعونَ موسى يجمع كلّ سحّارٍ عليمِ
فتبصرُ كلَّ أملودٍ قويمٍ يميسُ بكلِّ ثعبانٍ عظيمِ
إذا انسابَتْ أراقمها عليها تذكرنا بها ليلَ السليمِ
وشاهدنا بها في كلِّ حينٍ حِبالاً أُلقيت نحو الكليمِ

وقال أبو القاسم بن هشام(1) ارتجالاً في وسيم عَضّ وردة ثم رمى بها، وسئل ذلك منه امتحانًا: [الكامل]

ومعجّز الأوصافِ والوصّاف في بُرْدَيْ جمالٍ طُرِّزا بالتّيهِ
سوسانُ أنمله تناوَلَ وردةً فغدا يمزّقها أقاحي فيه
فكأنني شبهتُ وَجْنَتَهُ بها فرمى بها غضبًا على التشبيهِ

وقال أيضًا فيمن عَضّ كلبٌ وَجْنَتَه(2): [الطويل]

وأغيدَ وضّاحِ المحاسنِ باسمٍ إذا قامَرَ الأسيافَ ناظرُهُ قَمَرْ
تَعَمَّدَ كَلْبٌ عَضَّ وَجْنَتِهِ التي هي الوردُ إيناعًا وأبقى بها أَثَرْ
فقلتُ لِشُهْبِ الأُفْق كيف صُماتكم(3) وقد أَثَّرَ العَوّاءُ في صفحةِ القمرْ

وقال آخر يصف شَجَّة في خَدّ وسيم: [الطويل]

عذيري من ذي صفحةٍ يُوسُفية بها شَجَّةٌ جَلَّتْ عن اللَّثمِ واللَّمْسِ
يقولون من عُجْبٍ: أتحسنُ وصفها فقلت: هلالٌ لاح في شَفَقِ الشمسِ

وقال القاضي أبو الوليد الوقشي فيمن طَرَّ شاربُه(4): [الكامل]

قد بَيَّنَتْ فيه الطبيعةُ أنها لبديع أفعال المهندس باهرةْ
عُنِيَتْ بمبسمه فخطّت فوقه بالمِسْك خطًّا من محيط الدائرةْ

---

(1) ترجمة أبي القاسم ابن هشام في زاد المسافر (ص ٦٢).
(2) الأبيات في اختصار القدح (ص ٩٢)، وقد تقدمت في الجزء الرابع وجاء هناك: «الأرواح» بدل «الأسياف» في البيت الأول.
(3) في اختصار القدح: «الأفق أين حماتكم».
(4) تقدم هذان البيتان في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.

وقال أبو الحسن بن عيسى: [الكامل]

عـابـوه أسْـمَـرَ نـاحـلاً ذا زرقـة   رمـدًا وظـنّـوا أنّ ذاك يَـشِـيـنُـهُ
جهلوا بأنّ السمهريَّ شبيهُهُ   وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الأستاذ أبو ذر الخشني: [السريع]

أنـكـر صـحـبـي إذ رَأَوا طـرفَـهُ   ذا حـمـرة يَـشْـفَـى بـهـا الـمـغـرمُ
لا تـنـكـروا مـا احْـمَـرَّ مـن طـرفـه   فـالـسـيـفُ لا يُـنْـكَـرُ فـيـه الـدمُ

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي خالص الرندي: [الكامل]

يـا شـادنًـا بـرز الـعِـذارُ بـخـدِّه   وازداد حُـسْـنًـا، لـيـتـه لـم يـبـرزِ
الآن أعلمُ حين جدَّ بي الهوى   كم بين مختصرٍ وبين مطرّز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوّز المَعَافري: [الكامل]

ومـعـذَّرٍ مِـنْ خَـدِّه ورقـيـبـه   شغلان حَلاَّ عقد كلّ عزيمةِ
خَدٌّ وخبٌّ عِيل صبري منهما   هـذا بـنـمـنـمـةٍ وذا بـنـمـيـمـةِ

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جُدَرِيّ[1]: [الخفيف]

قال لي اعتلَّ مَنْ هَوِيتَ، حَسُودٌ   قلت: أنتَ العليلُ ويحكَ لا هُو
ما الذي قد أنكرتَ من بَشَرَاتٍ   ضـاعَـفَـتْ حُـسْـنَـهُ وزانَـتْ حُـلاهُ[2]
جـسـمُـهُ فـي الـصـفـاء والـرقّـة الـمـا   ءُ فـلا غَـرْوَ أنْ حَـبـابٌ عَـلاه

وقال الهيثم: [الكامل]

قالوا: به جَرَبٌ فقلْتُ لهمْ قِفُوا   تـلـك الـنـدوبُ مـواقـعُ الأبـصـارِ
هـو روضـةٌ والـقَـدُّ غـصـنٌ نـاعـمٌ   أرأيـتـم غـصـنًـا بـلا نـوّارِ

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبي[3] في مخضوبة الأنامل: [الكامل]

---

(١) ديوان ابن زيدون (ص ٥٤).

(٢) في طبعة دار صادر (ص ٩١): «نكرتَ» بدل «أنكرت». وفي الديوان «أنكروه... وزادتْ حُلاهُ».

(٣) ترجمة أبي بكر محمد بن عياض القرطبي في التكملة (ص ٥١٥).

وعَلِقْتُها فَتّانةً أعطافُها تُزري بغصنِ البانةِ المَيّادِ
من للغزالة والغزال بحسنِها في الخدّ أو في العين أو في الهادي
خضبتْ أناملُها السواد وقلّما أبصرتُ أقلامًا بغير مدادِ

وقال أبو الحسين النفزي: [المتقارب]

بَدَا يوسفًا وشَدَا معبدًا فللعين ما تشتهي والأُذُنْ
كأنَّ بأعلاهُ قُمْرِيّةً تُغَرِّدُ مِنْ قَدِّه في غُصُنْ

وقال ابنُ صارة: [مخلع البسيط]

مُقامُ حُرٍّ بأرضِ هونِ عجزٌ لَعَمْري مِنَ المقيمِ
سافرْ فإن لم تجد كريمًا فمن لئيمٍ إلى لئيمِ

وقال المعتمد بن عباد رحمه اللّه تعالى[1]: [مخلع البسيط]

مولايَ، أشكو إليكَ داءً أصبحَ قلبي به قريحَا
سخطك قد زادني سَقامًا فابعثْ إليَّ الرضا مسيحا[2]

قال بعضهم: وقوله «مسيحا» من القوافي التي يتحدّى بها.

وكتب إلى أبيه جوابًا عن تحفة[3]: [السريع]

يا مالكًا قد أصبحتْ كَفُّهُ ساخرةً بالعارضِ الهاطلِ
قد أفحمتْني مِنّةٌ مثلها يُضَيِّقُ القولَ على القائلِ
وإنْ أكنْ قصرتُ في وصفها فحسنُها عن وصفها شاغلي

وكتب إلى وزيره ابن عمار[4]: [الكامل]

لَمّا نأيتَ نَأَى الكَرَى عن ناظري وَرَدَدْتُهُ لَمّا انصَرَفْتُ عليهِ
طلب البشيرُ بشارةً يُجْزَى بها فوهبتُ قلبي واعتذرتُ إليه

---

(١) ديوان المعتمد بن عباد (ص ٣٣).
(٢) أراد بالمسيح هنا الطبيب الذي يمسح بيده على العلّة فتبرأ.
(٣) ديوان المعتمد (ص ٤٢).
(٤) ديوان المعتمد (ص ٦٣).

وقال في جارية له كان يحبّها، وبينما هي تسقيه إذ لمع البرق فارتاعت[1]: [السريع]

يَـرُوعُـهَـا الـبَـرْقُ وفـي كَـفِّـهـا   بَــرْقٌ مــن الــقــهــوة لَــمّــاعُ
يا ليت شعري وَهْيَ شمسُ الضحى   كــيــف مــن الأنــوارِ تــرتــاعُ

ومن تَوَارُد الخواطر أنَّ ابن عَبَّاد أنشد عبدَ الجليل بن وهبون البيت الأول، وأمره أن يذيله، فقال[2]: [السريع]

ولـن تـرى أَعْـجَـبَ مِـنْ آنـسٍ   مِـنْ مـثـلِ مـا يـمـسـك يـرتـاعُ

وقال المعتمد رحمه اللّه تعالى[3]: [الكامل]

داوى ثَـلاثَـتـه بـلـطـفِ ثـلاثـةٍ   فـثـنـى بـذاك رقـيـبَـهُ لـم يـشـعـرِ
أســـرارَه بـــتـــســـتـــر، وأُوارَهُ   بـتـصـبـر، وخـبـالَـهُ بـتـوقُّـرِ

وكانت له جارية اسمها «جوهرة» وكان يحبّها، فجرى بينهما عتاب، ورأى أن يكتب إليها يسترضيها، فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها، فقال[4]: [السريع]

لـم تَـصْـفُ لـي بـعـد وإلاّ فَـلِـمْ   لـم أَرَ فـي عـنـوانـهـا جـوهـرَهْ
دَرَتْ بـأنـي عـاشـقٌ لاسـمـهـا   فـلـم تُـرِدْ لـلـغـيـظ أن تـذكـرَهْ
قــالــت: إذا أبــصــره ثــابــتًــا   قَــبَّــلــه، والــلّــه لا أَبْــصَــرَهْ

وقال في هذه الجارية[5]: [السريع]

ســرورُنــا بــعــدكُــم نــاقــصٌ   والعَيشُ لا صافٍ ولا خالصُ
والـسَّـعْـدُ إن طَـالَـعَـنَـا نـجـمُـه   وغِبْتِ فـهـو الآفـل الـنـاكـص
سَـمَّـوكِ بـالـجـوهـر مـظـلـومـةً   مـثـلـك لا يـدركـه غـائـصُ

---

(١) ديوان المعتمد (ص ٣١)، وسيرد هذان البيتان في الجزء السادس ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) سيرد هذا البيت في الجزء السادس وفيه: «أرى» بدل «ترى».
(٣) ديوان المعتمد (ص ١٢).
(٤) ديوان المعتمد (ص ١٤).
(٥) ديوان المعتمد (ص ١٩).

وقال فيها أيضًا[1]: [مجزوء الرمل]

جـوهـرةٌ عـذبـنـي مـنـك تـمـادي الـغـضـبِ
فـزفـرتـي فـي صَـعَـدٍ وعـبـرتـي فـي صَـبَـبِ
يـا كـوكـبَ الـحـسـن الـذي أزرى بِـزُهْـرِ الـشُّـهُـبِ
مـسـكـنـكِ الـقـلـبُ فـلا تـرضَـيْ لـه بـالـوَصَـبِ

وقال في جارية اسمها وِدَاد[2]: [الخفيف]

اشْربِ الكأس في وِدادِ وِدادكْ وتأنَّسْ بِذِكْرِها في انفِرادِكْ
قَمَرٌ غابَ عن جفونكَ مرآ ه وسكناه في سوادِ فؤادكْ

وقال[3]: [الطويل]

لكَ اللّه كم أودعْتَ قلبيَ مِنْ أسًى وكم لك ما بين الجوانح من سَهْمِ
لحاظُكَ طولَ الدهر حربٌ لمهجتي ألاَ رحمةٌ تثنيك يومًا إلى سلْمِي

وقال[4]: [مجزوء الرجز]

قـلـت مـتـى تـرحـمـنـي؟ قـال ولا طـول الأبـدْ
قـلـت فـقـد أيـأسـتـنـي مـن الـحـيـاة قـال قَـدْ

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاحٍ إلى المعتضد والد المعتمد، وكتب له معها[5]: [مجزوء الكامل]

يـا مـن تَـزَيَّـنَـتِ الـريـا سةُ حـيـن أُلـبـس ثَـوْبَـهـا
جـاءتْـكَ جـامِـدَةُ الـمُـدا مِ فَـخُـذْ عـلـيـهـا ذَوبَـهـا

---

(١) ديوان المعتمد (ص ٣).
(٢) ديوان المعتمد (ص ١٠).
(٣) ديوان المعتمد (ص ٢٥).
(٤) ديوان المعتمد (ص ١٠).
(٥) ديوان ابن زيدون (ص ٢٦٢).

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنًا فيه كواكب فضة[1] : [المتقارب]

مجنٌّ حكى صانعوه السما لتقصر عنه طوال الرماخ
وقد صوّروا فيه شِبْهَ الثُّرَيَّا كواكبَ تقضي له بالنجاخ

وقال ابن اللَّبَّانة: كنتُ بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه، فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٨٣، فتفجّع وتلهّف، واسترجع وتأسّف، وذكر قصر غَرْناطة، فدعونا لقصره بالدوام، ولملكه بتَرَاخي الأيام، وأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلي بالغناء، فغنّى: [البسيط]

يا دارَ مَيَّةَ بالْعَلْيَاء فالسندِ أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأبَدِ[2]

فاستحالتْ مَسَرَّته، وتجهّمت أسِرَّته، وأمر بالغناء من ستارته، فغنّى: [البسيط]

إنْ شئتَ أن لا ترى صبرًا لمصْطَبرٍ فانظرْ على أيِّ حالٍ أصبح الطَّلَلُ

فتأكّد تطيّره، واشتدّ ازْبِدَادُ وجهه وتغيره، وأمر مغنية أخرى من سراريه بالغناء، فغنَّتْ: [البسيط]

يا لهْفَ نفسي على مال أُفرِّقُه على المقلّين من أهلِ المروءاتِ
إنَّ اعتذاري إلى مَنْ جاء يسألني ما لستُ أملك من إحدى المصيباتِ

قال: فتلافيتُ الحال بأنْ قلت: [البسيط]

محلُّ مكرمة لا هُدَّ مَبْناه وشَمْلُ مأثرةٍ لا شَتَّتَ اللّهُ
البيتُ كالبيت لكن زاد ذا شرفًا أنَّ الرشيدَ مع المعتدِّ ركناه
ثاوٍ على أنجم الجوزاء مقعده وراحلٌ في سبيل السعد مَسْرَاه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلتْ بالشرق والغربِ يُمْناه ويُسْراه
بأسٌ توقد فاحمرَّتْ لواحِظُهُ ونائلٌ شَبَّ فاخضرَّتْ عذاراه

فلعمري لقد بسطت من نفسه، وأعادت عليه بعض أنسه، على أني وقعت فيما وقع

---

(١) ديوان المعتمد بن عباد (ص ٢٩).
(٢) هكذا في ديوان النابغة الذبياني (ص ١٩). وفي طبعة دار صادر (ص ٩٥): «الأمد».

فيه الكل لقولي «البيت كالبيت» وأمر إثر ذلك أبا بكر بالغناء، فغنَّى: [الطويل]

ولَمَّا قَضَينا مِنْ مِنًى كلَّ حاجةٍ ولم يَبْقَ إلاَّ أنْ تُزَمَّ[1] الركائبُ

فأيقنَّا أنَّ هذا التطيّر، يعقبه التغير.

وقد كان المعتضد بن عباد - حين تصرّمتْ أيامه، وتدانى حِمامه - استحضر مغنّيًا يغنّيه ليجعل ما يبدأ به فألاً، وكان المغنّي السوسي، فأول شعر قاله: [البسيط]

نَطْوي المنازلَ عِلْمًا أنْ سَتَطْوينا فشَعْشِعِيهَا بماء المُزْن واسقينا

فمات بعد خمسة أيام، وكان الغناء من هذا الشعر في خمسة أبيات.

وقال المعتمد بعدما خُلع وسجن[2]: [الرمل]

قُبِّحَ الدهرُ فماذا صَنَعَا؟ كلّما أعطى نفيسًا نَزَعَا
قد هَوَى ظُلْمًا بمن عاداتُهُ أن ينادي كلَّ من يهوي: لَعَا[3]
من إذا قيل الخنا صمَّ وإن نطق العافونَ همسًا سمعا
قُلْ لمن يطمع في نائله قد أزال اليأسُ ذاك الطمعا
راحَ لا يملِكُ إلاَّ دعوةً جَبَرَ اللّهُ العُفاةَ الضُّيَّعَا

وقال ابن اللبانة: كنت مع المعتمد بأغمات، فلمَّا قاربت الصَّدَر، وأزمعت السفر، صرف حِيَلَهُ، واستنفد ما قِبَلَهُ، وبعث إليَّ مع شرف الدولة ولده. وهذا من بنيه أحسنُ الناس سَمْتًا، وأكثرهم صَمْتًا، تخجله اللفظة، وتجرحه اللحظة، حريص على طلب الأدب، مسارع في اقتناء الكتب، مثابر على نسخ الدواوين، مفتح فيها من خطِّه زهر الرياحين. بعشرين مثقالاً مرابطية وثوبين، غير مخيطين، وكتب معها أبياتًا منها[4]: [الوافر]

إليكَ النَّزْرَ مِنْ كَفِّ الأسيرِ وإنْ تقنعْ تكنْ عَينَ الشكورِ
تقبَّلْ ما يذوبُ له حياءً وإنْ عَذَرَتْهُ حالاتُ الفقير

---

(١) تزمّ الركائب: يجعل لها الزمام.
(٢) ديوان المعتمد بن عباد (ص ١٠٨).
(٣) لَعا: دعاء للعاثر، يعني: «أنعشك اللّه ونجوت».
(٤) ديوان المعتمد (ص ١٠٢).

فامتنعت من ذلك عليه، وأجبته بأبيات منها: [الوافر]

تركتُ هواك وهو شقيقُ ديني ... لئن شُقَّتْ بُرودي عن غَدُورِ
ولا كنتُ الطليقَ من الرزايا ... إذا أصبحتُ أُجحفُ بالأسير
جُذَيمة أنت، والزبّاء خانَتْ ... وما أنا من يقصّرُ عن قَصِيرِ
تُصَرِّفُ في الندى حِيَلَ المعالي ... فتسمحُ من قليل بالكثير
وأعجبُ منك أنك في ظلامٍ ... وترفعُ للعُفَاة مَنارَ نورِ
رويدك سوف توسعني سرورًا ... إذا عادَ ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلُّنِي رتبَ المعالي ... غداةَ تحلُّ في تلك القصورِ
تزيدُ على ابن مروانٍ عَطاءً ... بها وأزيد ثَمَّ على جَرِيرِ(١)
تأهَّبْ أنْ تعودَ إلى طلوعٍ ... فليس الخسْفُ ملتزمَ البدور

وأتبعتها أبياتاً منها: [الخفيف]

حَاشَ لِلَّه أنْ أُجيحَ كريمًا ... يتشكّى فَقْرًا وقد سَدَّ فَقْرا
وكفاني كلامُك الرطبُ نيلا ... كيف أُلغي درًّا وأطلب تبرًا
لم تَمُتْ إنما المكارمُ ماتتْ ... لا سقى اللَّهُ بعدك الأرضَ قَطْرَا

ورأى ابن اللبانة أحد أبناء المعتمد، وهو غلام وَسيم، وقد اتّخذ الصياغة صناعة، وكان يلقّب أيام سلطانهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة، فنظر إليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ، وقد جلس في السوق يتعلّم الصياغة، فقال: [البسيط]

شكاتُنا لك يا فخرَ العُلاَ عَظُمَتْ ... والرزءُ يعظمُ مِمَّنْ قَدْرُهُ عَظُما
طُوِّقْتَ من نائباتِ الدهرِ مُخْنُقةً ... ضاقتْ عليكَ وكم طَوَّقْتَنا نِعَمَا
وعاد طَوقُك في دكان قارعةٍ ... من بعد ما كنتَ في قصر حكى إرَمَا
صَرَّفْتَ في آلة الصوّاغ أنملةً ... لم تَدْرِ إلاَّ الندى والسيفَ والقلما
يَدٌ عَهِدْتُكَ للتقبيل تبسطها ... فتستقلُّ الثريّا أن تكون فَمَا
يا صائغًا كانت العليا تُصَاغ له ... حَلْيًا وكان عليه الحَلْيُ منتظما

---

(١) جرير: هو جرير بن عطية الخطفي الشاعر، وابن مروان: هو عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ممدوح جرير.

للنفخ في الصُّور هَولٌ ما حكاه سوى هـولِ رأيـتـك فـيـه تـنـفـخ الـفَـحَـمَـا
وودتُ إذ نـظـرتْ عيـنـي إلـيـك بـه لو أنَّ عيني تَشكو قبلَ ذاك عَمَى
ما حَطَّكَ الدهرُ لما حطَّ عن شرف ولا تَـحَـيَّـفَ مـن أخـلاقـك الـكـرمـا
لُحْ في العلا كوكبًا، إن لم تلحْ قمرًا وقُمْ بـهـا ربـوة، إن لـم تـقـم عَـلَـمَـا
واصبـرْ فـربـتـمـا[1] أحـمـدتَ عـاقـبـةً مَنْ يلزمِ الصبرَ يحمدْ غبَّ ما لزما
واللّه لو أنصفتك الشهبُ لانكسفت ولو وَفَى لك دمعُ الغَيْثِ لانسجما
أبكى حـديثك حتى الدُّرَّ حين غدا يـحـكـيـك رهـطـا وألـفـاظـا ومـبـتـسـمـا

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه اللّه تعالى[2]: وقفتُ على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات في حركة راحة أعملتها إلى الجهات المراكشية، باعثُها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١، وهو بمقبرة أغمات في نَشَز من الأرض، وقد حفَّت به سِدْرَة، وإلى جانبه قبر اعتماد حَظِيَّته مولاة رُمَيْك، وعليهما هيئة التغرّب ومعاناة الخمول من بعد الملك، فلا تملّك العين دمعها عند رؤيتها، فأنشدت في الحال: [البسيط]

قـد زرتُ قـبـرك عـن طَـوع بـأغـمـاتِ رأيـتُ ذلـك مـن أولـى الـمـهـمـاتِ
لِـمْ لا أزورك يـا أنـدى الـمـلـوك يـدًا ويـا سـراجَ الـلـيـالـي الـمُـدْلـهِـمّـاتِ
وأنت من لو تخطّى الدهرُ مَصْرَعَهُ إلى حياتي لجادتْ فيه أبياتي[3]
أنَـافَ قـبـرك فـي هَـضْـبٍ يـمـيّـزه فـتـنـتـحـيـه حَـفِـيَّـاتُ الـتـحـيّـات
كَـرُمـت حَـيًّـا ومَـيـتًّـا واشـتـهـرت عـلاً فـأنـتَ سـلـطـانُ أحـيـاءٍ وأمـوات
ما رِيءَ مثلُكَ في ماضٍ، ومعتقدي أن لا يُرَى الدَّهر في حال وفي آتِ[4]

وقد زرتُ أنا قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات سنة ١٠١٠، ورأيت فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه اللّه تعالى، فسبحان من لا يَبيدُ ملكه! لا إله إلاَّ هو.

وأخبار المعتمد كثيرة.

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٩٨): «فربما» وهكذا بنكسر الوزن.
(٢) النثر والشعر في نفاضة الجراب (ص ٥٧). وسترد هذه الأبيات في الجزء التاسع دون تغيير عمّا هنا.
(٣) في نفاضة الجراب: «وأنت مولًى تخطّى.. أجادث..».
(٤) في نفاضة الجراب: «ومعتقد... ولا آتِ». ريء: رُئي، مجهول رأى. أُخرت عينه إلى مكان اللام.

وقال وزيره أبو الوليد بن زيدون[1]: [الوافر]

متى أُخْفِ الغَرامَ يَصِفْهُ جِسْمي   بأَلْسِنَةِ الضَّنى الخُرْسِ الفِصاحِ
فلو أنَّ الثيابَ نُزِعْنَ[2] عنّي   خَفِيتُ خَفاءَ خَصْرِكِ في الوشاحِ

وقال يخاطب المعتمد[3]: [المتقارب]

وطــاعَــةُ أمْــرِكَ فَــرْضٌ أرا   ه مِـنْ كـلِّ مُـفْـتَـرَضٍ أوْكَـدَا
هي الشَّرْعُ أصبحَ دِيْنَ الضميرِ   فلو قد عَصاكَ لقد ألْحَدا

وقال فيه[4]: [الرمل]

يا نَدَى يُمْنَى أبي القاسمِ غِمْ   يا سَنَا بشرِ المُحَيَّا أشمسِ[5]
وارْتَشِفْ مَغْسُولَ ثَغْرٍ أشْنَبٍ   لحبيبٍ مِنْ عَجاجٍ أَلْعَسِ[6]

وقال[7]: [الكامل]

مهما امتدحْتُ سواكَ قَبْلُ فإنما   مَدْحي إلى مَدْحِي لك استطرادُ
تغشى[8] الميادينَ الفوارسُ حِقْبَةً   كيما يُعَلِّمَها النِّزالَ طِرادُ

وقال[9]: [الوافر]

يُحَيِّيني بِرَيحانِ التَّجَنِّي   ويصحبني مُعَتَّقة السماحِ[10]

---

(١) ديوان ابن زيدون (ص ١٩٠).
(٢) في الديوان: «فُحِصْنَ».
(٣) ديوان ابن زيدون (ص ٢٤١).
(٤) ديوان ابن زيدون (ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨).
(٥) في أصول النفح: «عِمْ» بالعين المهملة، والتصويب عن الديوان. وفي الديوان: «شمس» بدل «بشر». وغِمْ: من غامت السماء إذا كَساها الغيم.
(٦) في الديوان: «نَضْرٍ أَشْنبٍ تجتنيه من عجاجٍ..».
(٧) ديوان ابن زيدون (ص ٢٢٥).
(٨) في الديوان «يغشى».
(٩) ديوان ابن زيدون (ص ١٩٣).
(١٠) في الديوان: «تُحييني.. التحفّي ويُصْبحني..».

فها أنا قد ثَمِلْتُ مِنَ الأيادي إذا اتّصلَ اغتباقي باصطباحي[1]

وكتب إلى أبي عامر يستدعيه[2]: [السريع]

أبا المعالي، نحن في روضةٍ[3] فانقُلْ إلينا القَدَمَ العاليهْ
أنتَ الذي لو نشتري[4] ساعةً منه بدهرٍ لم تكنْ غاليهْ

وتذكّرتُ هنا قولَ بعض المشارقة فيما أظنّ: [الكامل]

لله أيامٌ مَضَتْ مأنوسةً ما كان أحْسَنَها وأنْضَرَها معا
لو ساعةٌ منها تُبَاع شَرَيْتُها ولَوَ انّها بيعتْ بعمري أجْمَعَا

رجع. وقال أبو القاسم أسعد من قصيدة المعتصم بن صُمَادح[5]: [الطويل]

وقد ذاب كحلُ الليلِ في دمع فَجْرِهِ إلى أنْ تَبَدَّى الليلُ كاللمّة الشمطا
كأنَّ الدُّجا جَيْشٌ من الزنجِ نافذٌ وقد أرسل الإصباحُ في إثره القبطا

ومنها:

إذا سارَ سارَ الجُودُ[6] تحت لوائه فليس يَحُطُّ المَجْدُ إلاّ إذا حَطّا

وقال ابن خلصة المكفوف[7] النحوي من قصيدة: [البسيط]

ملكٌ تَمَلَّكَ حُرّ المجد، لا يدُهُ نالتْ بظلمٍ ولا مالتْ إلى الْبَخَلِ
مُهَذَّبُ الجد ماضي الحدّ مضطلعٌ لما تُحَمِّله العلياءُ مِنْ ثِقَلِ
أَغَرُّ، لا وعده يخشى له أبدا خُلْفٌ ولا رأيه يؤتى من الزلل

---

(١) في الديوان: «في اصطباحي».

(٢) ديوان ابن زيدون (ص ٢٥٤).

(٣) في الديوان: «في راحةٍ».

(٤) في الديوان: «تشترى».

(٥) مطمح الأنفس (ص ٨٣) ووفيات الأعيان (جـ ٥ ص ٤٣). وانظر ما تقدم في هذا الجزء (ص ٢٠٠).

(٦) في وفيات الأعيان: «سار المَجْدُ».

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خلصة اللخمي، من أهل بلنسية، كان يدرس العربية والآداب، توفي في ألمرية سنة ٥١٩ هـ، وقيل سنة ٥٢٠ هـ، وقيل: ٥٢١ هـ. المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٥٤) والوافي بالوفيات (جـ ٣ ص ٤٢، ٢٣٢).

قد جاوزتْ نطق الجوزاء همّته   به، وما زحلتْ عن مرتقى زُحَلِ
يأبى له أن يحلَّ الذمُّ ساحَتَهُ   ما صَدَّ من جللٍ أو سَدَّ من خللِ

ومنها:

إنْ لم تكن بكُمُ حالي مُبَدَّلَةً   فما انتفاعي بعلم الحالِ والبدلِ

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صُمَادح[1]: [الكامل]

عُجْ بالحِمَى حيث الغِياضُ العِيْنُ[2]   فعسى تَعِنُّ لنا مَهَاهُ العِينُ
واسْتَقْبِلَنْ أَرَجَ النسيم فدارُهُمْ   نَدِّيَّةُ الأرجاء لا دَارِينُ
أُفُقٌ إذا ما رُمْتَ لَحْظَ شموسِهِ   صَدَّتْكَ للنَّقْعِ المُثارِ دُجُونُ
أنَّى أُراعُ لهمْ وبين جوانحي   شوقٌ يُهَوِّنُ خَطْبَهُمْ فَيَهُونُ
أنَّى يَهابُ[3] ضِرابَهُمْ وطِعَانَهُمْ   صَبٌّ بألحاظِ العيونِ طعينُ
فكأنما بِيضُ الصِّفاحِ جداولٌ   وكأنما سُمْرُ الرماحِ غُصُونُ
ذَرْني أَسِرْ بين الأَسِنَّةِ والظُّبا   فالقلبُ في تلك القِبابِ رَهِينُ
يا رَبَّةَ القُرْطِ المُعِيرِ خُفُوقَهُ   قلبي، أَمَا لِحِراكِهِ تسكينُ
توريدُ خدِّكِ للصبابةِ مَوردٌ   وفُتُورُ طَرْفِكِ للنفوس فُتُونُ
فإذا رَمَقْتِ فَوَحْيُ حُبِّكَ مُنْزَلٌ   وإذا نَطَقْتِ فإنه تَلْقِينُ

ومنها في وصف قصر:

رأسٌ بظهرِ النُّونِ إلاَّ أنه   سام، فقُبَّتُهُ بحيثُ النُّونُ
هو جَنَّةُ الدنيا تَبَوَّأ نُزْلَهَا   مَلِكٌ تملَّكه التُّقَى والدِّينُ
فكأنما الرحمنُ عَجَّلَها له   ليرى بما قد كان ما سيكون
وكأنَّ بانِيَهُ سِنِمَّار[4] فما   يَغْدُوه تحسينٌ ولا تَحْصِين

---

(١) ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ٢٦٥ ـ ٢٧٤) وتقدم صدر البيت الأول في هذا الجزء (ص ١٩٩) وجاء هناك: «الظباء» بدل «الغياض».
(٢) في الديوان: «الغِيْنُ».
(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٤١): «يصابُ».
(٤) سِنِمار: بناء روميّ بني بظهر الكوفة قصر الخورنق للنعمان بن امرىء القيس بن ربيعة اللخمي.

وجـزاؤه فـيـه نـقـيـضُ جَـزائِـهِ   شـتّـانَ مـا الإحـيـاءُ والـتَّـحْـيـيـن

ومنها في المديح:

لا تُلْقَحُ[1] الأحكامُ حَيْفًا عنده   فـكـأنـهـا الأفـعـالُ والـتـنـويـنُ

ومنها:

وبَدَا هِلالُ الأُفْقِ أَحْنَى ناسِخًا   عَهْدَ الصِّيام كأنه الْعُرْجُونُ[2]

فكأنَّ بَينَ الصومِ خَطَّط نحوه   خَطًّا خَفِيًّا بَانَ منه النُّونُ[3]

وقال عبد الجليل بن وَهْبون: [الكامل]

زعموا الغزالَ حكاه قلتُ لهم: نعم   في صَـدِّهِ عـن عـاشـقـيـه وهـجـرِهِ

وكـذا يـقـولـون الـمُـدَامُ كـريـقِـهِ   يا ربَّ مـا عـلـمـوا مـذاقـة ثـغـرِهِ

وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب الأندلسي: [المنسرح]

قـالـوا: تـدانـيـتَ من وداعـهـمُ   ولم نَرَ الصبرَ عنك مغلوبا

فـقـلـتُ: لـلـعـلـم أنـنـي بـغـدٍ   أسـمـع لـفـظَ الـوداع مـقـلـوبـا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة[4]: [مخلع البسيط]

إذا دهـاكَ الـوداعُ فـاصـبـرْ   ولا يـروعَـنَّـكَ الـبِـعـادُ

وانـتـظـرِ الـعَـودَ عـن قـريـبٍ   فـإنَّ قَـلْـبَ الـوَداعِ عـادُوا

وقال ابن اللَّبَّانة: [الخفيف]

إن تكنْ تبتغي القتالَ فَدَعْني   عنكَ في حَومَة القتالِ أُحامي

خُذْ جَناني عن جُنّةٍ، ولساني   عن سنانٍ، وخاطري عن حُسام

وقال القزاز يمدح ابن صُمَادح، وخلط النسيب بالمديح: [المتقارب]

---

(١) في الديوان: «لا تألف».

(٢) قوله: «ناسخًا عهد الصيام»: يريد أنه يُزيل عهد الصيام. يقول: بَدَا هلال الأُفُق أَحْدَبَ كالعُرْجون، مشيرًا إلى نهاية شهر رمضان المبارك.

(٣) يقول: لم نَعُدْ نرى من الهلال سوى خطٍّ خفيّ بان منه حرف النون، ممّا يُبَشِّر بقدوم عيد الفِطر.

(٤) تقدم البيتان في الجزء الأول ببعض الاختلاف في البيت الأول.

نَفَى الحبُّ عن مقلتيَّ الكَرَى ... كما قد نفى عن يديَّ العَدَمْ
فقد قرَّ حُبُّكَ في خاطري ... كما قَرَّ في راحتيك الكَرَمْ
وفَرَّ سلوّكَ عن فكرتي ... كما فَرَّ عن عرضِهِ كلُّ ذَمْ
فَحُبِّي ومفخره باقيا ... ن لا يذهبانِ بطول القِدَمْ
فأبقى لي الحبَّ خالٌ وجَدٌّ ... وأبقى له الفخرَ خالٌ وعَمّ

وقال أبو الحسن بن الحاج: [الطويل]

أذوبُ اشتياقًا يومَ يحجبُ شَخْصَهُ ... وإني على رَيبِ الزمانِ لقاسي
وأَذْعَرُ منه هيبةً وَهُوَ المُنَى ... كما يذعرُ المخمورَ أولُ كاسِ

وقال: [المنسرح]

من لي بِطَرْفٍ كأنني أبدًا ... منه بغيرِ المُدامِ مخمورُ
ما أصدقَ القائلين حين بَدَا: ... عاشقُ هذا الجمالِ معذورُ

وقال: [المتقارب]

أبا جعفرٍ، مات فيك الجمالُ ... فأظهرَ خدُّك لبس الحدادِ
وقد كان يُنبتُ نورَ الربيع ... فقد صار يُنْبِتُ شَوْكَ الْقَتَادِ[1]
فهل كنتَ مِنْ عبد شمسٍ فأخشى ... عليكَ ظهورَ شعارِ السوادِ

وقال، وما أحكمه: [السريع]

ما عجبي مِنْ بائعٍ دينَهُ ... بلذّةٍ يبلغُ فيها هواهْ
وإنما أعجبُ مِنْ خاسرٍ ... يبيعُ أُخْراه بدنيا سواهْ

وقال من مُخَمسة يرثي فيها ابن صمادح، ويندب الأندلس زمن الفتنة: [الرجز]

مَنْ لي بمجبولٍ على ظلم البَشَرْ ... صَحَّفَ في أحكامه حاء الحَوَرْ[2]
مَرَّ بنا يسحبُ أذيالَ الْخَفَرْ ... ما أحْسَدَ الظبيَ له إذا نَفَرْ

وأشبه الغُصْنَ به إذا خَطَرْ

كافورةٌ قد طُرِّزَتْ بِمِسْكِ ... جوهرةٌ لم تمتهنْ بِسِلْكِ

---

(١) القَتادُ: شجر صلبٌ له شوك كالإبر.

(٢) أراد أنه صيّر «الحور» «الجور»، فكان جائرًا في حكمه.

نبذتُ فيها وَرَعِي ونُسْكِي بَعْدَ لجاجي في التقى ومحكي
فاليومَ قد صَحَّ رجوعي واشتهرْ

نهيتُ قِدْمًا ناظري عن نظرِ علمًا بما يجني ركوبُ الغررِ
وقلتُ عَرِّجْ عن سبيلِ الخطرِ فاليومَ قد عاين صدقَ الخبرِ
إذ بات وقفًا بين دمعٍ وسَهَرْ

سقى الحَيَا عَهْدًا لنا بالطاقِ معتركِ الألبابِ والأحداقِ
ومُلتقي الأنفسِ والأشواقِ أيأس فيه الدَّهر عن تلاقي
وربما ساءك دهرٌ ثم سَرّ

أَحْسِنْ به مُطَّلعًا ما أغربا قابل من دجلةَ مرأى معجبا
إنْ طلعتْ شمسٌ وقد هَبَّتْ صَبَا حسبته ينشرُ بُرْدًا مُذْهَبا
بمنظرٍ فيه جِلاءٌ لِلْبَصَرْ

يَا رُبَّ أرضٍ قد خلتْ قصورها وأصبحتْ آهلَةً قبورُها
يُشْغَلُ عن زائرها مَزُورُهَا لا يأملُ العودةَ مَنْ يزورُها
هيهات: ذاك الورد ممنوع الصَّدَرْ

تنتحبُ الدنيا على ابن مَعْنِ كأنها ثَكْلَى أصيبتْ بابن
أكرمِ مأمولٍ ولا أستثني أُثني بنُعْمَاهُ ولا أُثنِّي
والروضُ لا يُنْكِرُ معروفَ المَطَرْ

عَهْدي به والمُلْكُ في ذِمارِهِ والنصرُ فيما شاء من أنصارِهِ
يَطْلُعُ بَدْرُ التِّمِّ مِنْ أزرارِهِ وتَكْمُنُ العفَّةُ في إزارِهِ
ويَخضُرُ السؤددُ أيانَ خَضَرْ

قُلْ للنوى جَدَّ بنا انطلاقُ ما بعدتْ مصرُ ولا العِراقُ
إذا حَدَا نحوهما اشتياقُ ومن دواء المللِ الفراقُ
ومن نأى عن وطنٍ نالَ وَطَرْ

سار بذي بردِ من الإصباحِ   راكبُ نَشْوَى ذاتِ قصدٍ صاحِ
مسودّةٍ مبيضّةِ الجناحِ   تسبحُ بين الماء والرياحِ
بِزَوْرِها عن طافحِ الموج زَوَرْ[1]

يقتحمُ الهولَ بها اغترارا   في فتيةٍ تَحسبها سُكَارَى
قد افترشْنَ الْمَسَدَ[2] المُغَارَا   حتى إذا شارفتِ المنارا
هَبَّ كما بَلَّ العليلُ المحتضرْ

يؤمُّ عدل الملك الرضيِّ   الهاشميِّ الطاهرِ النقيِّ
والمجتبى مِنْ ضئضىءِ[3] النبيِّ   من ولد السفّاح والمهديِّ
فخر معدّ ونزارٍ ومُضَرْ

حيث تَرَى العباسَ يُسْتسقى بِهِ   والشرفُ الأعظمُ في نِصابِهِ
والأمر موقوفًا على أربابِهِ   والدينَ لا تختلط الدنيا بِهِ
وسيرةَ الصِّدِّيقِ تمضي وعُمَرْ

وقال ابن خفاجة في صفة قَوْس[4]: [الكامل]

عوجاءُ تُعْطَفُ ثم تُرْسَلُ تارةً   فكأنما هيَ حَيَّةٌ تَنْسابُ
وإذا انحنَتْ[5] والسهمُ منها خارجٌ   فهيَ الهلالُ انقضَّ منه شِهَابُ

وقال[6]: [الكامل]

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٤٥): «يزورها.. المرج..».
(٢) المَسَدُ، بالفتح: حَبْلٌ من ليف. وفي القرآن الكريم: ﴿في جِيدِها حَبْلٌ من مَسَدٍ﴾. سورة المسد ١١١، الآية: ٥.
(٣) الضئضىء: الأصل.
(٤) ديوان ابن خفاجة (ص ٣٥).
(٥) في طبعة عبد الحميد: «انْتَحَتْ».
(٦) ديوان ابن خفاجة (ص ٢٠٨)، وتقدم البيتان في الجزء الأول وجاء هناك: «فعسى» بدل «وعسى».

وعَسَى الليالي أنْ تَمُنَّ بِنَظْمِنا[1] عِقْدًا كما كُنَّا عليه وأَكْمَلاَ
فَلَرُبَّما نُثِرَ الْجُمَانُ تَعَمُّدًا لِيُعادَ[2] أَحْسَنَ في النظامِ وأَجْمَلاَ

وهو من قول مهيار: [المتقارب]

عسى اللَّهُ يَجْعَلُها فُرْقَةً تعودُ بأكملِ مُسْتجمعِ

وقول المتنبي: [الوافر]

سألتُ[3] اللَّه يجعلُهُ رحيلاً يُعِينُ على الإقامة في ذَرَاكَا

وقال[4]: [السريع]

اِقْضِ على خِلِّكَ أو ساعِدِ عِشْتَ بِجَدّ في العُلا صاعِدِ
فقد بكى جَفْني دَمًا سائِلاً حتى لقد ساعَدَهُ ساعدي[5]

وقال[6]: [السريع]

وأسودٍ يَسْبَحُ في بِرْكةٍ[7] لا تَكْتِمُ الحَصْباءَ غُدْرَانُها
كأنها في صفوها مُقْلَةٌ زرقاءُ والأسودُ إنسانُها[8]

وقال[9]: [الكامل]

حَيَّا بها ونسيمُهَا كنسيمِهِ فشربْتُها[10] من كَفِّهِ في وِدِّهِ
مُنْساغةً فكأنها من رِيقِهِ مُحْمَرَّةً فكأنها من خَدِّهِ

---

(١) في الديوان: «بجمعنا».
(٢) في الديوان: «ليكون أحسن».
(٣) في العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب (ص ٦٢٠): «لعلَّ اللَّهَ..».
(٤) ديوان ابن خفاجة (ص ٨٥).
(٥) يريد أنه يمسح بساعده جفنه فكأنه ساعده على السيلان.
(٦) ديوان ابن خفاجة (ص ٢٦٤)، وتقدم البيتان في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٧) في الديوان: «في لُجّة».
(٨) في الديوان: «في شكلها مقلة وذلك الأسودُ..».
(٩) ديوان ابن خفاجة (ص ٩٣).
(١٠) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٤٦): «فشربته».

وقال [1]: [الطويل]

لَعَمْرِيَ لو أضعتُ في منهج التقى ... لكان لنا في كلِّ صالحةٍ نَهْجُ
فما يستقيمُ الأمرُ والمَلْكُ جائرٌ ... وهل يستقيمُ الظِّلُّ والعُودُ مُعْوَجُّ

وقال يرثي صديقًا من أبيات [2]: [الطويل]

تَيَقَّنَ أنَّ اللَّهَ أكرمُ جيرةٍ ... فأزمَعَ عن دارِ الحياةِ رَحِيلاَ
فإنْ أَقْفَرَتْ منه العيونُ فإنه ... تَعَوَّضَ منها بالقلوبِ بديلا
ولم أَرَ أُنْسًا قَبْلَهُ عادَ وَحْشَةً ... وبَرْدًا على الأكبادِ عاد غليلا
ومَنْ تكُ أيامُ السرور قصيرةً ... به كان ليلُ الحُزْنِ فيه طويلا

وقال[3]: [المتقارب]

تَفاوَتَ نَجْلاَ أبي جعفرٍ ... فمن مُتَعالٍ ومن مُنْسَفِلْ
فهذا يمينٌ بها أَكْلُهُ ... وهذا شمالٌ بها يَغْتَسِلْ

وقال ابن الرفاء: [الطويل]

ولَمَّا رأيتُ الغربَ قد غصَّ بالدُّجا ... وفي الشرق من ضوءِ الصباح دلائلُ
تَوَهَّمْتُ أنَّ الغربَ بحرٌ أخوضُهُ ... وأنَّ الذي يبدو من الشرق ساحل

وقال أبو محمد بن عبد البر الكاتب: [مجزوء الكامل]

لا تُكْثِرَنَّ تأمُّلاً ... وامسكْ عليك عِنَانَ طَرْفِكْ
فلربما أرْسَلْتَه ... فرماكَ في ميدان حَتْفِكْ

وقال أبو القاسم السميسر[4]: [مخلع البسيط]

يا آكلاً كُلَّ ما اشتهاهُ ... وشاتمَ الطِّبِّ والطبيبِ
ثمارَ ما قد غَرَسْتَ تَجْني ... فانتظرِ السُّقْمَ عن قريبِ

---

(١) ديوان ابن خفاجة (ص ٦٣).
(٢) ديوان ابن خفاجة (ص ٢١٣).
(٣) ديوان ابن خفاجة (ص ٢٢١).
(٤) الأبيات في الذخيرة (ق ١ ص ٨٩٢) والمغرب (جـ ٢ ص ١٠٠).

يَجْتَمِعُ الداءُ كلَّ يومٍ أغذيَةُ السُّوءِ كالذنوبِ

وكان كثير الهجاء، وله كتاب سماه بـ «شفاء الأمراض، في أخذ الأعراض» والعياذ بالله تعالى.

ومن قوله: [مخلع البسيط]

خُنتُمْ فَهُنتُمْ وكم أَهَنتُمْ زَمَانَ كنتمْ بلا عيونْ
فأنتمُ تحت كلِّ تحتٍ وأنتمُ دون كلِّ دُونِ
سكنتُمُ يا رياحَ عادٍ وكلُّ ريحٍ إلى سُكُونْ

وقال[1]: [مخلع البسيط]

يا مُشْفِقًا مِنْ خُمُولِ قومٍ ليس لهمْ عندنا خَلاَقُ[2]
ذَلُّوا ويا طالما أذلُّوا دَعْهُمْ يذوقوا الذي أذاقوا

وقال: [الطويل]

وليتمْ فما أحسنْتُمُ مذ وليتُمُ ولا صنتُمُ عَمَّنْ يصونكُمُ عِرْضَا
وكنتُمْ سماءً لا يُنَالُ منالُها فصرتُمْ لدى مَنْ لا يسائِلُكُمْ أرضا
ستسترجعُ الأيامُ ما أقْرَضْتكُم ألاَ إنها تسترجعُ الدِّينَ والقَرْضا

وقال ابن شاطر السَّرَقُسْطي: [الكامل]

قد كنت لا أدري لأيَّةِ علَّةٍ صار البياضُ لباسَ كلِّ مُصابِ
حتى كساني الدهرُ سَحْقَ ملاءة بيضاءَ مِنْ شيبي لِفَقْدِ شبابي
فبذا تبين لي إصابةُ مَنْ رأى لبسَ البياض على نَوَى الأحباب

وهذه عادة أهل الأندلس، ولهذا قال الحُصْري: [الوافر]

إذا كان البياضُ لباسَ حُزْنٍ بأندلسٍ فذاك من الصوابِ
ألم تَرَنِي لبستُ بياضَ شيبي لأني قد حزنتُ على الشباب

---

(١) الذخيرة (ق ١ ص ٨٨٦).
(٢) الخلاق، بفتح الخاء: النصيب الوافر من الخير.

وما أحسن قوله رحمه اللّه تعالى: [الكامل]

لو كنت زائرتي لراعك منظري ... ورأيتِ بي ما يصنعُ التفريقُ
ولحال من دمعي وحَرِّ تنفُّسي ... بيني وبينك لُجَّةٌ وحريقُ

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسًا: [الطويل]

على سابحٍ فَرْدٍ يفوتُ بأربعٍ ... له أربعًا منها الصَّبَا والشمائلُ
مِنَ الفُتْخِ خوّار العنانِ كأنه ... مع البرقِ سارٍ أو مَعَ السَّيلِ سائلُ

وقال ابن عبد الحميد البرجي: [الوافر]

أَرِحْ مَتْنَ المُهَنَّدِ والجوادِ ... فقد تَعِبَا بجدّكَ في الجهادِ
قضيتَ بعزمةٍ حقَّ العوالي ... فقضْ براحةٍ حَقَّ الهوادي

وقال عبادة: [الرمل]

إنما الفتحُ هِلالٌ طالعٌ ... لاحَ مِنْ أزرارِهِ في فَلَكِ
خَدُّهُ شمسٌ، وليلٌ شَعْرُهُ ... مَنْ رأى الشمس بَدَتْ في حَلَكِ

وقال ابن المطرف المنجم: [البسيط]

يرى العواقبَ في أثناء فكرته ... كأنَّ أفكارَهُ بالغيبِ كُهَّانُ
لا طَرْفَةٌ منه إلاَّ تحتها عملٌ ... كالدهرِ لا دورةٌ إلاَّ لها شانُ

وقال أبو الحسن بن اليسع: [مخلع البسيط]

راموا ملامي وكان إغْرَا ... وذمَّ حبِّي وكان إطْرا
لو علم العاذلون ما بي ... لانقلبتْ فيه لامُهُمْ را

وقال: [المجتث]

لَمّا قَدمْتَ وعِنْدي ... شطرٌ من الشوق وَافِي
قدَّمْتُ قلبي قبلي ... فَصُنْهُ حتى أُوافي

ولَمّا خاطب المستنصرُ ملكُ إفريقية ابنَ سيد الناس بقوله: [البسيط]

ما حالُ عينيك يا عينَ الزمان فقد ... أَوْرَثْتَني حَزَنًا مِنْ أجل عينيكا
وليس لي حليةٌ غيرُ الدعاء فيا ... ربّ براوي الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ أبو المطرف بن عميرة المخزومي خدمة عن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس: [البسيط]

مولاي حالهما واللَّه صالحةٌ لمّا سألتَ فأعلى اللَّه حاليكا
ما كان من سَفَرٍ أو كان من حضرٍ حتى تكونَ الثريّا دون نَعْليكا

وقال الأديب أبو العباس الرصافي، وهو من أصحاب أبي حيان: [الكامل]

هذا هلال الحسنِ أطلعَ بيننا وجميعُنَا بحلى محاسنه شُغِفْ
لَمّا رأى صِلُّ العِذار بخدِّه ماءَ النعيم أتى إليه ليرتشفْ
فكأنَّ ذاك الخدَّ أنكرَ أمْرَهُ فاحمرَّ مِنْ حَنَقٍ عليه وقال قِفْ

وقال: [الكامل]

وعشيَّةٍ نَعِمَتْ بها أرواحُنا والخمرُ قد أخذتْ هنالك حَقَّها
وكأنما إبريقُنا لما جَثَا ألقى حديثًا للكؤوس وقهقها

وقال الإمام الحافظ أبو الربيع بن سالم: [السريع]

كأنما إبريقُنا عاشقٌ كَلَّ عن الخطو فما أَعْمَلَهْ
غازل من كأسي حبيبًا له فكلّما قَبَّلَهُ أَخْجَلَهْ

وقال أبو القاسم بن الأبرش(١): [الوافر]

رأيتُ ثلاثةً تَحْكي ثلاثًا إذا ما كُنْتَ في التشبيه تُنْصِفْ
فتنجو النيلُ مَنْفَعَةً وحُسْنًا وشنترّينُ مصرُ، وأنت يوسفْ(٢)

وقال في غريق، وقيل: إنه مِمّا تمثّل به: [السريع]

الحمدُ للَّه على كلِّ حالْ قد أطفأ الماءُ سراجَ الجَمالْ
أطفأه ما كان مَحْيًا له قد يطفىء الزيتُ ضياءَ الذبالْ(٣)

---

(١) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٦٧).
(٢) في المقتضب: «فتايو النيلُ.. ومصرٌ شنترين». ويريد بـ «تَنْجو» نهر تاجه Tajo.
(٣) الذبال: جمع ذبالة وهي فتيلة القنديل.

وهو القائل أيضًا: [البسيط]

لـو لـم يـكـن لـيَ آبـاء أسـودُ بـهـم ولمن يؤسسْ رجالُ الغرب لي شرفا
ولـم أنلْ عـنـد مَـلْـكِ العصر منزلَةً لكان في سيبويهِ الفخرُ لي وكَفَى
فكيف علمٌ ومجدٌ قد جمعتهما وكـلّ مـخـتـلـقٍ فـي مـثـلِ ذا وقـفـا

وقال أبو الحسن بن حريق: [الرمل]

أصبحتْ تدميرُ مصرًا كاسمها وأبـو يـوسـفَ فـيـهـا يـوسـفـا

وقال أبو القاسم بن العطار الإشبيلي في بعض الْهَوزَنيين وقد غرق في نهر طلبيرة عند فتحها[1]: [الطويل]

ولَـمّـا رأَوْا أنْ لا مَـقَـرَّ لـسـيـفـه سوى هامِهِم لاذوا بأجرأ منهُمُ
فكان من النهر المعين معينُهُمْ ومِنْ ثُلَمِ السدِّ الحسامُ المثلم
فيا عجبًا للبحر غالَتْهُ نُطْفَةٌ ولـلأَسَـدِ الـضِّـرْغـامِ أَزداهُ أَرْقَـمُ

وقال أبو العباس اللص[2]: [المتقارب]

وقـائـلـةٍ والـضَّـنَـا شـامـلـي عَـلامَ سـهـرتَ ولـم تـرقـدِ
وقد ذابَ جسمُكَ فوق الفرا شِ حتى خفيتَ على العُوَّدِ
فـقـلـتُ وكـيـف أُرى نـائـمًـا ورائـي الـمـنـيّـة بـالـمـرصـد

ولَمّا قرىء عليه ديوان أبي تمام، ومَرَّ فيه وصفُ سيف، قال: أنا أشعر منه حيث أقول[3]: [الوافر]

تـراه فـي غَـداةِ الـغَـيْـم شَـمْـسًـا وفي الظَّلْماء نَجْمًا أو ذبالا
يـروعـهـمُ مـعـايـنـةً ووَهْـمًـا ولـو نـامـوا لَـرَوّعـهـمْ خـيـالا

وقال أبو إسحاق الإلبيري[4]: [الطويل]

---

(١) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٨٥) والبيت الثالث في المغرب (ج ١ ص ٢٥٩).
(٢) التكملة (ص ٨٠).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ديوان أبي إسحٰق الإلبيري (ص ١٥٩) والتكملة (ص ١٣٧).

تمر لِذَاتِي واحدًا بعد واحدِ   وأعلم أني بعدهم غيرُ خالدِ
وأحملُ موتاهمْ وأشهدُ دَفْنَهُمْ   كأني بعيدٌ عنهُمُ غير شاهد
فها أنا في علمي لهمْ وجهالتي   كمستيقظٍ يرنو بِمُقْلَةِ راقدِ

قيل: ولو قال في البيت الثاني:

كأنّيَ عنهمْ غائبٌ غيرُ شاهدِ

لكان أحسن وأبدع وأبرع في الصناعة الشعرية، قاله ابن الأبار رحمه اللّه تعالى.

وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة[1]: [المتقارب]

إذا خانك الرزقُ في بلدةٍ   ووافاك مِنْ هَمِّها ما كَثُرْ
فمفتاحُ رزقكَ في بلدة   سواها فرِدْها تَنَلْ ما يَسُرْ
كذا المبهماتُ بوسطِ الكتا   ب مفتاحُها أبدًا في الطُّرَرْ

وقال أبو الطاهر إسماعيل الخشني الجياني المعروف بابن أبي ركب، وقيل: إن أخاه الأستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك[2]: [مجزوء الوافر]

يقولُ الناسُ في مَثَلٍ   تَذَكَّرْ غائبًا تَرَهْ
فمالي لا أرى سكني   ولا أنسى تَذَكُّرَهُ

وأنشد أبو المعالي الإشبيلي الواعظ بمسجد رحبة القاضي من بَلَنْسِية أبياتًا منها[3]: [مجزوء الرمل]

أنا في الغربة أبكي   ما بَكَتْ عينُ غريبِ
لم أكنْ يومَ خروجي   مِنْ بلادي بمصيبِ
عجبًا لي ولِتَرْكي   وَطَنًا فيه حبيبي

وقال أبو القاسم بن الأنقر السَّرَقُسْطي[4]: [الكامل]

إِحْفَظْ لسانَكَ والجوارحَ كلَّها   فلكلِّ جارحةٍ عليكَ لسانُ

---

(١) التكملة (ص ١٨٤).
(٢) التكملة (ص ١٨٥). وسيرد البيتان في هذا الجزء (ص ٣٠٠) وفي الجزء السادس.
(٣) التكملة (ص ١٩٦).
(٤) التكملة (ص ٣٠١).

واخزنْ لسانك ما استطعتَ فإنه ... ليثٌ هَصُورٌ والكلامُ سِنانُ

وقال أبو القاسم خلف بن يحيىٰ بن خطاب الزاهد، مِمّا نسبه لأبي وهب الزاهد[1]: [الخفيف]

قد تخيرتُ أنْ أكونَ مخفًّا ... ليس لي مِنْ مَطِيِّهِمْ غير رِجْلي
فإذا كنتُ بين ركبٍ فقالوا ... قدّموا للرحيل قَدَّمْتُ نعلي
حيثما كنتُ لا أُخلِّفُ رحلاً ... من رآني فقد رآني ورحلي

وقال أبو عبد اللّه بن محمد بن فتح الأنصاري الثَّغري[2]: [البسيط]

كم من قويٍّ قويٍّ في تقلُّبِهِ ... مهذَّبِ الرأي عنه الرزقُ ينحرفُ
ومن ضعيفٍ ضعيفِ الرأي مختبل ... كأنه من خليجِ البحرِ يغترفُ

وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب[3]: [الوافر]

مَضَتْ أعمارُنا ومَضَتْ سِنُونَا ... فلم تظفرْ بذي ثقة يَدَانِ
وجَرَّبْنا الزمانَ فلم يَفِدْنا ... سوى التخويفِ من أهل الزمانِ

وحكي عن الفقيه الأديب النحوي أبي عبد اللّه محمد بن ميمون الحسيني، قال[4]: كانت لي في صَبوَتي جارية، وكنت مُغْرَى بها، وكان أبي، رحمه اللّه، يَعْذِلني ويعرض لي ببيعها؛ لأنها كانت تشغلني عن الطلب والبحث عليه، فكان عَذْلُهُ يزيدني إغراء بها، فرأيت ليلة في المنام كأنَّ رجلاً يأتيني في زيّ أهل المشرق كلُّ ثيابه بيض، وكان يُلْقَى في نفسي أنه الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي اللّه تعالى عنهما، وكان ينشدني: [الكامل]

تصبو إلى مَيٍّ، ومَيٌّ لا تَني ... تَزْهُو ببلواكَ التي لا تنقضي
وفخارك القومُ الأُلى ما منهمُ ... إلاّ إمام أو وصيٌّ أو نبي
فاثْنِ عنانَكَ للهُدَى عن ذي الهوى ... وخَفِ الإلٰهَ عليك ويحك وارْعَوِي

---

(1) التكملة (ص ٣٠٤).
(2) التكملة (ص ٣٧٥).
(3) التكملة (ص ٣٧٨).
(4) التكملة (ص ٣٩٦).

قال: فانتبهت فزعًا مفكرًا فيما رأيته، فسألت الجارية: هل كان لها اسم قبل أن تتسمّى بالاسم الذي أعرفه؟ فقالت: لا، ثم عاودتها حتى ذكرت أنها كانت تسمى ميّة، فبعتها حينئذ، وعلمت أنه وعظٌ وعظني الله به عزّ وجلّ، وبشرى.

وقال ابن الحداد أوّل قصيدته «حديقة الحقيقة»[1]: [الخفيف]

ذَهَبَ الناسُ فانفرادي أنيسي ... وكتابي مُحَدِّثي وجليسي
صاحبٌ قد أمِنْتُ منه مَلالاً ... واختلالاً وكلُّ خَلْق بَئِيسِ
ليس في نوعه بحيٍّ ولكنْ ... يلتقي الحَيُّ منه بالمَرْمُوسِ

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء[2]: [السريع]

ألحاظُكُمْ[3] تجرحُنا في الْحَشَا ... ولَحْظُنا يجرحُكُمْ في الخدودْ
جُرْحٌ بجرحٍ فاجعلوا ذا بذا ... فما الذي أوجبَ جرحَ الصدودْ

وقال ابن النعمة: إنهما لابن شرف، وقد ذكرناهما مع جوابهما في غير هذا الموضع.

وقال المعتمد بن عباد[4]: [البسيط]

اِقْنَعْ بحظِّكَ في دُنياكَ ما كانا ... وعَزِّ نَفْسَكَ إنْ فارَقْتَ أوطانا
في اللهِ مِنْ كلِّ مفقودٍ مضى عِوَضٌ ... فأشْعِرِ القلبَ سلوانًا وإيمانا
أكلّما سنحتْ ذكرى طربتَ لها ... مَجَّتْ دموعُك في خدّيك طوفانا
أَمَا سمعتَ بسلطانٍ شبيهِكَ قد ... بَزَّتْهُ سودُ خطوبِ الدهرِ سلطانا
وَطِّنْ على الكره وارْقَبْ إثره فرجًا ... واستغفرِ اللّهَ تغنمْ منه غفرانا

وقال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة[5]: [البسيط]

---

(١) ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩) والتكملة (ص ٣٩٩).
(٢) البيتان للشاعرة أَمَة العزيز كما سيردان في هذا الجزء (ص ٣٠٩) ببعض الاختلاف عمّا هنا، وهما في التكملة (ص ٤١٥) والمطرب (ص ٦).
(٣) في المطرب: «لِحاظُكُمْ».
(٤) ديوان المعتمد بن عباد (ص ١١٤) والتكملة (ص ٤٢٧).
(٥) التكملة (ص ٤٦٣).

بقِيّةٌ من بقايا الرومِ معجبةٌ أبْدَى البُناةُ بها من علمهم حكما
لم أَدرِ ما أضمروا فيه سوى أُمم تتابَعَتْ بَعْدُ سَمَّوْهُ لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبِّهه حقًّا لقد بردَ الأيامَ والأمما
كأنه واعظٌ طالَ الوقوفُ به مِمّا يحدِّثُ عن عاد وعن إرَما
فانظرْ إلى حَجَر صَلْد يكلّمنا أسمى وأوعظَ من قُسّ[1] لمن فهما

قيل: لو قال مكان «حكما» «علما» لأحسن.

وقال السميسر[2]: [المتقارب]

إذا شِئْتَ إبقاءَ أحوالكا فلا تُجْرِ جَاهًا على بالِكا
وكُنْ كالطريق لِمُجْتازِها يَمرُّ وأنتَ على حالِكا

وقال[3]: [مجزوء الرمل]

هُنْ إذا ما نِلْتَ حظًّا فأخو العقلِ يهونُ
فمتى حَطَّكَ دهرٌ فكما كنتَ تكونُ

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي: أنشدني أبو محمد الشلبي، أنشدني أبو بكر بن منخل، لنفسه[4]: [الطويل]

مَضَتْ ليَ سِتٌّ بَعْدَ سبعينَ حجّةً ولي حركاتٌ بعدها وسكونُ
فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى يكونُ الذي لا بُدَّ أنْ سيكونُ

وقال أبو محمد عبد الحق الإشبيلي[5]: [البسيط]

لا يخدعَنَّكَ عن دِين الهدى نَفَرٌ لم يُرْزَقُوا في التماس الحقِّ تأييدا
عُمْيُ القلوبِ عَرُوا عن كلّ فائدةٍ لأنهم كفروا بالله تقليدا

---

(١) هو قس بن ساعدة الإيادي أحد خطباء العرب المشهورين في الجاهلية.
(٢) التكملة (ص ٤٧٠).
(٣) التكملة (ص ٤٧٠).
(٤) التكملة (ص ٤٩٦). وسيأتيان في الجزء السادس ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٥) التكملة (ص ٦٩٩).

وقال أبو محمد بن صارة[1]: [الوافر]

بنو الدنيا بجَهْلٍ عَظَّمُوها   فَعَزَّتْ عندهم وهي الحقيرَهْ
يُهارِشُ بَعْضُهُم بعضًا عليها   مُهَارَشَةَ الكلاب على العقيرَهْ[2]

وقال: [الكامل]

اِسْعَدْ بمالِكَ في الحياة ولا تَكُنْ   تُبْقِي عليه حِذَارَ فَقْرٍ حادثِ
فالبخلُ بين الحادثين، وإنما   مالُ البخيلِ لحادثٍ أو وارثِ

ودخل أبو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد بن رشد، فأنشده ارتجالاً[3]: [مخلع البسيط]

قد قام لِيَ السَّيِّدُ الهمامُ   قاضي قضاةِ الورى الإمامُ
فقلتُ قُمْ[4] بي ولا تَقُمْ لي   فقلّما يؤكلُ القيام

وقال الحافظ أبو محمد ابن حزم[5]: [الخفيف]

لا تَلُمْني لأنْ سُبِقْتُ لحظٍّ   فاتَ إدْرَاكُهُ ذَوِي الألبابِ
يَسْبِقُ الكلبُ وَثْبَةَ اللَّيثِ في العَدْ   وِ ويَعْلو النُّخَالُ فوق اللُّبابِ

وقال أبو عبد الله الجبلي الطبيب القرطبي[6]: [البسيط]

اشْدُدْ يديك على كلبٍ ظفرتَ به   ولا تَدَعْهُ فإنَّ الناسَ قد ماتوا

قلت: تذكرت بهذا قول الآخر: [البسيط]

اشْدُدْ يَدَيْكَ بكلبٍ إن ظَفِرْتَ به   فأكثرُ الناس قد صاروا خنازيرا

---

(١) التكملة (ص ٨١٧)، وسيأتيان في الجزء السادس وجاء هناك «فَجَلَّتْ» بدل «فَعَزّتْ» في البيت الأول.
(٢) يهارش: يخاصم، والهراش للكلاب. العقيرة: ما عقر من صيد أو غيره.
(٣) التكملة (ص ٨٢٤).
(٤) قوله «قُمْ بي»: يريد تَكَفَّلْ بشؤوني واضمن لي معاشي.
(٥) البيتان في التكملة (ص ٨٧٥) وقد تقدما في الجزء الثاني ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٦) التكملة (ص ٩٠٩).

وقال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية: [مجزوء الخفيف]

عاشِرِ الناسَ بالجميـ ... ـلِ وسُدْ وقارِبِ
واحترسْ من أذى الكرا ... م وَجُدْ بالمواهب
لا يسودُ الجميعَ من ... لم يَقُمْ بالنوائب
ويحوطُ الأذى ويرْ ... عى ذِمامَ الأقارب
لا تواصلْ إلاّ الشريـ ... ـفَ الكريمَ المناصبِ
من له خيرُ شاهدٍ ... وله خيرُ غائبِ
واجتنبْ وَصْلَ كلِّ وَغْـ ... ـدٍ دنيءِ المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الأبّار(1): [مجزوء الكامل]

للّه نهرٌ كالحبابِ ... تَرْقِيشُهُ سامي الحبابِ
يصفُ السماءَ صفاؤه ... فحصاهُ ليس بذي احتجاب
وكأنما هو رِقّةٌ ... مِنْ خالصِ الذهب المُذَابِ
غارتْ على شطيه أبـ ... ـكارُ المنى عصرَ الشبابِ
والظِّلُّ يبدو فوقه ... كالخالِ في خَدِّ الكَعابِ
لا بل أدارَ عليه خو ... فَ الشمسِ منه كالنقاب
مثلَ المَجَرَّةِ جَرَّ فيـ ... ـها ذَيْلَهُ جَونُ السحابِ

وقال(2): [الكامل]

شَتَّى محاسنُه، فمن زَهَرٍ على ... نهرٍ تسلسل كالحُباب تَسَلْسُلاَ
غربتْ به شمسُ الظهيرة لا تَني ... إحراقَ صفحته لهيبًا مُشْعلا
حتى كساهُ الدوحُ مِنْ أفنانه ... بردًا بمزنٍ في الأصيل مسلسلا
وكأنما لمعُ الظلالِ بمتنِهِ ... قِطَعُ الدماء جمدن حين تحلّلا

وقال يمدح المستنصر صاحب إفريقية: [الكامل]

إنَّ البشائرَ كلّها جُمِعَتْ ... للدينِ والدنيا وللأممِ

---

(1) أزهار الرياض (جـ ٣ ص ٢٢٣).
(2) الأبيات في أزهار الرياض (جـ ٣ ص ٢٢٣).

في نعمتين جسيمتينِ هُما بـرء الإمـام وبَـيـعَـةُ الـحـرمِ

قال ابن الأبار: وأخبرني بعض أصحابنا ـ يعني أبا عمرو بن عبد الغني ـ أنه أنشدهما الخليفة فسبقه إلى عجز البيت الثاني، فقلت له على البديهة: [البسيط]

فَخْرٌ لشعري على الأشعارِ يَحْفَظُهُ خليفةُ اللّه كان اللّهُ حافِظَهُ

وأشار بقوله «وبيعة الحرم» إلى ما ذكره ابن خلدون وغير واحد من المؤرخين أنَّ أهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة، وكتبوا له بيعة من إنشاء ابن سَبْعين المتصوف، وقد ذكر ابن خلدون نصَّ البيعة في ترجمة المستنصر، فليراجعها مَنْ أرادها.

وقال ابن الأبار: [الوافر]

أَلاَ اسْمَعْ في الأميرِ مَقَالَ صدقٍ وخُـذْهُ عـن امرىء خَـدَمَ الأمـيـرا
متى يكتبْ تَرِدْ وَشَلاً أُجاجًا[1] وإنْ يـركـبْ تـردْ عـذبًـا نـمـيـرا

وقال مجيبًا للتجاني: [الخفيف]

أيها الصاحبُ الصفيُّ، مُبَاحٌ لك عنّي فيما نصصتَ الروايهْ
إنْ عَنَاني إسعافُ قصدك فيها فلكم لم تزلْ بها ذا عنايهْ
ولها شرْطُها فحافظْ عليه ثم كافىء وصيَّتي بالكفايهْ
وتَحامَ الإخلالَ جهدك، لاقيـ ـت من اللّه عصمة وحمايهْ

ونصُّ استدعاء التجاني: [الخفيف]

إنْ رأى سيدي الذي حاز في العلـ ـم مَعَ الحلم والعُلا كل غايهْ
وحَوَى المجدَ عن جدودٍ كرام كلّهم في السماح والفضل آيهْ
أنْ أَرَى عـنـه بـالإجـازة أرْوِي كُلَّ ما فيه لي تَصِحُّ الروايهْ
مِنْ حديثٍ وكلِّ نظمٍ ونثرٍ وفـنـونٍ لـه بـهـنَّ دِرَايـهْ
فله في ذاك الثواب من اللّـ ـهِ ومنا الثناء دون نهايهْ
دام في رفعةٍ وعِزّ وسَعْدٍ وأمـانٍ ومُـكْـنَـةٍ وحـمـايـهْ
ما تولّى جيشُ الظلام هزيمًا وعَلَتْ للصباح في الأفق رايهْ

---

(١) الوشل: الماء القليل يسيل من صخرة أو جبل. الأجاج: المرّ الملح من الماء.

ولابن الأبار ترجمة واسعة ذكرتها في «أزهار الرياض، في أخبار عياض، وما يناسبها مِمّا يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض» فلتراجَعْ فيه.

وأمّا التجاني أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمّه في كتابه «الحلى التيجانية، والحلل التجانية»؛ قال ابن رشيد: وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره، وقال في موضعٍ آخر: إنه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم، رحمهما الله تعالى! انتهى.

وقال ابن مفوّز أبو الحسين: [مجزوء الرجز]

إذا عَـرَتْـكَ عَـيـلَـةٌ ... يَـعْـجَـزُ عنها ما تَـجِـدْ
فَـلْـتَـقْـتَـصِـدْ فـإنـه ... مـا عـالَ[1] قـطُّ مُـقْـتَـصِـدْ

وقال [أيضًا]: [مجزوء الخفيف]

حـازَ دُنـيـاهُ كـلّـهـا ... مُـحْـرِزًا أكْـبَـرَ الـمِـنَـنْ
مَـنْ حَـوَى قُـوتَ يـومـه ... آمـنًـا سـالـمَ الـبَـدَنْ

وقال: [مجزوء الرجز]

أعِـنْ أخـاك فـي الـذي ... يَـأمُـلُـهُ ويـرتـجـيـهْ
فـالـلّـه فـي عـونِ الـفـتـى ... مـا كـان فـي عَـون أخـيـهْ

وقال: [مجزوء الرجز]

أنـفَـسُ مـا أَوْدَعْـتَـهُ ... قَـلْـبَـكَ ذكـرى مُـوقِـظَـهْ
وخـيـرُ مـا أتْـلَـفْـتَـهُ ... مـالٌ أفـاد مَـوْعِـظَـهْ

وقال أبو البركات القميحي: أنشدنا أبو العباس بن مكنون، وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها، مرتجلاً: [الرجز]

حارتْ عقول الناس في إبداعها ... أَلِسُكْرِها أم شُكْرِها تتأوّدُ
فيقولُ أربابُ البِطالة: تنثني ... ويقول أرباب الحقيقة: تسجدُ

---

(١) عالَ: افتقر.

قال الشيخ أبو البركات القميحي: قلت لابن مكنون: ما الذي يدلُّ على أنهما في وصف الثمار؟ فقال: وَطِّىء أنت لهما، فقلت: [الكامل]

يا من أتى متنزِّهًا في روضةٍ أزهارُها من حسنها تتوقَّدُ
انظُرْ إلى الأشجارِ في دَوْحَاتها والريحُ تنسفُ والطيورُ تُغَرِّدُ
فترى الغصونَ تمايلتْ أطرافُها وترى الطيورَ على الغصونِ تُعَرْبِدُ

قال ابن رشيد: غلط المذكور في نسبته البيتين لابن مكنون، وإنما هما لأبي زيد الفازازي من قصيدة أولها: [الكامل]

نِعَمُ الإلهِ بِشُكْرِهِ تَتَقَيَّدُ فاللَّهُ يُشْكَرُ في النوالِ ويُحْمَدُ
مُدَّتْ إليه أَكُفُّنَا محتاجةً فأنالها مِنْ جُودِهِ ما تعهدُ

والبيتان في أثنائها، غير أنَّ أولهما في ديوانه هكذا: [الكامل]

تاهَتْ عُقولُ الناسِ في حركاتها

انتهى.

ورأيت في «روضة التعريف» للسان الدين بعدهما بيتًا ثالثًا، وهو: [الكامل]

وإذا أردتَ الجمعَ بينهما فَقُلْ في شكرِ خالِقِها تقومُ وتقعدُ

وحُكي أنَّ حافظ الأندلس إمام الأدباء، ورئيس المؤلّفين، حسنة الزمان، نادرة الإحسان، أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحِجَارِي صاحب كتاب «المسهب» كان سبب اتّصاله بعبد الملك بن سعيد جَدّ علي بن موسى صاحب «المغرب» أنه وفد عليه في قَلْعَته، فلمَّا وقف ببابه[1] وهو بزيِّ بَدَاوة ازدراه البوّابون، فقال لهم: استأذنوا لي على القائد، فضحكوا به، وقالوا له: ما كان وَجَدَ القائد مَنْ يدخل عليه في هذه الساعة إلاَّ أنت؟ فمدَّ يده إلى دواة في حزامه وسحاءة[2]، وكتب بها: بباب القائد الأعلى. لا زال آهلاً

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٢٣): «على بابه».

(٢) السحاءة: القشرة أو الجلدة، وأراد هنا الورقة التي يكتب عليها.

بأهل الفضيلة .! رجلٌ وفد عليه من شِلْبَ بقصيدة مطلعها: [الوافر]

عليكَ أحالني الذِّكْرُ الجميلُ

فإن رأى سيدي أن يحجب مَنْ بلدُه شِلْب ومَنْ قصيدُه هذا فهو أعلم بما يأتي ويَذَرُ، ولا عتب على القدر، ورغب إلى أحد غلمانه، فأوصل الورقة، فلمّا وقف عليها القائدُ قال: من شِلْبَ، وهذا مطلع قصيدته، ما لهذا إلاّ شأن، ولعلّه الوزير ابن عمّار، وقد نُشِر إلى الدنيا، عجّلوا بالإذن له، فدخل[1] وبقي واقفًا لم يسلّم ولا كلّم أحدًا، فاستثقله الحاضرون، واستبردوا مقصده، ونسبوه للجهل وسوء الأدب، فقال له أحدهم: ما لك لا تسلّم على القائد، وتدخل مداخل الأدباء والشعراء؟ فقال: حتى أُخجل جميعكم قَدْرَ ما أخجلتموني على الباب مع أقوام أنذال، وأعلم أيضًا مَنْ هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزّه اللّه تعالى فأكون أتّقيه إنْ قُدِّر لي خدمته، فقال له عبد الملك: أتأخذنا بما فعل السفهاء منّا؟ قال: لا، واللّه، بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع، وإنما هي أسباب نقصدها لنحاور بها مثلك أعزك اللّه تعالى، ويتمكّن التأنيس، وينحلّ قيد الهيبة، ثم أنشد من رأسه ولا ورقة في يده: [الوافر]

عَلَيكَ أحالني الذِّكْرُ الجميلُ   فصحَّ العزمُ واقتضى[2] الرحيلُ
وودّعتُ الحبيبَ بغيرِ صبرٍ   ولم أسمعْ لما قال العَذُولُ
وأَسْلَبْتُ الظلامَ عليَّ سترًا   ونجمُ الأفقِ ناظرُهُ كَليلُ
ولم أشكُ الهجيرَ وقد دعاني   إلى أرجائك الظلُّ الظليلُ

وهي طويلة، فأكرمه وقرّبه، رحم اللّه تعالى الجميع!.

وأُهديت للمعتمد بن عباد شمعة، فقال في وصفها أبو القاسم بن مرزقان الإشبيلي وهو مِمَّنْ قُتل في فتنة المعتمد[3]: [السريع]

مدينةٌ في شمعةٍ صُوِّرَتْ   قامتْ حُمَاةٌ[4] فوق أسوارِها

---

(١) في طبعة دار صادر: «عجّلوا بالإذن له، فأذنوا له ودخل..».

(٢) في طبعة عبد الحميد: «واقتصر».

(٣) ترجمة أبي القاسم بن مَرْزُقان في الذخيرة (ق ٢ ص ٥٢٠) والمغرب (ج ١ ص ٢٦٦).

(٤) في المغرب: «حُماها».

وما رأينا قَبْلَها تَتَّقِدُ النارُ بِنُوّارِها
تُصَيِّرُ الليلَ نهارًا إذا ما أَقْبَلَتْ ترفلُ[1] في نارها
كأنها بعضُ الأيادي التي تحت الدُّجى تَسْري بأنوارها
مِنْ مَلِكٍ مُعْتَمِدٍ ماجِدٍ[2] بلادُهُ أوطانُ زُوّارها

وقال أبو الأصبغ بن رشيد الإشبيلي: لَمّا هطلت بإشبيلية سحابة بقَطْر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة: [المتقارب]

لقد آن للناس أن يُقْلعوا ويمشوا على السَّنَنِ الأقومِ
متى عُهِدَ الغَيثُ يا غافلاً كلون العقيقِ أو العندم
أظُنُّ الغمائمَ في جَوِّها بَكَتْ رحمةً للورى بالدمِ

وفيها أيضًا: [الخفيف]

لا تكنْ دائمَ الكآبةِ مِمّا قد غدا في الثرى نميرًا نجيعا
لَطَمَ البرقُ صفحةَ المزن حتى سال منه على الرياض نجيعا

وله في دولاب: [البسيط]

ومَنْجَنونٍ[3] إذا دارتْ سمعتَ لها صوتًا أجشّ وظلَّ الماءُ ينهملُ
كأنَّ أقداسَها رَكْبٌ إذا سمعوا منها حُدَاء بَكَوا للبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك: [الوافر]

غزاليُّ الجفونِ شقيقُ بَدْرٍ تَبَسَّمَ عن عقيقٍ فوق دُرِّ
له نفحاتُ مِسْكٍ أيّ مسكٍ له نفثاتُ سحرٍ أيّ سحرِ
شكوتُ له الهوى والهَجْرَ منه فقال: عليك باسمي سوف تدري
تعلّمتُ القساوةَ مِنْ سَمِيِّي وأحرقْتُ القلوبَ بنار هجري

---

(١) في المغرب: «تضحك».
(٢) في المغرب: «معتمد أصبحت».
(٣) المنجنون: دولاب الماء الذي تسقى به الأرضون، ويسمى أيضًا الساقية أو الناعورة.

وقال أبو بكر بن حجاج الغافقي[1] في موسى وسيم إشبيلية الذي كان شعراؤها يتغزّلون فيه: [الكامل]

مَنْ مُبْلغٌ موسى المليحَ رسالةً بُعثت له من كافري عشّاقِهِ
ما كان خَلْقٌ راغبًا عن دينه لو لم تكن توراتُهُ من ساقِهِ

وقال: [السريع]

إنَّ الزويليَّ فتًى شاعرٌ قد أعجب العالمَ مِنْ نَظْمِهِ
وأنتَ يا موسى قد اخترته واختار موسى قبلُ من قومِهِ

وقال: [البسيط]

على مُعاذٍ قُرُونٌ لو يُعَايِنُها فرعونُ ما قال أوقدْ لي على الطينِ
قالتْ له عِرْسُه إذ جاء ينكحها ماذا دهيتُ به من كل عنِّين
هَلاً استعنتَ بميمونٍ، فقال لها إني استعنتُ على نفسي بميمون

وقال أبو وهب ابن[2] عبد الرؤوف النحوي، وكان له حظٌّ في قرض الشعر، وكان سناطًا[3]: [السريع]

ليس لمن ليستْ له لحيةٌ بأسٌ إذا حصَّلْته، ليسا
وصاحبُ اللحية مستقبَحٌ يشبه في طلعته التيسا
إنْ هَبَّتِ الريحُ تلاهت به وماسَتِ الريحُ به مَيسا

وقال أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ القلفاط: [مجزوء الرمل]

يا غزالاً عَنَّ لي فابـ ـتزَّ قلبي ثم وَلَّى
أنت مني بفؤادي يا مُنَى نفسيَ أولى

(١) هو أبو بكر عبد الله بن حجاج، من أهل إشبيلية، شاعر معدود في شعراء المعتضد بن عباد، مات بعد الثلاثين وأربعمائة للهجرة. جذوة المقتبس (ص ٢٦١) وبغية الملتمس (ص ٣٤٣) والمغرب (جـ ١ ص ٢٦٥).

(٢) كلمة «ابن» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ٢٦٣).

(٣) السناط: الذي ليس في عارضيه شعر.

وقال أحمد بن المبارك الحبيبي في الناصر قبل أن يلي عهد جدّه: [السريع]

يا عابدَ الرحمن فُقْتَ الورى   بهذه العليا وهذا الكرمْ
ما جعل اللّه الندى في امرىء   إلاّ وقد جنّبه كلَّ ذَمْ

واستدعى الوزير عبيد اللّه بن إدريس أبا بكر أحمد بن عثمان المرواني، ونادمه ليلة، فلمّا قرب الصباح قال له: أين ما يحدَّث عنك من حسن الشِّعْر؟ فهذا موضعه، فقال: الدواة والقرطاس، فأمر له بإحضارهما، فجعل يفكر ويكتب إلى أن أنشده هذه الأبيات: [البسيط]

بِتْنا نَدَامىٰ صفاء يستحثُّ لنا   في جامدِ الفِضّةِ التبرُ الذي سُبِكَا
كُلٌّ مُصِيخٌ إلى ما قال صاحبُهُ   ولا يبالي أَصِدْقًا قال أم أفكا
مُوَقَّرون خفافٌ عند شربهمُ   ولا يخافون فيما أحدثوا دَرَكا
لا تعدَمَنَّ إذا أبصرتهم فرحًا   أما ترى الصبحَ من بشرٍ بهم ضحكا

وقال أبو محمد عبد اللّه المرواني في الخيري: [الطويل]

عجبتُ من الخيريّ يكتمُ عَرْفَه   نهارًا ويَسْرِي بالظلام فَيُغرِبُ
فتجني عروسَ الطيب منه يَدُ الدجى   ويبدو له وجهُ الصباحِ فيحجب

وقال إبراهيم بن إدريس العلوي: [الكامل]

للبين في تعذيب نفسي مذهبُ   ولنائباتِ الدهر عندي مطلبُ
أمّا ديونُ الحادثاتِ فإنها   تأتي لوقتٍ صادقٍ لا يكذب

وخرج الأديب النحوي هذيل الإشبيلي يومًا من مجلسه، فنظر إلى سائل عاري الجسم، وهو يُرْعد ويصيح: الجوع والبرد، فأخذ بيده، ونقله إلى موضع بَلَغته الشمس، وقال له: صِحِ الجوع، فقد كفاك اللّه مؤونة البرد.

ومَرَّ المعتمدُ بن عباد[1] ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التندير[2] والتهكّم، يمزج ذلك بانحراف يُضحِك الثكلى، فقال لابن عمار: تعالَ نَضرِب على هذا الشيخ

(١) وردت هذه الحكاية في المغرب (ج ١ ص ٢٨٧).
(٢) هكذا في المغرب، وفي طبعة دار صادر: «التهكم والتنذير».

الساقط بابه حتى نضحك معه، فضربا عليه الباب، فقال: مَنْ هذا؟ فقال ابن عباد: إنسان يرغب أن تَقِدَ له هذه الفتيلة، فقال: واللّٰه لو ضرب ابنُ عباد بابي في هذا الوقت ما فتحته له، فقال: فإني ابنُ عباد، فقال: مصفوع ألف صفعة، فضحك ابن عباد حتى سقط إلى الأرض، وقال لوزيره: اِمْضِ بنا قبل أن يتعدّى الصفع من القول إلى الفعل، فهذا شيخ ركيك، ولَمّا كان من غد تلك الليلة وجَّه له ألفَ درهم، وقال لموصلها: قل له هذه حَقُّ الألف صفعة التي كانت البارحة.

وكان في زمان المعتمد السارق المشهور بالبازي الأشهب، وكان له في السرقة كلّ غريبة، وكان مسلطًا على أهل البادية، وبلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب؛ لأنَّ ابن عباد أمر بصلبه على ممرّ أهل البادية لينظروا إليه، فبينما هو على خشبته على تلك الحال إذ جاءت إليه زوجته وبناته؛ وجَعَلْن يبكين حوله ويقلْن: لمن تتركنا نضيع بعدك؟ وإذا بيدوي على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب، فصاح عليه: يا سيدي، انظرْ في أي حالة أنا، ولي عندك حاجة فيها فائدة لي ولك؛ قال: وما هي؟ قال: انظرْ إلى تلك البئر، لَمّا أرهقني الشُرط رميت فيها مائة دينار، فعسى تحتال في إخراجها، وهذه زوجتي وبناتي يُمْسِكن بَغْلَك خلالَ ما تخرجها، فعمد البدوي إلى حَبْل ودلّى نفسه في البئر بعد ما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها، فلمّا حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبلَ، وبقي حائرًا يصيح، وأخذت ما كان على البغل مع بناتها، وفَرَّتْ به، وكان ذلك في شدّة حرّ، وما سَبَّب اللّٰه شخصًا يغيثه إلاّ وقد غِبْنَ عن العين وخلصن، فتحيّل ذلك الشخص مع غيره على إخراجه، وسألوه عن حاله، فقال: هذا الفاعل الصانع احتال عليَّ حتى مَضت زوجته وبناته بثيابي وأسبابي، ورُفِعت هذه القصة إلى ابن عباد، فتعجّب منها، وأمر بإحضار البازي الأشهب، وقال له: كيف فعلت هذا مع أنك في قبضة الهلكة؟ فقال لي: يا سيدي، لو علمت قدر لذّتي في السرقة خليت ملكك واشتغلت بها، فلعنه وضحك منه، ثم قال له: إنْ سَرَّحْتُكَ وأحسنتُ إليك وأجريْتُ عليك رزقًا يقلك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة؟ فقال: يا مولاي، كيف لا أقبل التوبة وهي[1] تخلصني من القتل؟ فعاهده وقدّمه على رجال أنجادٍ، وصار من جملة حراس أحواز المدينة.

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٦٦): «وهي التي تخلصني».

ويحكى أنَّ منصور بني عبد المؤمن لَمَّا أراد بناء صَومَعة إشبيلية العظيمة القدر أحضر لها العُرَفَاء والصُّنَّاع من مظانّهم، فعُرِّف بشيخ مُغَفَّل صحيح المذهب عارف بالبناء الذي يجهله كثير من الصناع، فأُحضر، فقال له المنصور: كم تقدّر أن يُنفق على هذه الصومعة؟ فضحك وقال: يا سيدي، البنيان إنما هو مثل ذَكَرٍ ليس يُقَدَّرُ حتى يقوم، فكاد المنصور يفتضح من الضحك، وصرف وجهه عنه، وبقيت حكايته يضحك عليها زمانًا.

وكان أحمد المقريني المعروف بالكساد شاعرًا وشّاحا زجّالاً إشبيليًا، وقال في موسى الذي تغزّل فيه ابنُ سَهْل[1]: [الخفيف]

ما لموسى قد خَرَّ للّه لمّا   فاضَ نورُ أغشاه[2] ضوءُ سناهُ
وأنا قد صُعِقْتُ من نور موسى   لا أُطيق الوقوفَ حين أراهُ

وقال في رثائه[3]: [السريع]

فَرَّ[4] إلى الجنّة حُورِيُّها   وارتفعَ الحُسْنُ من الأرضِ
وأصبحَ العُشّاقُ في مأتمٍ   بعضهُمُ يَبْكي على بَعْضِ

وقال فيه[5]: [الرمل]

هَتَفَ الناعي بشَجْوِ الأبَدِ   إذ نعى موسى بنَ عبدِ الصمدِ
ما عليهمْ وَيحَهُمْ لو دَفَنُوا   في فؤادي قِطْعةً مِنْ كَبِدي

ولابن سَهْل الإسرائيلي في موسى هذا ما هو مثبت في ديوانه.

وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة: المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب، فيلسوفًا طبيبًا ماهرًا، آية اللّه في المعرفة بالأندلس، يقرىء الأمم بألسنتهم فنونَهم التي يرغبون فيها وفي تعلّمها، ولَمّا تغلّب

---

(١) تقدم هذان البيتان في هذا الجزء (ص ٢١١) وجاء هناك: «نورًا» في البيت الأول.
(٢) في طبعة دار صادر (ص ١٢٩): «غشاه».
(٣) البيتان في المغرب (جـ ١ ص ٢٨٨) وتقدما في هذا الجزء (ص ٢١١) وجاء هناك: «إلى» بدل «على» في البيت الثاني.
(٤) في المغرب: «رُدَّ».
(٥) البيتان في المغرب، وتقدّما في هذا الجزء (ص ٢١١).

طاغية الروم على مُرْسِية عرف له حقّه، فبنى له مدرسة يقرىء فيها المسلمين والنصارى واليهود، وقال له يومًا وقد أدنى منزلته: لو تَنَصَّرْتَ وحَصَّلْتَ الكمال كان لك عندي كذا، وكنت كذا، فأجابه بما أقنعه؛ ولَمَّا خرج من عنده قال لأصحابه: أنا عمري كلّه أعبد إلهًا واحدًا، وقد عجزت عمّا يجب له، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك مني؟ انتهى.

وقال أبو عبد اللّه محمد بن سالم القَيْسِي الغَرْنَاطي يخاطب السلطان على ألسنة أصحابه الأطباء الذين ببابه مُوَرِّيًا بأسمائهم: [الخفيف]

قد جَمَعْنا ببابكم سطرَ علمٍ لبلوغ المُنَى ونَيْلِ الإرادَهْ
ومِنَ أسمائنا لَكُم حُسْنُ فالٍ سالمٌ ثم غالبٌ وسعادَهْ

وقال أبو عبد اللّه بن عمر الإشبيلي الخطيب[1]: [المتقارب]

وكلٌّ إلى طَبْعِهِ عائدٌ وإنْ صَدَّه المنعُ عن قَصْدِهِ
كذا الماء من بعد إسخانِهِ يعودُ سريعًا إلى بَرْدِهِ

وقال الكاتب أبو زيد عبد الرحمن العثماني لَمّا تغيّر حاله بإشبيلية[2]: [الخفيف]

لا تسلْني عن حالتي فَهْيَ هذي مثل حالي لا كنتَ يا من يراني
مَلَّنِي الأهلُ والأخلاءُ لَمّا أنْ جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبرْ بي ولا يغرَّكَ دَهرٌ ليس منه ذو غبطةٍ في أمانِ

ودخل الأديب النحوي أبو عمران موسى الطرياني إلى بعض الأكابر يوم نَيْرُوز، وعادتُهُمْ أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة، فنظر إلى مدينة أعجبته، فقال له صاحب المجلس: صِفْها وخُذْها، فقال[3]: [مجزوء الرجز]

مدينةٌ مُسَوَّرَهْ تحارُ فيها السَّحَرَهْ
لم تَبْنِها إلاّ يَدَا عذراءَ أو مُخَدَّرَهْ

---

(١) تقدم هذان البيتان في هذا الجزء (ص ٢٧).
(٢) تقدمت الأبيات في هذا الجزء (ص ٢١٢).
(٣) مرّ خبر الطرياني وأبياته في هذا الجزء (ص ٢١٢) وأشرنا هناك إلى المصادر التي وردت فيها.

بَـدَتْ عـروسًـا تُـجْـتَـلَـى   مِـنْ دَرْمَـكٍ[1] مـزعـفـرهْ
ومــا لــهــا مــفــاتــحٌ   إلاّ الــبَــنــانُ الــعَــشَــرَهْ

ورفع إلى القائد أبي السرور صاحب ديوان سَبْتَة قصيدة يعرِّض له فيها بزاد، وقد عزم على سفر، فأنعم عليه بذلك، ثم أتبعه بتُحَف مِمّا يكون في الديوان مِمّا يجلبه الإفرنج إلى سبتة، ولم يكن اُلتمس منه ذلك ولا خطر بخاطره، فكتب إليه: [المتقارب]

أيـا سـابـقًـا بـالـذي لـم يَـجُـلْ   بفكري ولم يَبْدُ لي في خطابِ
ويـا غـائـصًـا فـي بـحـار الـنـدى   ويـا فـاتـحًـا لـلـعُـلا كـلَّ بـاب
كـذا فـلـتـكـنْ نِـعَـمُ الأكـرمـيـن   تفاجي[2] بِنَيْلِ المُنَى والطِّلابِ
ولـم أرَ أعـظـمَ مِـنْ نـعـمـةٍ   أتتني ولم تَكُ لي في حساب
سـأشْـكُـرُهـا شـكـرَ عَـهْـدِ الـرضـى   وأذكـرُهـا ذكـرَ غَـضِّ الـشـبـابِ

وكتب مجاهد صاحب دَانِيَةَ إلى المنصور بن أبي عامر الأصغر ملك بَلَنْسِيةَ رقعة، ولم يضمِّنْها غير بيت الحطيئة[3]: [البسيط]

دَعِ الـمـكـارم لا تَـرْحَـلْ لـبـغـيـتـهـا   واقْعُدْ فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسي

فأحرجت[4] المنصور، وأقامته وأقعدته، فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرني فكتب عنه: [الكامل]

شَـتَـمَـتْ مَـوالـيَـهـا عـبـيـدُ نـزارِ   شِيَمُ العبيدِ شتيمةُ الأحرارِ

فسلا المنصور عَمّا كان فيه.

ومن شعر المذكور في المنصور: [الكامل]

اِنْـهَـضْ عـلـى اسمك إنه منصورُ   وازمِ الـعـدوّ فـإنـه مَـقْـهـورُ
ولو اغتنيتَ عن النهوض كَفَيْتَهُمْ   فـبـذكـر بـأسـكَ كـلُّـهـم مَـذْعُـورُ

---

(١) الدَّرْمَكُ: فتات الزعفران ودقائقه.
(٢) تفاجي: أصلها: تفاجىء.
(٣) الذخيرة (ق ١ ص ٥٤٥) والمغرب (جـ ١ ص ٣٣٢). وقد مرّ ذلك في الجزء الثالث.
(٤) في طبعة دار صادر (ص ١٣٢): «فأخرجت».

ولـتـبـلـغـنَّ مـدى مُـرادكَ فـيـهـمُ ويـكـونُ يـومٌ فـي الـعـدا مـشـهـورُ

وقال له المنصور يومًا: واللَّه لقد سئمت من هؤلاء الجند، ووددت الراحة منهم، فقال له: يصبر مولاي فلا بُدَّ من السآمة، فهي على حالتين: إمّا مِمَّنْ يكون أمرك إليه، أو يكون أمره إليك، والحمد للَّه الذي رفعه عن الحالة الأولى!.

وقال بعض الهجائين في رندة[1]: [مجزوء الكامل]

قُـبْـحًـا لِـرُنْـدَةَ مـثـل مـا قَـبُـحَـتْ مُـطَـالـعـةُ الـذنـوبْ
بَـلَـدٌ عـلـيـه وَحْـشَـةٌ مـا إن يـفـارقـه الـقُـطُـوبْ
مـا حَـلَّـهَـا أحـدٌ فَـيَـنْـ ـوي بـعـد بَـيـنٍ أن يَـؤوبْ
لـم آتـهـا عـنـد الـضُّـحـى إلاَّ وخُـيِّـلَ لـي الـغـروبْ[2]
أُفُـقٌ أَغَـمُّ وسـاحـةٌ تـمـلا الـقـلـوبَ مـن الـكـروبْ

وقال حيلاص الشاعر الرندي[3]: [الكامل]

لا تَـفْـرَحَـنْ بـولايـةٍ سُـوِّغْـتَـهـا فالثورُ يُعْلَفُ أَشْهُرًا كي يُذْبَحا

وله في بعض رؤساء الملثمين من قصيدة: [الطويل]

ولـو لـم تـكـن كـالـبَـدْرِ فـورًا ورفـعـةً لـمـا كـنـت غـرًّا بـالـسـحـاب مـلـثّـمـا
ومـا ذاكَ إلاَّ لـلـنـوالِ عـلامـةٌ كذا القَطْر مهما لثم الأُفُقَ انْهَمَى

فاهتزّ الملثّم وأعجبه، وأمر له بكسوة وذهب.

ولَمّا ذُكر أبو بكر بن عمر الأندي[4] في مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبي الحسن علي بن سعيد، وأطنب في الثناء عليه، وعمر المجلس بشكره، وأُخبر بذلك، أطرق ساعة ثم قال: [الكامل]

---

(١) قائل هذه الأبيات هو أبو الفتح بن فاخر التونسي، وهي في المغرب (ج ١ ص ٣٣٤).
(٢) هكذا في المغرب، وفي طبعة دار صادر (ص ١٣٣): «غروب».
(٣) ترجمة حيلاص في المغرب (ج ١ ص ٣٣٦).
(٤) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٧٠): «الرندي». وهو أبو بكر محمد بن عمر الأندي، نسبة إلى أنده حصن من أعمال رندة، هاجر إلى إشبيلية. ترجمته في اختصار القدح (ص ١٦٨) والمغرب (ج ١ ص ٣٣٨) وبيتاه في المغرب دون تغيير عمّا هنا.

لا تـذكُـرَنْ مـا غـابَ عـنـي مـن ثَـنًـا   أطـنـبـتَ فـيـه فـلـيـس ذلـك يُـجْـهَـلُ
فمتى حَضَرْتُ بمجلسٍ وجرى به   خَبَري فـإنَّ الـذكـرَ فـيـه يُـجْـمَـلُ

ولَمّا نفى بنو ذي النون أرْقَمَ[1] من نسبهم لأنه كان ابن أمة مَهِينة، واقَعَها أبو الظافر في حال سكره، ولم يكن فيهم من ينظم ويتولّع بالأدب غيره، وولي ابنه يحيىٰ، وكان أحسد من طلعت عليه الشمس، فمال على أرقم بالأذيّة[2] ففرَّ عن مملكته، وقال مرتجلاً[3]: [الكامل]

لئن طبتُمُ نَفْسًا بتركي دياركـمْ   فـنـفـسيَ عـنـكُـم بـالـتـفـرّق أطـيـبُ
إذا لم يكنْ لي جانبٌ في ديارِكُمْ   فما العذرُ لي أن لا يكون تجنُّبُ
زعمتم بأني لستُ فرعًا لأصلكم   فـهـلاً عـلـمـتـم أنـنـي عـنـه أرغـب
وحسبي إذا ما البيضُ لم ترعَ نسبةً   بـأنـي إلـى سـيـفـي ورمـحـيَ أُنـسَـبُ
وإنْ مـدَّتِ الأيـام عـمـريَ لـلـعُـلاَ   يُـشَـرِّقُ ذكـري فـي الـورى ويُـغَـرِّبُ

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان[4] إلى أبي أمية بن عصام قاضي القضاة[5] بشرق الأندلس «عين زمانه»، فوقعت نقطة على العين، فتوهّمها، وظنّ أنه أبهمها واعتقدها، وعددها وانتقدها، فقال: [الكامل]

لا تُـلْـزمـنّـي مـا جَـنَـتْـهُ يـراعـةٌ   طَمَسَتْ بريقتها عيونَ ثناءِ[6]
حَقَدَتْ عليّ لزامها فتحوّلَتْ   أفعى تمجُّ سمامها بسخاءِ[7]
غدر الـزمـان وأهـلـه عـرف ولـم   أسـمـع بـغـدر يـراعـةٍ وإبـاءِ[8]

---

(١) هو الأمير أرقم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن موسى بن ذي النون، يعرف بابن المضراس. وأخوه إسماعيل هو أول من ملك طليطلة من بني ذي النون. المغرب (جـ ٢ ص ١٤).
(٢) في طبعة عبد الحميد: «بالأذاية حتى فرّ..».
(٣) ورد البيت الثاني فقط في المغرب وجاء فيه: «التجنّبُ» بدل «تَجَنُّبُ».
(٤) ترجمة أبي محمد بن سفيان في قلائد العقيان (ص ١٣٦) والأبيات في المصدر المذكور (ص ١٣٩).
(٥) في طبعة دار صادر (ص ١٣٤): «قاضي قضاة شرق الأندلس..».
(٦) في القلائد: «ثنائي».
(٧) في أصول النفح: «بسحاء»، والتصويب عن القلائد.
(٨) في القلائد: «وإناء».

وشرب المأمون بن ذي النون مع أبي بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلي وحَفَل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن المثنى[1]، فجرت مذاكرة في ملوك الطوائف في ذلك العصر، فقال كلٌّ واحد ما عنده بحسب غرضه، فقال ابن أرفع رأسه ارتجالاً[2]: [البسيط]

دَعُوا الملوكَ وأبناءَ الملوكِ فَمَنْ ... أَضْحَى على البحر لم يَشْتَقْ إلى نَهَرِ
ما في البسيطة كالمأمونِ ذو كرمٍ ... فانظرْ لتصديقِ ما أُسْمِعْتَ من خَبَرِ
يا واحدًا ما عَلَى عُلْياه مُخْتَلَفٌ ... مذ جاد كَفُّكَ لم نحتج إلى المطر
وقد طَلَعْتَ لنا شمسًا فما نظرتْ ... عينٌ إلى كوكبٍ يَهْدِي ولا قمرِ[3]
وقد بدوتَ لنا وُسْطَى ملوكهم ... فلم نُعَرِّجْ على شذرٍ ولا دررِ

فداخل ابن ذي النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد، وأمر له بإحسان جزيل عتيد.

وقال أبو أحمد عبد المؤمن الطليطلي: [الطويل]

رأيتُ حياتي قادحًا في معيشتي ... ويصعبُ تركي للحياء ويقبحُ
وقد فَسَدَ الناسُ الذين عهدتهم ... وقد طال تأنيبي لمن ليس يصلحُ

وله: [الطويل]

ولَمَّا غدوا بالْغِيدِ فوق جِمالِهمْ ... طَفِقْتُ أُنادي لا أُطيقُ بهمْ هَمْسا
عَسَى عِيسُ من أهوى تجودُ بوقفةٍ ... ولو كوقوفِ العين لاحَظَتِ الشمسا

وقال الزاهد أبو محمد عبد اللّه بن العسال[4]: [الطويل]

أعندكُمُ عِلْمٌ بأني متيَّمٌ ... وإلاَّ فما بالُ المدامعِ تسجمُ
وما بَالُ عيني لا تغمّضُ ساعةً ... كأني في رعي الدراري منجِّمُ

وكان الوزير أبو جعفر الوقشي تَيَّاهًا مُعْجَبًا بنفسه، ومن شعره في غرضه الفاسد: [الطويل]

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٣٤): «وابن مثنى».
(٢) الأول والثالث والرابع في المغرب (ج ٢ ص ١٨).
(٣) في المغرب: «ومذ طلعت... عيني إلى كوكب..».
(٤) مرّ التعريف بابن العسال والإشارة إلى مصادر ترجمته في الجزء الرابع.

إذا لم أعَظِّمْ قَدْرَ نفسي وإنني عليمٌ بما حازته مِنْ عِظَمِ القَدْرِ
فغيريَ معذورٌ إذا لم يَبَرَّني ولا يُكْبر الإنسانَ شيء سوى الكبرِ

وله: [الطويل]

يرومون بي غيرَ المكان الذي له خُلِقْتُ، وبعضي منكرٌ ذاك من بعضي
فقولوا لبدرِ الأفقِ يتركْ سماءه ويحتلَّ مِنْ أجلِ التواضعِ في الأرضِ

وقال: [الطويل]

تَكَبَّرْ وإن كنتَ الصغيرَ تظاهرًا وباعِدْ أخا صدقٍ متى ما اشتهى قُرْبا[1]
وكُنْ تابعًا للهرِّ في حفظِ أمره ألست تراه عندما يبصر الكلبا

وقال له بعض ندماء ملكه يومًا صاحب جيان، ابن همشك: يا أبا جعفر، أنت جملة محاسن، وفيك الأدوات العلية التي هي أهلٌ لكلِّ فضيلة، غير أنك قد قدحت في ذلك كلّه بكثرة عُجْبك، وإذا مشيت على الأرض تشمئزّ منها، فقال له: كيف لا أشمئزُّ من شيء أشترك معك في الوطء عليه؟ فضحك جميع مَنْ حضر من جوابه. وله جواب[2] لمن اعتذر عن غيبته عنه: [الطويل]

لك الفضلُ في أنْ لا تلوحَ لناظري وتبعدَ عني ما بقيتَ مدى الدهرِ
فوجْهُك في لحظي كما صوّر الردى ولَفْظُك في سمعي حديثٌ عن الفقر
ومَنْ حاز ما قد حُزتَه مِنْ رَكاكةٍ وغاب فلا يحتجْ إلى كلفةِ العذرِ

وله أيضا: [الخفيف]

لكَ يومانِ لم تَلُحْ لعياني ولك الفضلُ في زيادة شهرِ
ولك الفضلُ في زيادةِ عامٍ ولك الفضلُ في زيادة دَهْرِ
ولك الفضلُ أن تُغَيَّبَ عني ذلك الوجهَ ما تطاولَ عمري

وله، وقد شرب على صهريج فاختنق الأسد الذي يرمي بالماء، فنفخ فيه رجل أبخر[3]، فجرى: [السريع]

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٣٦): «القربا».
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٧٢): «جوابًا».
(٣) الأَبْخَرُ: الذي نتنت رائحة فمه.

لَيثٌ بديعُ الشكلِ لا مثلَ لهْ صِيغَ مِنَ الماءِ له سلسلَهْ
يقذفُ بالماء على جِيْنِهِ كأنه عَافَ الذي قَبَّلَهْ

وقال أبو الوليد هشام الوقشي[1]: [السريع]

بَرَّحَ بي أنَّ علومَ الورى اثنان ما إنْ فيهما من مزيدْ
حقيقةٌ يُعْجِزُ تحصيلُها وباطلٌ تحصيلُهُ لا يُفيدْ

وقال[2]: [السريع]

وفارهٍ يَرْكَبُهُ فارهٌ مَرَّ بنا في يده صَعْدَهْ[3]
سنانُها مشتملٌ لَحْظَهُ وقَدُّها مُنْتَحِلٌ قَدَّهْ
يزحفُ للنساك في جَحْفَلٍ من حسنه وهو يُرَى وحدهْ
قلتُ لنفسي حين مُدَّتْ لها الـ آمالُ والآمالُ ممتدَّهْ
لا تطمعي فيه كما الشَّعْرُ لا يطمعُ في تَسْوِيدِهِ خدَّهْ

وقال: [الخفيف]

عَجَبًا للمُدام ماذا استعارَتْ مِنْ سَجَايا معذِّبي وصفاتِهْ
طِيبَ أنفاسِهِ وطَعْمَ ثنايا هُ وسُكْرَ العقولِ مِنْ لَحَظَاتِهْ
وسنا وجهه وتوريدَ خَدَّيـ ـه ولطفَ الديباج من بشراتهْ
والتداوي منها بها كالتداوي برضا من هويت من سطواتِهْ
وهي من بعد ذا عليَّ حرامٌ مثل تحريمه جَنَى رَشَفَاتِهْ

ومن تآليفه «نكت الكامل للمبرد»، وقد مرَّ ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا.

وحضر يومًا مجلس ابن ذي النون، فَقُدِّم نوع من الحلوى يُعْرَفُ بآذان القاضي، فتهافت جماعة من خواصِّه عليها يقصدون التندير فيه، وجعلوا يكثرون من أكلها، وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر، فقال له المأمون: يا قاضي، أرى

---

(١) سترد ترجمته في الجزء السادس وسيرد هذان البيتان هناك ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) في طبعة دار صادر (ص ١٣٧): «وله».
(٣) الفاره الأول: الفرس، والفاره الثاني الغلام الحسن. الصَّعْدَةُ: الرمح.

هؤلاء يأكلون أُذنيك، فقال: وأنا أيضًا آكل عيونهم، وكشف عن الطبق، وجعل يأكل منه، وكان هذا من الاتفاق الغريب.

وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي آيَةَ اللَّه في الظرف، وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر، وصهره أبو الحسين بن جبير، وشيخه في علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين[1] بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة، وقد رزق أبو الحسن المذكور فيها ذوقًا مع صوت بديع، أشهى من الكأس للخليع، قال أبو عمران بن سعيد: ما سمعته إلاَّ تذكَّرْتُ قول الرصافي[2]: [الكامل]

وَمُطَارِحٍ مِمَّا تَجُسُّ بَنَانُهُ لَحْنًا أفاضَ عليه ماءَ وَقارِهِ
يَثْنِي الحَمامَ فلا يَرُوحُ لِوَكْرِهِ طَرَبًا ورِزْقُ بنيه في مِنْقارِهِ

وكنت أرتاح إلى لقائه، ارتياح العليل إلى شفائه، ولم أزل أقرع بابًا[3] بابا، وأخرق للاتصال حجابًا حجابًا، حتى هجمت مع شفيع لا يُرد عليه، وجلست بين يديه، فحينئذ حَرَّضَه حسبه على الإكرام، وتلقَّى بما أوسع من البشر والسلام، وقال: ليعلم سيدي أني كنت أودَّ الناس في لقائه، وأحبَّهُمْ في إخائه، والحمد للَّه الذي جعلني أُنشد[4]: [الطويل]

وليس الذي يَتَّبِعُ الوَبْلَ رائدًا كَمَنْ جاءه في دارِهِ رائِدُ الوَبْلِ

ثم قام إلى خزانة، فأخرج منها عود غناء يطرب دون أن تُجس أوتاره، وتلحن أشعاره، واندفَعَ يغنّي دون أن أسأله ذلك، ولا أتجشّم تكليفه الدخول في تلك المسالك: [الطويل]

وما زلتُ أرجو في الزمان لقاءكم فقد يَسَّرَ الرحمنُ ما كنتُ أرتجي
فذكرُكُمُ ما زلتُ أتلوهُ دائبًا إذا ذكروا ما بين سَلْمَى ومُنْعَجِ

فلمّا فرغ من استهلاله وعمله قَبَّلْتُ رأسَهُ، وقلْتُ له: لا أدري علامَ أشكرك قبلُ، هل على تعجيلك بما لم تَدَعْني أسألك في شأنه أم على ما تفردت بإحسانه؟ فما هذا

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٣٨): «أبو الحسن».
(٢) ديوان الرصافي البلنسي (ص ١٠١).
(٣) في طبعة دار صادر: «بابًا فبابًا».
(٤) البيت للمتنبي وهو في ديوانه (ص ٥٦٢)، وقد تقدم في الجزء الأول.

الصوت؟ قال: هذا نشيد خسروانيٌّ مِنْ تَلْحيني، قال: وأنشدني لنفسه: [الطويل]

حننتُ إلى صوتِ النواعيرِ سُحْرَةً ... فأضحى فؤادي لا يَقِرُّ ولا يَهْدَا
وفاضتْ دموعي مثل فَيْضِ دموعِها ... أُطارِحُها تلك الصبابةَ والوَجْدَا
وزادَ غرامي حين أكثر عاذلي ... فقلتُ له أَقْصِرْ ولا تقدح الزَّنْدَا
أهيمُ بهم في كلِّ وادٍ صبابةً ... وأزدادُ مع طولِ البِعادِ لَهم ودّا

وأنشدني لنفسه: [الكامل]

ولقد مَرَرْتُ على المنازل بعدهمْ ... أبكي وأسألُ عنهمُ وأنوحُ
وأقول إنْ سألوا بحالي في النوى ... ما حالُ جِسْمٍ فارقَتْهُ الروحُ

قال: وكتب إليَّ: [البسيط]

يا حسرةً ما قَضَتْ من لَذَّةٍ وَطَرَا ... أين الزمانُ الذي يُرْجَى به الخَلَفُ
أبكيكَ مِلْءَ جفوني ثم يَزْجِعُنِي ... إلى التصبُّر أني سوف أنصرفُ

قال أبو عمران: وكنت في أيام الفتنة إذا ركنت إلى الآمال، هونت على نفسي ما ألقى من أهوالها بقولي مع خاطري قوله:

أين الزمان الذي يرجى به الخَلَفُ

انتهى.

وكان أبو الحسين علي بن الحمارة[1] مِمَّنْ برع في الألحان وعلمها، وهو من أهل غَرْنَاطة، واشتهر عنه أنه كان يعمد إلى الشَّعْراء[2]، فيقطع العود بيده، ثم يصنع منه عودًا للغناء، وينظم الشعر ويلحنه، ويغني به، فيطرب سامعيه، ومن شعره قولُه: [الطويل]

إذا ظَنَّ وَكْرًا مُقْلَتِي طائرُ الكرى ... رأى هُدْبَهَا فارتاع خَوْفَ الحبائلِ

وقال بعض العلماء في حقِّه: إنه آخرُ فلاسفة الأندلس، قال: وأعجب ما وقع له في الشعر أنه دخل سَلاً وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره، والشعراء تنشده في ذلك، فارتجل

---

(١) تقدم في هذا الجزء (ص ١٦٤): «أبو عامر ابن الحمارة».
(٢) الشَّعْراء، بفتح الشين وسكون العين: الشجر.

ابن الحمارة هذين البيتين، وأنشدهما بعدهم[1]: [البسيط]

يا واحدَ الناسِ قد شَيَّدْتَ واحدةً   فُحَلَّ فيها محلَّ الشمسِ في الْحَمَلِ
فما كَدَارِكَ في الدنيا لذي أملٍ   ولا كدارِكَ في الأخرى لذي عَمَلِ

وقد تقدّم[2] ذكر هذين البيتين.

وكان أهل الأندلس في غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة؛ قال ابن مسدي: أملى علينا ابن المناصف النحوي بدَانِيَةَ على قول سيبويه «هذا باب ما الكلم من العربية» عشرين كراسًا، بسط القول فيها في مائة وثلاثين وجهًا، انتهى.

وهذا وأشباهه يكفيك في تبحُّر أهل الأندلس في العلم، وربما سئل العالم منهم عن المسألة التي يحتاج في جوابها إلى مطالعة ونَظَر، فلم يحتجْ إلى ذلك، ويذكر من فكره ما لا يحتاج معه إلى زيادة.

ومن الحكايات في مثل ذلك أنَّ الأديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لـمّا قال في تخميسه المشهور: [الطويل]

بماذا على كلٍّ مِنَ الحقّ أوجبتْ

اعترض عليه أبو زكريا بما نصُّه: استعمل المخمِّسُ «ماذا» في البيت تكثيرًا وخبرًا، والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهامًا، فجاوبه بقوله: أمّا استعمالها استفهامًا كما قال فكثير، لا يحتاج إلى شاهد، وأمّا استعمالُها في ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج إلى شاهد لو وُصل بحث، واسْتُعْمل مكث، فلم يعترض عليٌّ ولي، ولا تشكّكَ في جلي[3]: [الوافر]

وليس يَصِحُّ في الأفهامِ شيءٌ   إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ

قال اللّه تعالى في سورة يونس ﴿قُلِ انظرُوا ماذا في السمواتِ والأرضِ وما تُغْني

---

(١) تقدم هذان البيتان في هذا الجزء (ص ١٦٤) ببعض الاختلاف في البيت الأول.
(٢) في أصول النفح: «وسيأتي»، وقد صوبناه؛ لأن هذين البيتين تقدما كما أشرنا في الحاشية السابقة.
(٣) البيت للمتنبي وهو في ديوانه (ص ٣٥٧) وسيأتي في الجزء السادس.

الآياتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] ووقع في صحيح البخاري في رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر[2]: [الوافر]

وماذا بالقَلِيبِ[3] قليبِ بَدْرٍ ... من الفتيان والشَّرْبِ الكرامِ
وماذا بالقليبِ قليبِ بَدْرٍ ... مِنَ الشِّيزى[4] تُكَلَّلُ بالسنام

وفي السِّيَر في رثاء المذكورين أيضًا[5]: [مجزوء الكامل]

ماذا ببدر فالعَقَنْـ ... ـقَلِ من مَرَازِبة جَحَاجِحْ

وهذا الشعر لأُميَّة بن أبي الصَّلْت الثقفي، ووقع في الأغاني للوليد بن يزيد يرثي نديمًا له يُعْرَفُ بابن الطويل[6]: [مجزوء الكامل]

لِلَّهِ قبرٌ ضَمَّنَتْ ... فيه عظامُ ابن الطويلِ
ماذا تَضَمَّنَ إذ ثوى ... فيه من الرأي[7] الأصيلِ

والخبر طويل، وأجلى من هذا وأعلى، وأحقّ بكل تقديم وأولى، ولكن الواو لا تفيد رتبة، ولا تتضمّن نسبة، قولُ رسول اللّه ﷺ «ماذا أنزل الليلة من الفتن» وهو في الصحاح، ووقع في الحماسة، وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها[8]: [الكامل]

ماذا أجالَ وثيرةُ بن سِماكِ ... مِنْ دمعِ باكيةٍ عليه وباكِ

وفي الحماسة أيضًا وأظنُّها لأبي دهبل[9]: [البسيط]

ماذا رُزِئْنا غداةَ الحلِّ مِنْ زَمَعٍ ... عند التفرّق من خِيمٍ ومن كَرَمِ

---

(١) سورة يونس ١٠، الآية: ١٠١.
(٢) البيتان لشداد بن الأسود. راجع أنساب الأشراف (جـ ١ ص ٣٠٧).
(٣) القليب: البئر.
(٤) الشِّيزَى: جفان تصنع من الخشب.
(٥) أنساب الأشراف (جـ ١ ص ٣٠٦).
(٦) البيتان في الأغاني (جـ ٧ ص ٧٨).
(٧) في الأغاني: «من اللُّبّ».
(٨) البيت في شرح الحماسة للمرزوقي (رقم ٣٢٠).
(٩) المصدر نفسه (رقم ٧٠٦).

ووقع في نوادر القالي لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار[1] : [الطويل]

هَوَتْ أُمُّه ما يَبْعَثُ الصبحُ غاديًا ... وماذا يَرُدُّ الليلُ حين يؤوبُ

ووقع في شعر الخنساء ترثي أخاها صخرًا[2] : [الطويل]

أَلاَ ثكلتْ أمُّ الذين غَدَوْا[3] به ... إلى القبر ماذا يحملون إلى القبرِ

وماذا يُوَارِي القبرُ تحت ترابه ... من الجود في بؤسى الحوادث والدهرِ[4]

ولجرير وهو في الحماسة[5]: [الكامل]

إن الذين غَدَوا بلبِّكَ غادروا ... وَشَلاً بعينكَ لا يزالُ مَعِينَا

غَيَّضْنَ من عبراتهن وقُلْنَ لي ... ماذا لقيتَ مِنَ الهوى ولقينا

وفي الحماسة أيضًا[6]: [البسيط]

ماذا من البعد بين البخل والجودِ

ووقع في الحماسة أيضًا، وهو لامرأة[7]: [الطويل]

هَوَتْ أمُّهمْ ماذا بهمْ يومَ صُرّعوا ... بجيشانَ من أسبابِ مجدٍ تَصَرَّمَا

أرادت ماذا تصرّم لهم يوم صُرّعوا بجيشان من أسباب مجد تصرّما.

ومما يستظهر به قول أبي الطيب المتنبي[8]: [البسيط]

---

(١) الأمالي (جـ ٢ ص ١٥٢).

(٢) ديوان الخنساء (ص ٥٥).

(٣) في الديوان: «مَشَوا به».

(٤) رواية عجز البيت في الديوان هي:

من الخير، يا بؤسَ الحوادثِ والدهرِ

(٥) ديوان جرير (ص ٤٧٦).

(٦) شرح الحماسة للمرزوقي (رقم ٦٨٥) وصدر البيت هو:

ألا ترين وقد قطعتني عذلا

(٧) البيت لأم الصريح، وهو في شرح الحماسة للمرزوقي (رقم ٣١٨).

(٨) ديوان المتنبي (ص ٥٤٩).

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعْجَبُها[1]   أنّي بما أنا باكٍ منه محسودُ

وقوله أيضًا: [المتقارب]

وماذا بمصرٍ من المضحكاتِ   ولكنه ضَحِكٌ كالبُكَا

ومِنْ مُلَح المتأخرين: كان بمُرْسِيَةَ أبو جعفر المذكور في المطمح، وكان يلقّب بالبقيرة، فقال فيه بعض أهل عصره: [البسيط]

قالوا البقيرةُ يهجونا فقلتُ لهم   ماذا دُهيتُ به حتى مِنَ البقرِ
هذا وليس بثورٍ بل هو ابنته   وأين منزلةُ الأنثى من الذَّكَرِ

وأنشد صاحب الزهر، ولا أذكر قائله[2]: [البسيط]

ماذا لقيت من المستعربين ومن   قياسِ قولهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلتُ قافيةً بكرًا يكون لها   معنًى يخالفُ ما قالوا وما وضعوا
قالوا لحنتَ وهذا الحرفُ منتصبٌ   وذاك خفضٌ وهذا ليس يرتفعُ
وضَرَّبُوا بين عبد اللّه واجتهدوا   وبين زيدٍ فطالَ الضربُ والوجعُ

وقال صاحب الزهر: أنشد أبو حاتم ولم يُسَمِّ قائله[3]: [الطويل]

ألاَ في سبيل اللّه ماذا تَضَمَّنَتْ   بطونُ الثرى واسْتُودِعَ البَلَدُ القَفْرُ

هذا ما حضر بفضل اللّه من الاستشهاد على أنّ «ماذا» تستعمل بمعنى الخبر والتكثير، واللّه الذي لا إله غيره ما طَالَعْتُ عليه كتابًا، ولا فتحتُ فيه بابًا، وإنما هو ثُمَالة من حوض التذكار، وصُبَابة مِمّا علق به شَرَك الأفكار، وأثر مِمّا سَدِكَ به السمع، أيام خلوّ الذّرْع، وعُقدت عليه الحُبَى، في عصر الصِّبا، ورحم اللّه من تصفّح، وتلمّح فتسمّح، وصحّح ما وقع إليه من الاعتلال، وأصلح ما وضع لديه من الاختلال، فخير الناس، من أخذ بالبر والإيناس، فبصر من جهله، وأذّكر عن وهله، وإنما المؤمنون إخوة، وتحابهم في اللّه رفعة وحُظوة، ولهم في السلف الكريم، ومحافظتهم على الودّ القديم، أُسوة كريمة وقُدْوَة.

---

(١) في الديوان: «وأَعْجَبُهُ».
(٢) الأبيات غير واردة في زهر الآداب وثمر الألباب للحصري.
(٣) زهر الآداب (ص ٧٩٦).

قال ابن الطراح: انظر إلى تحصيل هذا الإمام الرئيس، والأَسْمى النفيس، واستحضاره كلام الأدباء، وسِيَر النقّاد والبلغاء، ومُسَاجلته مع فرسان المعاني، ووصفه تلك المغاني، وقد كان حامل لواء الأدب، وفائق أبناء جنسه في مراقب[1] الطلب، وهذه الكلمة . أعني «ماذا» . جرت بسببها مناظرة بين الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع النحوي المشهور وبين مالك بن المرحّل بسبتة، حتى ألّف مالك كتاب «الرمي بالحصا، والضرب بالعصا» وفيه هَنَات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها، ولا لذي طي في البيان أن ينشرها، وفي ذلك قال الأستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى: [المديد]

كان ماذا ليتها عَدَمُ   جنّبوها قُرْبُها نَدَمُ
ليتني يا مالِ لم أرَها   إنها كالنارِ تضطرمُ

وقوله «يا مال» ترخيم مالك.

وحكى الأستاذ ابن غازي أنهم اختلفوا: هل يقال: كان ماذا أم لا؟ وقال: إنّ الأستاذ ابن أبي الربيع تَطَفَّل على مالك بن المرحّل في الشعر، كما أنّ ابن المرحّل تطفّل عليه في النحو، قال: ومن نظم مالك بن المرحل في هذه القضية: [مجزوء الرمل]

عابَ قومٌ كان ماذا   ليت شعري كان ماذا
إن يكن ذلك جهلاً   منهمُ فكّان ماذا

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله: [الوافر]

إذا ما شئتَ أنْ تَحيَا هَنِيًّا   رفيعَ القَدْرِ ذا نَفْسٍ كريمَهْ
فلا تَشْفَعْ إلى رجلٍ كبيرٍ   ولا تشهدْ ولا تحضرْ وليمَهْ

وله أيضًا: [البسيط]

لأُعملنّ إلى لقياكُم قَدمي   ولو تَجَشَّمْتُ بين الطينِ والماءِ
لأَنْ يبلَّ ثيابي الغيثُ أهونُ بي   من أن تحرّقَ نارُ الشوقِ أحشائي

وأبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوي الأديب أبو زكريا يحيىٰ بن

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٤٥): «مرقب».

علي بن سلطان اليفرني[1]، ولد سنة ٦٤١، وبرع في العربية، وكان يلقّب في المشرق «جبل النحو» وكان عند نفسه مجتهدًا، وكان لا يجيز نكاح الكتابيات، خلافًا للإمام مالك، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ويتمسّك بقوله تعالى: ﴿وجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً ورحمةً﴾[2] وكان يرى أنّ الطلاق لا يكون إلاّ مرتين: مرة للاستبراء، ومرة للانفصال، ولا يقول بالثلاث، وهو خلاف الإجماع، وكان يقول في نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذي ناب من السباع: أي مأكول كل ذي ناب، وتبقى هي على الإباحة، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وما أَكَلَ السَّبُعُ﴾[3] وكان يقول في قوله تعالى ﴿إنّ هذانِ لَساحِران﴾[4] إن[5] الهاء اسم إنّ، وذان لساحران جملة خبر لإنّ، ولا تحتاج لرابط لأنها تفسيرية، والمعنى عنده وأسرُّوا النجوى قالوا إنها أي نجوانا هذان لساحران، أي قولنا هذان لساحران، تثبيطًا للناس عن اتِّباعهما، وخَطُّ المصحف يرده، لكن في المصحف أشياء كُتبتْ على غير المصطلح، مثل (مال هذا) و (لا أوضعوا) و (لا أذبحه). قال ابن الطراح: ورأيت هذا المعنى لغيره، وأظنّه ابن النحاس، وتوفي اليفرني المذكور سنة ٧٠٠، ومن شعره: [البسيط]

ماذا على الغُصُنِ الميَّاس لو عَطَفا ... على صَبابةِ صَبٌّ حالفَ الدَّنَفَا
يا رحمةً لفؤادي مِنْ مُعَذِّبِهِ ... كم ذا يحمّله أن يحملَ الكلفا
ويا رعى اللّهُ دهرًا ظلَّ يَجْمَعُنا ... في ظلِّ عَيشٍ صفا من طيبه وضَفَا[6]
مودّة بَيْنَنا في الحبِّ كاملة ... ونحن لا نعرف الإعراض والصَّلَفَا

رجع إلى كلام الأندلسيين.

قال صالح بن شريف الرُّنْدِي رحمه الله تعالى في سكين الكتابة: [الخفيف]

---

(١) ترجمة أبي زكريا يحيى بن علي بن سلطان اليفرني في بغية الوعاة (ص ٤١٢) وفيه: يحيى بن سلطان اليفرني.
(٢) سورة الروم ٣٠، الآية: ٢١.
(٣) سورة المائدة ٥، الآية: ٣.
(٤) سورة طه ٢٠، الآية: ٦٣.
(٥) كلمة «إنّ» ساقطة من طبعة دار صادر (ص ١٤٦).
(٦) ضفا: طال.

أنا مصلمةُ الكتابة، ما لي   من شبيهٍ في المُرْهَفَات الرِّقاقِ
فكأني في الحسن يومُ وصالٍ   وكأني في القطع يومُ فراقِ

وقال في المقصّ: [الوافر]

ومصطحبَينِ ما اتُّهما بعشقٍ   وإن وُصفا بضمّ واعتناقِ
لَعَمْرُ أبيكَ مَا اجتمعا لشيءٍ   سوى معنى القطيعةِ والفراقِ

ولبعض الأندلسيين: [الكامل]

هَلاَّ اقْتَدَى ذو خُلَّة بفعالِنا   فيكونَ واصلَ خلِّهِ كوصالنا
مهما يجيء أحدٌ ليقطعَ بَينَنا   نَقْطَعْهُ ثم نَعُدْ لأَحْسَنِ حالنا

وجرح بعض الكتّاب يده بالمقص، فأنشده أحد جلسائه، وغالب ظني أنه أندلسي: [الوافر]

عداوة «لا» لكفِّك من قديم   فلا تَعْجَبْ لمقراضٍ لئيمِ
لئن أدْماكَ فهو للاشبيةً   وقد يعدو اللئيمُ على الكريمِ

ولَمّا ألّف ابنُ عصفور كتابه «المقرب» في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الأندلسيين وغيرهم، منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيري، وله عليه «المنهج المعرب، في الرد على المقرب» وفيه تخليط كثير وتَعَسُّف: [الطويل]

وفي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشمسَ نُورَها   ويأملُ أنْ يأتي لها بضَرِيبِ[1]

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي، وسمّاه «شدّ الزيار، على جَحْفَلة الحِمار» وابن مؤمن القابسي، وبهاء الدين بن النحاس.

ومن شعر حازم الأندلسي المذكور قوله[2]: [الكامل]

لم تَدْرِ إذ سألتكَ ما أسْلاَكَها   أبَكَتْ أسًى أم قطعتْ أسلاكها

---

(١) الضريب: المِثْل، الشبيه، والبيت للمتنبي وهو في ديوانه (ص ٣٣٤) وفيه: «يجهدُ» بدل «يأملُ». وقد مرّ هذا البيت في الجزء الثاني.
(٢) ديوان حازم القرطاجني (ص ٨٧).

وعارضه التجاني بقوله: [الكامل]

يا ساحرَ الألحاظِ يا فَتّاكَها فُتْيَا جوازِ الصّدِّ مَنْ أفتاكَها

ومن حكاياتهم في المُجون[1] وما يجري مجراه أنّ الوزير أبا بكر بن الملح كان له ابنٌ شاب، فاسترسل مع الأدب إلى أن خرج من القول إلى الفعل، وأتى بأشياء لا تليق بمثله، فكتب إليه أبوه: [مخلع البسيط]

يا سُخْنَةَ العَينِ يا بُنَيَّا ليتكَ ما كنتَ لي بُنَيَّا
أبكيتَ عيني، أطلتَ حزني أَمَتَّ صيتي وكان حَيّا
حَطَطْتَ قدري وكان أعلى في كلِّ حالٍ من الثُّرَيّا
أَمَا كَفاكَ الزِّنا ارتكابًا وشربُ مشمولةِ الحُمَيّا
حتى ضربتَ الدفوفَ جهرًا وقلتَ للشرِّ: جِئْ إليّا
فاليومَ أبكيكَ ملء عيني لو كان يُغْني البكاءُ شَيَّا

فأجابه ابنه بقوله[2]: [مخلع البسيط]

يا لائمَ الصبِّ في التصابي ما عنكَ يُغْني البكاءُ شَيّا
أَوْجَفْتَ خيلَ العتابِ نحوي وقَبْلُ وَثَّبْتَها إليّا
وقلتَ عُمْرُ الهَنَا قصيرٌ فاربحْ مِنَ العَيشِ ما تَهَيّا
قد كنتُ أرجو المتابَ مِمّا فُتِنْتُ جهلاً به وغَيّا
لولا ثلاثُ شيوخِ سوءٍ أنتَ وإبليسُ والحُمَيّا

وقال أبو جعفر بن صَفْوَان المالقي رحمه اللّه تعالى: [الرجز]

سَأَلْتُه الإتيانَ نحوي مُقْبِلاً فقال سَلْ نحوي كي تُحَصِّلاَ
قرأتُ بابَ الجمعِ من شوقي له وهو بالاشتغالِ عني قد سَلاَ
للاستغاثةِ ابتدأتُ تاليًا وهو لأفعال التعدّي قد تلا

---

(١) وردت هذه القصة والأبيات في هذا الجزء (ص ٢٢١) وأشرنا هناك إلى أنها وردت في المغرب (ج ١ ص ٣٨٤).

(٢) تقدمت هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ٢٢١) باختلاف يسير عمّا هنا، وأشرنا هناك إلى أنها، ما عدا البيت الأول، في المغرب (ج ١ ص ٣٨٤).

وكلّما طلبتُ منه في الهوى عطفًا غدا يطلبُ منّي بدلا
وإنْ أَرُمْ محضَ إضافةٍ له أَعْمَلَ في قطعيَ عنه الحِيَلاَ
في أَلِفِ الوَصْلِ ظَلَلْتُ باحثًا وهو بباب الفصل قد تَكَفَّلاَ
فلستُ موصولاً وليس عائدًا وليس حالي عن أسى منتقلا
فيا مُنَى نَفْسي ومن لفهمه دانتْ فهومُ الأذكياء النُّبَلاَ
وجدي موقوفٌ عليك لا أرى عنك مدى الدهر له تَنَقُّلاَ
فما الذي يمنعُ من تسكينه والوقفُ بالتسكين حُكْمٌ أعملا
والحبُّ مرفوعٌ إليكَ مفردٌ فَلِمْ ترى لضمتي مستثقلا
فالضَّمُّ للرفع غَدَا علامةً في مفردٍ مثلي فأوضح مشكلا
لا زلتَ للهيام عنِّي رافعًا للوصل ناصبًا، لقولي مُعْملا
للشوق مسكّنًا، لهجري صارفًا بالقرب من حالِ البِعاد مبدلا
تجزمُ أمرًا في الأماني ماضيًا وتبتدي بما تشا مستقبلا

وقال محمد بن إدريس القُضَاعي الأصطبوني: [الطويل]

عُلاهُ رياضٌ أورقتْ بمحامدٍ تُنَوِّرُ بالجَدْوَى وتُثْمِرُ بالأملْ
تسحُّ عليها من نداه غمامةٌ تُرَوِّي ثرى المعروفِ بالعَلِّ والنَّهَلْ
وهل هو إلاَّ الشمس نفسًا ورفعةً فيقرب بالجدوى ويبعدُ بالأَمَلْ
تعمُّ أياديه البريَّةَ كلَّها فدانٍ وقاصٍ جودُ كَفَّيهِ قد شمل

وقال محمد التطيلي الهذلي، من أعيان غَرْنَاطة[1]: [الكامل]

جارَتْ عليَّ لواحظُ الآرامِ لَمّا رَمَتْ أجفانُها بسهامِ
حَكَمَتْ عليَّ بحكمها فتبسّمتْ فغدا الضنى منها لدى أَحكام
يا قاتلي عَمْدًا بسيفِ لحاظِهِ اغمدْ ظُبَاه قَبْلَ وَقْعِ حِمامي[2]
كم رمتُ وصلك والصدودُ يصدّني ويفلُّ عَزْمي أمره ومرامي
إني عدمتُ النفسَ يوم فراقكم والبينُ أسلمها إلى الإعدام

(١) ترجمة محمد التطيلي الهذلي في برنامج شيوخ الرعيني (ص ٢٠٢).
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٨٥): «حمام».

كيف المُقامُ وأصلُ جسمي ناحلٌ ... إنَّ النفوسَ مقيمةُ الأجسام
صَعُبَ العلاج فليس يمكن برؤها ... حتى يعود الشهرُ مثلَ العام
قد كنتُ أفرحُ بالسلوّ فها أنا ... قد زُمَّ قلبي في الهوى بزمام
مالتْ به نحو الفتون بدائعُ ... من شادِنٍ يحكيه بَدْرُ تمام
فقوامُ أنفسنا بلذّة وَصْلِهِ ... وجميعُ أعيننا عليه سَوَامِ
قد أبرزتْ خدّاه روض محاسن ... عظمتْ على الأفكار والأوهام
تندى بماء شبيبةٍ وتنعُّمٍ ... فيروقُ منها الزهرُ في الأكمام
فكأنما وَجَناتها في لونها ... وردُ الرياض رَبَا بصَوب غمام
وكأنما درعُ الدُّجى من شَعْره ... قد حاكه منها يَدُ الإظلام
وكأنما ريقٌ حواه ثَغْرُهُ ... مِسْكٌ أُذيفَ بعنبرٍ ومُدام
وكأنما سَيفٌ نَضَتْ ألحاظه ... سيفُ الأمير ممهّد الإسلام
ذاك الأميرُ محمدُ بن محمدٍ ... ناهيك مِنْ ملكٍ أغرَّ هُمَامِ
ملكٌ عَلاَ فوق السِّماك علاؤه ... وسَمَا فأدركَ غايةَ الإعظامِ
لو كان يعتقلُ السُّها لأتاه في ... شكلِ الفتاةِ ملثَّمًا بلثام
أو كان يرضى بالمجرّة أجردًا[1] ... لَجَرَتْ إلى الإسراج والإلجام
فالسعدُ يفعلُ للأماني قولها ... والنصرُ يخدمه مع الأيام
واليومُ يعشقه ويحسدُ ليلَهُ ... فيه كعشقِ سيوفه لِلْهَامِ
نامتْ عيونُ الشِّرْكِ خوف سِنانِهِ ... لولاه ما اكتحلتْ بطيفِ منام
بَهَر الأنامَ بسيفه وببأسه ... فسبى وأنعم أيّما إنعام
فالمعتفي يجني جزيل هباته ... والمعتدي يَصْلَى الردى بحسام
مهما استعنتَ به فَضَيْغَمُ مَعْرَكٍ ... وإذا استجرتَ به فطَوْدُ شمام
أجرى مياهَ العدل بعد جفوفها ... وأزال نارَ الظلم بعد ضِرام
كم من كتيبةِ جَحْفَلٍ قد هدَّها ... في معركٍ بمهنَّدٍ صمصام
المقتفي الجُرْدِ الْمَذَاكِي عُدَّةً ... للكرِّ في الأعداءِ والإقدام
مِنْ كلِّ مبيضّ كأنَّ أديمه ... لونُ الصباح أتى عقيبَ ظلامِ

---

(١) الأجرد: الجواد القصير الشعر.

ومنها:

يا خَيرَ مَنْ ركبَ الجيادَ وقادَها تحت اللواءِ، وعمدَةَ الأقوامِ
لا زلتمُ والسعدُ يخدمُ أمركم في غبطةٍ موصولةٍ بدوام
حتى يصيرَ الأمنُ في أرجائنا عبدًا يقومُ لنا على الأقدام
واللّه ينصركم ويُغلي مجدكم ما سَجَّ إثْرَ الصحو ماءُ غمام

وكان يحيىٰ السَّرَقُسْطي أديبًا، فرجع إلى الجزارين، فأمر الحاجبُ ابنُ هود أبا الفضل ابن حسداي أن يوبّخه على ذلك، فكتب إليه[1]: [الوافر]

تركتَ الشعرَ من عَدَمِ الإصابَهْ ومِلْتَ إلى التجارةِ والقِصابَهْ[2]

فأجابه يحيىٰ: [الوافر]

تَعِيبُ عليَّ مألوفَ القِصابَهْ ومَنْ لم يَدْرِ قَدْرَ الشيء عابَهْ
ولو أَحْكَمْتَ منها بعضَ فنٍّ[3] لما استبدلتَ منها بالحِجَابَهْ
ولو تدري بها كلفي ووَجْدي علمتَ علامَ أحتملُ الصَّبابَهْ
وإنك[4] لو طلعتَ عليّ يومًا وحولي من بني كلبٍ عصابَهْ
لَهالَكَ ما رأيتَ وقلتَ هذا[5] هِزَبْرٌ صَيَّرَ الأوضامَ غابَهْ
وكم شهدتْ لنا كلبٌ وهرٌّ بأنَّ المجد قد حُزْنا لُبَابَهْ
فَتَكْنا في بني العَنْزِيّ فَتْكًا أقرَّ الذُّعْرَ فيهمْ والمَهابَهْ
ولم نُقْلِعْ عن الثوريّ حتى مَزَجْنا بالدم القاني لُعَابَهْ
ومن يَغْترّ[6] منهم بامتناعٍ فإنَّ إلى صوارمنا إيابَهْ

---

(١) ترجمة يحيى الجزار السرقسطي وشعره في المغرب (ج ٢ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥) والذخيرة (ق ٣ ص ٩٠٥ ـ ٩٠٦) وزاد المسافر (ص ٩٨).

(٢) في الذخيرة والمغرب: «من ضَعْف الإصابَهْ وعُدْتَ إلى الدناءة. .». وفي زاد المسافر: «وعدت إلى التجارة. .».

(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٨٧): «شيء».

(٤) في الذخيرة والمغرب: «أما ولو اطَّلَعْتَ. .». وفي زاد المسافر: «فإنك لو نظرت إليَّ فيها. .».

(٥) في زاد المسافر: «لَهالَكَ منظري ولَقُلْتَ. .».

(٦) في المغرب: «يعتزُّ».

ويـبـرزُ واحِـدٌ مـنّـا لألـفٍ فـيـغـلـبـهـم وذاكَ مِـنَ الـغَـرابَـهْ

ومنها:

أبا الفضلِ الوزير أجِبْ ندائي وفَضْلُكَ ضامنٌ عنك الإجابَهْ
وإصغاءً إلى شكوى شكور أطلت على صناعته عتابَهْ
وحَقِّكَ ما تركتُ الشعرَ حتى رأيتُ البخلَ قد أوصى صحابَهْ[1]
وحتى زُرْتُ مشتاقًا خليلي فأبدى لي التحيُّلَ والكآبَهْ[2]
وظنَّ زيارتي لِطِلابِ شيءٍ فنافرني وغَلَّظَ لي حِجابَهْ[3]

وقال الأديب أبو الحسن بن الحداد: [مجزوء الكامل]

قـالـتْ وأَبْـدَتْ صـفـحـةً كالشمسِ مِنْ تحتِ القناعِ
بـعـتَ الـدفـاتـرَ وهـي آ خِرُ ما يُباعُ مِنَ المَتاع
فـأجـبْـتُـهـا ويـدي عـلـى كـبـدي وهَـمَّـتْ بـانـصـداع
لا تـعـجـبـي مِـمّـا رأيـ تِ فنحن في زمَنِ الضَّياع

وقال الأديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة، وقد عُزل والٍ فنزل المطر على إثره، وهو من أحسن شعر قاله، وكان الوالي غير مَرْضي[4]: [السريع]

ورُبَّ والٍ سَـرَّنـا عَـزْلُـهُ فَـبَـعْـضُـنـا هَـنّـأه الـبـعـضُ
قد واصلتنا السُّحْبُ من بعده ولَـذَّ فـي أجـفـانـنـا الـغَـمْـضُ
لو لم يكنْ مِنْ نَجَسٍ شَخْصُهُ ما طُهِّرَتْ من بعده الأرضُ

وقال القاضي أبو البركات بن الحاج البلفيقي، رحمه الله تعالى: [الكامل]

وعشيّةٍ حَكَمَتْ على مَنْ تابَ من أهلِ الخلاعةِ أنْ يعودَ لما مضى
جَمَعَتْ لنا شملَ السرورِ بفتيةٍ جمعوا اللذّاتِ شَمْلاً مرتضى
ما عاقني عن أن أسيرَ بسيرِهِمْ إلاّ الرياء مع الخطابةِ والقضا

---

(١) في الذخيرة: «قد أمضى شهابَهْ». وفي المغرب: «قد أذكى شهابَهْ».
(٢) في الذخيرة: «حميمًا فأبدى لي التجهّم..». وفي المغرب: «حبيبًا فأبدى لي التجهّم..».
(٣) في المغرب: «فظنَّ... وأغلظ لي حجابَهْ».
(٤) تقدمت هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ٥٧) دون تغيير عمّا هنا.

وقال أبو الحجّاج يوسف الفهري من أهل دانية[1]: [الطويل]

أبى اللّه إلاّ أنْ أُفارِقَ منزلاً يُطالِعُني وَجْهُ المُنَى فيه سافِرا
كأنَّ على الأيام أنْ لا أَحُلَّهُ رويدًا فما أغشاهُ إلاَّ مسافرا

وقال بعضهم في الرثاء: [الخفيف]

عَبَراتٌ تفيضُ حزنًا وثكلاً وشجونٌ تعمُّ بعضًا وكُلاًّ
ليس إلاّ صُبَابة أَضْرَمَتْها حسرةٌ تبعثُ الأسى ليس إلاّ

ولأبي جعفر البغيل أحد شعراء ألْمَرِيَّةِ وكُتّابها: [الطويل]

عزاءً على هذا المصابِ الذي دهى وشَتَّتَ شملَ الأُنْسِ من بعد ما انتهى
بفرع علاء في منابت سُؤْدُدٍ تسامى رُقِيًا في المعالي إلى السُّها
أُصِبْتَ به من بعد ما تَمَّ مجدُهُ وقد شمختْ منه الشماريخُ وازدهى
فأيّةُ شمسٍ فيه للمجد كُوِّرَتْ وأيُّ بناءٍ للمكارم قد وهى
فصبرًا عليه لاَ رُزِئْتَ بمثله فمثلك من يُعْزَى إلى الحلم والنُّهى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي المالقي: [الكامل]

طلعتْ طلائعُ للربيع فأطلعتْ في الروض وَرْدًا قبل حين أوانِهِ
حَيّا أميرَ المؤمنين مبشّرًا ومؤمِّلاً للنيلِ مِنْ إحسانِهِ
ضَنَّتْ سحائبُهُ عليه بمائِهِ فأتاه يستسقيه ماء بَنانِهِ
دامَتْ لنا أيامُهُ موصولةً بالعزِّ والتمكين في سلطانه

وقال أبو جعفر أحمد بن طَلْحة من جزيرة شُقْر[2]: [السريع]

يا هل ترى أَظْرَفَ مِنْ يَوْمِنا قَلَّدَ جِيدَ الأُفْقِ طَوقَ العقيقْ
وأنْطَقَ الوُرْقَ بعيدانها مطربةً[3] كلَّ قضيبٍ وَرِيقْ

---

(١) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣١)، وقد تقدّما في الجزء الأول وجاء هناك بعض اختلاف في رواية البيت الثاني.

(٢) الأبيات في اختصار القدح (ص ١١٤) والمغرب (جـ ٢ ص ٣٦٥)، وتقدمت في الجزء الرابع باختلاف يسير عمّا هنا.

(٣) في المغرب: «مرقصة»، وفي اختصار القدح: «من فضة».

والشمسُ لا تشربُ خمرَ الندى   في الروضِ إلاّ بكؤوس الشقيقْ

وقال أبو جعفر الغَسَّاني من أهل وادي آش، واستوطن غَرْنَاطة، ثم مات بألْمَرِية، فكتب على حمالة قرابِ لموطّإِ الإمام مالك، بعدما استنجد قرائح أدباء عصره، واستصرخ اختراعاتهم لنَصْره، فكلُّهم قَصَّرَ عن غرضه، وأداء مفترضه، فقال هو: [المجتث]

يـا طـالـبًـا لـكـمـالٍ   حـفـظي أتـمُّ كـمـالِـكْ
فـمـا تَـقَـلَّـدْتَ مـثـلـي   إذ لـم تـقـلّـدْ كـمـالـكْ

وقال أبو بكر يحيىٰ بن بقيّ: [الكامل]

خُذْها على وجه الربيع المُخْصِبِ   لم يقضِ حَقَّ الروض من لم يَشْرَبِ
هـمـمي سـمـاء عُـلاً وهَـمِّـي مـاردٌ   فارجُمْهُ من تلك الكؤوس بكوكب

وهو[1] رحمه اللّٰه تعالى صاحب الأبيات المشهورة[2]: [الكامل]

زَحْزَحْتُهُ عن أضلعٍ تشتاقُهُ   كي لا ينامَ على فراشٍ خافقِ[3]

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال: إنه كان جافي الطبع حيث قال «زحزحته» ولو قال * باعدت عنه أضلعًا تشتاقه * لكان أحسن.

وقال السلطان المتوكل بن الأفطس صاحب بَطَلْيَوسَ يستدعي[4]: [مخلع البسيط]

انـهـضْ أبـا طـالـبٍ إلـيـنـا   واسْقُطْ سقوطَ الندى علينا[5]
فـنـحـن عِـقْـد بـغـير وُسْطَى   ما لم تكن حاضرًا لـدينا

وتذكَّرْتُ هنا قول بعضَ المشارقة فيما أظنّ واللّٰه تعالى أعلم: [مجزوء الرمل]

نـحـن فـي مـجـلـس أُنْـسٍ   مـا بـه غـيـرُ مُـحِـبِّـكْ
فَـتَـصَـدَّقْ بـحـضـورٍ   وأجـمـعِ الـوقـتَ بـقـربـك

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٩٠): «هو».
(٢) قلائد العقيان (ص ٢٧٨).
(٣) في القلائد: «أبعدته عن أضلع بشياقة.. على وسادٍ..».
(٤) قلائد العقيان (ص ٤٦).
(٥) في القلائد: «أقبلْ أبا.. وقَعْ وقوع الندى..».

وخَــفِ الآن عــتــابــي مـثـلَ خـوفـي عـنـد عـتـبـكْ

رجع - وقال أبو عبد الله بن خلصة الضرير[1]: [الطويل]

ولو جادَ بالدنيا وثَنّى[2] بمثلها لَظَنَّ من استصغارها أنه ضَنَّا
ولا عَيْبَ في إنعامه غير أنه إذا مَنَّ لم يُتْبِعْ مواهِبَهُ مَنَّا

وله أيضًا[3]: [الكامل]

يا مالكًا حَسَدَتْ عليه زمانَهُ أُمَمٌ خَلَتْ من قبله وقُرُونُ
ما لي أرى الآمالَ بيضًا وُضَّحًا ووُجُوهُ آمالي حوالك جُونُ
أنا آمِنٌ فَرِقٌ وراجٍ آيسٌ ورَوٍ صَدٍ ومُسَرَّحٌ مسجون[4]
لا تَغذُني أنواءُ سَيْبك لا عدا ك النصرُ والتأييدُ والتمكينُ

وقال ابن اللَّبَّانة: [الطويل]

كرمْتَ فلا بحرٌ حكاك ولا حَيًا وفُتَّ فلا عُجم شَأَتْكَ ولا عُرْبُ
وأوليتني منك الجميلَ فَوَالِهِ عسى السحُّ من نعماكَ يتبعه السكبُ

وقال أبو علي بن اليماني[5]: [الخفيف]

أبناتِ الهديلِ أَسْعِدْنَ أو عِدْ نَ قليلَ العزاءِ بالإسعادِ
بَيدَ أني لا أرتضي ما فَعَلْتُـ نَّ فأطوقُكُنَّ في الأجيادِ

وقال أبو جعفر أحمد بن الدودين من كلمة[6]: [الكامل]

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن خلصة الشذوني، وترجمته في الذخيرة (ق ٣ ص ٣٢٢) وجذوة المقتبس (ص ٥٤) وبغية الملتمس (ص ٧٤) ونكت الهميان في نكت العميان للصفدي (ص ٢٤٨). وبيتاه في الذخيرة (ص ٣٢٤ - ٣٢٥).

(٢) في الذخيرة: «وعاد».

(٣) الذخيرة (ص ٣٢٧).

(٤) الفَرِقُ: الخائف. الآيس: البائس. الصدي: العطشان. وفي الذخيرة: «يائسٌ» بدل «آيسٌ».

(٥) هو إدريس بن اليمان العبدري، وقد مرَّ التعريف به والإشارة إلى مصادر ترجمته في هذا الجزء (ص ٢٢٤)، والبيتان في الذخيرة (ق ٣ ص ٣٥٠).

(٦) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٩١): «الدود». وترجمة أبي جعفر أحمد بن الدُّودين البلنسي وبيته في الذخيرة (ق ٣ ص ٧٠٣ - ٧٠٤) والمغرب (جـ ٢ ص ٣٢٢ - ٣٢٣).

فَغَدَتْ غواني الحيِّ عنك غوانيا[1]   وأَسَلْنَ ألحاظَ الرَّبابِ رَبابَا

وقال ابن أبي الخصال في مليحة لها أربع جوارٍ قبيحات: [المنسرح]

وليلةٍ طولها على سَنَةٍ   باتَ بها الجفنُ نادبًا وَسَنَهْ
بأربعٍ بينهنَّ واحدةٌ   كسيئاتٍ وبينها حَسَنَهْ

وقال غالب بن تمام الملقب بالحجّام[2]: [الوافر]

صغارُ الناسِ أكثرهُمْ قبيحًا   وليس لهمْ بصالحةٍ نُهُوضُ[3]
ألم تَرَ في سباع الطيرِ نسرًا   يسالمنا، ويؤذينا البعوضُ[4]

وقال ابن عائشة[5]: [مخلع البسيط]

وروضةٍ قد علتْ سماءً   تطلعُ أزهارُها نجوما
هَفَا نسيمُ الصَّبَا عليها   فَخِلْتُها أَرْسَلَتْ رجوما
كأنما الجوُّ غارَ لَمَّا   بَدَتْ فأغرى بها النسيما

وله يصف فرسًا، وهو من بدائعه: [الكامل]

قَصُرَتْ له تسعٌ وطالَتْ أربعٌ   وزكتْ ثلاثٌ منها[6] للمتأمّلِ
وكأنما سالَ الظلامُ بمتنه   وبدا الصباحُ بوجهه المتهلّلِ
وكأنَّ راكبَهُ على ظهرِ الصَّبَا   من سرعةٍ أو فوق ظهرِ الشمألِ

وقال: [المنسرح]

---

(١) رواية صدر البيت في طبعة عبد الحميد هي:

فَغَدَتْ غوادي الحيِّ عنك عجائبًا

(٢) البيتان في الذخيرة (ق ٣ ص ٣٣٨) والمغرب (جـ ٢ ص ٤٠) وقد تقدما في الجزء الرابع باختلاف عمّا هنا.

(٣) في الذخيرة والمغرب: «أكثرهم فسادًا.. لصالحةٍ..».

(٤) في الذخيرة: «سترًا تسالمنا..». وفي المغرب: «في طباع الطير سرًا تسالمنا ويأكلنا البعوض».

(٥) تقدمت هذه الأبيات في هذا الجزء (ص ١٦٥، ٢٠٣) ببعض الاختلاف عمّا هنا، وأشرنا هناك إلى المصادر التي وردت فيها.

(٦) في طبعة دار صادر (ص ١٥٧): «منه».

تربةُ مِسْكٍ، وجوُّ عنبرةٍ وغَيمُ نَدٍّ، وطَشُّ ماوَرْدِ
كأنما جائلُ الحباب به يلعبُ في جانبيه بالنرد

وتروى هذه الأبيات لغيره.

وقال[1]: [الطويل]

هُمُ سلبوني حُسْنَ صَبْرِيَ إذ بانوا بأقمارِ أطواقٍ مطالِعُها بَانُ
لَئِنْ غادروني باللوى إنَّ مهجتي مسايرةٌ أظعانَهُمْ حيثما كانوا

وقال أبو محمد بن سفيان، وهو من أبدع التخلص: [الطويل]

فقلتُ وجَفْني قد تَداعَتْ شؤونُهُ وحَرُّ ضلوعي مُقْعِدٌ ومُقِيمُ
لئن دَهَمَتْ دُهْمُ الخطوبِ وآلمتْ فإنَّ أبا عيسى أغرُّ كريمُ

وقال ابن الزقاق[2]: [الكامل]

بأبي وغيرُ أبي أغَنُّ مُهَفْهَفٌ مَهْضُومُ ما تحت[3] الوشاح خَمِيصُهُ
لبس الفؤادَ ومَزَّقَتْهُ جُفُونُهُ فأتى كيُوسُفَ حين قُدَّ قَمِيصُهُ

وقال: [الطويل]

سلام على أيامكُمْ ما بكى الْحَيَا وسَقْيًا لذاك العهد ما ابتسم الزَّهْرُ
كأنْ لم نَبِتْ في ظِلِّ أمنٍ تَضَمُّنا عن الليلةِ الظَّلْماء أرديةٌ خُضْرُ
ولم نَغْتَبِقْ تلك الأحاديثَ قهوةً وكم مجلسٍ طيبُ الحديث به خَمْرُ
ألا في ضمان اللّه في كلّ ساعةٍ يجدِّدُ لي فيها بشوقي له ذِكْرُ
يُذَكِّرنيهِ البرقُ جَذْلاَنَ باسمًا ويُذْكرني إسفارَ غُرَّته الفَجْرُ
وما رَقَّ زهرُ الروضِ إلاَّ تمثّلتْ لناظرِ عيني منه آدابُهُ الزُّهْرُ

وقال يحيىٰ السَّرَقُسْطِي: [الخفيف]

---

(١) ورد هذان البيتان في قلائد العقيان (ص ١٩٨) وأزهار الرياض (جـ ٣ ص ٢١) منسوبين إلى ابن السيد البطليوسي. وتقدما في الجزء الثاني.
(٢) ديوان ابن الزقاق (ص ١٩٦)، وتقدما في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٣) في الديوان: «ما خلف».

هاتِها عسجديّةً كوثريَّهْ   بِنْتَ كَرْمٍ رحيقةً عطريَّهْ
كلّما شفَّها النحولُ تَقَوَّتْ   فاعجبوا من ضعيفةٍ وقويَّهْ
رُبَّ خَمّارةٍ سَرَيتُ إليها   والدُّجا في ثيابه الزِّنْجيَّهْ

ومنها:

كم عُقارٍ بَدَّلْتُهُ بِعُقار   وثيابٍ صبغتُها خمريَّهْ
إنَّ خيرَ البيوع ما كان نقدًا   ليس ما كان آجلاً بنسيَّهْ[1]

وله[2]: [السريع]

نسبتمُ الظلمَ لعمالكُمْ   ونمتمُ عن قُبْحِ أعمالكمْ
واللّه لو حكمتُمْ ساعةً   ما خَطَرَ العدلُ على بالكمْ

وقال الرصافي في الدولاب[3]: [مخلع البسيط]

وفي حَنِينٍ يكادُ شجوًا   يَخْتَلِس الأنفُسَ اختلاسا
إذا غَدَا للرياضِ جارًا   قال لها الْمَحْلُ: لا مساسا
يبتسمُ الروضُ حين يبكي[4]   بأدمعٍ ما رأين باسا
مِنْ كلِّ جَفْنٍ يسلُّ سيفًا   صار له عقده[5] رئاسا

وخرج أبو بكر الصابوني لنزهة بوادي إشبيلية، وكان يهوى فتًى اسمُه علي، فقال: [مجزوء الوافر]

أبا حسنٍ أبا حسنِ   بعادُكَ قد نفى وسني
وما أَنْسَى تذكُّرَهُ   فهل أنسى فيذكرني

---

(١) بنسيّة: أصل القول: بنسيئة، والنسيئة: التأخير.
(٢) زاد المسافر (ص ٩٩).
(٣) ديوان الرصافي البلنسي (ص ١٠٢).
(٤) رواية صدر البيت في الديوان هي:
تَبَسَّمَ الزَّهْرُ حين يبكي
(٥) في الديوان: «غِمْده».

ويشبه هذا قول أبي[1] الطاهر بن أبي ركب: [مجزوء الوافر]

يـقـولُ الـنـاسُ فـي مَـثَـلٍ ... تَـذَكَّـرْ غـائـبًـا تَـرَهْ
فـمـا لـي لا أرى سَـكَـنـي ... ومـا أنـسـى تَـذَكُّـرَهْ

وكتب بعض الأدباء إلى ابن حزم الأندلسي بقوله: [المتقارب]

سـألـتُ الـوزيـرَ الـفـقـيـهَ الأجـلّ ... سـؤالَ مُـدِلٍّ عـلـى مـن سـأَلْ
فـقـلـتُ أيـا خـيـرَ مـسـتـرشـدٍ ... ويـا خـيـرَ مَـنْ عـن إمـام نـقَـلْ
أيـحـرمُ أن نـالـنـي قـبـلـةً ... غـزالٌ تـرشَّـفُ فـيـه الـغـزَلْ
وعـانَـقَـنِـي والـدُّجـا خـاضـبٌ ... فَـبِـتْـنـا ضـجـيـعـيـن حـتى نَـصَـلْ
وجـئـتـك أسـأل مـسـتـرشـدًا ... فَـبَـيِّـنْ فُـدِيـتَ لـمـن قـد سـألْ

فأجابه ابنُ حزم بقوله: [المتقارب]

إذا كـان مـا قُـلْـتَـه صـادقًـا ... وكـنـتَ تـحـرَّيـتَ جـهـدَ الـمُـقِـلْ
وكـان ضـجـيـعُـكَ طـاوي الـحـشـا ... أعـارَ الـمـهـاةَ احـمـرارَ الـمُـقَـلْ
قـريـبَ الـرضـا ولـه غُـنَّـةٌ ... تـمـيتُ الـهـمـومَ وتُـحْـيـي الـجـذلْ
فـفـي أَخْـذِ أشـهَـبَ عـن مـالـكٍ ... عن ابن شهابٍ عن الغيرِ قُلْ
بـتـركِ الـخـلافِ عـلـى جـمـعـهـم ... عـلـى أنَّ ذلـك حِـلٌّ وبِـلُّ

ونظر الرصافي يومًا إلى صبي يبكي، ويأخذ من ريقه ويبلُّ عينيه، كي يخفي[2] أثر اء، فارتجل الرصافي[3]: [الطويل]

عذيريَ مِنْ جَذْلانَ يُبْدي كآبَةً ... وأَضْلُعُهُ مِمّا يُحاوِلُهُ صِفْرُ[4]
أُمَيْلِدُ[5] مَيّاسٌ إذا قادَه الصِّبا ... إلى مُلَحِ الإدلال أَيَّده السِّحْرُ

كلمة «أبي» ساقطة من أصول النفح، والبيتان في التكملة (ص ١٨٥)، وقد تقدما في هذا الجزء (ص ٢٥٨)، وسيردان أيضًا في الجزء السادس.
في طبعة عبد الحميد (ص ٢٩٤): «يحكي».
ديوان الرصافي البلنسي (ص ٦٧).
صِفْرُ: أراد أن أضلعه خالية.
الأميلد: مصغّر الأملد وهو الناعم اللين من الناس والغصون.

يَبُلُّ مآقي مُقْلتيه بريقِهِ ليحكي البكا عَمْدًا كما ابتسم الزَّهْرُ[1]
أيُوهِمُ أنَّ الدمعَ بلَّ جفونَهُ وهل عُصِرَتْ يومًا من النرجس الخمرُ

وكان المذكور - أعني الرصافي - يميل في شبيبته لبعض فتيان الطلبة، وأجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالَقَة، فركبوا زورقًا للمسير إلى الوادي، فوافق أن اجتمع في الزورق شملُ الرصافي بمحبوبه، ثم إنَّ الريح الغربية عَصَفَتْ وهاج البحرُ، ونزل المطر، فنزلوا من الزورق، وافترق شمل الرصافي من محبوبه، فارتجل في ذلك، ويقال: إنها من أول شعره[2]: [مخلع البسيط]

غارَ بيَ الغَرْبُ إذ رآني مُجْتَمِعَ الشَّمْلِ بالحبيبِ
فأرْسَلَ الماءَ عن فراقٍ وأرسلَ الريحَ عن رقيبِ

فلمّا سمع ذلك أستاذه استنبله، وقال له: إنك ستكون شاعر زمانك.

وحُكي أنّ أبا بكر بن مجبر قال في ابنٍ لأبي الحسن بن القطان بمحضر والده: [مجزوء الرجز]

جاء وفي يساره قوسٌ وفي اليمنى قَدَحْ
كأنه شمسٌ بَدَتْ وحولها قَوْسُ قُزَحْ
يا لائمي في حُبِّه ما كلُّ مَنْ لام نَصَحْ

فقال ابن عياش الكاتب: هذه أبيات لأندلسي استوطن المشرق في تركي، فأقسم أبو بكر أنه لم يسمع شيئًا من ذلك، وإنما ارتجلها، وقيل: إنها لأبي الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد، وأوّلها:

جَدّ بقلبي ومَزَحْ

فالله أعلم بحقيقة الأمر.

وخرج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الخُشَني والقاضي أبو حفص بن عمر، وهو إذ ذاك وَسِيمٌ، فأثرت الشمس في وجهه، فقال أبو ذر: [المديد]

---

(١) في الديوان: «مآقي زَهْرَتَيه... ليحكي..».
(٢) ديوان الرصافي البلنسي (ص ٤٩).

وسمتكَ الشمسُ يا عمرُ[1]   سِمَةً في القلب تنتشرُ

فقال الآخر: [المديد]

عَلِمَتْ قَدْرَ الذي صَنَعَتْ   فأتتْ صفراءَ تعتذرُ

وقال أبو الحسين البلنسي الصوفي: كان لي صديق أمي لا يقرأ ولا يكتب، فعلق فتًى، وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس في وجهه، فأعجبه ذلك، وأنشد: [البسيط]

رأيتُ أحمدَ لَمّا جاء مِنْ سفرٍ   والشمسُ قد أثّرت في وجهه أثرا
فانظرْ لِمَا أثّرته الشمسُ في قمرٍ   والشمسُ لا ينبغي أن تُدْرِكَ القمرا

واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي، وكانا فريدي عصرهما حفظًا وتقدّمًا، فتعارفا، وتساءلا[2]، ثم بادر أبو الوليد بالسؤال، وقال: كيف يكون قول القائل: [الطويل]

ولو أنَّ ما بي بالحَصَا فَعَلَ الحصا   وبالريح لم يُسمعْ لهنّ هبوبُ

ما ينبغي أن يكون مكان «فعل الحصا» فقال أبو مروان «فلق الحصا» فقال: وهمت، إنما يكون «قلق الحصا» ليكون مطابقًا لقوله «لم يُسْمع لهنّ هبوب» يريد أنَّ ما به يحرّك في شأنه السكون ويسكن ما شأنه الحركة، فقال أبو مروان: ما يريد الشاعر بقوله: [الطويل]

وراكعةٍ في ظِلِّ غصنٍ مَنُوطَةٍ   بلؤلؤةٍ نيطتْ بمنقارِ طائرِ

وكان اجتماعهما في مسجد، فأقيمت الصلاة إثر فراغ ابن سراج من إنشاد البيت، فلمّا انقضت الصلاة قال له الوقشي: ألغز الشاعر باسم أحمد، فالراكعة الحاء، والغصن كناية عن الألف، واللؤلؤة الميم، ومنقار الطائر الدال، فقال له ابن سراج: ينبغي أن تعيد الصلاة لشغل خاطرك بهذا اللغز، فقال له الوقشي: بين الإقامة وتكبيرة الإحرام فككته.

والبيت الأول لعبد الله بن الدمَينة، وبعده: [الطويل]

ولو أنني أستغفرُ اللّهَ كلّما   ذكرتُكِ لم تُكْتَبْ عليَّ ذنوبُ

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٩٦): «يا قَمَرُ».
(٢) في الطبعة نفسها: «وتسالما».

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى[1]: [الطويل]

ومستشفعٍ عندي بخير الورى عندي   وأولاهُمُ بالشكر منّي وبالحمدِ
وَصَلْتُ فلمّا لم أقمْ بجزائه   (لففتُ له رأسي حياءً من المجدِ)[2]

وكان سبب قوله هذين البيتين أنه كتب إليه أحد[3] الوزراء شافعًا لأحد الأعيان، فلمّا وصل إليه برّه وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله، وخلع عليه خِلَعًا، وأطلعه من الأحمال بدرًا لم يكن مطلعا، ثم اعتقد أنه قد جاء مُقَصِّرًا، فكتب إليه معتذرًا بالبيتين، هكذا حكاه الفتح[4]، وقال بعد ذلك ما صورته: ومن باهر جَلاله، وطاهر خِلاله، أنه أعَفُّ الناس بواطن، وأشرفهم في التقى مَواطِن، ما عُلمت له صَبْوَة، ولا حُلّت له إلى مستنكر حُبْوَة، مع عدل لا شيء يعدله، وتحجُّب عَمَّا يتّقي مِمّا يرسل عليه حجابه ويُسْدِله، وكان لصاحب البلد الذي كان يتولّى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة، وكانت محاسن الأقوال والأفعال عليه مقصورة، مع ما شئت من لَسَن، وصوت حَسَن، وعفاف، واختلاط بالبهاء والتفاف. قال الفتح: وحَمَلَنا لإحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللْنا قرية على ضفة نهر، أحسن من شاذ مهر[5]، تشقُّها جداول كالصِّلاَل؛ ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال، ومَعَنا جملة من أعيانها، فأحضرنا من أنواع الطعام، وأرانا من فرط الإكرام والإنعام، ما لا يُطَاق ولا يحدّ، ويقصر عن بعضه العدّ، وفي أثناء مُقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته، فقابلته بكلام أعتقده، وملام أحقده، فلمّا كان من الغد لقيت منه اجتنابه، ولم أرَ منه ما عهدته من الإنابة، فكتبت إليه مُدَاعبًا له، فراجعني بهذه القطعة[6]: [الطويل]

أَتَتْني أبا نَصْرٍ نتيجةُ خاطرٍ   سريعٍ كرَجْعِ الطَّرْف في الخَطَراتِ

---

(١) ترجمة القاضي أبي الحسن بن أضحى وبيتاه في قلائد العقيان (ص ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢) عجز هذا البيت عجز بيت لأبي تمام وهو في الديوان (ص ١١٤):

أتاني مع الركبان ظَنٌّ ظَنَنْتُهُ   لففتُ له رأسي حياءً من المَجْدِ

(٣) في طبعة دار صادر (ص ١٦٣): «بعض».

(٤) هو الفتح بن خاقان، والنص في قلائد العقيان (ص ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٥) في طبعة عبد الحميد (ص ٢٩٧): «شادن مهر».

(٦) قلائد العقيان (ص ٢١٦)، وتقدمت القصيدة في الجزء الثاني دون تغيير عمّا هنا.

فأَغرَبْتَ[1] عن وَجْدٍ كمينٍ طَوَيْتَهُ بأهْيفَ طاوٍ فاتِرِ اللَّحظاتِ
غزالٌ أحَمُّ[2] المقتلين عَرَفْتَهُ بِخَيْفِ مِنًى للحَين أو عَرَفاتِ
رَمَاك فأَصْمَى[3] والقلوبُ رَمِيَّةٌ لكلِّ كحيلِ الطَّرْفِ ذي فَتَكَات
وظَنَّ بأنَّ القَلْبَ منك مُحَصَّبٌ فَلَبَّاكَ مِنْ عَيْنَيْهِ بالجَمَرَات
تَقَرَّبَ بالنُّسَّاكِ في كلِّ مَنْسِكٍ وضَحَّى غَدَاةَ النَّحْرِ بالمُهَجَات
وكانت له جَيَّانُ مَثْوَى فأصبحتْ ضُلُوعُكَ مَثْواهُ بكلِّ فلاةِ
يَعِزُّ علينا أن تَهِيمَ فَتَنْطَوي كئيبًا على الأشجانِ والزَّفَرَات
فلو قُبِلَتْ للناسِ في الحبِّ فِدْيَةٌ فَدَيناكَ بالأموالِ والبَشَراتِ

ومن إيثار ديانته، وعلامة حفظه للشرع وصيانته، وقصده مقصد المتورّعين، وجَرْيه جَرْيَ المتشرعين، أنّ أحد أعيان بلده كان متصّلاً به اتّصال الناظر بسَوَاده، محتلاً في عينه وفؤاده، لا يُسْلِمه إلى مكروه، ولا يفرده في حادث يَعْرُوه، وكان من الأدب في منزلة تقتضي إسعافه، ولا توردِه[4] من تشفيعه في مورد قد عافه، فكتب إليه ضارعًا في رجلٍ من خواصّه اختلط بمرأة طلّقها، ثم تعلّقها، وخاطبه في ذلك بشعر، فلم يسعفه، وكتب إليه مُرَاجعًا[5]: [المتقارب]

ألا أيها السيدُ المجتبى ويا أيها الألمعِيُّ العلمْ
أتتنيَ أبياتُكَ المحكماتُ[6] بما قد حَوَتْ من بديع الحكمْ
ولم أرَ من قبلها مثلها[7] وقد نَفَثَتْ سحرها في الكلمْ
ولكنه الدينُ لا يُشْتَرَى بنثرٍ ولا بنظامٍ نُظِمْ
وكيف أُبيحُ حِمًى مانعًا وكيف أُحَلِّلُ ما قد حرمْ
ألستُ أخافُ عقابَ الإلٰه ونارًا مؤجّجةً تضطرمْ

---

(١) في القلائد: «فأعرب».
(٢) أَحَمُّ المقلتين: أسودهما. لسان العرب (حمم).
(٣) أصمى الصَّيْدَ: رماه فقتله مكانه وهو يراه. لسان العرب (صما).
(٤) في القلائد: «وتورّده».
(٥) قلائد العقيان (ص ٢١٧).
(٦) في القلائد: «المعجزات».
(٧) في القلائد: «بابلاً».

أأصرفُها طالقًا بتَّةً على أنوَكٍ قد طغى واجترمْ
ولو أنَّ ذلك الغويَّ الزريّ[1] تَثَبَّتَ في أمره ما ندمْ
ولكنه طاشَ مستعجلاً فكان أحقَّ الورى بالندمْ

انتهى كلام الفتح الذي أردت جَلْبه هنا.

ولا خفاء أنَّ هذه الحكاية مِمّا يدخل في حكايات عَدْل قضاة الأندلس.

ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به إلى بعض مَنْ يعز عليه[2]: [البسيط]

يا ساكنَ القلبِ رفقًا كم تُقَطِّعُه اللّهَ في منزلٍ قد ظلَّ مثواكا
يُشَيِّدُ الناسُ للتحصين منزلَهُمْ وأنتَ تهدمه بالعنفِ عيناكا
واللّه واللّه ما حُبِّي لفاحشةٍ يعاذني اللّه من هذا وعافاكا

وله في مثل ذلك[3]: [البسيط]

روحي إليكِ فَرُدِّيهِ إلى جسدي من لي على فقده بالصبر والجَلَدِ[4]
باللّه زوري كئيبًا لا عزاءَ له وشَرِّفيهِ ومَشْواه غداة غد
لو تعلمينَ ما ألقاه يا أملي بايعتني الودَّ تُصْفيه يَدًا بيدِ
عليكِ مني سلام اللّه ما بقيتْ آثارُ عينيك في قلبي وفي كبدي

وإذ وصلت إلى هذا الموضع من كلام أهل الأندلس، فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الأندلس اللاتي لهنَّ اليدُ الطولىٰ في البلاغة، كي يُعْلَمَ أنَّ البراعة في أهل الأندلس كالغريزة لهم؛ حتى في نسائهم وصبيانهم.

فمن النساء المشهورات بالأندلس: أم السعد بنت عصام الحميري[5].

من أهل قرطبة، وتُعْرف بسعدونة، ولها رواية عن أبيها وجدّها وغيرهما، كما حكاه ابن الأبار في ترجمتها من «التكملة».

---

(١) في القلائد: «ذاك الغبيّ الجهول».
(٢) قلائد العقيان (ص ٢١٧).
(٣) قلائد العقيان (ص ٢١٧).
(٤) في القلائد: «فردِّيها إلى.. على فقدها..».
(٥) ترجمة أم السعد بنت عصام الحميري في التكملة (رقم ٢١٢٨).

وأنشدَتْ لنفسها في تمثال نعل النبيّ ﷺ تكملة لقول غيرها ما صورته[1]: [السريع]

سألثم التمثالَ إذ لم أجدْ | للثم نعلِ المصطفى من سبيلْ
لعلّني أحظى بتقبيله | في جنّة الفردوسِ أسنى مقيلْ
في ظلّ طُوبى ساكنًا آمنًا | أُسْقى بأكواسٍ من السلسبيلْ
وأمسحُ القلب به عَلَّهُ | يسكنُ ما جاش به من غليلْ
فطالما استشفى بأطلال مَنْ | يهواه أهلُ الحُبّ في كلّ جيلْ

وأنشدني ابن جابر الوادي آشي عن شيخه المحدّث أبي محمد بن هارون القرطبي لجدّته سعدونة، وأظنّها هذه[2]: [مجزوء الكامل]

آخِ الرجالَ من الأبا | عِدِ والأقارِبَ لا تُقَارِبْ
إنّ الأقاربَ كالعَقا | ربِ[3] أو أشدّ من العقاربْ

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق، ورأيت نسبة البيتين لابن العميد، فاللّه أعلم.

ومنهن حسانة التميمية بنت أبي المُخَشّى الشاعر[4].

تأدّبت وتعلّمت الشعر، فلمّا مات أبوها كتبت إلى الحكم، وهي إذ ذاك بكر لم تتزوّج: [البسيط]

إني إليكَ أبا العاصي موجّعة | أبا المخشّى سَقَتْهُ الواكفَ الدِّيَمُ
قد كنتُ أرتعُ في نعماهُ عاكفةً | فاليومَ آوي إلى نعماكَ يا حَكَمُ
أنتَ الإمام الذي انقاد الأنامُ له | ومَلَّكَتْهُ مقاليدَ النُّهَى الأمَمُ
لا شيء أخشى إذا ما كنتَ لي كنفًا | آوي إليه ولا يعرونِيَ العَدَمُ
لا زِلْتَ بالعزّة القعساءِ مرتديًا | حتى تذلّ إليك العُرْبُ والعَجَمُ

فلمّا وقف الحَكم على شعرها استحسنه، وأمر لها بإجراء مرتب، وكتب إلى عامله على أَلْبِيرَةَ فجهّزها بجهاز حَسَن.

---

(١) يريد أن البيت الأول ليس من نظم أم السعد.

(٢) البيتان في يتيمة الدهر (جـ ٣ص ١٧٩ ـ ١٨٠) حيث ينسبهما الثعالبي إلى ابن العميد.

(٣) في يتيمة الدهر: «بل أضرّ من العقارب».

(٤) ترجمة حسانة التميمية في ذكر بلاد الأندلس (الورقتان ١٠٩، ١١٧).

ويُحكى أنها وفدت على ابنِه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد وَالِي أَلْبِيرَةَ، وكان الحكم قد وقّع لها بخطّ يده تحرير أملاكها، وحملها في ذلك على البرّ والإكرام، فتوسّلت إلى جابر بخطّ الحكم، فلم يُفِذْها، فدخلت إلى الإمام عبد الرحمن، فأقامت بِفنَائه، وتلطّفت مع بعض نسائه، حتى أوصلتها إليه، وهو في حال طرب وسرور، فانتسبت إليه، فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته: [الطويل]

إلى ذي الندى والمَجْدِ سارتْ ركائبي ... على شَحَطٍ تَصْلَى بنار الهواجرِ
ليجبر صَدْعي إنه خيرُ جابرٍ ... ويمنعني من ذي الظلامة جابرِ
فإني وأيتامي بقَبْضَةِ كفِّه ... كذي ريشٍ أضحى في مخالب كاسر
جديرٌ لمثلي أن يقالَ مَرُوعَةٌ ... لموتِ أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحَيَا لو كان حَيًّا لما اعتدى ... عليَّ زمانٌ باطشٌ بَطْشَ قادر
أيمحو الذي خطَّته يمناه جابرٌ ... لقد سام بالأملاكِ إحدى الكبائرِ

ولما فرغت رفعت إليه خطّ والده، وحكت جميعَ أمرها، فرقّ لها، وأخذ خطّ أبيه فقبّله ووضعه على عينيه، وقال: تعدَّى ابنُ لبيد طَوْره، حتى رام نقض رأي الحكم، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده، ونحفظ بعد موته عهده، انصرفي يا حَسَّانة، فقد عزلْتُه لكِ، ووقّع لها توقيع أبيه الحكم، فقبّلت يده، وأمر لها بجائزة، فانصرفت وبعثت إليه بقصيدة منها: [البسيط]

ابن الهشامين خيرُ الناس مأثرة ... وخيرُ مُنْتَجَعٍ يومًا لِروّادِ
إنْ هَزَّ يومَ الوغىٰ أثناء صعدته ... روّى أنابيبها من صرفِ فِرْصَادِ
قُلْ للإمام أيا خيرَ الورى نسبًا ... مقابلاً بين آباء وأجداد
جوّدْتَ طبعي ولم ترضَ الظلامةَ لي ... فهاكَ فضلَ ثناءٍ رائحٍ غادِ
فإن أقمتُ ففي نُعْماك عاطفةٌ ... وإنْ رحلتُ فقد زوَّدتني زادي

ومنهنّ أم العلاء بنت يوسف الحِجَارية(١).

---

(١) ترجمة أم العلاء الحجازية وشعرها في المغرب (جـ ٢ ص ٣٨).

ذكرها صاحب «المغرب» وقال: إنها من أهل المائة الخامسة[1]، ومن شعرها: [الرمل]

كلُّ ما يصدرُ منكم حَسَنُ ... وبِعُلْياكُمْ تحلَّى الزمنُ[2]
تعطفُ[3] العينُ على منظركمْ ... وبذكراكُمْ تَلَذُّ الأذنُ
مَنْ يَعِشْ دونكُم في عمره ... فَهْوَ في نَيلِ الأماني يُغْبَنُ

وعَشِقَها رجلٌ أشيب، فكتبت إليه: [السريع]

الشيبُ لا يُخْدَعُ فيه الصِّبا ... بحيلةٍ فاسمعْ إلى نُصْحي
فلا تكن أجْهَلَ من في الورى ... يبيتُ في الجهل كما يُضْحِي

ولها أيضًا: [البسيط]

افهمْ مطارحَ أحوالي وما حكمتْ ... به الشواهدُ واعذرني ولا تَلُمِ
ولا تَكِلْني إلى عُذْرٍ أُبَيِّنه ... شَرُّ المعاذير ما يحتاجُ للكلمِ
وكلّ ما جئته من زلّة فبما ... أصبحتُ في ثقة مِنْ ذلك الكرم

والحجارية ـ بالراء المهملة ـ نسبة إلى وادي الحِجَارة.

ومنهن أَمَةُ العزيز[4].

قال الحافظ أبو الخطاب ابنُ دَحْيَة في كتاب «المطرب، من أشعار المغرب»: أنشدتني أخت جدّي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الشريفة الحسينية لنفسها[5]: [السريع]

لحاظُكم تجرحُنا في الْحَشَا ... ولَحْظُنَا يجرحكُمْ في الخدودْ
جُرْحٌ بجرحٍ فاجعلوا ذا بذا ... فما الذي أوجبَ جرْحَ الصُّدودْ

قلت: هذا السؤال يحتاج إلى جواب، وقد رأيت لبلدينا القاضي الإمام الفاضل أبي

---

(١) قوله: «من أهل المائة الخامسة» غير وارد في المغرب.
(٢) في المغرب: «عنكم حَسَنُ... يحلّى الزمنُ».
(٣) في المغرب: «تَعْكُفُ».
(٤) ترجمة أمة العزيز في المطرب (ص ٦).
(٥) البيتان في المطرب (ص ٦) وفي التكملة (ص ٤١٥)، وقد تقدما في هذا الجزء (ص ٢٦١) باختلاف يسير عمّا هنا.

الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابَه؛ والغالبُ أنه من نظمه، وهو قوله: [السريع]

أَوْجَبَهُ مِنِّيَ يا سيدي جَرْحٌ بخدٍّ ليس فيه الجحودْ
وأنتَ فيما قُلْتَهُ مُدَّعٍ فأين ما قلتَ وأين الشهود

انتهى[1].

ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صُمَادح ملك ألْمَرِيَّة[2].

قال ابن سعيد في «المغرب»: كانت تنظم الشعر، وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار، وعملت فيه الموشحات، ومن شعرها فيه: [السريع]

يا مَعْشَرَ الناس ألاَ فاعْجَبُوا مِمّا جَنَتْهُ لَوْعَةُ الحُبِّ
لولاه لم يَنْزِلْ بِبَدْرِ الدُّجَى مِنْ أُفْقِهِ العُلْوِيِّ لِلتُّرْبِ
حَسْبِي بمن أهواه لو أنه فارَقَنِي تابَعَهُ قَلْبِي

ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية[3] - بالنون - نسبة إلى بجانة، وهي كورة عظيمة، وتشتهر بإقليم ألمرية، وهي من أهل المائة الرابعة، فمن نظمها من أبيات: [الطويل]

عهدْتُهُمْ والعيْشُ في ظلِّ وَصْلهمْ أنيقٌ وروضُ الوَصْل أخْضَرُ فَيْنَانُ[4]
لياليَ سعدٍ لا يُخافُ على الهوى عتابٌ ولا يُخْشَى على الوصل هجرانُ

ومنهم العروضية مولاة أبي المطرّف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب.

سكنت بَلَنْسِيَةَ، وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة، لكنها فاقته في ذلك، وبرعت في العروض، وكانت تحفظ «الكامل» للمبرد و «النوادر» للقالي وتشرحهما؛ قال أبو داود سليمان بن نجاح: قرأت عليها الكتابين، وأخذت عنها العروض، وتوفيت بدانِيَةَ

---

(١) كلمة «انتهى» ساقطة من طبعة عبد الحميد (ص ٣٠٣).
(٢) ترجمة أم الكرام أو أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح وشعرها في المغرب (ج ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٣).
(٣) الغسانية شاعرة مشهورة، كانت ببجانة، وهذه الأبيات قالتها في خيران العامري صاحب ألمرية. ترجمتها وبيتاها في جذوة المقتبس (ص ٤١٣) وبغية الملتمس (ص ٥٤٤ - ٥٤٥) والصلة (ص ٩٩٥).
(٤) رواية عجز البيت في الجذوة والبغية هي: أنيق وروض الدهر أزهرُ ريّانُ.

بعد سيّدها في حدود الخمسين والأربعمائة، رحمها اللّه تعالى!

ومنهنّ حفصة بنت الحاج الركونية[1] الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال، والحسب والمال.

ذكرها الملاحي في تاريخه، وأنشد لها مِمّا قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ارتجالاً بين يديه[2]: [المجتث]

يا سَيِّدَ الناسِ يا مَنْ ... يؤمِّلُ الناسُ رِفْدَهْ
امْنُنْ عليَّ بطِرْسٍ ... يكونُ للدهرِ عُدَّهْ[3]
تخطّ يمناكَ فيه[4]: ... الحمد للّه وَحْدَهْ

وأشارت بذلك إلى العَلاَمة السلطانية عند الموحّدين، فإنها كانت أن يكتب السلطان بيده بخطّ غليظ في رأس المنشور «الحمد للّه وحده».

وتذكّرْتُ بذلك، والشيء بالشيء يُذْكر، أنه لَمَّا قَفَلَ السلطانُ الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والأندلس من إفريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المَهْدِية هنّأته الشعراء بذلك، ثم اجتمع أبو عبد اللّه ابن مَرَج الكحل بالشعراء والكتّاب، فتذكّروا الفتح وعظمه، فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه: [الطويل]

ولَمَّا تَوالى الفتحُ مِنْ كلِّ وجهةٍ ... ولم تبلغ الأوهامُ في الوصفِ حَدَّهُ
تركْنا أميرَ المؤمنين لِشُكْره ... بما أودع السِّرُّ الإلٰهيُّ عِنْدَهُ
فلا نعمةٌ إلاّ تؤدي حقوقَها ... علامتُهُ بالحمد للّه وَحْدَهُ

فاستحسن الكُتّاب له ذلك، ووقع أحسن موقع.

---

(١) ترجمة حفصة الركونية في المغرب (جـ ٢ ص ١٣٨) والمطرب (ص ١٠) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٩)، وفيها شعرها.

(٢) المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٩) والمغرب (جـ ٢ ص ١٣٨).

(٣) في المقتضب: «بصكّ» بدل «بطرس». وفي المغرب: «في الدهر» بدل «للدهر».

(٤) في المقتضب: «خَطَّتْ يمينُك فيه».

وحكى صاحب كتاب «رُوح الشعر، ورَوْح السحر»[1] وهو الكاتب أبو عبد اللّه محمد بن الجلاب الفهري أنَّ أمير المؤمنين يعقوب المنصور لَمَّا قَفَلَ من غزوة الأراكة المشهورة، وكانت يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنّئونه، فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كلُّ إنسان قصيدته، بل كان يختصُّ منها بالإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة، فدخل أحد الشعراء فأنشده: [البسيط]

ما أنتَ في أُمراءِ الناسِ كلِّهمُ … إلاَّ كصاحبِ هذا الدِّيْنِ في الرُّسُلِ
أَحْيَيتَ بالسيف دينَ الهاشميِّ كما … أَحْيَاهُ جَدُّك عبدُ المؤمنِ بن علي

فأمر له بألفي دينار، ولم يصل أحدًا غيره لكثرة الشعراء، وأخذ بالمثل «مَنْعُ الجميع، أرْضى للجميع» قال: وانتهت رِقاعُ القصائد وغيرها إلى أن حالت بينه وبين مَنْ كان أمامه لكثرتها، انتهى.

رجع إلى أخبار حَفْصة:

وأنشد لها أبو الخطاب في «المطرب» قولها[2]: [الطويل]

ثنائي على تلك الثَّنَايا لأنني … أقول على عِلْم وأَنْطِقُ عن خُبْرِ
وأُنْصِفُها، لا أكذبُ اللّهَ، إنني … رَشَفْتُ بها رِيقًا أرقَّ مِنَ الخمرِ

وتولَّع بها السيدُ أبو سعيد ابن عبد المؤمن ملك غَرْنَاطة، وتغيّر بسببها على أبي جعفر ابن سعيد، حتى أدّى تغيّره عليه أنْ قتله. وطلب أبو جعفر منها الاجتماع، فمطلته قدر شهرين، فكتب لها: [المجتث]

يا من أُجانبُ ذكر اسـ … ـمه وحسبي[3] عَلاَمَهْ
ما إن أرى الوعدَ يُقْضَى … والعمرُ أخشى انْصرامَهْ
اليومَ أرجوكَ لا أن … تكونَ لي في القيامَهْ
لو قد بَصُرْتَ بحالي … والليلُ أرخى ظلامَهْ

(١) في طبعة دار صادر (ج ٤ ص ١٧٢): «الشَّحْر». والشَّحْر: مجرى الماء. لسان العرب (شحر).
(٢) المطرب (ص ١٠).
(٣) في طبعة عبد الحميد (ج ٥ ص ٣٠٦): «وحبّي».

أنــوحُ شــوقًــا ووجــدا[1] إذ تــســتــريــح الْــحَــمَــامَــهْ
صَــــبٌ أطـــــالَ هــــواه عــلــى الــحــبــيــبِ غَــرامَــهْ
لِــمَــنْ يَــتِــيــهُ عــلــيــه ولا يَــــردُّ سَــــلامَــــهْ
إنْ لــم تُــنِــيــلِــي أرِيــحِــي فــالــيــأسُ يــثــنــي زِمَــامَــهْ

فأجابته: [المجتث]

يــا مُــدَّعــي فــي هَــوَى الــحُــسْــ ــنِ والــغــرامِ الإمــامَــهْ
أتــى قــريــضُــكَ، لــكــنْ لــم أرضَ مــنــه نــظــامَــهْ
أمُــدَّعــي الــحــبَّ يَــثْــنِــي يــأسُ الــحــبــيــب زِمَــامَــهْ
ضَــلَــلْــتَ كــلَّ ضــلالٍ ولــم تُــفِــدْكَ الــزعــامَــهْ
مــا زلــتَ تــصــحــبُ مــذ كــنــ ــتَ فــي الــسِّــبــاق الــسلامَــهْ
حــتــى عــثــرتَ وأخــجــلْــ ــتَ بــافــتــضــاحِ الــسَّــآمَــهْ
بــالــلَّــه فــي كــلِّ وقــتٍ يُــبْــدِي الــسحــابُ انــسجــامَــهْ
والــزهــرُ فــي كــلِّ حــيــنٍ يــشــقّ عــنــه كِــمَــامَــهْ
لــو كــنــتَ تــعــرفُ عــذري كَــفَــفْــتَ غَــرْبَ الــمــلامَــهْ

ووجّهت هذه الأبيات مع موصل أبياته، بعد ما لعنته وَسَبَّتْهُ، وقالت له: لعن اللَّه المرسِل والمرسَل! فما في جميعكما خير، ولا لي برؤيتكما حاجة، وانصرف بغاية من الخِزْي، ولَمَّا أطلَّ على أبي جعفر وهو في قلق لانتظاره قال له: ما وراءك يا عصام؟ قال: ما يكون وراء مَنْ وجهه خلف إلى فاعلة تاركة، اقرأ الأبيات تعلم، فلمَّا قرأ الأبيات قال للرسول: ما أسخفَ عقلك وأجهلك! إنها وعدتني للقُبَّة التي في جَنَّتي المعروفة بالكمامة، سِرْ بنا، فبادروا إلى الكمامة[2]، فما كان إلاَّ قليلاً، وإذا بها قد وصلت، وأراد عَتْبها، فأنشدت: [الوافر]

دعي عَدَّ الذنوبِ إذا التقينا تــعــالَــيْ لا نَــعُــدُّ ولا تَــعُــدِّي

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٧٣): «وجدًا وشوقًا».
(٢) في طبعة دار صادر (ص ١٧٤): «للكمامة».

وجَلَسا على أحسن حالة، وإذا برقعة الكتندي الشاعر لأبي جعفر، وفيها: [الطويل]

أبا جعفرٍ، يا ابنَ الكرام الأماجدِ خَلَوْتَ بمن تهواهُ رَغْمًا لحاسدِ
فهل لك في خلٍّ قَنُوعٍ مهذَّبٍ كتوم عليم باختفاء المراصدِ
يبيتُ إذا يخلو المحبُّ بحبِّهِ ممتَّعَ لذَّاتٍ بخمسٍ ولائد

فقرأها على حفصة، فقالت: لعنة اللّه! قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب، ولم نسمع اسمًا لمن يعلم باجتماع مُحِبَّين فيرومُ الدخول عليهما، فقال لها: باللّه سَمِّيه لنكتب له بذلك، فقالت: أسمِّيه الحائل؛ لأنه يَحُول بيني وبينك إن وقعت عيني عليه، فكتب له في ظهر رقعته: [المجتث]

يا مَنْ إذا ما أتاني جَعَلْتُهُ نصْبَ عيني
تراكَ تَرضَى جلوسًا بين الحبيب وبيني
إن كان ذاك فماذا تبغي سوى قُرْبِ حَيْني
والآن قد حَصَلَتْ لي بعدَ المِطَالِ بدَيْني
فإن أتيتَ فَدَفْعًا منها بكلتا اليدين
أو ليس تبغي وحاشا كَ أن تُرَى طَيْرَ بَيْنِ
وفي مبيتك بالخمـ ـس كلُّ قبحٍ وشَينِ
فليس حقَّكَ إلاّ الـ ـخلوّ بالقَمَرَيْنِ

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام، وذَيَّلَ ذلك بقوله: [مجزوء الكامل]

سَمَّاكَ مَنْ أهواهُ حائلْ إنْ كنتَ بعد العتْبِ واصلْ
مع أنَّ لونَكَ مزعجٌ لو كنت تُحْبَسُ بالسلاسلْ

فلمّا رجع إليه الرسول وجده قد وقع بمطمورة نجاسة، وصار هتكة، فلمّا قرأ الأبيات قال للرسول: أعلمهما بحالي، فرجع الرسول، وأخبرهما بذلك، فكاد أن يُغْشَى عليهما من الضحك، وكتب[1] إليه كلُّ واحد بيتًا، وابتدأ أبو جعفر فقال: [مجزوء الرجز]

قُلْ للذي خَلَّصَنا منه الوقوعُ في الخَرَا

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٠٨): «وكتبا إليه ارتجالاً كلّ واحد بيتًا بيتًا».

إرْجِعْ كما شاء الخرا ... يا ابن الخرا إلى وَرَا
وإنَ تَعُذ يومًا إلى ... وصالنا سوف ترى
يا أسقطَ الناس ويا ... أنذلهم بلا مِرَا
هذا مدى الدهرِ تُلا ... قي لو أتيتَ في الكَرا
يا لحيةً تشغفُ في الـ ... خُرْء وتَشنا العنبرا
لا قَرَّب اللّه اجتما ... عًا بكَ حتى تُقْبرا

ومن شعرها[1]: [المتقارب]

سلامٌ يُفَتِّحُ في زَهرِهِ[2] الـ ... كمامُ ويُنطِقُ وُرْقَ الغصونْ
على نازحٍ قد ثَوَى في الحَشَا ... وإن كان تُحْرَمُ منه الجفونْ
فلا تحسبوا العبدَ ينساكم[3] ... فذلك واللّه ما لا يكونْ

وقولها من أبيات[4]: [الطويل]

ولو لم يكن[5] نجمًا لما كان ناظري ... وقد غبتُ عنه مُظلِمًا بَعْدَ نُوْرِهِ
سلامٌ على تلك المحاسنِ مِنْ شَجٍ ... تناءتْ بنعماه وطيبِ سرورِهِ

وقولها[6]: [الطويل]

سَلُوا البارقَ الخفَّاقَ والليلُ ساكنٌ ... أظلُّ بأحبابي يذكّرني وَهْنَا
لعمري لقد أَهْدَى لقلبِيَ خَفْقَةً ... وأمطرني[7] مُنْهَلُّ عارضِهِ الجَفْنا

ونسب بعضٌ إليها البيتين المشهورين[8]: [الوافر]

أغارُ عليك من عَيْنَيْ رقيبي ... ومنكَ ومن زمانِكَ والمكانِ

---

(١) الأبيات في المغرب (جـ ٢ ص ١٣٩).
(٢) في المغرب: «عن زهره».
(٣) في طبعة دار صادر والمغرب: «البُعْد يُنسيكُمُ».
(٤) البيتان في المغرب (ص ١٣٩).
(٥) في المغرب: «ولو لم تكن..».
(٦) البيتان في المغرب (ص ١٣٩).
(٧) في المغرب: «وأمطر عن منهلٍّ..».
(٨) في طبعة دار صادر (ص ١٧٦): «الشهيرين».

ولو أني خبأتك في عيوني إلى يوم القيامةِ ما كفاني

والله تعالى أعلم.

وكتبت إلى أبي جعفر: [الطويل]

رأست فما زال العُداة بظُلْمِهِمْ وعِلْمِهِمُ النامي يقولون ما رأسْ
وهل منكرٌ أَنْ سادَ أهلَ زمانه جَمُوحٌ إلى العليا حَرُونٌ عن الدنس

وقال ابن دحية: حفصة من أشراف[1] غَرْنَاطة، رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنثر، انتهى.

ومن قولها في السيد أبي سعيد ملك غَرْنَاطة تهنئة بيوم عيد، وكتبت بذلك إليه[2]: [الكامل المجزوء]

يا ذا العُلاَ وابن الخليـ ـفةِ والإمام المرتَضَى
يَهْنِيكَ عيدٌ قد جَرَى فيه بما تَهْوى القَضا
وأتاك من تهواه في قَيدِ الإنابةِ والرضا[3]
ليعيدَ من لذّاته ما قد تَصَرَّمَ وانقضى

وذكر الملاحي في تاريخه أنها سألتها امرأة من أعيان أهل غَرْنَاطة أن تكتب لها شيئًا بخطِّها، فكتبت إليها: [البسيط]

يا ربّةَ الحُسْنِ، بل يا ربَّةَ الكَرَم غُضّي جفونَكِ عَمَّا خَطَّهُ قلمي
تَصَفَّحِيه بلحظِ الودِّ منعمةً لا تحفلي برديء الخَطِّ والكلمِ

واتّفق أنْ بات أبو جعفر ابن سعيد معها في بستان بحَور[4] مُؤَمَّلٍ، على ما يبيت به

---

(١) في المطرب (ص ١٠): «من بُشْرَات غرناطة».
(٢) المغرب (جـ ٢ ص ١٣٩).
(٣) رواية البيت في المغرب هي:
وافاك مَنْ تهواه في طَوْع الإجابةِ والرِّضا
(٤) في طبعة عبد الحميد: «بحوز» بالزاي.

الروض والنسيم، من طيب النفحة ونَضارة النعيم، فلمّا حان الانفصال، قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق(١): [الطويل]

رَعَى اللَّهُ لَيلاً لم يَرُحْ بِمُذَمَّمِ ... عَشِيَّةَ وارانا بحَوْرِ(٢) مُؤَمَّلِ
وقد خفقتْ من نحو نجْدٍ أريجةٌ ... إذا نَفَحَتْ هَبَّتْ بِرَيّا القَرَنْفُلِ
وغَرَّدَ قُمرِيٌّ على الدَّوحِ وانْثنى ... قضيبٌ من الريحان من فوق جدول
يُرى الروضُ مسرورًا بما قد بدا له: ... عناقٌ وضَمٌّ وارتشافُ مُقَبَّلِ

وكتب بها إليها بعد الافتراق، لتجيبه على عادتها في مثل ذلك، فكتبت إليه بقولها(٣): [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما سُرَّ الرياضُ بوصلنا ... ولكنه أَبْدَى لنا الغِلَّ والحسدْ
ولا صَفَّقَ النهرُ ارتياحًا لقربنا ... ولا غَرَّدَ القُمْرِيُّ إلاَّ لما وجدْ
فلا تُحْسِنِ الظَّنَّ الذي أنتَ أهلُه ... فما هو في كلِّ المواطن بالرَّشَدْ
فما خلْتُ هذا الأفقَ أبدى نجومه ... لأمرٍ سوى كي ما تكون لنا رَصَدْ

وقال ابن سعيد في «الطالع السعيد»: كتبت حفصة الركونية إلى بعض أصحابها(٤): [الوافر]

أزوركَ أم تزورُ؟ فإنَّ قلبي ... إلى ما تشتهي(٥) أبدا يميلُ
فَثَغْري موردٌ عذبٌ زُلالٌ ... وفَرْعُ ذؤابتي(٦) ظلٌّ ظليلُ
وقد أَمَّلْتُ أن تظما وتضحى ... إذا وافى إليك بِيَ الْمَقِيلُ(٧)

---

(١) تقدمت هذه الأبيات في الجزء الرابع ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٢) في طبعة عبد الحميد: «بحوز» بالزاي.
(٣) تقدمت هذه الأبيات في الجزء الرابع وجاء فيه: «صدح» بدل «غرّد».
(٤) الأبيات في المغرب (جـ ٢ ص ١٦٦) كتبتها إلى أبي جعفر ابن سعيد.
(٥) في المغرب: «إلى ما ملتم».
(٦) في المغرب: «ذوائبي».
(٧) في المغرب: «وقد أَمَّنتَ أن تظما.. إليّ بك القبولُ».

فَعَجِّلْ بالجواب فما جميلٌ إياؤك[1] عن بُثينةَ يا جميلُ

قال التجاني: تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبي الحصين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسي من أهل بغداد، وكانت مشهورة بالجمال، وهي: [الوافر]

عيونُ مَها الصريم فداء عيني وأجيادُ الظباء فداء جيدي
أزيّنُ بالعقودِ وإنَّ نحري لأزينُ للعقودِ من العقود
ولا أشكو من الأوصاب[2] ثقلاً وتشكو قامتي ثقلَ النهود

وبلغت هذه الأبيات المقتفي أمير المؤمنين فقال: اسألوا هل تصدق صفتها قولها؟ فقالوا: ما يكون أجمل منها، فقال: اسألوا عن عفافها، فقالوا له: هي أعفُّ الناس، فأرسل إليها مالاً جزيلاً، وقال: تستعين به على صيانة جمالها، ورونق بهجتها، انتهى.

رجع إلى حفصة. وقال أبو جعفر ابن سعيد: أُقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة، ومن بعض ما أجعله دليلاً على تصديق عزمي، وبرّ قسمي، أني كنت يومًا في منزلي مع من يحبّ أن يخلى معه من الأجواد الكرام على راحة سمحت بها غَفَلاَت الأيام، فلم نشعر إلاَّ بالباب يُضرب، فخرجتْ جاريةٌ تنظر من الضارب، فوجدت امرأة، فقالت لها: ما تريدين؟ فقالت: ادفعي لسيدك هذه الرقعة، فجاءت برقعة فيها[3]: [الخفيف]

زائرٌ قد أتى بجيدِ الغزالِ مُطْلِعٌ تحتَ جُنْحِهِ للهلالِ
بلحاظٍ من سِحْر بابلَ صِيغَتْ ورُضابٍ يَفُوقُ بنتَ الدَّوالي
يَفْضَحُ الوردَ ما حَوَى منه خدٌّ وكذا الثغرُ فاضحٌ للآلي
ما ترى في دخوله بعد إذْنٍ أو تراه لعارضٍ في انفصالِ

قال: فعلمتُ أنها حفصة، وقمتُ مبادرًا للباب، وقابلْتُها بما يقابل به من يشفع له حُسْنُه وآدابه والغرام به وتفضُّله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الأنس به، انتهى.

قلت: وإذ قد جرى ذكر أبي جعفر ابن سعيد سابق الحَلْبة فلنلمّ ببعض أحواله

---

(١) في المغرب: «أناتك».
(٢) الأوصاب: جمع وَصَب وهو المرض. مختار الصحاح (وصب).
(٣) الأبيات في المغرب (جـ ٢ ص ١٣٩).

فنقول[1]: هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العَنْسي، قال قريبه أبو الحسن علي ابن موسى بن سعيد في «المغرب»: سمعت أبي يقول: لا أعلم في بني سعيد أشعر منه، بل لا أعلم في بلده، وعشق حفصة شاعرة الأندلس، وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام، ولَمّا استبدَّ والده بأمر القلعة حين ثار أهل الأندلس بسبب صَوْلة بني عبد المؤمن على الملثَّمين آتخذه وزيرًا، واستنابه في أموره، فلم يصبر على ذلك، واستعفى، فلم يُعْفِهِ، وقال: أفي مثل هذا الوقت الشديد تركن إلى الراحة؟ فكتب إليه: [المجتث]

مولاي، في أي وقتٍ ... أنالُ في العيش راحَهْ
إن لم أنلها وعمري ... ما إن أنار صباحَهْ
وللملاح عيونٌ ... تميلُ نحو الملاحَهْ
وكأسُ راحيَ ما إن ... تملُّ منّيَ راحَهْ
والخطبُ عَنّيَ أعمى ... لم يقتربْ ليَ ساحَهْ
وأنت دوني سُورٌ ... مِنَ العُلا والرجاحَهْ
فأعفِني وأقلني ... مِمَّا رأيتَ صلاحَهْ
ما في الوزارة حظٌّ ... لمن يريدُ آرتياحَهْ
كلٌّ وقالٌ وقيلٌ ... مما[2] يطيلُ نباحَهْ
أُنسي أتى مستغيثًا ... فاتركْ فُدِيتَ سَرَاحَهْ

فلمّا قرأ الأبيات قال: لا ينفع اللّه بما لا يكون مركّبًا في الطبع مائلة له النفس، ثم وقّع على ظهر ورقته: قد تركْنا سَرَاح أُنسك، وألحقنا يومك بأمْسِك. ولَمَّا رجع ثوار الأندلس إلى عبد المؤمن وبايعه عبدُ الملك بن سعيد فغمره إحسانًا وبرًا، وولي السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غَرْنَاطة طلب كاتبًا من أهلها، فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه، فاستكتبه، فطلب أن يعفيه، فأبى إلى أن شرب أبو جعفر يومًا مع بعض[3] خواصّه، وخرج ثاني يوم إلى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد، ولَمّا اشتدَّ البرد مالوا إلى خيمة

---

(١) لأبي جعفر أحمد بن عبد الملك ابن سعيد ترجمة في المغرب (جـ ٢ ص ١٦٤).
(٢) في طبعة دار صادر (ص ١٨٠): «ممن».
(٣) كلمة «بعض» ساقطة من طبعة دار صادر.

ناطور، وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا، فحمل أبا جعفر بقيّة السكر على أن قال يصف يومه، ويستطرد بما في نفسه[1]: [الطويل]

ويومٍ تَجَلّى الأُفْقُ فيه بعنبرٍ ... من الغيمِ لُذْنا فيه باللهو والقَنَصْ
وقد بقيتْ فينا من الأمس فضلةٌ ... من السكر تُغْرينا بمنتهب الفُرَصْ
ركبْنا له صبحًا وليلاً وبعضُنا ... أصيلاً وكلٌّ إنْ شَدَا جلجلٌ رَقَصْ
وشُهبِ بُزاةٍ قد رجمْنا بشُهْبها ... طيورًا يساغُ اللهوُ إن شكتِ الغصصْ
وعن شفقٍ تغري الصباح أو الدُّجى ... إذا أوثقت ما قد تحرَّكَ أو قَمَصْ[2]
وملنا وقد نلْنا من الصيد سُؤْلنا ... على قَنَصِ اللّذّاتِ والبردُ قد قرصْ
بخيمةِ ناطورٍ توسّطَ عَذْبَها ... جحيمٌ به من كان عُذِّبَ قد خلصْ
أَدَرْنا عليه مِثْلَهُ ذهبيّةً ... دَعَتْهُ إلى الكبرى فلم يجب الرخصْ
فَقُلْ لحريصٍ أن يراني مُقَيّدًا ... بخدمته: لا يُجْعَلُ البازُ في القَفَص
وما كنتُ إلاّ طوعَ نفسي فهل أرى ... مطيعًا لمن عن شأوِ فخريَ قد نَقَصْ

فكان من[3] أصحابه من حفظ هذين البيتين، ووشى بهما للسيد، فعزله أسوأ عزل، ثم بلغه بعد ذلك أنه قال لحفصة الشاعرة[4]: ما تحبّين في ذلك الأسود وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد عشرة خيرًا منه؟ وكان لونه مائلاً إلى السواد، فأسرَّها في نفسه إلى أن فَرَّ عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن سعيد إلى ملك شرق الأندلس محمد بن مردنيش، فوجد له بذلك سببًا، فقتله صبرًا بمالَقَة.

وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه أبا جعفر لعبد المؤمن، وينشده من شعره رغبة في تشريفه بالحضور بين يديه وإنشاده في مجلسه، فأمره بحضوره، فعندما دخل عليه قَبَّلَ يده وأنشد قصيدة منها قوله[5]: [الوافر]

---

(١) ورد فقط البيت ما قبل الأخير في المغرب (ج ٢ ص ١٦٤).
(٢) يقال: قمصت الدابة إذا رفعت يديها معًا وطرحتهما معًا واعتمدت برجليها على الأرض. لسان العرب (قمص).
(٣) في طبعة دار صادر (ص ١٨١): «في أصحابه».
(٤) هذا النص في المغرب (ج ٢ ص ١٦٤).
(٥) الأبيات في المغرب.

عليكَ أحَالَني داعي النجاحِ ونَحْوَكَ حَثَّنِي حادي[1] الفلاحِ
وكنتُ كساهرٍ ليلاً طويلاً تَرَنَّحَ حين بُشِّرَ بالصباحِ
وذي جَهْلٍ[2] تَغَلْغَلَ في قِفارٍ شكا ظمأً فَدُلَّ على القَرَاحِ
دعانا نحو وجهك طيبُ ذكرٍ ويُذْكَر[3] للرياض شَذَا الرياحِ

وله في غلام أسْوَدَ ساقٍ، ارتجالاً: [الطويل]

أدارَ علينا الكأس ظبيٌ مهفهفٌ غدا نَشْره واللونُ للعنبر الشحري
وزادَ لنا حُسْنًا بزهرِ كؤوسه وحُسْنُ ظلامِ الليلِ بالأنجمِ الزُّهرِ

وقوله فيه وقد لبس أبيض: [المتقارب]

وغصنٍ من الآبنوس ارتدى بعاجٍ كليلٍ عَلاه فَلَقْ
يُحاكي لنا الكأسَ في كَفِّه صباحٌ بجنحٍ علاه شَفَقْ

وقوله مِمّا كتب به إلى أخيه محمد وقد ورد منه كتاب بإنعام: [المجتث]

وافى كتابُك يُنْبِي عن سابغِ الإنعامِ
فقلتُ دُرٌّ ودَرٌّ من زاخرٍ وغمامِ

وقوله يذم حَمَّامًا: [السريع]

يا رُبَّ حَمّامٍ لَعَنّا بما أَبْدَى إلينا كلَّ حَمّامِ
أُفْقٌ له قَطْرٌ حميمٌ كما أصمتْ سهامٌ من يَدَي رامي
يخرقُ سُحبًا للدخان الذي لاحَ كغيم[4] العارضِ الهامي
وقيِّم يجذبني جَذْبةً وتارةً يكسرُ إبهامي
ويجمعُ الأوساخَ مِنْ لؤمه في عضدي قصدًا لإعلامي
وازدحمَ الأنذالُ فيه وقد ضجّوا ضجيجًا دون إفهام
وجملةُ الأمرِ دخلْنا بني سامٍ وعُذْنا كبني حام

---

(١) في المغرب: «هادي».
(٢) في المغرب: «وذي جَهْدٍ».
(٣) في المغرب: «ويدعو للرياض».
(٤) في طبعة دار صادر (ص ١٨٢): «الغيم».

وله في ضدّ ذلك، والنصف الأخير لابن بقي: [البسيط]

لا أنسَ ما عشتُ حَمَّامًا ظفرتُ به ... وكان عنديَ أحلى من جَنَى الظَّفَرِ
نَعَّمْتُ جسميَ في ضــدَّين مغتنمًا ... (تَنَعُّمَ الغُصْنِ بين الشمسِ والمطر)

وقال له السيد أبو سعيد ابن عبد المؤمن، صاحب غرناطة: ما أنت إلاّ حَسَنُ الفراسة، وافر العقل، فقال: [الطويل]

نسبتمْ لمن هَذَّبتموه فراسةً ... وعقلاً ولولاكمْ لَلازَمَهُ الجهلُ
وما هو أهلٌ للثناء وإنما ... علاكمْ لتقليد الأيادي له أهْلُ
وما أنا إلاّ منكُم وإليكُم ... وما فيَّ من خيرٍ فأنتم له أصلُ

وقال[1]: [الطويل]

ولَمَّا رأيتُ السَّعْدَ في صفح وجهه ... منيرًا دعاني ما رأيتُ إلى الشكرِ[2]
وأقبل[3] يُبْدي لي غرائبَ نُطْقِهِ ... وما كنتُ أدري قبله مَنْزِعَ السحر
فأصغيتُ إصغاء الجديبِ إلى الْحَيا ... وكان ثنائي كالرياض على الْقَطْرِ

وله: [المجتث]

لا تُكْثِرَنَّ عِتابي ... إنْ طالَ عنكَ فراقي
فما يضرُّ بِعادٌ ... يطولُ والودُّ باقي

وله: [الخفيف]

ما خدمناكُمْ لأنْ تشفعوا فيـ ... ـنا بدارِ الجزاء يومَ الحسابِ
ذاكَ يومٌ أنا وأنتَ سَوَاء ... فيه، كلٌّ يخافُ سوءَ العقابِ
إنما الشأنُ الذبُّ في هذه الدنـ ... ـيا بسلطانكم عن الأصحاب
وإذا ما خذلتموهمْ بشكوى ... وبخلتمْ عنهمْ بردِّ الجواب
فاعذروهم أن يطلبوا من سواكمْ ... نصرةً وارفعوا حجالَ العتاب

---

(١) الأبيات في المغرب (جـ ٢ ص ١٦٥).
(٢) في المغرب: «السعد لاح بوجهه... إلى الذكر».
(٣) في المغرب: «فأقبل».

وإذا أرضُ مجدِبٍ لَفَظَته فله العذرُ في اتِّباع السحابِ

وله وقد تقدّم أمامه في ليلة مظلمة أحدُ أصحابه، فطفىء السراج في يده، فقال لوقته: [المجتث]

لي من جبينك هادي في الليلِ نحو مُرادي
فما أريدُ سراجًا يدلّني لرشادِ
أنّى وكَفُّكَ سُحْبٌ يبدو بها ذا اتّقاد

وله في قوّادة: [السريع]

قوّادة تَفْخَرُ بالعارِ أقْوَدُ من ليلٍ على سارِ
وَلأجةٌ في كلِّ دارٍ وما يدري بها من حذقها داري
ظريفةٌ مقبولةُ الملتقى خفيفةُ الوطء على الجارِ
لحافُها لا ينطوي دائماً أقْلَقُ من راية بيطار[1]
قد ربيتْ مذ عرفتْ نفعها ما بين فُتَّاك وشُطَّار
جاهلةٌ حيث ثوى مسجدٌ عارفةٌ حانةَ خَمَّار
بَسّامَةٌ مكثرةٌ بِرَّها ذاتُ فكاهاتٍ وأخبار
علمُ الرياضات حَوَتْهُ وسا سَتْهُ بتقويم وأسحارِ
مَنّاعَةٌ للنعلِ مِنْ كيسها موسرةٌ في حال إعسار
تكادُ من لطف أحاديثها تجمعُ بين الماء والنار

وما سمعنا في هذا الباب أحسن من هذا، والبيت السائر: [الوافر]

تقودُ من السياسة ألفَ بغلٍ إذا حزنتْ بخيطِ العنكبوتِ

وشربَ ليلةً مع أصحاب له وفيهم وَسيم، فأعرض بجانبه وقَطَّب، فتكدّر المجلس، فقال أبو جعفر: [السريع]

يا من نأى عَنّا إلى جانبٍ صدًّا كَمَيلِ الشمسِ عند الغروبْ
لا تَزْوِ عَنّا وَجْهكَ المُجْتَلَى فالشمسُ لا يُعْهَدُ منها قُطُوبْ

(١) في طبعة عبد الحميد: «بيكار».

إنْ دام هذا الحالُ ما بيننا فإننا عَمّا قليل[1] نتوبْ
ما نشتكي الدهرَ ولا خَطْبَهُ لولاكَ ما دارتْ علينا خطوبْ

وله أيضًا: [الطويل]

أيا لائمي في حملِ صحبةِ جاهلٍ قَطُوبِ المُحَيَّا سيىء اللحظ والسَّمْعِ
لمنفعةٍ تُرْجَى لديه صَحِبْتُهُ وإنْ كان ذا طبعٍ يخالفه طبعي
كما احْتَمَلَ الإنسانُ شُرْبَ مرارة الـ دواء لما يرجو لديه من النفع

وله، وقد أحسن ما شاء: [الطويل]

تركتكُمُ لا كارهًا في جَنابكمْ ولكنْ أبىٰ رَدِّي إلى بابكمْ دهري
وطاحتْ بي الأطماعُ في كلِّ وجهةٍ تُنَقِّلُني مِنْ كلِّ سَهْلٍ إلى وَعْرِ
وما باختيارٍ فارقَ الخُلْدَ آدمٌ وما عن مُرادٍ لاذ أيوبُ بالصبر
ولكنها الأيامُ ليست مقيمةً على ما اشتهاه مُشْتَهٍ أَمَدَ العُمْرِ
وإنك إنْ فَكَّرْتَ فيما أتيتُهُ تَيَقَّنْتُ أنَّ التَّرك لم يكُ عن غدر
ولكن لَجَاجٌ في النفوس إذا انقضى رَجَعْتُ كما قد عاد طيرٌ إلى وَكْرِ
وإني لمنسوبٌ إليكم وإن نأتْ بي الدارُ عنكم والغديرُ إلى القطر
وإني لمُثْنٍ بالذي نلتُ منكمُ مقيمٌ على ما تعلمونَ من البرِّ
وإنْ خُنْتكم يومًا فخانني المُنى وساء لديكم بعد إحماده ذكري
على أنني أقررتُ أنيَ مذنبٌ وذو المجد من يُغْنِي المقرَّ عن العذر

وله يصف نارًا: [الطويل]

نظرتُ إلى نارٍ تصولُ على الدُّجى إذا ما حسبناها تدانتْ تَبَعَّدُ
تُرَفِّعُها أيدي الرياح، وتارةً تخفِّضُها مثلَ المكبرِ يسجدُ
وإلاّ فمن لا يملكُ الصبرَ قلبُهُ يقومُ به غَيْظٌ هناك ويقعدُ
لها أَلْسُنٌ تشكو بها ما أصابها وقد جَعَلَتْ من شدّة القرّ تُرْعَدُ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٨٤): «عمّا قريب».

وله على لسان إنسان أخلقتْ بُرْدَتُه: [السريع]

مولايَ، هذي بردتي أَخْلَقَتْ ... وليس شيء دونها أملكُ
وصرتُ من بأسٍ ومن فاقةٍ ... أبكي إذا أبصرْتُها تضحكُ

وله يستدعي أحد أبناه الرؤساء إلى يوم اجتماع: [الوافر]

تداركْنا فإنّا في سرورٍ ... وما بسواك يكتملُ السرورُ
أَهِلَّةُ أُنسِنا بك في تمامٍ ... أليس تتمُّ بالشمس البدورُ

وله، وقد خطر على منزله من إليه له مَيْل، وقال: لولا أخاف التثقيل لدخلت، وانصرف، فلمّا علم[1] أبو جعفر كتب إليه: [السريع]

مولاي، لِمْ تقصدُ تعذيبَ مَنْ ... يهوى وما قصدك مجهولُ
طلبتَ تخفيفًا ببعدٍ وفي ... تخفيفِ مَنْ نَهْواه[2] تثقيلُ
غيرك إنْ زار جَنَى ضَجْرةً ... ولجَّ منه القالُ- والقيلُ
وأنتَ إن زرتَ حياةٌ وما الـ ... ـعيش إذا ما طالَ مملولُ

وله، وقد جلس إلى جانبه رجل تكلّم فأنبأ عن علوّ قدر، فسأله عن بلده، فقال: إشبيلية، ففكر ثم قال: [البسيط]

يا سيدًا لم أكنْ مِنْ قبلُ أعرفُهُ ... حتى تكلَّمَ مثلَ الروضِ بالْعَبَقِ
وزادني أنْ غدًا في حمصَ منشؤه ... لقد تشاكلَ بين البدر والأُفُقِ

وله، وقد حضر مجلسًا مع إخوان له في انبساط ومزاح، فدخل عليهم أحدُ ظرفاء الغرب[3] بوجه طَلْق وبشاشة، فاهتزّ لما سمع بينهم، وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم إلى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد، فأنشده أبو جعفر ارتجالاً: [السريع]

يا سيّدًا قد ضمّه مجلسٌ ... حَلَّ به للمزحِ إخوانُ
لم نَلْقَ من فجأته خجلةً ... ولا ثَنانا عنه كتمانُ

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٨٦): «أَعْلِمَ».
(٢) في الطبعة نفسها: «تهواه».
(٣) في طبعة دار صادر: «الغرباء».

كـأنـه مـن جـمـعـنـا واحـدٌ ... لـم يَـنْـبُ مـنّـا عـنـه إنـسـان
ولـم نـكـنْ نـدريـه لـكـنْ بَـدَا ... فـي وجـهـه لـلـظَّـرف عُـنْـوَانُ

وله، وقد لقي أحد إخوانه، وكان قد أطال الغيبة عنه، فدار بينهما ما أوجب أن قال: [الكامل]

إنْ لُحْتَ لم تلمحْ سواك الأعينُ ... أو غِبْتَ لم تذكرْ سواك الألْسُنُ
أنتَ الذي ما إنْ يُمَلّ حضورُهُ ... ومغيبُهُ السلوانُ عنه يُؤْمَنُ

وله، وهو من آياته: [الكامل]

إنـي لأحـمـدُ طَـيـفَـهـا وألـومُـهـا ... والـفـرقُ بـيـنـهـمـا لـديّ كـبـيـرُ
هي إنْ بَدَتْ لي شيبةٌ في جفوة ... والطيفُ في حين المشيب يزورُ
وإذا تَـوَالَـى صـدُّهـا أو بَـيْـنُـهـا ... وافـى عـلـى أنَّ الـمـزارَ عـسـيـرُ

وله، وقد سافر بعض الأرذال بماله، فَنُكِبَ في سفره، وعاد فقيرًا بأسوإ أحواله: [البسيط]

اغدُ ولا يُغْنِ عنك القيلُ والقالُ ... فالجودُ مبتسمٌ والفضلُ يختالُ
قالوا فلانٌ رماه اللّه في سفرٍ ... رآه رأيًا بما حالتْ به الحالُ
فـآبَ مـنـه سـلـيـبًـا مـثـلَ مـولـده ... عـلـيـه ذلٌّ وتـفـجـيـعٌ وإقـلالُ
فقلتُ لا خَفَّفَ الرحمٰن عنه، فلم ... يكنْ لديه على القُصّاد إقبالُ
فقلْ له دامَ في ذلّ ومَسْغَبَةٍ[1] ... ولا أُعيدتْ له في المآلِ آمالُ
قد كان حُمْقُكَ حسنُ المال يسترُهُ ... فاليومَ أصبحتَ لا عقلٌ ولا مالُ

وله، وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه: [المتقارب]

أيـا غـائـبًـا لـم يَـغِـبْ ذكـرُهُ ... ولا حـالَ عـن ودّه حـائـلُ
لـئـن مـالَ دهـريَ بـي عـنـكـمُ ... فـقـلـبـيَ نـحـوكُـمُ مـائـلُ
فـإنـيَ شـاهـدتُ مـنـكـم عُـلاً ... من العجز قُسٌّ بها باقلُ[2]

---

(١) المسغبة: المجاعة.
(٢) قُسّ: مضرب المثل في الفصاحة. وباقل: مضرب المثل في العيّ والفهاهة.

لئن طال بي البعدُ عن لحظكم فما في حياتي إذْنٌ طائل

وله، وهو من حسناته: [السريع]

شُقَّتْ جُيُوبٌ فرحًا عندما آبَتْ، وفي البعد تُشَقُّ القلوبْ
فقلتُ هذا موقفٌ ما يَشقُـ قُ الجَيبَ فيه غير صبٌ طروبْ
فابتسمتْ زهوًا وقالتْ كذا الـ أُفقُ لِعَوْدِ الشمسِ شَقَّ الجيوبْ

وله، وقد أجمع رأيه على أن يَفِدَ على أمير المؤمنين عبد المؤمن، فأخذ في ذلك مع أصحاب له، فجعلوا يثْنُونه عن ذلك، وظهر عليهم الحسد له، فقال: [السريع]

سِرْ نحو ما تختارُ لا تَسْمَعَنْ ما قاله زيدٌ ولا عمرُو
كلُّهُمُ يحسد[1] ما رُمْتَهُ مهما يساعدْ رأيَكَ الدهرُ
عجبتُ مِمَّنْ رام صدرَ العُلا يرومُ أن يصفو له دهرُ

فقالوا له: اتهمتنا في الودّ، فقال: لو لم أتّهمكم كنت أتّهم عقلي، والعياذ باللّه تعالى من ذلك، وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنونني عن زيارة خليفةٍ لوالدي عنده مكانٌ، وله علينا إحسان، ولي شافعٌ عنده مقرب لمجلسه عقلي ولساني، ولكني أنا المخطىء الذي عدلت عن العمل بقول القائل[2]: [الطويل]

ولم يستشرْ في أمره غيرَ نفسه ولم يَرْضَ إلاَّ قائمَ السيف صاحبا

وله في شعاع الشمس والقمر على النهر[3]: [الطويل]

ألاَ حبذَا نَهْرٌ إذا ما لَحَظْتَهُ أبى أن يردَّ اللحظَ عن حُسْنه الأنسُ
ترى القَمَرَين الدهر قد عُنِيَا به يُفَضِّضُه بَدْرٌ وتُذْهِبُه شَمْسُ

وله في والده وقد شن عليه درعًا[4]: [الطويل]

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٨٨): «يحمدُ».
(٢) البيت لسعد بن ناشب المزني، وهو في شرح الحماسة للمرزوقي (رقم ١٠).
(٣) في طبعة دار صادر (ص ١٨٩): «وله في شعاع القمر والشمس. .». وتقدم هذان البيتان في هذا الجزء (ص ٦٥) دون تغيير عمّا هنا.
(٤) في طبعة دار صادر: «وقد سنّ عليه درعًا». والأبيات في المغرب (ج ٢ ص ١٦٧).

أيا قائدَ الأبطالِ في كلِّ وجهةٍ ... تَطِيرُ قلوبُ الأُسْدِ فيها مِنَ الذُّعْرِ
لقد قلتُ لَمّا أنْ رأيتكَ دارعًا ... أيا حُسْنَ ما لاح الحَبابُ على البحر[1]
وأنشدْتُ والأبطالُ حولكَ هالةٌ ... أيا حُسْنَ ما دار النجومُ على البَدْرِ

وقوله، وقد بلغه أنَّ حاسدًا شكره: [المجتث]

متى سمعتَ ثناءً ... عمَّن غدا لك حاسدْ
فكان منك انخداعٌ ... به فرأيُكَ فاسدْ
بصدره منكَ نارٌ ... لهيبُها غيرُ خامد
وغلُّه[2] لك ما زدْ ... تَ في السعادة زائدْ
وإنما ذاك منه ... كَالْحَبِّ في فخٍّ صائدْ

وله: [مخلع البسيط]

أبْصَرَهُ مَنْ يلومُ فيه ... فقال ذا في الجمال فائق
أمَا ترى ما دُهيتُ منه ... كان عذولاً فصار عاشق

وله في أبيه، وقد سجنه عبد المؤمن: [الكامل]

مولايَ، إنْ يحبسْكَ خيرُ خليفةٍ ... فبذاكَ فخرُكَ واعتلاءُ الشانِ
فالجفنُ يحبسُ نورَهُ مِنْ غبطةٍ ... والمرهفاتُ تصانُ في الأجفانِ
فابشرْ فنزعُ الدُّرِّ مِنْ أصدافه ... يُغليه للأسلاكِ والتيجانِ
ولئن غدَا مَنْ ظَلَّ دونك مطلقًا ... إنَّ القذى مُلْقًى عن الأجفانِ
والعين تحبسُ دائمًا أجفانُها ... وهدايَةُ الإنسانِ بالإنسانِ
والطِّرسُ يختمُ ما حواه نفاسةً ... ويهانُ ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكنْ مَلِيًّا مَكْثُهُ ... سجنًا لغير مذلّةٍ وهوانِ
فلتعلُوَنْ رغمَ الأعادي بعده ... بذرى الخليفة في ذرى كيوانِ

مولاي غيرك يُعَزَّى بما لم يزل يجري على الكرام، ويُذَكَّر تأنيسًا له في الوحشة بما

(١) في المغرب: «على النحر».
(٢) في طبعة دار صادر: «وعَلُّه» بالعين المهملة.

يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام(١): [الوافر]

وأنت تُعَلِّمُ الناسَ التَّعَزِّي وخَوْضَ الموتِ في الحرب السجالِ

وقد كان مولاي أنشدني لعلي بن الجَهْم قائلاً: إنَّ أحدًا لم يُسَلِّ نفسه عمّا ناله من السجن بمثله(٢): [الكامل]

قالوا سُجِنْتَ فقلتُ ليس بضائرٍ سجني، وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ

الأبياتَ، وماذا(٣) تفيدك من العلم وصَدْرُك ينبوعه، وبخاطرك لا يزال غروبه وطلوعه، وإنما هي عادة تبعْناها أدبًا، وقضيْنا بها ما في النفس من الإعلام بالتوجّع والتفجّع أَرَبًا، ولعلّ اللّه تعالى يُتبع هذه التسلية بتهنئة(٤)، ويعقب بالنعمة هذه المرزئة. قال: فأمر الملك بتسريحه أثر ذلك، فلمّا اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد اللّه تعالى جهرًا ويغرّد بهذه الأبيات، وكان سراحه بُكرة: [الطويل]

طَلَعْتَ علينا كالغزالة بالضحى وعزّكَ طَمَّاحٌ ووجهكَ مُشْرِقُ
فغَفْرًا لذنبِ الدهرِ أجمعَ إنه أتى اليومَ من حسناه ما هو أليقُ
فَلُحْ في سماء العِزِّ بالسعد طالعًا وقدرك سامٍ أُفْقُهُ ليس يُلْحَقُ
فقد سَرَحَتْ لَمَّا غدوت مُسَرَّحًا قلوبٌ وأفكارٌ وسمعٌ ومنطقُ

فاهتزّ أبوه من شدّة الطرب، وقال له: واللّه إنك لتملأ الدلو إلى عَقْد الكَرَبْ(٥).

وله يعتذر، وقد دعي إلى مجلس أُنس: سيدي، ساعدك سولك، لَمّا وصل إلى أخيك المعتدّ بك رسولك، قابله بما يجب من القبول، وأبدى له من الشغل ما منع من الوصول: [الطويل]

ومن ذا الذي يُدْعَى لعَدْنٍ فلا يُرى على الرأس إجلالاً إليها يُبادرُ

---

(١) البيت للمتنبي وهو في ديوانه (ص ٢٧٥).
(٢) ديوان علي بن الجهم (ص ٤١).
(٣) في طبعة دار صادر (ص ١٩٠): «ماذا» بدون واو العطف.
(٤) في طبعة عبد الحميد: «بتهنئته».
(٥) أخذ هذا المعنى من قول الشاعر (الرمل):
مَنْ يُساجِلْني يساجِلْ ماجدًا يملأ الدلو إلى عَقْد الكَرَبْ
فوات الوفيات (ج ١ ص ٣٨٦).

ولكن الاضطرار، لا يكون معه اختيار، وإني لأشوق الناس إلى مشاهدة تلك المكارم، وأحبُّهم في محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادُفَ الغمائم، ولكن شغلني عارض قاطع، وبرغمي أني لدعوتك عاصٍ وله طائع، وإني بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة في الغفران، مستجير بالخلاص الذي أعهد من خُرق فلان ومكر فلان، فإني متى غبت لا أعدم مترصدًا قرحة يقع عليها ذُبَابُهُ، ومستجمعًا إذا أبصر فرصة سَلَّ عليها ذُبَابَهُ[1]: [الطويل]

ولكنني أدري بأنيَ نازحٌ ودانٍ سواء عند مَنْ يحفظُ العهدا

وإني لأقول وقد غبت عن تلك الحضرة العليّة، وجانبت ذلك الجناب السامي والمثابة السنيّة: [الطويل]

لئن غِبْتُ عَمَّنْ نورُهُ نورُ ناظري فحسبي لديه أن أغيبَ عِقَابَا
وسوف أُوافيه مُقِرًّا بزلّتي وفي حلمه أن لا يُطِيلَ حِسابا

وله في قصر النهار، ولو لم يكن له غيره لكفاه[2]: [مجزوء الكامل]

لله يومُ مَسَرَّةٍ أَضْوَا وأقصرُ مِنْ ذُبالَهْ
لَمَّا نَصَبْنا للمُنَى فيه بأوتارِ حِبالَهْ
طار النهارُ[3] به كَمُرْ تاعٍ وأجفلَتِ الغَزَالَهْ

وهذا المعنى لم يُسْبَق إليه، ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه.

ولَمَّا وصل صحبة والده إلى إشبيلية افتتن بواديها، واعتكف على الخلاعة فيها، مُصْعدًا ومنحدرًا بين بساتينه ومنازهه، فمرَّ ليلة بطريانة فمال نحو منزه فيه طربٌ سَمِعَهُ، فاستوقفه هنالك، وهو في الزورق متكىء وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم عنه في المرتبة، فأخرج رأسَه أحدُ الأنذال المعتادين بالنادر من شرجب، والشرجب: هو الدرابزين من خشب فيه طاقات؛ وطريانة مقابلة إشبيلية، وبها المنازه والأبنية الحسنة.

---

(١) الذُّباب هنا: بمعنى حَدّ السيف الذي يضرب به.
(٢) الأبيات في المغرب (جـ ٢ ص ١٦٧)، وقد تقدّمت في هذا الجزء (ص ٦٤) دون تغيير عمّا هنا.
(٣) النهار هنا: ذكر الحُبارى. انظر ما تقدم في هذا الجزء (ص ٦٤).

فضرط له ذلك النذل بغاية ما قدر، فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر، ولم يعتد مثل ذلك في بلده، وقال: يا سفلة، أتقدم عليّ بهذا قبل معرفتي؟ فثنى عليه واحدة أخرى، ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ، وقال: يا وزير، اجعل هذا عندك وديعةً حتى أعرف من تكون، ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال: واعمل من هذا غلافًا للحيتك فإذا عرفناك ذَهَّبْناه لك؛ فغلبه الضحاك على الْحَرج، وجعل أصحابه يقولون له: ما سمعت أن من دخل هذا الوادي يعول على هذا وأمثاله، فمال عن ذلك المنزه قليلاً، وأطرق ساعة وقال: [مجزوء الرمل]

نَهَرَ حمص لا عَدِمْنا ... كَ فما مثلك نهرُ
فيك يُلْتَذُّ ارتياحٌ ... أَبَدَ الدَّهرِ وسكرُ
كلُّ عمرٍ قد خلا منـ ... ـك فما ذلكَ عمرُ
خَصَّه اللَّهُ بمعنى ... فيه للألباب سِرُّ
يُلْعَنُ الإنسانُ فيه ... وهو يصغي ويُسَرُّ

ثم سأل بعد ذلك عن ربّ المنزه، فسُمّي له، وأُعلم أنَّ ابن سيد الشاعر المشهور باللصّ كان حاضرًا وأنه أملى على السفلة ما قال وصنع، فكتب له أبو جعفر: [الخفيف]

يا سَميّي، وإن أفادَ اشتراكٌ ... غيرَ ما يرتضيه فضلٌ وودُّ
أكذا يُزْدَرَى الخليلُ بأُفقٍ ... أنت فيه ولم يكنْ منك رَدُّ
لا أرى مَنْ سَلَّطْتَ وغدًا ولكنْ ... ليس يخفى عليك مَنْ هو وَغْدُ

فلمّا وقف على هذه الأبيات كتب له: يا مولاي وسيدي، وأجلّ ذخري للزمان وعَضُدِي، الذي أفخر بمشاركة اسمه، وتتيه هذه الصناعة بذكره ورَسْمه: [الوافر]

وخَيْرُ الشعرِ أشرفُهُ رجالاً ... وشَرُّ الشّعرِ ما قال العبيدُ

سلام كتسنيم(١)، على ذلك المقام الكريم، ورحمة اللّه تعالى وبركاته، وإن كان مولاي لم يفاتحني بالسلام، ولا رآني أهلاً لمقاومة الكرام، لكن حَظُّ قدري عنده ما نُسب لي من الذنب المختَلَق، ولا واللّه ما نطقت بلسان ولا كنت مِمَّنْ رَمَق، بل الذي زوّر لسيدي في هذه الوشاية كان المعين عليها، والملمّ إليها، فبادر إليكم قبل أن أسبقه فاتَّسَمَ بأسقط خطّتين: النذالة الأولى والوشاية الأخرى، ولولا أنَّ المجالس بالأمانات، وأنَّ

---

(١) التسنيم: ماء في الجنة يجري فوق الغرف والقصور. محيط المحيط (سنم).

الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه، لكنت أسبق منه، لكني يأبى ذلك خلقي، وما تأدّبت به، ومع ذلك فإني أقول: [الطويل]

فإنْ كنتُ ذا ذنبٍ فقد جئتُ تائبًا ومثلُكَ غفّارٌ ومثلُكَ قابلُ

ولولا ما أخشى من التثقيل، وما أتوقّع من الخجل إذا التقى الوجهان، لأتيت حتى بلغت[1] في الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس، لكنني متّكل على حلم سيدي وإغضائه، متوسّل إليه في الغفران بعَلاَئه، وكتب تحت ذلك شعرًا طويلاً منه: [الطويل]

ولا غَرْوَ أن تعفو وأنتَ ابنُ مَنْ غدا تَعَوَّدَ عفوًا عن كبارِ الجرائمِ
لَكُمْ، آلَ عَمَّار، بيوتٌ رفيعةٌ تُشَيَّدُ من كسبِ الثنا بدعائمِ
إذا نحن أَذْنَبْنا رَجَونا ثوابكم ولم نقتنعْ بالعفو دون المكارم
وإنك فرعٌ من أُصولٍ كريمةٍ ولا تلدُ الأزهارَ غيرُ الكمائم
وإنيَ مظلومٌ لزورِ سَمِعْتَهُ وقد جئتُ أرجو العَفْوَ في زيّ ظالمِ

فأجابه أبو جعفر بما نصُّه: سيدي الذي أُكبر قدره، وأُجلُّ ذكره، وأُجزل شكره، وَصَل جوابك الذي لو كان لك من الذنب ما تَحَمَّله ابنُ ملجم، لأضربت لك عنه صفحًا، ونسيت بما تأخّر ما تقدّم، ومعاذ اللّه أن أنسب لفضلك عيبًا، فأذمّ لك حضورًا أو غَيْبًا، وإنما قصدت بالمعاتبة، ما تحتها من المطارحة والمداعبة، على أنَّ سيدي لو تيقَّنْتُ أنه ظالم لأنشدت: [السريع]

منذ غدا طرفُكَ لي ظالمًا آليتُ لا أدعو على ظالمِ

لكنني أتيقّن خلافَ ذلك، وأعلم حتى كأني حاضر ما كان هنالك، وقد أطلتُ عليك، وبعد هذا فلتعتمد على أن تصل إلي أو أصل إليك، فهذا يوم كما قال البُسْتِي[2]: [الكامل]

يومٌ له فضلٌ على الأيامِ مَزَجَ السحابُ ضياءه بظلامِ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ١٩٤): «أبلغت».
(٢) هو أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي، وترجمته في يتيمة الدهر (ج ٤ ص ٣٠٢ ـ ٣٣٤) وأبياته الميمية هذه في المصدر نفسه (ص ٣٠).

فالبرقُ يخفقُ مثلَ قلبِ هائمٍ والغيمُ يبكي مثل جَفْنٍ[1] هَامِ
فاخترْ لنفسك[2] أربعًا هُنَّ المنى وبهنّ تصفو لذةُ الأيامِ
وَجْهَ الحبيبِ ومنظرًا[3] مستشرفًا ومُغَنِّيًا غردا وكأسَ مُدامِ

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكنْ رابعها، ونادت بك همم الأماني فكنْ بفضلك سامعها، ومركز أفلاك هذه المسرّة حين كَتْبِ هذه الرقعة إلى مجدك منزه مطلٌّ على جزيرة شنتبوس لا أزال أترنّم فيه بقول ابن وكيع: [المنسرح]

قُمْ فاسقني والخليجُ مضطربٌ والريحُ تثني ذوائبَ القُضُبِ
كأنها والرياحُ تعطفها صفٌّ قَنًا سندسيّةُ العذبِ
والجوُّ في حُلّةٍ مُمَسَّكَةٍ قد طَرَّزَتْها البروقُ بالذهبِ

فإن كان سيدي في مثل هذا المكان، جريْنا إليه جري الحَلْبة لخصل الرهان، وإن كان في كِسْرِ بيته فليبادر إلى محل تقصر عنه همّة قيصر وكسرى، وإن أبطأ فإنَّ الرقاع بالاستدعاء لا تزال عليه تَتْرَى، وإن كان لا يجدي هذا الكلام، فما نقنع من العقوبة المؤلمة بالمَلاَم، وعلى المودّة المرعية الداعية أكمل ما يكون من السلام.

فعندما قرأ الرقعة ركب إليه زورقًا وصنع هذه الأبيات في طريقه، فعند وصوله أنشده إيّاها: [الطويل]

ركبتُ إليكَ النهرَ يا بحرُ فَالْقَنا بما يتلقّى جُودُهُ كلَّ قادمِ
بفيضٍ ولكنْ مِنْ مُدامٍ، وهزّةٍ ولكنْ إلى بذل الندى والمكارمِ
وكُنّا نسمّي قبل كونك حاتمًا ومذ لُحْتَ فينا لم نُعِدْ ذكرَ حاتمِ
بآلِ سعيدٍ يفخرُ السعدُ والعُلا فأيديهمُ تلغي أيادي الغمائمِ

فامتلأ أبو جعفر سرورًا، وخلع عليه ما كان عنده هنالك، ووعده بغير ذلك، فأطرق لينظم شيئًا في شكره، فأقسم عليه أن لا يشغل خاطره في ذلك الوقت عن الارتياح، وحَثَّ أكؤس الراح، فأقبلوا على شأنهم، وكان ابن سيد في ذلك الحين متسترًا بشرب الراح،

---

(١) في اليتيمة: «طرف».
(٢) في اليتيمة: «فاطلبْ ليومك».
(٣) في طبعة عبد الحميد: «ومنزلاً».

وكان عند أبي جعفر خديم كثير النادر والالتفات، يخاف أهل التستّر من مثله، فقال ابن سيد: هاتِ دواة وقرطاسًا، فأعطاه ذلك، فكتب: [مخلع البسيط]

يا سيدي، قد علمتَ أني ... بهذه الحالِ لا أُظاهر
أخشى أناسا لهم عيونٌ ... نواظرٌ منّيَ المعايز
أحذرُهُمْ طاقتي وإني ... وثقتُ باللّه فهو غافر
ولا تَقِسْ حالتي بحالِ ... منك اعتذارٌ فالفرقُ ظاهر
فأنتَ إنْ كنتَ ذا جهارٍ ... غيرَ مبالٍ فالجاهُ ساتر
لا تَخْشَ مِنْ قولِ ذي اعتراضٍ ... ولا حسودٍ عليكَ قادر
وإنني قد رأيتُ مِمَّنْ ... يكثُرُ القولَ وهو ساخر
ما قد أرابَ العفيفَ منه ... ضِحْكٌ وظَنٌّ به يجاهِر
أخشى إذا قيل كيف كنتمْ ... قَالَ بحالٍ تسرّ ناظر
واللصُ ما بيننا صريعًا ... بكلّ كأسٍ عليه دائر
مُطّرحًا للصلاة يُصْغي ... لصولةِ الدفّ والمزامر
فأغتدي سيدي مشارًا ... إليَّ مهما مررتُ خاطر
وإنْ أتيتُ الملوكَ أبغي ... نوالَهم قيل أيّ شاعر
يذكرُ في شعره خلافًا ... وهو لزورِ المحال ذاكر
بالأمس قد كان ذا انتهاكٍ ... فما له بعد ذاك عاذر
إن كان هذا فإنَّ حظي ... وَافَى لربحِ فآبَ خاسر

فقال له أبو جعفر: يا أبا العباس، اشربْ هنيئًا غير مقدر ما قدرت، فلو كان هذا المضحك على الصفة التي ذكرت كان الذنب منسوبًا إليّ في كوني أُحضر في مجلسي من يهتك ستر المستورين، ومهما تره هنا بهذه الخفة والطيش والتسرّع للكلام فإنه إذا فارقنا أثقل من جبل، وأصمت من سمكة، متزيّ بِزيّ خطيب في نهاية من السكون والوقار[1]: [الطويل]:

وتحت الثياب العارُ لو كان باديا

---

(١) سيأتي البيت كاملاً في الجزء التاسع هكذا:
على وَجه ميّ مَسْحَةٌ من مَلاحَةٍ ... وتحت الثيابِ العارُ لو كان باديا
البيت لذي الرمة قاله في صاحبته مي. الشعر والشعراء (ص ٤٣٩).

فكنْ في أمن ما شربت معي، فإني والله لا أسمع أحدًا من أصحابنا تكلّم في شأنك بأمر إلاّ عاقبْتُه أشدّ العقاب، والذنب في ذلك راجع إليّ. فسكن ابن سيد وجعل يحثّ الأقداح، ويمرح أشدّ المراح، على ما كان يظهره من الانقباض، تَقِيَّةً لما يخشاه من الاعتراض، إلى أن قاربت الشمسُ الغروب، ومدَّ لها في النهر معصم مخضوب، فقال أبو جعفر: [المجتث]

انظرْ إلى الشمس قد ألْـ   ـصَقَتْ على الأرض خَدًّا

فقال ابن سيد:

هي المِرَاةُ ولكنْ[1]   من بعدها الأُفْقُ يصدا

فقال أبو جعفر:

مَدَّتْ طرازًا على النهـ   ـر عندما لاح بُرْدَا

فقال ابن سيد:

أهدتْ لطرفك منه   ما للأكارِمِ يُهْدَى

فقال أبو جعفر:

دِرْعُ اللُّجَيْن عليه   سيفٌ مِنَ التِّبْرِ مُدًّا

فقال ابن سيد:

فاشرب عليه هنيئًا   وزدْ سرورًا وسَعْدَا

ثم لَمّا أظلم الليل نظروا إلى منارة شنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر، وإلى النجوم قد طلعت فيه، فقال ابن سيد: [المجتث]

اِخْلَعْ على النهر ثوبَ الـ   ـكرى فذلك واجبْ

فقال أبو جعفر:

وانظرْ إلى السُّرْج فيه   كالزُّهْرِ ذاتِ الذوائبْ
وحين صَفَّق للأُفْـ   ـقِ نَقَّطَتْه الكواكبْ

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٣٠): «لكن» بدون واو العطف، وهكذا ينكسر الوزن.

فقبّل ابن سيد رأسه، وقال: ما تركت بعد هذا مقالاً لقائل، ثم جعلوا يشربون.

فقال أبو جعفر: [مجزوء الرمل].

سَقّني والأُفْقُ بُرْدٌ بنجومِ الليلِ مُعْلَمْ

فقال ابن سيد:

وبساطُ النهرِ منها وهو فِضّيٌّ مُدَرْهَمْ

فقال أبو جعفر:

ورواقُ الليل مُرْخًى والشّذا بالروض قد نَمْ

فقال ابن سيد:

والنَّدى في الزهر منثو رٌ على عِقْدٍ مُنَظَّمْ

فقال أبو جعفر:

والصَّبا جَرّتْ على مَيْـ ـتِ الطُّلى كَفَّ ابن مريمْ[1]

فقال ابن سيد:

كان مبهوتًا فلمّا نَفَخَتْ فيه تكلَّمْ

فقال أبو جعفر:

وكأنَّ الكأسَ والقهـ ـوةَ دينارٌ ودرهمْ

فقال ابن سيد:

وبدا الدُّفُّ يناغي الـ ـعُودَ والمزمارُ هيَّمْ

فقال أبو جعفر:

فأذاعَ الأنسُ مِنّا كلَّ ما كان مُكَتَّم[2]

---

(١) ابن مريم: هو المسيح عليه السلام، ومن معجزاته إحياء المَيْت.

(٢) في طبعة دار صادر (ص ١٩٩): «كلّ ما قد كان مُكْتَمْ».

فقال ابن سيد:

أيُّ عيشٍ يهتك المسـ ـتورَ لو كان ابن أدهمْ[1]

فقال أبو جعفر:

هكذا العيشُ ودَعْنِي مِنْ زمانٍ قد تَقَدَّمْ

فقال ابن سيد:

حين لا خَمْرٌ سوى ما بكؤوس البيض مِنْ دَمْ

فقال أبو جعفر: واللَّه ما تعديتَ ما جال الساعة في خاطري، فإني ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن، وأنا لم نزل في مصادمة ومقارعة، ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التي أمنت وسكنت، فشكرتُ اللَّه تعالى، ودعوت بدوامها.

ثم لَمَّا طلع الفجر قال أبو جعفر: [مجزوء الرمل]

نَثَرَ الطَّلُّ عقودَهْ ونَضَا الليلُ بُرُودَهْ

فقال ابن سيد:

وبدا الصبحُ بوجهٍ مُطلعٌ فينا سعودَهْ

فقال أبو جعفر:

وغَدَا ينشرُ لَمَّا فتر الليلُ بُنُودَهْ

فقال ابن سيد:

فهلُمَّ اشربْ وقَبِّلْ مَنْ غدا يُنطِقُ عُودَهْ

فقال أبو جعفر:

ثم صافِحْهُ على رَغْـ ـمِ النوى وافركْ نهودَهْ

فقال ابن سيد:

واجعلِ الشكرَ على ما نِلْتَهُ منه جُحودَهْ

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم، أحد كبار الصوفية.

فقال أبو جعفر: يا أبا العباس، إنك أغرت على التهامي في هذا البيت في قوله:

وشكرُ أيادي الغانيات جُحُودُها

قال: فلمَ لُقِّبْتَ باللِّص؟ لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك.

واللص المذكور اسمه أحمد بن سيد، يكنى أبا العباس، وهو من مشهوري شعراء الأندلس.

ولَمّا أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح قوله: [البسيط]

غَمِّضْ عن الشمس واسْتَقْصِرْ مدى زحلِ وانظرْ إلى الجبلِ الراسي على جبلِ

قال له: أنت شاعر هذه الجزيرة، لولا أنك بدأتنا بغمض وزحل والجبل.

ومن بديع نظم اللص قوله؛ [المجتث]

سَلَبْتَ قلبي بلحظٍ أبا الحسينِ خَلُوبِ
فَلِمْ أُسَمَّى بلصّ وأنت لصُّ القلوبِ

ولَمّا اجتمع أبو جعفر بن سعيد المترجم به باللصّ أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما وفد فضلاءُ الأندلس على عبد المؤمن، واستنشده، فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة مَنْزع أبي جعفر، إلى أن أنشده قوله: [الوافر]

وما أفنى السؤالُ لكمْ نوالاً ولكنْ جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر: لا جعلك اللّه في حلّ من نفسك، يكون في شعرك مثل هذا وتنشدني ما كان يحملني على أن أسأتُ معك الأدب؟ واللّه لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الأندلس.

وكتب إلى أبي جعفر أبو الحكم بن هَرَوْدَس[1] في يوم بارد بغرناطة: [الخفيف]

---

(١) هو أبو الحكم أحمد بن هرودس، كاتب عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة، توفي بمراكش سنة ٥٧٢ هـ. ترجمته في المغرب (جـ ٢ ص ٢١٠) والمطرب (ص ٢٤٠) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٠٧) وفيه أنه أبو الحكم إبراهيم بن علي بن هردوس الأنصاري، من أهل حصن مرشانة من عمل ألمرية. وأبياته في المغرب.

يا سَمِيِّي، في علم مجدك ما يحـ تـاجُ فـيـه هـذا الـنـهـارُ الـمـطـيـرُ
ندفَ الـثـلـجُ فـيـه قُـطْنًـا عـلـيـنـا فـفـرزنـا بـعـدلـكـم نـسـتـجـيـرُ
والـذي أبـتـغـيـه فـي الـلـحـظ مـنـه ورضـاب الـذي هـويـت نـظـيـرُ
يـومُ قـرّ يـودُّ مـن حـلّ فـيـه لـو تَـبَـدَّى لـمـقـلـتـيـه سـعـيـرُ

فوجّه بما طلب، وجاوبه بما كتب: [الخفيف]

أيـهـا الـسـيـد الأجـلُّ الـوزيـرُ الـذي قَـدْرُهُ مُـعَـلًّـى خـطـيـرُ
قـد بَـعَـثْـنـا بـمـا أشـرتَ إلـيـه دُمْـتَ لـلأُنْـس والـسـرورِ تـشـيـرُ
كـان لُـغْـزًا فـكـكـتـه دون فـكـرٍ إنَّ فـهـمـي بـمـا تـريـدُ خـبـيـرُ

ومن نظم أبي الحكم: [الوافر]

إذا ضـاقـتْ عـلـيـكَ فَـوَلِّ عـنـهـا وسِرْ في الأرض واختبرِ العِبادا
ولا تـمـسـكْ رحـالـكَ فـي بـلادٍ غَـدَوْتَ بـأهـلـهـا خَـبَـرًا مُـعَـادا

ولَمَّا مدح أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندي عبد المؤمن في جبل الفتح بقصيدة أوّلها: [الكامل]

ما الفخرُ إلاّ فخرُ عبد المؤمنِ أثـنـى عـلـيـه كـلُّ عـبـدٍ مـؤمـنِ

قال أبو جعفر ابن سعيد: دعاه التجنيس إلى الضعف والخروج عن المقصود، والأولى أنْ لو قال «شاد الخلافة وهو أوّل مُبْتَني».

ومن هذه القصيدة:

أَمَّـا ابـنُ سَـعْـدٍ فـهـو أولُ مـارقٍ يـا لـيـتـه بـأبـيـه سَـعْـدٍ يَـكْـتَـنِـي
مـا قَـدْرُ مُـرْسـيـةٍ وحـكـمـك نـافـذٌ إن شئتَ من عدنٍ لأرضِ المعدنِ

فلمّا أكملها قال له عبد المؤمن: أجدت، فقال ارتجالاً: [الكامل]

من لي، أميرَ المؤمنين، بموقفي هـذا وقـولـك لـي أجدتَ ولـم تَـنِ
فـلـقـد مـدحـتـك خـائـفًـا أن لا يـفـي لَسَنِي(١) بما يُعْيي جميعَ الألسن

---

(١) اللَّسَنُ: الفصاحة.

ولابن إدريس المذكور: [الخفيف]

أيها البدرُ، هل علمتَ بأني لم أبِتْ راعِيًا مُحَيَّاك ودًّا
أنا لو بات مَنْ حكيتَ بجنبي لم يكن عنه ناظري يتعدَّى

وله: [الكامل]

شتانَ ما بيني وبينكَ في الهوى أنا أبتغيكَ وأنتَ عنّيَ تَصْدِفُ
وإذا عَتَبْتُكَ وارعويتَ يَبِينُ لي في الحين منكَ بأنَّ ذاك تكلُّفُ
يا ليتَ شعري كيف يُقْضَى وَصْلُنا والعمرُ يَفْنى والمواعِدُ تُخْلفُ

وقيل له لَمَّا هجره عبد المؤمن: اكتبْ له واعتذر، وبرهن عن نفسك، فقال: ما يكون أميرُ المؤمنين هجرني إلاَّ وقد صحَّ عنده، ولا أنسبه في أمري لقلّة التثبّت والجور، وإنما أرغب في عفوه ورحمته، فكأنَّ هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه، وكان قد نقل عنه حسّاده أنه قال: كيف تصحُّ له الخلافة، وليس بقرشي؟

ولا بأس أن نزيد من أخبار اللصّ[1] الذي جرى ذكرنا له مع أبي جعفر بن سعيد فنقول:

هو النحوي المبرز في الشعر أبو العباس أحمد بن سيد، الإشبيلي؛ ذكره ابن دَحْية في المطرب، وأخبر أنه شيخه، وختم كتاب سيبويه مرتين على النحوي أبي القاسم بن الرماك، واجتمع به أبو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق، ولُقِّبَ اللص لإغارته على أشعار الناس.

وله: [البسيط]

شاموا الردى فأشمُّوا التربَ أنفهمْ[2] ولم يُبالوا بما فيها من الشَّمَمِ

ثم جعل يقول: قطع اللّه لساني إن كان اليوم على وجه الأرض مَنْ يعرف أن يسمعه، فضلاً عن أن يقوله.

---

(١) ترجمة اللصّ في المغرب (جـ ١ ص ٢٥٧) والمطرب (ص ٢٠٠) وبغية الوعاة (ص ١٤٩) والتكملة (ص ٨٠).
(٢) في طبعة دار صادر (ص ٢٠٣): «آنفهم».

وله القصيدة الشهيرة[1]: [الوافر]

نَدَاكَ الغيثُ إنْ مَحْلٌ توالى ... وأنت الليثُ إن شاءوا[2] القِتالا
سَلَبْتَ[3] الليثَ شدّةَ ساعِدَيْهِ ... نَعَمْ، وسَلَبْتَ عَيْنَيْهِ الغَزالا
وما أفنى السؤالُ لكم نَوالاً ... ولكنْ جودُكُمْ أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت في حكايته مع ابن سعيد.

وقال في حلقة خياط، وهو من محاسنه: [البسيط]

كأنها بيضةٌ وَخَزُ الرماحِ بها ... بادٍ وقونسها بالسيف قد قُطِعَا

وقال: [البسيط]

فالليل إن واصَلَتْ كالليل إن هجرتْ ... أشكو من الطول ما أشكو من القِصَرِ

رجع إلى أخبار أبي جعفر ابن سعيد:

قال في «الأزهار المنثورة، في الأخبار المأثورة» ما نصُّه: لَمَّا قُبض على الوزير أبي جعفر ابن عبد الملك بن سعيد العَنْسي، وثقف بمالقة، دخل إليه ابنُ عمّه، ووصل إلى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد أبو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن في أمره، قال: فدمعت عيناي حين رأيته مَكْبُولاً، فقال لي: أعليَّ تبكي بعد ما بلغتُ من الدنيا أطايب لذاتها، فأكلتُ صدور الدجاج، وشربت في الزجاج، ولبستُ الديباج، وتمتَّعتُ بالسراري والأزواج، واستعملت من الشمع السراج الوهَّاج، وركبت كل هِمْلاَج[4]، وها أنا في يد الحجاج[5]، منتظر محنة الحَلاَّج[6]، قادم على غافرٍ لا يحتاج إلى اعتذار ولا إلى[7]

---

(١) الأبيات في المغرب (ص ٢٥٧).
(٢) في المغرب: «إن شهدوا».
(٣) في المغرب: «غَصَبْتَ».
(٤) الهِمْلاج: الفرس الشديد العَدْو، السريع.
(٥) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق لبني أمية، وقد اشتهر بسفكه للدماء.
(٦) هو الصوفي الشهير الذي شهد عليه أهل زمانه بالكفر والإلحاد، فقتل لذلك، وقد شبّه الشاعر نفسه بالحلاج وشبه آسره بالحجاج.
(٧) كلمة «إلى» ساقطة من طبعة دار صادر (ص ٢٠٤).

احتجاج؟ قال: فقلت: أفلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام، ثم يُفقَد؟ وقمت عنه فكان آخر العهد به، انتهى.

رجع إلى أخبار النساء.

ومن أشهرهنّ بالأندلس وَلاَّدة بنت المستكفي[1] بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله، وكانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، كتبت بالذهب على الطِراز الأيمن[2]: [الوافر]

أنا واللّه أَصْلُحُ للمعالي ... وأَمشي مِشيتي وأَتِيهُ تِيها

وكتبت على الطراز الأيسر:

وأُمْكِنُ عاشِقي مِنْ صَحْن خدِّي ... وأُعطي قُبْلتي مَنْ يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف، وفيها خلع ابن زيدون عِذاره، وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات، وكانت له جارية سوداء بديعة المعنى، فظهر لولاّدة أنّ ابن زيدون مال إليها، فكتبت إليه[3]: [الكامل]

لو كنتَ تُنصِفُ في الهوى ما بيننا ... لم تَهْوَ جاريتي ولم تَتَخَيَّرِ
وتركتَ غصنًا مُثْمِرًا بِجَمَاله ... وجَنَحْتَ للغُصْنِ الذي لم يُثْمِرِ
[ولقد عَلِمْتَ بأنني بدرُ السما ... لكن ولعتَ[4]، لِشِقوتي، بالمشتري]

ولَقَّبَت ابن زيدون بالمسدس، وفيه تَقُول: [الوافر]

ولُقِّبْتَ المسَدّسَ وهو نعتٌ ... تفارقك الحياةُ ولا يفارقْ
فلوطيٌ ومأبونٌ وزانٍ ... وديُّوثٌ وقَرْنَانٌ وسارقْ

---

(١) ترجمة ولادة بنت المستكفي في الذخيرة (ق ١ ص ٤٢٩) والمطرب (ص ٧) والصلة (ص ٦) وبغية الملتمس (ص ٥٤٧).
(٢) هذا البيت والذي يليه في الذخيرة (ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠) والمطرب (ص ٩).
(٣) الأبيات في الذخيرة (ص ٤٣١ ـ ٤٣٢).
(٤) في الذخيرة: «دهيت».

وقالت فيه[1]: [السريع]

إنَّ ابنَ زيدون على فضلِهِ يعشقُ قُضْبَانَ السراويلِ
لو أبصرَ الأيرَ على نخلةٍ صارَ مِنَ الطيرِ الأبابيلِ

وقالت فيه أيضًا[2]: [السريع]

إنّ ابنَ زيدون على فَضلهِ يغتابني ظلمًا ولا ذَنْبَ لي
يلحظني شَزْرًا إذا جئتُهُ كأنني جئتُ لأخصي علي

وقالت ولادة تهجو الأصبحي: [السريع]

يا أصبحيُّ اهنأ فكم نعمةٍ جاءَتْكَ من ذي العرش رَبِّ المننْ
قد نِلْتَ باسْتِ ابنك ما لم يَنَلْ بفرج بُورَانَ أبوها الحسن[3]

وكتبت إليه لما أولع بها بعد طول تمنّع[4]: [الطويل]

تَرَقَّبْ، إذا جَنَّ الظلامُ، زيارتي فإني رأيتُ الليلَ أَكْتَمَ للسِّرِّ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تَلُحْ وبالبدرِ لم يطلعْ وبالنجم لم يَسْرِ[5]

ووفت بما وعدت، ولَمَّا أرادت الانصراف ودعته بهذه الأبيات[6]: [الرمل]

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكْ ذائعٌ[7] مِنْ سِرِّهِ ما استودعَكْ
يقرعُ السِّنَّ على أنْ لم يكنْ زاد في تلك الخُطا إذ شَيَّعَكْ
يا أخا البدرِ سناءً وسنًا حَفِظَ اللّهُ زمانًا أطلعكْ

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٢٠٦) يتأخر هذان البيتان عن البيتين بعدهما.
(٢) تقدم هذان البيتان في الجزء الرابع باختلاف يسير عمّا هنا.
(٣) هو الحسن بن سهل، وقد تزوج المأمون العباسي ابنته بوران، وكانت مكانة الحسن في الدولة عالية جدًا.
(٤) البيتان في المطرب (ص ٩) والذخيرة (ق ١ ص ٤٣٠).
(٥) رواية البيت في المطرب والذخيرة هي:
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يَسْرِ
(٦) الأبيات في الذخيرة (ص ٤٣١) والمطرب (ص ٩) وقلائد العقيان (ص ٧١ - ٧٢)، والمغرب (ج ١ ص ٦٥).
(٧) في المطرب: «ذائعًا».

إنْ يَطُلْ بعدك ليلي فلكم بِتُّ أشكو قِصَرَ الليلِ مَعَكْ

وكتبت إليه[1]: [الطويل]

ألاَ هل لنا مِنْ بَعْدِ هذا التفرّقِ سبيلٌ فيشكو كُلُّ صَبّ بما لقي
وقد كنتُ أوقاتَ التزاورِ في الشتا أَبيتُ على جَمْرٍ من الشوق مُحْرِقِ
فكيف وقد أمسيتُ في حالِ قِطْعَةٍ لقد عَجَّلَ المقدورُ[2] ما كنتُ أَتَّقي
تمرُّ الليالي لا أرى البَينَ ينقضي ولا الصَّبْرَ مِنْ رِقِّ التشوّق مُعْتقي
سقى اللَّهُ أرضًا قد غَدَتْ لك مَنْزِلاً بكلِّ سَكُوبٍ هاطلِ الوبلِ[3] مُغْدِقِ

فأجابها بقوله: [الطويل]

لحى اللَّه يومًا لستُ فيه بِمُلْتَقٍ مُحَيّاكِ مِنْ أجلِ النوى والتفرّقِ
وكيف يطيبُ العيشُ دون مسرّةٍ وأيُّ سرورٍ للكئيبِ المُؤرَّقِ

وكتب في أثناء الكلام بعد الشعر: وكنتِ ربما حثثتني على أن أنبّهكِ على ما أجد فيه عليك نقدًا، وإني انتقدت عليك قولك:

سقى اللَّه أرضًا قد غدتْ لك منزلاً

فإنّ ذا الرمة قد انتُقِدَ عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة[4]: [الطويل]

ألاَ يا اسلمي يا دارَ ميّ على البلى ولا زالَ منهلاً بجرعائك القَطْرُ

إذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له، وأمّا المستحسن فقول الآخر[5]: [الكامل]

فسقى ديارَك غَيْرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الربيع وديمةٌ تَهْمي[6]

---

(١) أبيات ولادة وجواب ابن زيدون في ديوان ابن زيدون (ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤).
(٢) في الديوان: «المقدارُ».
(٣) في الديوان: «الوَدْق».
(٤) تقدم عجز هذا البيت في هذا الجزء (ص ١١٥).
(٥) البيت لطرفة بن العبد وهو في ديوانه (ص ٨٨).
(٦) في ديوان طرفة بن العبد: «فسقى بلادك. . صوبُ الغَمام. .».

وبسببها خاطب ابنَ عَبْدوس بالرسالة المشهورة التي شرحها غيرُ واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نُباتة والصفدي[1] وغيرهما، وفيها من التلميحات والتنديرات ما لا مزيد عليه.

وقد ذكر ولاّدة ابن بَشْكُوال في «الصِّلة» فقال: كانت أديبة، شاعرة، جزلة القول، حسنة الشعر، وكانت تناضل[2] الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء. وعمرت عمرًا طويلاً، ولم تتزوّج قطّ، وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين، وقيل: أربع وثمانين وأربعمائة، رحمها الله تعالى.

وكان أبوها المستكفي بايعه أهل قرطبة لَمّا خلعوا المستظهر، كما ألمعْنا به في غير هذا الموضع، وكان خاملاً[3] ساقطًا، وخرجت هي في نهاية من الأدب والظرف: حضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفِنَاؤُها ملعبًا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتّاب على حلاوة عشرتها، وعلى سهولة حجابها، وكثرة مُنْتَابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب، على أنها أوجدت للقول فيها السبيلَ بقلّة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها، ولَمّا مرّت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولّد عن كثرة الأمطار، وربما استمدّت بشيء مِمّا هنالك من الأقذار، وقد نشر أبو عامر كُمَّيْهِ، ونظر في عِطْفَيه، وحشر أعوانه إليه، فقالت له[4]: [الكامل]

أنت الخصيبُ وهذه مصرُ ... فَتَدَفَّقَا فكلاكما بَحْرُ

فتركته لا يحيُر حرفًا، ولا يردّ طرفا.

وقال في «المغرب» بعد ذكره أنها بالغرب كعُلَية[5] بالشرق: إلاَّ أنَّ هذه تزيد بمزية

---

(١) الصواب أن ابن نباتة هو شارح الرسالة التي وجّهها ابن زيدون إلى ابن عبدوس وهي المعروفة بالرسالة الهزلية، أما الصفدي فقد شرح الرسالة الجِدّيّة. وعن هاتين الرسالتين انظر كتابنا مدخل إلى الأدب الأندلسي (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٢) في الصلة لابن بشكوال (ص ٩٩٦): «تمالط». وتمالط: تقول نصف بيت والنصف الآخر يتمّه غيرها.

(٣) في طبعة دار صادر (ص ٢٠٨): «جاهلاً».

(٤) البيت لأبي نواس وهو في ديوانه (ص ٤٧٩)، وهو كذلك في الذخيرة (ق ١ ص ٤٣٢).

(٥) هي علية بنت المهدي العباسي.

الحسن الفائق، وأمّا الأدب والشعر والنادر وخفّة الروح فلم تكن تقصر عنها، وكان لها صنعة في الغناء، وكان لها مجلس يغشاه أدباءُ قرطبة وظرفاؤها فيمرّ فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك، وفيها يقول ابن زيدون[1]: [البسيط]

بِنْتُمْ وبِنّا فما ابتلّتْ جوانحُنا ... شوقًا إليكُمْ ولا جفّتْ مآقينا

وقال أيضًا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه في هواها[2]: [المتقارب]

أَثَرْتَ هِزَبْرَ الشّرى[3] إذ رَبَضْ ... ونَبَّهْتَهُ إذ هَدَا فاغْتَمَضْ
وما زِلْتَ تَبْسُطُ مُسْتَرْسِلاً ... إليه يَدَ البَغْي لَمّا انقَبَضْ
حَذارِ حَذارِ، فإنّ الكريمَ ... إذا سِيمَ خَسْفًا أبى فامْتَعَضْ
وإنّ سكونَ الشجاعِ النّهو ... سِ ليس بمانِعِهِ أن يَعَضْ[4]
عَمَدْتَ لِشِعْري ولم تَتّئِدْ[5] ... تُعارِضُ جَوْهَرَهُ بالعَرَضْ
أضاقتْ أساليبُ هذا القريـ ... ـضِ أم قد عفا رسمه فانقرضْ
لعمريَ، لَفوّقْتَ[6] سَهْمَ النضالِ ... وأرسلْتَهُ، لو أَصَبْتَ الغَرَضْ

ومنها:

وغرّكَ مِنْ عهدِ وَلّادةٍ ... سَرَابٌ تراءى وبَرْقٌ وَمَضْ
هي الما يعزُّ[7] على قابضٍ ... ويَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَخَضْ

ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد[8]: إنّ ابن زيدون كان

---

(١) البيت في ديوان ابن زيدون (ص ١٠) ضمن قصيدة من ٥١ بيتًا، وقد تقدّم في الجزء الرابع ضمن قصيدة من ٤٩ بيتًا.
(٢) ديوان ابن زيدون (ص ٩٠، ٩٢).
(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٤١): «الثرى» بالثاء.
(٤) في الديوان: «فإنّ سكونَ..». الشجاع: الذكر من الحيات. النهوس: العضوض؛ يقال: نهسته الحية إذا نهشته.
(٥) في الديوان: «ولم تَتّئِبْ».
(٦) في أصول النفح: «فَوّقْتَ»، والتصويب عن الديوان.
(٧) في الديوان: «يأبى على..».
(٨) قلائد العقيان (ص ٧٣ . ٧٤).

يَكْلَف بولادَة ويهيم، ويستضيء بنور محيّاها[1] في الليل البهيم، وكانت من الأدب والظرف، وتتميم السمع والطرف، بحيث تختلس القلوب والألباب، وتعيد الشّيبَ إلى أخلاق الشباب، فلمّا حل بذلك الغرب، وانحلّ عقد صبره بيد الكرب، فرّ[2] إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها، ويتسلّى برؤية موافيها، فوافاها والربيع قد خلع عليها بُرْده، ونَشَرَ سَوْسَنه ورده، وأترع جداولها، وأنطق بلابلها، فارتاح ارتياح جميل[3] بوادي القرى، وراح بين روض يانع وريح طيّبه السُّرى، فتشوّق إلى لقاء ولادة وحنّ، وخاف تلك النوائب والمحن، فكتب إليها يصف فرط قلقه، وضيق أمده إليها وطلقه، [ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر، ولا خَبَا ما في ضلوعه من مُلْتَهِبِ الجمر][4]، ويعاتبها على إغفال تعهّده، ويصف حسن محضره بها ومشهده[5]: [البسيط]

إنـي ذَكَـرْتُـكِ بـالـزهـراء مُـشْـتـاقـا ... والأُفُقُ طَلْقٌ ووجهُ[6] الأرض قد راقا
ولـلـنسيـمِ اعـتـلالٌ فـي أصـائـلـه ... كـأنـما[7] رقَّ لـي فـاعـتـلَّ إشـفـاقـا
والروضُ عن مائه الفِضّيِّ مُبْتسمٌ ... كما حللتَ عن اللبّات أطواقا[8]
يـومٌ كـأيـام لَـذّاتٍ لـنـا انـصـرمَـتْ ... بِتْنا لها حين نامَ الدهرُ سُرَّاقَا
نلهو بما يستميلُ العينَ من زَهَرٍ ... جالَ الندى فيه حتى مالَ أَعْناقا
كـأنَّ أعـيـنـه إذ عـايـنـتْ أرقـي ... بَكَتْ لِمَا بي فجال الدمعُ رَقْرَاقَا
وَرْدٌ تـألّـق فـي ضـاحـي مـنـابـتـه ... فازداد منه الضُّحى في العين إشراقا
سـرى[9] يُـنـافِـحُـهُ نَـيْـلُـوفـرٌ عَـبِـقٌ ... وَسْـنـانُ نَـبَّـه مـنـه الـصـبـحُ أَحْـداقـا

---

(١) في القلائد: «بنور تخيّلها».
(٢) في القلائد: «كرّ».
(٣) هو جميل الشاعر الغزل الذي عشق بثينة وعرف بجميل بثينة.
(٤) ما بين قوسين غير وارد في القلائد. وفي طبعه دار صادر (ص ٢٠): «ملتهب جمر..».
(٥) القصيدة في ديوان ابن زيدون (ص ٤٦ ـ ٤٧) وقلائد العقيان (ص ٧٣ ـ ٧٤).
(٦) في الديوان: «ومرأى الأرض».
(٧) في الديوان: «كأنه».
(٨) في الديوان: «شققت عن اللّبات». واللّبّات: جمع لبّة وهي موضع القلادة من الصدر. والأطواق: جمع طوق وهو ما يطيف بالعنق من الثوب.
(٩) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٤٢): «سرا».

كلُّ يَهيجُ لنا ذكرى تَشوّقِنا إليكِ، لم يَعْدُ عنها الصدرُ أن ضاقا
لو كان وَفَّى المُنى في جَمْعِنا بكمُ لكان مِنْ أكرمِ الأيام أخلاقا
لا سَكَّنَ اللّهُ قلبًا عَنَّ[1] ذكرِكُمُ فلم يَطِرْ بجناحِ الشوْقِ خَفَّاقا
لو شاء حملي نسيمُ الريح حين هَفَا[2] وافاكُم بفتًى أضناه ما لاقىٰ
يا عِلْقيَ الأخطرَ الأسْنَى الحبيبَ إلى نفسي إذا ما اقتنى الأحبابُ أعلاقا
كان التَّجاري[3] بمَحْض الوُدِّ مذ زمن ميدانَ أُنسٍ جَرَيْنا فيه أطلاقا
فالآن أَحْمَدَ ما كُنا لِعَهْدِكُمُ سَلَوْتُمُ وبَقِينا نحن عُشّاقا

وقال أيضًا [4]: إن ابن زيدون لم يزل يروم دنوّ ولادة فيتعذّر، ويباح دمه بها [5] ويُهْدَر، لسوء أثره في ملك قرطبة وواليها، وقبائح كان ينسبها إليه ويواليها، أحدقت بني [6] جهور عليه، وسدّدت أسهمهم [7] إليه، فلمّا يئس من لقياها، وحُجب عنه مُحَيّاها، كتب إليها يستديم عهدها، ويؤكّد ودّها، ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه، والامتحان الذي خشيه، ويُعلمُها أنه ما سلا عنها بخمر، ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر، وهي قصيدة ضَرَبت في الإبداع بسَهْم، وطلعت في كل خاطر ووهم، ونزعت منزعًا قصر عنه [8] حبيب وابن الجهم، وأولها [9]: [البسيط]

بِنْتُمْ وبِنّا فما ابتلَّتْ جوانحُنا شوقًا إليكُمْ ولا جَفَّتْ مآقينا
تكادُ [10] حين تناجيكُمْ ضمائرُنا يَقْضي علينا الأَسَى لولا تأسِّيْنَا

وأخبار ولادة كثيرة، وفيما ذكرْناه كفاية.

---

(١) في الديوان: «عقّ». وعَقّ ذكركم: استخفّ به.
(٢) في الديوان: «حين سَرَى».
(٣) هكذا في الديوان، وفي طبعة عبد الحميد والقلائد: «التجازي» بالزاي المعجمة.
(٤) قلائد العقيان (ص ٨١ ـ ٨٢).
(٥) في القلائد: «دونها».
(٦) في القلائد: «بنو».
(٧) في القلائد: «أسنتهم».
(٨) في القلائد: «قصر عنه ابنا حبيب..».
(٩) البيتان في ديوان ابن زيدون (ص ١٠) من قصيدة من ٥١ بيتًا، وقد أشرنا إلى ذلك في هذا الجزء (ص ٣٤٦)، وهما أيضًا في القلائد ضمن ٣٨ بيتًا.
(١٠) في الديوان: «نكاد». .وفي القلائد: «يكاد».

ومن المشهورات بالأندلس «اعتماد» جارية المعتمد بن عباد، وأم أولاده، وتشتهر بالرُّمَيْكية، وفي المسهب والمغرب أنه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار ووزيره، وقد زردت الريح النهر، فقال ابن عباد لابن عمار: أجز[1]: [الرمل]

صنع الريحُ من الماء زَرَدْ

فأطال ابن عمار الفكرة، فقالت امرأة من الغسالات:

أيّ درعٍ لقتالٍ لو جَمَدْ

فتعجّب ابن عباد من حسن ما أتت به، مع عجز ابن عمار، ونظر إليها فإذا هي صورة حسنة، فأعجبته فسألها: أذات زوج هي؟ فقالت: لا، فتزوّجها، وولدت له أولاده الملوك النجباء، رحمهم اللّه تعالى!

وحكى البعض منهم صاحب «البدائه» بسنده إلى بعض أدباء الأندلس، وسمّاه ولم يحضرني الآن، أنه هو الذي قال للمعتمد:

أيّ دِرْعٍ لقتالٍ لو جَمَدْ

قال: فاستحسنه المعتمد، وكنتُ رابعًا في الإنشاد فجعلني ثانيًا، وأجازني بجائزة سنيّة.

قال ابن ظافر: وقد أخذت هذا المعنى، فقلت أصف روضًا[2]: [الطويل]

فلو دام ذاك النبتُ كان زَبَرْجَدًا ولو جَمَدَتْ أنهارُه كان بلُّورا

ولما قال ابن ظافر: [الرجز]

قد أذكتِ الشمسُ على الما لَهَبا

قال القاضي الأعز:

فكست الفِضّةَ منه ذهبا

---

(١) تقدّم في هذا الجزء (ص ١٤٦) ما يخالفه، حيث قال الشعرَ كلٌّ من ابن حمديس والحجام.
(٢) تقدم ذلك في هذا الجزء (ص ١٤٦) وجاء هناك: «كُنَّ» بدل «كان».

رجع .ولمّاخُلع المعتمد وسُجن بأغمات قلت له: يا سيدي، لقد هُنّا هُنَا، فقال: [مجزوء الرجز]

قالتْ لقد هُنَّا هنا　　مولايَ، أين جاهُنا
قلتُ لها إلهُنا　　صَيَّرَنا إلى هُنا

وحُكي أنها قالت له وقد مرض: يا سيدي، ما لنا قدرة على مَرْضَاتك في مرضاتك[1].

ولَمَّا قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله، وضربه بالطبرزين ففلق رأسه، وترك الطبرزين في رأسه، فقالت الرميكية: قد بقي ابن عمار هدهدًا، والقصيدة أوّلها: [المتقارب]

ألاَ حَيِّ بالغرب حيًا حِلالاً　　أناخوا جِمَالاً وحازوا جَمَالاَ
وعَرِّجْ بيومينَ أُمّ القرى　　ونَمْ فعسى أن تراها خَيالا

ويومين: قرية بإشبيلية كانت منها أوَّلية بني عباد.

وفيه هذه القصيدة يقول معرضًا بالرميكية:

تَخَيَّرْتَها من بنات الهجان　　رُمَيكيةً ما تساوي عقالا
فجاءت بكلِّ قصير العِذارِ　　لئيمِ النِّجارين عَمًّا وخالا
قصارِ القدودِ ولكنهم　　أقاموا عليها قرونًا طوالا
أتذكرُ أيامَنا بالصِّبا　　وأنتَ إذا لُحتَ كنت الهلالا
أُعانقُ منك القضيبَ الرطيبَ　　وأرشفُ من فيك ماءَ زلالا
وأقنعُ منك بدونِ الحرام　　فتُقْسِمُ جهدكَ أنْ لا حلالا
سأهتك عرضَكَ شيئًا فشيئًا　　وأكشفُ سترك حالاً فحالا

ومنها:

فيا عامِرَ الخيلِ يا زَيدَها　　مَنَعْتَ القرى وأبحتَ العيالا

---

(١) المرضاة الأولى: الرِّضى، والمرضاة الثانية: جمع مرضة وهي المرة من المرض.

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة أنَّ المعتمد نذّر به وذيّل على قصيدته الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله[١]: [الكامل]

كيف التفلت بالخديعة من يدي رجلِ الحقيقةِ مِنْ بني عمارِ

وسخر به في أبيات مشهورة.

قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام[٢]: وما زالت عقارب تلك الداخلة تدبّ، وريحها العاصفة تهبّ، [ونارُها تَقِد][٣]، وضلوعها تحنق وتحقد، وتضمر الغدر وتعتقد[٤]، حتى دُخِل البلد من واديه، وبَدَتْ من المكروه بَوَاديه، وكَرّ عليه الدهر بعوائده وعَوَاديه، وهو مستمسك بعُرَى لذاته، منغمسٌ فيها بذاته، ملقًى بين جواريه، مغتر بودائع ملكه وعواريه، التي اسْتُرْجعت منه في يومه، ونبّهه فواتها من نومه، ولَمَّا انتشر الداخلون في البلد، وأوهنوا القُوَى والجَلَد، خرج والموت يتسعَّر في ألحاظه، ويتصوّر[٥] من ألفاظه، وحُسَامه يعد بمَضَائه، ويتوقَّد عند انتضائه، فلقيهم برحبة[٦] القصر، وقد ضاق بهم فضاؤها، وتضعضعت من رجّتهم أعضاؤها، فحمل فيهم حملة صيّرتهم فِرَقًا، وملأتهم فَرَقًا، وما زال يوالي عليهم الكر المعاد[٧]، حتى أوردهم النهر وما بهم جَوَاد، وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد، ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله[٨]، وذهاب ملكه وارتحاله، وعاد إلى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعًا لحَوْزَته، دافعا للذلّ عن عزّته، وقد عزم على أفظع أمر، وقال: بيدي لا بيد عمرو، ثم صرفه تُقَاهُ، عَمّا كان نواهُ، فنزل من القصر بالقسر، إلى قبضة[٩] الأسر، فقِيدَ للحِينِ، وحان له يوم شرّ ما ظنّ أنه يحين، ولَمّا قيّدت

---

(١) لم يرد هذا البيت ضمن ترجمة ابن عمار في قلائد العقيان (ص ٨٣ ـ ٩٨).
(٢) قلائد العقيان (ص ٢٢ ـ ٢٣).
(٣) ما بين قوسين غير وارد في قلائد العقيان.
(٤) في القلائد: «وتعقد».
(٥) في القلائد: «ويتصدّر».
(٦) في القلائد: «في رحبة».
(٧) كلمة «المعاد» ساقطة من القلائد سهوًا.
(٨) في القلائد: «بانتهاب ماله».
(٩) في القلائد: «قبة الأسر».

قدماه، وذهبت[1] عنه رقّة الكبل ورُحْماه، قال يخاطبه: [الطويل]

إليك فلو كانت قُيُودُكَ أسعرتْ   تَضَرّمَ[2] منها كلُّ كفٍّ ومعصمِ
مخافَةَ من كان[3] الرجالُ بسَيْبِه   ومن سيفه في جنّةٍ أو جهنمِ

ولما آلمه عَضُّه، ولازمه كسره ورَضُّه، وأوهاه ثقله، وأعياه نقله، قال: [المتقارب]

تبدلتُ من عزّ ظلّ البنودِ   بذُلّ الحديد وثقلِ القيودِ
وكان حديدي سنانًا ذليقًا[4]   وعضبًا رقيقًا صقيلَ الحديدِ
فقد صار ذاكَ وذا أدْهَمًا   يَعَضُّ بساقَيَّ عضَّ الأسودِ

ثم جُمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت[5]، وضمّتهم جوانحها كأنهم أموات، بعد ما ضاق عنهم القصر، وراق منهم العصر، والناسُ قد حشروا بضفتي الوادي، وبكوا بدموع كالغوادي، فساروا والنَّوْح يَحدُوهم، والبَوح باللوعة لا يعدوهم، وفي ذلك يقول ابن اللَّبَّانة: [البسيط]

تبكي السماء بمُزْنٍ رائحٍ غادِ   على البهاليلِ مِنْ أبناءِ عَبَّادِ
على الجبالِ التي هُدَّتْ قواعدُها   وكانتِ الأرضُ منها ذاتَ أوتاد
عِرّيسةٌ دخلتها النائباتُ على   أساودٍ لهمُ فيها وآساد[6]
وكعبةٌ كانتِ الآمالُ تخدمها   فاليوم لا عاكفٌ فيها ولا باد
يا ضَيْفُ، أقفرَ بيتُ المكرماتِ فَخُذْ   في ضَمِّ رحلك واجمعْ فَضْلَةَ الزاد
ويا مؤمّلَ واديهمْ ليسكنَهُ   خَفَّ القطينُ وجَفَّ الزرعُ بالوادي
وأنتَ يا فارسَ الخيل التي جعلتْ   تختالُ في عُدَدٍ منهم وأعداد
أَلْقِ السلاحَ وخَلِّ المَشْرَفِيَّ فقد   أصبحتَ في لَهَوَات الضيغم العادي

---

(١) في القلائد: «وبعدت».
(٢) في القلائد: «أشعرت تصرم منها..».
(٣) في القلائد: «من كلّ الرجال..».
(٤) في القلائد: «زليقًا».
(٥) في القلائد: «المنشئات».
(٦) العِرّيسَةُ: مأوى الأسد. الأساود: جمع أسود وهو الحيّة العظيمة. الآساد: الأسود.

لما دَنَا الوقتُ لم تخلف له عِدَةٌ ... وكلُّ شيء لميقاتٍ[1] وميعاد
إنْ يُخلعوا فبنو العباس قد خُلعوا ... وقد خَلَتْ قبل حمصٍ[2] أرضُ بغداد
حَمَوا حريمهمُ حتى إذا غُلبوا ... سِيقوا على نَسَقٍ في حبل مقتاد
وأُنزلوا عن[3] متونِ الشهبِ واحتملوا ... فويقَ دُهْمٍ لتلك الخيلِ أنداد
وعِيث في كلِّ طوق من دروعهمُ ... فصيغ منهنَّ أغلالٌ لأجياد
نسيتُ إلاَّ غداةَ النهرِ كونهمُ ... في المنشآت كأمواتٍ بألحاد
والناسُ قد ملأوا العبْرَينِ واعتبروا ... من لؤلؤ طافياتٍ فوق أزباد
حُطَّ القناعُ فلم تُسترْ مخدَّرةٌ ... ومُزِّقَتْ أوْجُهٌ تمزيقَ أبراد
حان الوداعُ فضجّتْ كلُّ صارخةٍ ... وصارخٍ مِنْ مُفَدّاة ومن فاد
سارتْ سفائنُهُمْ والنَّوْحُ يصحبُها ... كأنها إبلٌ يحدو بها الحادي
كم سال في الماء مِنْ دمعٍ وكم حملتْ ... تلك القطائعُ من قطعاتِ أكباد

انتهى ما قُصد جلبه من كلام الفتح رحمه اللّه تعالى وسامحه!

وقال ابن اللبانة في كتاب «نظم السلوك، في مواعظ الملوك، في أخبار الدولة العبادية»: إنَّ طائفة من أصحاب المعتمد خامرت عليه، فأُعلم باعتقادها، وكُشف له عن مُرَادها، وحُضّ على هَتْك حُرَمها، وأُغري بسفك دمها، فأبى ذلك مجدُه الأثيل، ومذهبه الجميل، وما خصّه اللّه تعالى به من حسن اليقين، وصحّة الدين، إلى أنْ أمكنتهم الغرة فانتصروا ببُغاث مُسْتَنْسِر[4]، وقاموا بجمع غير مستبصِر، فبرز من قصره، متلافيًا لأمره، عليه غِلاَلَة ترِفُّ على جسده، وسيفه يتلظّى في يده: [الوافر]

كأنَّ[5] السيفَ راقَ وراعَ حتى ... كأنَّ عليه شِيمَةَ مُنْتَضِيهِ
كأنَّ الموتَ أودعَ فيه سِرًّا ... لِيَرْفَعَهُ إلى يومٍ كريهِ

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٤٧): «بميقاتٍ».
(٢) حمص هنا مدينة إشبيلية الأندلسية، مقرّ حكم بني عباد.
(٣) في القلائد: «في متون».
(٤) بِبُغاث مُسْتَنْسر: بضعيف يتصنّع القوة، ومنه المثل: «إنَّ البغاث بأرضنا تستنسر».
(٥) في طبعة دار صادر (ص ٢١٦): «وذاك السيفُ».

فلقي على باب من أبواب المدينة فارسًا مشهورًا بنجدة، فرماه الفارس برمح التوى على غلالته، وعصمه اللّه تعالى منه، وصبَّ هو سيفه على عاتق الفارس، فشقّه إلى أضلاعه، فخرَّ صريعًا سريعًا، فرأيت القائمين عندما تسنموا الأسوار تساقطوا منها، وبعد ما أمسكوا الأبواب تخلّوا عنها، وأخذوا على غير طريق، وهَوَت بهم ريح الهَيْبة في مكان سحيق، فظننّا أنَّ البلد من أقذائه قد صفا، وثوب العصمة عليه قد ضَفا، إلى أن كان يوم الأحد الحادي والعشرون من رجب فعظم الخطب[1] في الأمر الواقع، واتّسع الخرق فيه على الراقع، ودُخل البلد من جهة واديه، وأُصيب حاضره بعادية باديه، بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه، وتراميه على الموت بنفسه، ما لا مزيد عليه، ولا انتهى خلق إليه، فَشُنَّت الغارة في البلد، ولم يُبْق فيه على سبَدَ لأحد ولا لبد، وخرج الناس من منازلهم، يسترون عوراتهم بأناملهم، وكُشفت وجوه المخدّرات العَذَارَى، ورأيت الناسَ سُكارَى، وما هم بسكارى، ورُحل بالمعتمد وآله، بعد استئصال جميع ماله، لم يصحب معه بُلْغة زاد، ولا بغية مراد، فأمضيت عزيمتي في اتّباعه، فوصلت إليه بأغمات عقب ثقاف استنقذه اللّه منه، فذكرت به شعرًا كان لي في صديق اتّفق له مثل ذلك في الشهر بعينه من العام الماضي، وهو الأمير أبو عبد اللّه ابن الصفار، وهو: [الخفيف]

لم تقلْ[2] في الثقاف كان ثقافا ... كنتَ قلبًا به وكان شغافا
يمكث الزهرُ في الكمام ولكنْ ... بعد مكثِ الكمام يدنو قِطَافَا
وإذا ما الهلالُ غاب لغيمٍ[3] ... لم يكن ذلك المغيبُ انكسافا
إنما أنتَ دُرَّةٌ للمعالي ... رَكَّبَ الدهرُ فوقها أصدافا
حجب البيتُ منك شخصًا كريمًا ... مثل ما تحجبُ الدنانُ السلافُا
أنت للفضلِ كعبةٌ ولو أنّي ... كنتُ أسطيعُ لاستطعتُ الطوافا

قال أبو بكر: وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذّ من غَفَلاَت الرقيب، وأشهى من رَشَفَات الحبيب، وأدلّ على السماح، من فجر على صباح، انتهى.

---

(١) في الطبعة نفسها: «فعظم الأمر في الخطب الواقع».
(٢) في طبعة دار صادر: «لم تَقُلْ».
(٣) في الطبعة نفسها: «بغيمِ».

ثم قال: ولَمّا خُلع المعتمد وذهب إلى أغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية، فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء، فقال: [المتقارب]

هُمُ أوقدوا بين جفنيكِ نارا أطالوا بها في حشاك استعارا
أَما يخجلُ المجدُ أنْ زودوك[1] ولم يصحبوك خباء معارا
فقد قنَّعُوا المجد إن كان ذاك وحاشاهُمُ خزيًا وعارا
يقلُّ لعينيك أن يَجْعَلُوا سوادَ العيونِ عليكم شعارا

ثم إنه بقي مأسورًا بأغمات إلى سنة ٤٨٦[2]، فأُخذ بمالَقَةَ رجل كبير يُعْرف بابن خلف، فسُجن مع أصحاب له، فنقبوا السجن وذهبوا إلى حصن منت ميور ليلاً فأخرجوا قائدها، ولم يضروه، وبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رجل، فسألوه فإذا هو عبد الجبار بن المعتمد، فولوه على أنفسهم، وظنّ الناس أنه الراضي، فبقي في الحصن، ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء، فانكسر بمرسى الشجرة قريبًا من الحصن، فأخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتّسعت بذلك حالتهم، ثم وصلت أم عبد الجبار إليه، ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨، ولَمّا بلغ خبر عبد الجبار إلى ابن تاشفين أمر بثقاف المعتمد في الحديد، وفي ذلك يقول: [السريع]

قيدي أما تعلمني مُسْلِمًا أَبَيْتَ أن تشفقَ أو ترحما
يُبْصِرُني فيكَ أبو هاشمٍ فينثني القلبُ وقد هُشِّما

وبقي إلى أن توفي رحمه الله سنة ٤٨٨.

وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارته البارعة فقال[3]: وأقام بالعدوة برهة لا يُرَوَّعُ له سِرْب وإن لم يكن آمنًا، ولا يثور له كرب وإن كان في ضلوعه كامنًا، إلى أن ثار أحدُ بنيه بأركش. معقل[4] كان مجاورًا لإشبيلية مجاورة الأنامل للراح،

---

(١) في الطبعة نفسها (ص ٣٤٩): «أن يُرحلوك».
(٢) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٤٩): «٤٨٢» وهو خطأ؛ لأن إشبيلية سقطت في أيدي المرابطين بعد هذا التاريخ.
(٣) قلائد العقيان (ص ٢٥ ـ ٣١).
(٤) في القلائد «معقلاً».

ظاهر[١] على بسائط وبِطَاح - لا يمكن معه عيش، ولا يتمنّ من منازلته جيش، فغدا على أهلها بالمكاره[٢] وراح، وضَيَّقَ عليهم المتسع من جهاتها والبَرَاح، فسار نحوه الأمير سير[٣] بن أبي بكر، رحمة اللّٰه عليه، قبل أن يرتدّ طرف استقامته إليه، فوجده وشرّه قد تشمّر، وضرّهُ[٤] قد تنمّر، وجَمْره متسعر، وأمره متوعر، فنزل عُذْوته، وحلّ للحزم حُبْوَته، وتدارك داءه قبل إعضاله، ونازله وما أعَدَّ آلات نضاله، وانحشدت إليه الجيوش من كل قُطْر، وأفرغ من مَسَالكه كلّ قطر، فبقي محصورًا لا يشدّ إليه إلاّ سهم، ولا ينفذ عنه إلاّ نفس أو وَهْم، وامتسك شهورًا حتى عرضه[٥] أحدُ الرماة بسهم فرماه، فأصماه، فهوى في مطلعه، وخرّ قتيلاً في موضعه، فدُفن إلى جانب سريره، وأمِنَ عاقبة تغريره[٨]، وبقي أهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتدّ عليهم الحصر، وارتدّ عنهم النصر، وعمّهم الجوع، وأغبَّ أجفانَهُم الهجوع[٧] فنزلت منهم طائفة متهافتة، وولّت[٨] بأنفاس خافتة، فتبعهم مَنْ بقي، ورغب في التنعم مَنْ شقي، فوصلوا إلى قبضة المِلمات، وحصلوا في غصّة المَمَات، فوسَمَهم الحَيْف، وتقسّمهم السيف، ولَمّا زأر الشِّبْل خيفت سَوْرَة الأسد، ولم يُرْجَ صلاح الكلّ والبعض قد فَسَد، فاعْتُقل المعتمدُ خلال تلك الحال وأثناءَها، وأُجِلّ ساحة الخطوب وفِنَاءَها، وحين أركبوه أساودا، وأورثوه حُزْنًا بات له معاودًا، قال: [الكامل]

غَـنَّـتْـكَ أغـمـاتـيـةُ الألـحـان	ثـقـلـتْ عـلـى الأرواح والأبـدانِ
قد كان كالثعبان رُمْحُكَ في الورى[٩]	فـغـدا عـلـيـكَ الـقـيـدُ كـالـثـعـبـان
مـتـمـرّدًا يـحـمـيـكَ كـلَّ تـمـرّدٍ[١٠]	مـتـعـطّـفًـا لا رحـمـةً لـلـعـانـي

---

(١) في القلائد: «ظاهرًا».

(٢) كلمة «بالمكاره» غير واردة في القلائد.

(٣) كلمة «سير» غير واردة في القلائد.

(٤) في طبعة عبد الحميد: «وصُرَده».

(٥) في القلائد: «عَرّضه أحد الرماة فرماه بسهم أصماه فهوى. .».

(٦) في القلائد: «تغييره».

(٧) أَغَبَّ أجفانَهُم الهجوعُ: زارهم يومًا وتركهم يومًا.

(٨) في القلائد: «ورقت».

(٩) في القلائد: «في الوغى».

(١٠) في القلائد: «متعدّدًا. . كل تعدّد».

قلبي إلى الرحمن يشكو بثَّهُ ... ما خابَ من يشكو إلى الرحمن
يا سائلاً عن شأنه ومكانه ... ما كان أغنى شأنَهُ عن شان
هاتيك قينته وذلك قَصْرُهُ ... مِنْ بَعْدِ أيِّ مَقَاصِرٍ وقيانِ

ولما فقد مَنْ[1] يجالسه، وبعد عنه من كان يؤانسه، وتمادى كربه، ولم تسالمه حربه، قال: [الطويل]

تؤمّلُ للنفس الشجيةِ فُرْجَةً[2] ... وتأبى الخطوبُ السودُ إلاَّ تماديا
لياليكَ في زاهيكَ أصفى صُحْبَتَها ... كذا صحبتْ قبلي الملوكُ اللياليا
نعيمٌ وبؤسٌ ذا لذلك ناسخٌ ... وبعدهما نسخُ المنايا الأمانِيَا

ولَمَّا امتدتْ في الثِّقَاف مدته، واشتدّت عليه قسوة الكَبْل وشدّته، وأقلقته همومه، وأطبقته غمومه، وتوالت عليه الشجون، وطالت لياليه الجُون، قال: [البسيط]

أبناءُ أسرِكَ قد طَبَّقْنَ آفاقا ... بل قد عممن جهات الأرض إقلاقا
سرتْ[3] من الغرب لا تُطوى لها قدمٌ ... حتى أتتْ شرقَها تنعاك إشراقا
فأحرقَ الفَجْعُ أكبادًا وأفئدةً ... وأغرقَ الدمعُ آماقًا وأحداقا
قد ضاق صدرُ المعالي إذ نُعِيتَ لها ... وقيل: إنَّ عليكَ القيد قد ضاقا
أنَّى غُلِبْتَ وكنتَ الدهرَ ذا غَلَبٍ ... للغالبينَ وللسُّبَّاق سَبَّاقا
قلتَ الخطوبُ أذلَّتني طوارقُها ... وكان عَزْبي[4] إلى الأعداء طَرّاقا
متى رأيت صروفَ الدهرِ تاركةً ... إذا انبرَتْ لذوي الأخطار أرماقا

وقال لي من أثقه: لَمَا ثار ابنُه حيث ثار، وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار، جزع جزعًا مُفرِطًا، وعلم أنه قد صار في أنشوطة[5] الشرِّ مُتَوَرِّطًا، وجعل يتشكّى[6] من فعله ويتظلّم، ويتوجّع منه ويتألّم، ويقول: عرض بي للمِحَن، ورضي لي أن أُمتحن،

---

(١) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٥١): «من كان يجالسه».
(٢) في القلائد (ص ٢٦): «فرحة».
(٣) في القلائد: «سارتْ».
(٤) في القلائد: «وكان عزمي للأعداء..».
(٥) الأنشوطة: العقدة التي يسهل حلُّها.
(٦) في القلائد: «يشتكي».

ووالله ما أبكي إلاّ انكشاف من أتخلّفه بَعْدي، ويتَخَيّفه بُعْدِي، ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسِرّته، وظللته مسرّته، ورأيته قد استجمع، وتشوّف إلى السماء وتطلّع، فعلمت أنه قد رجا عَوْدَةً إلى سلطانه، وأوبة إلى أوطانه، فما كان إلاّ بمقدار[1] ما تنداح دائرة، أو تلتفت مُقْلة حائرة، حتى قال: [المتقارب]

كذا يهلكُ السيفُ في جَفْنِهِ إلى[2] هَزّ كَفِّي طويلَ الحنينِ
كذا يعطشُ الرمحُ لم أعتقله ولم تَرْوِهِ من نجيعٍ يميني
كذا يمنع الطِّرْفُ عَلْكَ الشكـ ـيم مرتَقبا غِرّةً في كمين
كأنَّ الفوارس فيه ليوثٌ تراعي فرائسها في عَرِين
ألاَ شَرَفٌ يرحم المشرفيـ ـي مِمّا به من شَمَات الوتين
ألاَ كَرَمٌ ينعشُ السَّمهريَّ ويشفيه من كل داء دفين
ألاَ حَنّة لابن مَخْنِيَّةٍ شديدِ الحنينِ ضعيفِ الأنينِ
يؤمّلُ من صدرها ضمّةً تبوئه صدر كفؤٍ[3] معينِ

وكانت طائفة من أهل فاس قد عَاثُوا فيها وفَسَقوا، وانتظموا في سلك الطغيان واتَّسَقُوا، ومنعوا جفون أهلها السِّنات، وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات، وتلقّبوا بالإمَارة، وأركبوا السوء نفوسَهم الأمّارة، حتى كادت أن[4] تقفر على أيديهم، وتدثر رسومها بإفراط تَعَدّيهم، إلى أن تدارك أمير المسلمين رحمه تعالى أمرهم، وأطفأ جَمْرَهم، وأوجعهم ضربًا، وأقطعهم ما شاء حزنًا وكربًا، وسجنهم بأغمات، وضمّتهم جوانح الملمّات، والمعتمد إذ ذاك معتقل هناك، وكانت فيهم طائفة شعرية، مُذْنِبَة أو بَرِيّة[5]، فرغبوا إلى سجّانهم، أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم، فَخَلَّى ما بينهم وبينه، وغمض لهم في ذلك عَيْنه، فكان المعتمد رحمه الله تعالى يَتَسَلَّى بمجالستهم، ويجد أثر مؤانستهم، ويستريح إليهم بِجَوَاه، ويبوح لهم بسرّه ونَجْوَاه، إلى أن شُفع فيهم وانطلقوا من

---

(١) في القلائد (ص ٢٧): «مقدار».
(٢) في القلائد: «إذا هزّ».
(٣) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٥٣): «كفر».
(٤) كلمة «أن» غير واردة في القلائد.
(٥) بريّة: أي بريئة، سُهّلت الهمزة بقلبها ياء ثم أُدْغمت في الياء.

وثاقهم، وانفرج لهم مُبْهَم أغلاقهم، وبقي المعتمد في محبسه[1] يشتكي من ضيق الكَبْل، ويبكي بدمع كالوَبْل، فدخلوا عليه مُودعين، ومن بثّه متوجّعين، فقال: [الطويل]

أَمَا لانسكابِ الدمع في الخَدِّ راحةٌ ... لقد آن أن يَفْنَى، ويفنى[2] به الخدُّ
هبوا دعوةً يا آل فاسٍ لمبتلًى ... بما منه قد عافاكُمُ الصَّمَدُ الفردُ
تخلّصتُم من سجنِ أغماتَ والْتَوَتْ ... عليَّ قيودٌ لم يَجِنْ فكُّها بَعْدُ
مِنَ الدُّهْمِ أمّا خلْقُها فأساودٌ ... تَلَوّى وأما الأيدُ[3] والبطشُ فالأسْدُ
فهنيتمُ النعما، ودامتْ لكلكمُ ... سعادتُهُ إنْ كان قد خانني سَعْدُ
خرجتمْ جماعاتٍ وخُلِّفْتُ واحدًا ... ولِلّه في أمري وأمركُمُ الحَمْدُ

ومرّ عليه في موضع اعتقاله سِرْبُ قَطًا لم يعلق لها جَنَاح، ولا تعلّق بها من الأيام جُنَاح، ولا عاقها عن أفراخها الأشراك[4]، ولا أعوزها البَشَام ولا الأراك، وهي تمرح في الجو، وتسرح في مواقع النو، فتنكّدَ بما هو فيه من الوثاق، وما دون أحبّته من الرقباء والأغلاق، وما يقاسيه من كَبْله، ويُعَانيه من وَجْده وخَبْله، وفكّر في بناته وافتقارهنّ إلى نعيم عَهِدْنَه، وحبور حَضَرْنَه وشَهِدْنَه، فقال: [الطويل]

بكيتُ إلى سربِ القطا إذْ مررنَ[5] بي ... سوارحَ لا سجنٌ يعوقُ ولا كَبْلُ
ولم تكُ، واللّهُ المعيد[6]، حسادةً ... ولكن حنينًا أنَّ شكلي لها شكلُ
فأسرحُ لا شَمْلِي صَدِيعٌ ولا الحشا ... وجيعٌ ولا عيناي يُبْكيهما ثكلُ[7]
هنيئًا لها إن[8] لم يُفَرَّقْ جميعها ... ولا ذاق منها البُعْدَ عن أهلها أهلُ
وإذ[9] لم تَبِتْ مثلي تطيرُ قلوبها ... إذا اهتزَّ بابُ السجن أو صلصل القفلُ

---

(1) في القلائد: «في مجلسه».
(2) في القلائد: «ويفنا».
(3) الأَيْد: القوة.
(4) الأشراك: جمع شرك وهو الفخ. لسان العرب (شرك).
(5) في طبعة عبد الحميد (ص ٣٥٤): «مرون».
(6) هكذا في القلائد، وفي طبعة دار صادر (ص ٢٢١): «المعيذ» بالذال المعجمة.
(7) في القلائد: «ص ٢٨»: «فلا شمل.. ولا عينان يبكيهما..».
(8) في طبعة عبد الحميد: «إذ».
(9) في القلائد: «وإن».

وما ذاكَ مِمّا يعتريه، وإنما — وصفتُ التي[1] في جبلة الخلق من قَبْلُ
لِنفسِي إلى لُقيا الحِمَامِ تشوُّفٌ — سوايَ يحبُّ العيشَ في ساقه كَبْلُ[2]
أَلاَ عصمَ اللّهُ القطا في فراخها — فإنّ فراخي خانها الماءُ والظِّلُّ

وفي هذه الحالة[3] زاره الأديب أبو بكر بن اللَّبَّانة، وهو أحد شعراء دولته المرتضين دِرَرَها[4]، المنتجعين دُرَرَهَا[4]، وكان المعتمد رحمه اللّه تعالى يميزه بالشفوف والإحسان، ويجوّزه على فرسان هذا الشان، فلمّا رآه وحَلَقَات الكَبْل قد عضّت بساقيه عضّ الأسود، والتوتْ عليه التواء الأساود السودْ، وهو لا يُطيق إعمال قَدَم، ولا يُرِيقُ دمعًا إلاّ ممزوجا بدم، بعد ما عهده فوق منبر وسرير، ووسط جنّة وحرير، وتَخْفِق عليه الألوية، وتُشرق منه الأندية، وتَكِفُ الأمطارُ من راحته، وتشرف الأقدار بحلول ساحته، ويرتاع الدهْرُ من أوامره ونواهيه، ويقصر النَّسْر أن يقارنه[5] أو يُضاهيه، نَدَبَهُ بكل مقالٍ يلهب الأكباد، ويثير فيها لوعة الحارث بن عُباد[6]، أبدع من أناشيد مَعْبَد[7]، وأصدع للكبد من مراثي أرْبَد[8]، أو بكاء ذي الرمة بالمِرْبَد[9]، سلك فيها للاحتفاء طريقًا لاَحِبًا، وغدا فيها لذُيُول الوفاء سَاحِبًا، فمن ذلك قوله: [البسيط]

انْفُضْ يديك من الدنيا وساكِنِها — فالأرضُ قد أقفرتْ والناسُ قد ماتوا
وقُلْ لعالمها السفليّ قد كَتَمَتْ — سريرةَ العالم العلويّ أغماتُ
طَوَتْ مظلّتُها لا بل مَذَلَّتُها — مَنْ لم تزل فوقه للعِزِّ راياتُ
مَنْ كان بين الندى والبأس أَنْصُلُهُ — هنديّةٌ وعطاياه هُنَيْدَاتُ

(١) في القلائد: «وصفت الذي...».
(٢) في طبعة عبد الحميد: «حجل».
(٣) في القلائد: «الحال».
(٤) في القلائد: «درّها».
(٥) في القلائد: «يقاربه».
(٦) هو أبو منذر الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري، حكيم جاهلي، كان شجاعًا شاعرًا. وفي أيامه كانت حرب البسوس، فاعتزل القتال. ولما قتل المهلهل ولدًا اسمه بجير ثار الحارث ونادى بالحرب. الأعلام (ج ٢ص ١٥٦)(ومصادر حاشيته.
(٧) معبد: مغنّ مشهور، وقد تقدم التعريف به.
(٨) أربد: هو أخو لبيد بن ربيعة، اجتاحته صاعقة فبكاه لبيد في مراثٍ كثيرة.
(٩) المِرْبَد: مكان بالبصرة كان الشعراء ينشدون فيه أشعارهم. معجم البلدان (ج ٥ ص ٩٧).

رماه من حيث لم تَسْترْهُ سابغةٌ دهرٌ مصيباتُهُ نَبْلٌ مصيباتُ
أنكرتُ إلاَّ التواءاتِ القيود به وكيف تُنكرُ في الروضات حياتُ
غلطتُ بين هَمايِينٍ عُقِدْنَ له وبينها فإذا الأنواعُ أشتاتُ
وقلتُ هُنَّ ذؤاباتٌ فَلِمْ[1] عُكستْ من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قَناه أو أعِنّتِهِ إذا بها لثقافِ المجد آلات
دَرَوْهُ لَيْثًا فخافوا منه عاديةً عذرتهمْ، فَلِعَدْوِ الليثِ عادات
لو كان يُفْرَجُ عنه بعضَ آونةٍ قامتْ بدعوته حتى الجَماداتُ
بحرٌ محيطٌ عهدناه تجيء له كنقطةِ الدارةِ السبعُ المحيطات
لهفي على آلِ عبّادٍ بمنزلةٍ أهِلَّةٌ ما لها في الأفق هالات
راحَ الحَيا وغدا منهم بمنزلةٍ كانتْ لنا بُكَرٌ فيها ورَوْحَاتُ
أرضٌ كأنَّ على أقطارها سُرُجًا قد أوقدتهنَّ بالأدهان أنبات
وفوق شاطىء واديها رياضُ رُبًا قد ظَلّلتها من الأنشام دوحات
كأنَّ واديها سِلْكٌ بَلَبَّتِها وغايةُ الحسن أسلاكٌ ولَبّاتُ
نهرٌ شربتُ بعبْرَيْهِ على صُوَرٍ كانتْ لها فيّ قبْلَ الراح سوراتُ
وربما كنتُ أسمو للخليج به وفي الخليج لأهل الراح راحاتُ
وبالغروسات[2] لا جَفَّتْ منابتها من النعيم غروساتٌ جَنِيَّاتُ

ولم تزل كبده تتوقّد بالزفرات، وخَلَده يتردّد بين النكبات والعثرات، ونفسه تتقسّم بين الأشجان والحسرات، إلى أن شَفَتْه منيَّتُه، وجاءته بها أمنيته، فدُفن بأغمات، وأريح من تلك الأزمات: [الوافر]

وعُطّلَتِ المآثرُ مِنْ حُلاها وأُفرِدَتِ[3] المفاخِرُ مِنْ عُلاها

ورُفِعَتْ مكارمُ الأخلاق، وكسدت نفائس الأعلاق، وصار أمره عِبْرةً في عصره،

---

(١) في القلائد (ص ٢): «فكم عكست».
(٢) هكذا في قلائد العقيان (ص ٣٠)، وفي طبعة دار صادر (ص ٢٢٣): «وبالعروسات» بالعين المهملة.
(٣) في القلائد: «وأفرزت».

وصاب أنْدَى[1] عَبْرَةٍ في مِصْرِه. وبعد أيام وافى أبو بحر[2] بن عبد الصمد شاعره المتّصل به، المتوصِّل إلى المُنَى بسببه، فلمّا كان يوم العيد وانتشر الناس ضُحَى، وظهر كلُّ متوارٍ وضَحَا، قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم، واختيالهم بزينتهم وحُلاهم، وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه، وخَرَّ على تُرْبه ولثمه[3]: [الكامل]

ملكَ الملوك، أسامع فأُنادي | أم قد عَدَتْكَ عن السماع عَوادي
لَمّا خَلَتْ منك القصورُ فلم[4] تكنْ | فيها كما قد كنتَ في الأعيادِ
قَبَّلْتُ من[5] هذا الثرى لك خاضعًا | وتَخِذْتُ قبرك موضعَ الإنشاد

وهي قصيدة أطال إنشادها، وبنى بها اللواعجَ وشادها، فانحشر الناس إليه وانحفلوا[6]، وبكوا ببكائه وأعْوَلوا، وأقاموا أكثر نهارهم مُطِيفين به طوافَ الحجيج، مديمين للبكاء والعجيج، ثم انصرفوا وقد نَزَفُوا ماء عيونهم، وأقرحوا مآقيهم بفيض شؤونهم، وهذه نهاية كل عيش، وغاية كل ملك وجيش، والأيام لا تدع حَيًّا، ولا تألو كلَّ نشر طَيًّا، تطرق رزاياها كل سمع، وتُفَرّق مناياها كل جمع، وتُصْمِي[7] كلّ ذي أمر ونَهْي، وترمي كل مشيد بِوَهْي[8]، ومن قبله طوت النعمان ابن الشقيقة، ولوت مجازه في تلك الحقيقة. انتهى ما قصدنا جلبه من كلام الفتح مِمّا يدخل في أخبار المعتمد بن عباد المناسبة لما مَرَّ.

وكلام الفتح كلّه الغاية، وليس الخبر كالعيان، ولذا قال بعض من عَرَّفَ به: إنه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم في كتبه بنثره، سامحه اللّه تعالى!

وأخبار المعتمد رحمه اللّه تعالى تحتمل مجلّدات، وآثاره إلى الآن بالغرب

---

(١) في القلائد: «وصاب أبدًا عبرة في مصره..».
(٢) في القلائد: «أبو بكر».
(٣) سترد هذه الأبيات في الجزء السادس وجاء البيت الثالث هناك ببعض الاختلاف عمّا هنا.
(٤) في القلائد: «ولم تكن».
(٥) في طبعة دار صادر (ص ٢٢٤): «في هذا..». وفي القلائد: «أقبلت في هذا..».
(٦) في القلائد (ص ٣١): «وأحفلوا».
(٧) تُصْمي: تصيب وتقتل؛ يقال: صَمَى الصائد إذا رماه فقتله مكانه وهو يراه. محيط المحيط (صمى).
(٨) الوَهْي: الشَقُّ في الشيء. محيط المحيط (وهى).

مخلّدات، وكان من النادر الغريب قولهم في الدعاء للصلاة على جنازته «الصَّلاَةَ على الغريب» بعد اتّساع ملكه، وانتظام سلكه، وحكمه على إشبيلية وأنحائها، وقرطبة وزهرائها، وهكذا شأن الدنيا في تدريسها نحو نُدْبتها وإغرائها.

وقد توجّه لسان الدين الوزير بن الخطيب إلى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه اللّه تعالى، ورأى ذلك من المهمات، وأنشد على قبره أبياته الشهيرة التي ذكرتها في جملة نظمه الذي هو أرقّ من النسيم، وأبهج من المحيّا الوسيم.

قلت: وقد زرتُ أنا قبر المعتمد والرُّمَيْكية أمّ أولاده، حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة وألف، وعُمِّي عليَّ أمرُ القبر المذكور، وسألت عنه من تُظن معرفته له، حتى هداني إليه شيخ طعن في السنّ، وقال لي: هذا قبر ملك ملوك الأندلس، وقبر حظيّته التي كان قلبه بحبِّها خفّاقًا غير مطمئنّ، فرأيته في ربوة حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه اللّه تعالى في الأبيات، وحصلت لي من[1] ذلك المحلّ خشية وادّكار، وذهبت بي الأفكار، في ضروب الآيات، فسبحان من يؤتي ملكه من يشاء لا إله غيره وارث الأرض ومَنْ عليها وهو خير الوارثين.

---

(١) في طبعة دار صادر (ص ٢٢٥): «في ذلك».

ثبت باسماء المصادر والمراجع

١ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة (١ ـ ٤). تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧.

٢ ـ اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى لابن سعيد. دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠.

٣ ـ أدباء مالقة لابن عسكر. (صورة عن نسخة خطية خاصة بمكتبة الأستاذ محمد المنوني).

٤ ـ أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري (١ ـ ٣). تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠.

٥ ـ الأعلام للزِّرِكْلي (١ ـ ٨). دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

٦ ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب (القسم الثاني). تحقيق الأستاذ إ. ليڤي بروڤنسال. دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦.

٧ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني. شرحه وكتب هوامشه الدكتور يوسف طويل والأستاذان عبد علي مهنا وسمير جابر. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

٨ ـ الأمالي في لغة العرب لأبي علي القالي (١ ـ ٢). دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

٩ ـ أنساب الأشراف للبلاذري (الجزء الأول). تحقيق الدكتور محمد حميد الله. ط. دار المعارف بمصر، ١٩٥٩.

١٠ ـ أنساب الأشراف (٤ ـ ٥). تحقيق الأستاذ جويتاين. ط. القدس، ١٩٣٦.

١١ ـ بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي (على هامش معاهد التنصيص ١ ـ ٢). طبعة القاهرة، ١٣١٦ هـ.

١٢ ـ البدر السافر لجعفر بن ثعلب الأدفوني. مخطوطة الفاتح رقم: ٤٣٠١.

١٣ ـ البديع في فصل الربيع للأديب أبي الوليد إسماعيل الحميري الملقب بحبيب. تحقيق الأستاذ هنري بيريس. ط. الرباط، ١٩٤٠.

١٤ ـ برنامج شيوخ الرعيني. تحقيق الأستاذ إبراهيم شبوح. طبعة دمشق، ١٩٦٢.

١٥ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضَّبِّي. دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

١٦ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي. دار المعرفة، بيروت.

١٧ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (١ ـ ٤). تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال والدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت.

١٨ ـ التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦.

١٩ ـ التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١ ـ ٢). طبعة مصر، ويشار إليها بأرقام الصفحات، وإذا أشير إلى رقم الترجمة كان الاعتماد على طبعة مجريط من المكتبة الأندلسية.

٢٠ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميري. الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

٢١ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم. تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر، ١٩٦٢.

٢٢ ـ الحلة السيراء لابن الأبار (١ ـ ٢). تحقيق الدكتور حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

٢٣ ـ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب. قسم شعراء المغرب (الجزء الأول). تحقيق الأساتذة محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى. الدار التونسية للنشر، ١٩٦٦.

٢٤ ـ ديوان ابن الحداد الأندلسي. جمعه وحققه وقدم له الدكتور يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

٢٥ ـ ديوان ابن حمديس. صححه وقدّم له الدكتور إحسان عباس. دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠.

٢٦ ـ ديوان ابن خفاجة. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت، ١٩٨٠.

٢٧ ـ ديوان ابن خفاجة. تحقيق الدكتور مصطفى غازي. دار المعارف بمصر، ١٩٦٠.

٢٨ ـ ديوان ابن دراج القسطلي. تحقيق الدكتور محمود علي مكي. منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ١٩٦١.

٢٩ ـ ديوان ابن الزقاق البلنسي. تحقيق السيدة عفيفة ديراني. دار الثقافة، بيروت.

٣٠ ـ ديوان ابن زيدون. شرح وتحقيق الأستاذ كرم البستاني. دار بيروت، بيروت، ١٩٧٩.

٣١ ـ ديوان ابن سهل الأندلسي. دراسة وتحقيق يسري عبد الغني عبد اللّه. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

٣٢ ـ ديوان ابن سهل الأندلسي. قدم له الدكتور إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.

٣٣ ـ ديوان ابن شهيد الأندلسي. عني بجمعه Charles Pellat. دار المكشوف، بيروت، ١٩٦٣.

٣٤ ـ ديوان ابن عبد ربه ـ حققه وجمعه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.

٣٥ ـ ديوان ابن هاني الأندلسي. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

٣٦ ـ ديوان أبي إسحق الإلبيري. تحقيق الأستاذ إميليو غرسيه غومس. ط. مدريد ـ غرناطة، سنة ١٩٤٤.

٣٧ ـ ديوان أبي تمام. شرح الدكتور شاهين عطية. دار صعب، بيروت.

٣٨ ـ ديوان أبي نواس. تحقيق الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٥٣.

٣٩ ـ ديوان الأعمى التطيلي. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.

٤٠ ـ ديوان امرىء القيس. تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

٤١ ـ ديوان جرير. دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠.

٤٢ ـ ديوان حازم القرطاجني. تحقيق الأستاذ عثمان الكعاك. دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤.

٤٣ ـ ديوان الخنساء (شرح ديوان الخنساء). دار مكتبة الحياة، بيروت.

٤٤ ـ ديوان الرصافي البلنسي. جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٩.

٤٥ ـ ديوان طرفة بن العبد. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦.

٤٦ ـ ديوان علي بن الجهم. تحقيق الأستاذ خليل مردم بك. من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، ١٩٤٩.

٤٧ ـ ديوان المتنبي (العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب) للشيخ ناصيف اليازجي. دار القلم، بيروت.

٤٨ ـ ديوان المعتمد بن عباد. تحقيق الأستاذين أحمد بدوي وحامد عبد المجيد. القاهرة، ١٩٥١.

٤٩ . ديوان النابغة الذبياني. حققه وقدم له الأستاذ فوزي عطوي. دار صعب، بيروت، ١٩٨٠.

٥٠ . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (أربعة أقسام في ثمانية مجلدات). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩).

٥١ . ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول. مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ج.

٥٢ . الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (١ ـ ٦). تحقيق الأستاذين محمد بن شريفة وإحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

٥٣ . رسائل ابن حزم الأندلسي (١ ـ ٤). تحقيق الدكتور إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ ـ ١٩٨٣.

٥٤ . الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي) للحميري. تحقيق الدكتور إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

٥٥ . زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر لأبي بحر صفوان بن إدريس المرسي. تحقيق الأستاذ عبد القادر محداد. ط. بيروت، ١٩٣٩.

٥٦ . زهر الآداب وثمر الألباب للحصري (١ ـ ٢). تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي.

٥٧ . شرح الحماسة للمرزوقي (١ ـ ٤). نشر الأستاذين أحمد أمين وعبد السلام هارون. الطبعة الأولى، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٥١ـ ١٩٥٣.

٥٨ . شرح مقامات الحريري للشريشي (١ ـ ٢). ط. القاهرة، ١٣٠٠ هـ.

٥٩ . الشعر والشعراء لابن قتيبة (١ ـ ٢). دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩.

٦٠ . الصلة لابن بشكوال (١ ـ ٣). تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني ببيروت، ١٩٨٩.

٦١ . صلة الصلة لأبي جعفر ابن الزبير. تحقيق الأستاذ ليڤي بروڤنسال. ط. الرباط، ١٩٣٧.

٦٢ . طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم. تحقيق الأستاذ فاروق سعد. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٢.

٦٣ . العقد الفريد لابن عبد ربه (١ . ٧). شرح الأساتذة أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، ١٩٤٩ . ١٩٦٥.

٦٤ . فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١ . ٥). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣. ١٩٧٤.

٦٥ . قاموس إسباني عربي للمستشرق الإسباني الدكتور ف. كورينطي. المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٠.

٦٦ . القاموس المحيط للفيروزآبادي. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.

٦٧ . قرآن كريم. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٦٨ . قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب (عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة). نشرها الدكتور لطفي عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد الأول، الجزء الثاني. مطبعة مصر، ١٩٥٥.

٦٩ . قلائد العقيان في محاسن الأعيان لابن خاقان. القاهرة، ١٢٨٤ هـ.

٧٠ . لسان العرب لابن منظور (١ . ١٥). دار صادر، بيروت.

٧١ . مجمع الأمثال للميداني (١ . ٢). تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥.

٧٢ . محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧.

٧٣ . مختار الصحاح للرازي. مؤسسة الرسالة، دار البصائر، بيروت، ١٩٨٥.

٧٤ . مدخل إلى الأدب الأندلسي للدكتور يوسف علي طويل. دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩١.

٧٥ . المرقصات والمطربات لابن سعيد. دار حمد ومحيو، بيروت، ١٩٧٣.

٧٦ . المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي. دار العلم للجميع. بيروت، ١٩٥٥.

٧٧ ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس لابن خاقان، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية، ١٣٠٢ هـ.

٧٨ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي (١ ـ ٤). تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد. دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧.

٧٩ ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي. تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان. ط. القاهرة، ١٩٦٣.

٨٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي (١ ـ ٥). دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.

٨١ ـ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

٨٢ ـ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد (١ ـ ٢). تحقيق الدكتور شوقي ضيف. دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.

٨٣ ـ المقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حيان القرطبي (تتمة السفر الثاني ويؤرخ من سنة ٢٣٢ حتى سنة ٢٦٧ هـ). تحقيق الدكتور محمود علي مكي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣.

٨٤ ـ المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبار. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.

٨٥ ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي. تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني. مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٦٥.

٨٦ ـ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لابن الخطيب. تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي. دار الكاتب العربي بالقاهرة.

٨٧ ـ نكت الهميان في نكت العميان للصفدي. ط. مصر.

٨٨ ـ الوافي بالوافيات للصفدي (١ ـ ١٧). فيسبادن، ١٩٦٢ ـ ١٩٨١.
٨٩ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (١ ـ ٨). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨.
٩٠ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (١ ـ ٤). دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

فهرس الجزء الخامس

مـــن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

فهرس الجزء الخامس من كتاب
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري



مؤسسة جواد للطباعة والتصوير

هاتف: ٨٣٢٢٢-٢-٨٧٨١٥٧ - بيروت - لبنان